جورج ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

الكتاب الرَّابع

وليمة للغربان

الجزء الثاني

الكتاب: وليمة للغِربان II (الكتاب الرَّابع من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية
المؤلف: چورج ر. ر. مارتن
ترجمة: هشام فهمي
عدد الصفحات: 464 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-054-7
الطبعة الأولى: 2019

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:
A Feast for Crows by George R. R. Martin
All rights reserved
Copyright © 2005 by George R. R. Martin
Maps by James Sinclair
Heraldic Crests by Virginia Norey
Published by Agreement with the author and the author's agent The Lotts Agency Ltd.
جميع حقوق النسخة العربية محفوظة لدار التنوير ©

الناشر
دار التنوير للطباعة والنشر
لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
مصر: القاهرة - 2شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

الكتاب الرَّابع

وليمة للغِربان

الجزء الثاني

ترجمة: هشام فهمي

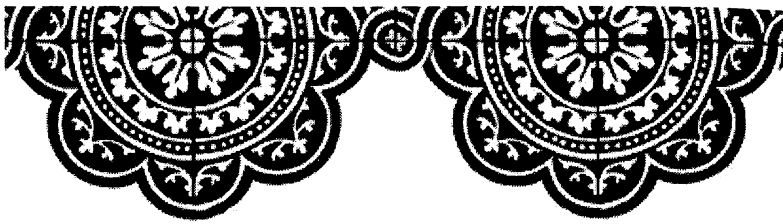

بِريان

أصرَّ السير هايل هَنت على أن يأخذوا معهم الرُّؤوس، وقال: «تارلي سيُريدها ليُعَلِّقها على الأسوار».

علَّقت بِريان التي لا تُريد أن تجتاز ظُلمة غابة الصَّنوبر الخضراء ومعها رؤوس الرِّجال الذين قتلَتهم: «ليس معنا قطران. اللَّحم سيتعفَّن. اترُكها».

لكن هَنت رفضَ الإصغاء، وجَزَّ أعناق الموتى بنفسه وربطَ الرُّؤوس الثَّلاثة معًا من شَعرها وعلَّقها من سَرجه، فلم تجد بِريان بُدًّا من محاولَة التَّظاهر بأنها غير موجودة، وإن كانت أحيانًا -لا سيَّما ليلًا- تَشعُر بأعيُنها الميتة تُحَدِّق إلى ظَهرها، وفي مرَّةٍ حلمَت بأنها تسمع بعضها يهمس لبعض.

كانت الأجواء باردةً مبتلَّةً في (الرَّأس المتصدِّع) إذ عادوا أدراجهم. في بعض الأيام تُمطِر السَّماء وفي بعضها تتوعَّد بالمطر، ولم يَشعُروا بالدِّفء قَطُّ، وحتى عندما يُخَيِّمون يستعصي عليهم العثور على حطبٍ جاف لإشعال النَّار.

لدى بلوغهم بوَّابة (بِركة العذارى) كان سرب من الذُّباب يُصاحِبهم، وقد أكلَ غُراب عينَي شاجويل وعَجَّ رأسا پيج وتيميون باليرقات. قبلها بفترةٍ طويلة تعوَّدت بِريان وپودريك الرُّكوب متقدِّميْن بمئة ياردة لتظلَّ رائحة العفَن وراءهما، أمَّا السير هايل فزعمَ أنه فقدَ حاسَّة الشَّمِّ تمامًا. كلَّما خيَّموا ليلًا سألَته بِريان أن يُحرِق الرُّؤوس، لكن هَنت شديد العناد حقًّا. على الأرجح سيقول اللورد راندل إنه قتلَ ثلاثتهم بنفسه.

إلَّا أن الفارس تحلَّى بالشَّرف ولم يفعل شيئًا من هذا القبيل.

- «المُرافق المتلعثم ألقى صخرةً»، قال هَنت عندما مثلَ مع بِريان أمام تارلي في ساحة قلعة موتون، بَعد أن قُدِّمَت الرُّؤوس إلى رقيب الحُرَّاس

الذي أُمِرَ بتنظيفها وغمسها في القطران وتعليقها فوق البوَّابة. «المُبارِزة قامَت بالباقي».

لاحَ الشَّكُّ على اللورد راندل إذ سألَه: «الثَّلاثة؟».

- «بالطَّريقة التي قاتلَت بها كان بإمكانها أن تَقتُل ثلاثةً آخَرين».

سألَها تارلي: «وهل وجدتِ ابنة ستارك؟».

- «لا يا سيِّدي».

- «وبدلًا من ذلك قتلتِ بضعة فئران. هل استمتعتِ بهذا؟».

- «لا يا سيِّدي».

- «مؤسف. حسن، ها قد جرَّبتِ مذاق الدَّم وأثبتِّ ما أردتِ إثباته. حان الوقت لأن تخلعي هذه الحلقات المعدنيَّة وترتدي ثيابًا لائقةً. ثمَّة سُفن في الميناء، ومؤكَّد أن إحداها ستتوقَّف في (تارث). سأضعكِ عليها».

- «أشكرك يا سيِّدي، لكن لا».

نَمَّ وجه اللورد تارلي عن أنه لا يرغب في شيءٍ أكثر من أن يغرس خازوقًا في رأسها ويُعَلِّقه فوق بوَّابة (بِركة العذارى) إلى جوار تيميون وپيج وشاجويل، وبغلظةٍ سألَها: «أتنوين الاستمرار في هذه الحماقة؟».

- «أنوي العثور على الليدي سانزا».

قال السير هايل: «بَعد إذن سيِّدي، لقد شاهدتها تُقاتِل الممثِّلين. إنها أقوى من معظم الرِّجال، وسريعة...».

قاطعَه تارلي بحدَّة: «سيفها هو السَّريع. هذه طبيعة الفولاذ الڤاليري. أقوى من معظم الرِّجال؟ أجل، إنها مسخ، مُحال أن أنكر هذا».

فكَّرت بِريان: لن يحبُّني أمثاله أبدًا مهما فعلتُ. «سيِّدي، ربما يعرف ساندور كليجاين شيئًا عن الفتاة. إذا وجدته...».

- «كليجاين أصبحَ مجرمًا. إنه يركب مع جماعة بريك دونداريون الآن على ما يبدو، وربما لا، الحكايات متعدِّدة. أريني أين مخبأهما وبكلِّ سرورٍ سأبقرُ بطنيهما وأخرجُ أمعاءهما وأحرقها. لقد شنقنا عشراتٍ من الخارجين عن القانون، لكن القادة ما زالوا يُضَلِّلوننا؛ كليجاين ودونداريون والرَّاهب الأحمر، والآن تلك المرأة قلب الحجر... كيف تعتزمين العثور عليهم بينما لا أستطيعُ أنا؟».

قالت عاجزةً عن إعطائه إجابةً جيِّدةً: «سيِّدي، إنني... ليس في وسعي إلَّا أن أحاول».

- «حاوِلي إذن. إن معكِ وثيقتكِ ولستِ محتاجةً إلى إذني، لكني سأعطيكِ إياه مع ذلك. إذا كنتِ محظوظةً فلن يُصيبكِ لقاء عنائكِ أكثر من أوجاع الرُّكوب، وإن لم يكن فربما يَترُككِ كليجاين حيَّةً بَعد أن يَفرُغ وقطيعه من اغتصابكِ، وعندئذٍ يُمكنكِ أن تعودي إلى (تارث) وفي بطنكِ نغل كلبٍ ما».

تجاهلَت بِريان رَدَّه قائلةً: «بَعد إذن سيِّدي، كم رجلًا مع كلب الصَّيد؟».

- «ستَّة أو ستُّون أو ستُّمئة. الإجابة مرهونة بمَن تسألين».

كان جليًّا أن راندل تارلي اكتفى من هذه المحادَثة إذ بدأ يلتفت مبتعدًا، لكن بِريان قالت: «أستأذِنك ومُرافقي في كرم ضيافتك حتى...».

- «لكِ أن تستأذِني كما شئتِ، لكني لن أسمح بوجودكِ تحت سقفي».

تقدَّم السير هايل هَنت قائلًا: «بَعد إذن سيِّدي، معلومي أن هذا لا يزال سقف اللورد موتون».

حدجَ تارلي الفارس بنظرةٍ سامَّة مجيبًا: «موتون يملك شَجاعة الدُّود. لن تُكَلِّمني عن موتون. وبالنِّسبة إليكِ يا سيِّدتي فيُقال إن أباكِ رجل صالح، وإذا كان هذا صحيحًا فإنني أشفقُ عليه. بعض الرِّجال يُرزَق أبناءً وبعضهم يُرزَق بناتٍ، لكن لا أحد يستحقُّ أن تحلَّ به لعنة مِثلكِ. عيشي أو موتي يا ليدي بِريان، لكن لا تعودي إلى (بِركة العذارى) وهي تحت حُكمي».

قالت بِريان لنفسها: الكلام هواء، لا يُمكنه أن يجرحكِ، لا تدعيه يُؤَثِّر فيكِ، وحاولَت أن تقول له: «كما تأمر يا سيِّدي»، لكن تارلي رحلَ قبل أن تَخرُج منها الكلمات، فخرجَت هي من السَّاحة شاعرةً كأنها نائمة، لا تدري أين تذهب.

لحقَ بها السير هايل قائلًا: «هناك خانات».

هزَّت رأسها دون رَد، فليست راغبةً في الكلام مع هايل هَنت.

- «هل تَذكُرين (الإوزة النَّتنة)؟».

ما زالَت رائحة المكان عالقةً بمعطفها. «لماذا؟».

- «قابِليني هناك غدًا في منتصَف النَّهار. آلن ابن عمِّي كان ممَّن أُرسِلوا للعثور على كلب الصَّيد. سأتكلَّمُ معه».

- «ولِمَ تفعل شيئًا كهذا؟».

- «ولِمَ لا؟ إذا نجحتِ في ما فشلَ فيه آلن سأستطيعُ التَّندُّر عليه أعوامًا».

لم يكن السير هايل مخطئًا، فما زالَت في (بِركة العذارى) خانات، إلَّا أن بعضها احترقَ خلال نهبٍ أو آخَر ولم يُبنَ ثانيةً بعدُ، والمتبقِّي مكتظٌّ عن آخِره بجُنود جيش اللورد تارلي. بَعد الظَّهيرة زارَتها وبودريك جميعًا، ولم يجدا في أيٍّ منها أسرَّةً شاغرةً.

قال بودريك بينما تنخفض الشَّمس في الغرب: «أيتها الفارس، سيِّدتي، هناك سُفن. السُّفن فيها أسرَّة، شباك نوم أو أسرَّة بدوريْن».

لم يزل رجال اللورد راندل يذرعون أرصفة الميناء بكثافة الذُّباب الذي غطَّى رؤوس الممثِّلين السَّفَّاحين الثَّلاثة، لكن رقيبهم تعرَّف بِريان بمجرَّد النَّظر وتركَها تمرُّ. كان الصَّيَّادون المحليُّون يربطون قواربهم مع دنوِّ اللَّيل ويُنادون على ما اصطادوه نهارًا، لكن ما يهمُّها هو السُّفن الكبيرة التي تَمخُر مياه (البحر الضيِّق) العاصفة. وجدَت نِصف دستةٍ منها راسيةً، وإن رأت قاليونًا اسمه (ابنة المارد) يُلقي حباله ليُبحِر في تيَّار المساء، وطافَت مع بودريك بالسُّفن المتبقِّية، فحسبَها رُبَّان (بنت بلدة النَّوارس) عاهرةً وقال لهما إن سفينته ليست بيت دعارة، وعرضَ عليها صياد إيبنيزي من سفينة صيد حيتان أن يشتري صبيَّها، لكنهما صادَفا حظًّا أفضل في غيرهما من السُّفن. ابتاعَت لبودريك بُرتقالةً على متن (جوَّال البحر)، وهو كوج وصلَ للتَّوِّ من (البلدة القديمة) عن طريق (تايروش) و(پنتوس) و(وادي الغسق)، وقال لها رُبَّانه: «(بلدة النَّوارس) وجهتنا التَّالية، ومن هناك ندور حول (الأصابع) إلى (بلدة الأخوات) و(الميناء الأبيض)، إذا تركَت لنا العواصف الفُرصة. (الجوَّال) سفينة نظيفة، ليست عليها جرذان كثيرة كأغلب السُّفن، وعندنا بيض طازج وزُبدة ممخوضة حديثًا. هل ترغب سيِّدتي في الذَّهاب شمالًا؟».

- «لا». ليس بعدُ. الفكرة مغرية، ولكن...

في طريقهما إلى الرَّصيف التَّالي قال بودريك مجرجرًا قدميه: «أيتها الفارس، سيِّدتي، ماذا لو عادَت سيِّدتي إلى وطنها؟ أعني سيِّدتي الأخرى أيتها الفارس، الليدي سانزا».

- «لقد أحرَقوا وطنها».

- «ولو، إن آلهتها هناك، والآلهة لا تموت».

الآلهة لا تموت لكن الفتيات يَمُتن. «تيميون كان قاتلًا متوحِّشًا، لكني لا أظنُّ أنه كذبَ بشأن كلب الصَّيد. لا يُمكننا أن نذهب شمالًا إلى أن نتأكَّد. ستكون هناك سُفن أخرى».

في أقصى شرق الميناء وجدا مأوًى لهما اللَّيلة على متن قادسٍ تجاري حطَّمته عاصفة اسمه (سيِّدة مير). كان مائلًا على نحوٍ سيِّئ وقد فقدَ صاريته ونِصف طاقمه في العاصفة، لكن رُبَّانه لا يملك المال الكافي لإصلاحه، فسرَّه أن يأخذ القليل من البنسات من بِريان ويسمح لها وبود بأن يتقاسَما قمرةً خاليةً.

لم تكن ليلتهما مريحةً. ثلاث مرَّاتٍ استيقظَت بِريان، الأولى عندما بدأ المطر يَسقُط، والثَّالثة مع صريرٍ جعلها تحسب أن ديك الرَّشيق يتسلَّل زاحفًا ليَقتُلها. في المرَّة الثَّانية استيقظَت وسكِّينها في يدها، لكن شيئًا لم يكن هنالك، وفي ظلام القمرة الصَّغيرة الضيِّقة استغرقَت لحظةً لتتذكَّر أن ديك الرَّشيق ماتَ، وفي النِّهاية لمَّا غابَت في النَّوم مجدَّدًا حلمَت بالرِّجال الذين قتلَتهم. كانوا يَرقُصون حولها، يسخرون منها ويُحاوِلون قرصها بينما هوَت عليهم بسيفها. مزَّقتهم إربًا دامية، لكنهم ظلُّوا يدورون حولها كالبعوض... شاجويل وتيميون وبيج، نعم، ولكن راندل تارلي أيضًا، وڤارجو هوت ورونيت كوننجتون الأحمر. حملَ رونيت وردةً بأصابعه، وحين قدَّمها لها بترَت يده.

صحَت تتصبَّب عَرقًا، وقضَت باقي اللَّيل منكمشةً تحت معطفها تُصغي إلى المطر يدقُّ سطح السَّفينة فوق رأسها دقًّا. كانت ليلةً ليلاء، ومن حينٍ إلى آخَر سمعَت هزيم رعدٍ بعيد جعلَها تُفكِّر في السَّفينة البراڤوسيَّة التي أقلعَت مساءً.

في اليوم التَّالي عادَت إلى (الإوزة النَّتنة) وأيقظَت مالكة الحانة القذرة ونقدَتها ثَمن القليل من السُّجق والخُبز المحمَّر ونِصف كوب نبيذ وإبريق من الماء المغلي وكوبين نظيفين. زرَّت المرأة عينيها رامقةً بِريان بينما وضعَت الماء على النَّار، وقالت: «أنتِ الفتاة الكبيرة التي ذهبَت مع ديك الرَّشيق. هل خدعَكِ؟».

- «لا».
- «اغتصبَكِ؟».
- «لا».
- «سرقَ حصانكِ؟».
- «لا. لقد قتلَه خارجون عن القانون».

لاحَ على المرأة الفضول أكثر من الضِّيق وهي تقول: «خارجون عن القانون؟ لطالما تصوَّرتُ أن ديك سيُشنَق أو يُرسَل إلى (الجِدار)».

أكلا الخُبز المحمَّر ونِصف السُّجق، وازدردَ پودريك پاين طعامه بالماء المنكَّه بالنَّبيذ، في حين رشفَت بِريان ببُطءٍ من النَّبيذ المخفَّف بالماء وتساءلَت عن سببِ مجيئها هنا. هايل هَنت ليس فارسًا حقيقيًّا، ووجهه الصَّريح مجرَّد قناع ممثِّلين. قالت لنفسها: لستُ محتاجةً إلى عونه ولا إلى حمايته، ولستُ محتاجةً إليه. إنه لن يأتي على الأرجح. قال لي أن أقابله هنا كمزحةٍ أخرى لا أكثر.

كانت ناهضةً لتُغادِر عندما وصلَ السير هايل قائلًا: «سيِّدتي، پودريك»، وتطلَّع إلى الكوبين والأطباق وبقيَّة السُّجق التي تَبرُد في بِركةٍ من الدُّهن، وقال: «بحَقِّ الآلهة، آملُ أنكما لم تأكلا شيئًا هنا!».

ردَّت بِريان: «ما أكلناه لا يخصُّك. هل وجدت ابن عمِّك؟ بِمَ أخبرَك؟».

- «ساندور كليجاين شُوهِدَ آخِر مرَّةٍ في (الملَّاحات) يوم الغارة، وبَعدها ركبَ غربًا بمحاذاة (الثَّالوث)».

قالت مقطِّبةً جبينها: «(الثَّالوث) نهر طويل».

- «أجل، لكني لا أظنُّ أن كلبنا ابتعدَ كثيرًا عن مصبِّه. يبدو أن (وستروس) فقدَت سِحرها في ناظريْه، لأنه كان يبحث عن سفينةٍ في (الملَّاحات)»، وسحبَ السير هايل لفافةً من جِلد الخراف من حذائه، وأزاحَ السُّجق جانبًا وبسطَها، فاتَّضح أنها خارطة. «كلب الصَّيد فتكَ بثلاثةٍ من رجال أخيه في الخان القديم عند مفترَق الطُّرق، هنا، ثم قادَ الغارة على (الملَّاحات)، هنا»، ونقرَ على (الملَّاحات) بإصبعه متابعًا: «ربما يكون عالقًا. آل فراي هنا في (التَّوأمتين)، و(داري) و(هارنهال) في الجنوب على ضفَّة (الثَّالوث) الأخرى، وفي الغرب هناك قتال دائر بين آل بلاكوود وآل براكن، واللورد

راندل هنا في (بِركة العذارى)، و(الطَّريق العالي) الذي يقود إلى (الوادي) مسدود بالثُّلوج، حتى إذا استطاعَ تجاوُز قبائل الجبال. أين يذهب الكلب إذن؟».

- «إذا كان مع دونداريون...؟».

- «ليس معه، آلن واثق بهذا. رجال دونداريون يبحثون عنه أيضًا، وأذاعوا أنهم ينوون شنقه لما ارتكبَه في (الملَّاحات). لم يكن لهم دور في ذلك، لكن اللورد راندل يُشيع العكس على أمل أن ينقلب العوام على بريك وأخوَّته. إنه لن يقبض على سيِّد البرق أبدًا ما دامَ الأهالي يحمونه. ثم إن هناك تلك الجماعة الأخرى التي تقودها المرأة قلب الحجر... عشيقة اللورد بريك وفقًا لإحدى الحكايات. يُقال إن آل فراي شنقوها، لكن دونداريون قبَّلها وأعادَها إلى الحياة، والآن أصبحَت مِثله لا تموت».

تفحَّصت بِريان الخارطة، وقالت: «إذا شُوهِدَ كليجاين آخِر مرَّةٍ في (الملَّاحات) فهذا هو المكان الذي سنجد فيه أثره».

- «لم يتبقَّ أحد في (الملَّاحات) إلَّا فارس عجوز مختبئ في قلعته، هذا ما قالَه آلن».

- «ولو، إنه مكان نبدأ منه على الأقل».

قال السير هايل: «هناك رجل، سِپتون دخلَ من بوَّابتي قبل ظهوركِ بيوم، اسمه ميريبولد، وُلِدَ في أراضي النَّهر ونشأَ فيها، وخدمَ هنا طيلة حياته. سيرحل غدًا ليبدأ دورته، ودائمًا يزور (الملَّاحات). يُمكننا أن نذهب معه».

رفعَت بِريان عينيها بحدَّةٍ مردِّدةً: «نذهب؟».

- «أنا ذاهب معكم».

- «لا، لن تذهب».

- «طيِّب، أنا ذاهب مع السِّپتون ميريبولد إلى (الملَّاحات). أنتِ وپودريك تستطيعان الذَّهاب حيثما تُريدان».

- «هل أمرَك اللورد تارلي بأن تتبعني ثانيةً؟».

- «بل أمرَني بالابتعاد عنكِ. اللورد راندل يرى أن شيئًا من الاغتصاب العنيف سينفعكِ».

- «لماذا تُريد أن تأتي معي إذن؟».

- «إمَّا هذا وإمَّا العودة إلى واجب البوَّابة».
- «إذا أمرَك سيِّدك...».
- «إنه لم يَعُد سيِّدي».
أدهشَها هذا، فسألَته: «تركت خدمته؟».
- «حضرة اللورد أبلغَني بأنه لم يَعُد محتاجًا إلى سيفي أو إلى وقاحتي، لا فرق. من الآن فصاعدًا سأستمتعُ بحياة المغامَرة كفارسٍ متجوِّل... وإن كنتُ أتصوَّرُ أننا سننال مكافأةً سخيَّةً إذا عثرنا على سانزا ستاركْ».
الذَّهب والأراضي، هذا كلُّ ما يرى في الأمر. «إنني أنوي إنقاذ الفتاة لا بيعها. لقد حلفتُ يمينًا».
- «وأنا لا أذكرُ أني حلفتُ».
- «ولذا لن تأتي معي».
في الصَّباح التَّالي بينما تُشرِق الشَّمس غادَروا.
كان موكبًا غريبًا؛ السير هايل على جوادٍ كستنائي، وبِريان على فَرسها الرَّماديَّة الطَّويلة، وبودريك پاين على حصانه الأرقط التَّعس، وإلى جوارهم يمشي السِّپتون ميريبولد متَّكئًا على نبُّوت ويقود حمارًا صغيرًا وكلبًا كبيرًا. على ظَهر الحمار حمولة شديدة الثِّقل لدرجة أن بِريان خشيَت أن ينكسر، وكان السِّپتون ميريبولد قد قال لهم عند بوَّابة (بِركة العذارى): «طعام للفقراء والجائعين في أراضي النَّهر؛ بذور ومكسَّرات وفواكه مجفَّفة وثريد شوفان وطحين وخُبز شعير وثلاثة قوالب من الجُبنة الصَّفراء من الخان عند (بوَّابة المهرِّجين)، وسَمك قَد مملَّح لي، وضأن مملَّح لكلب... أوه، وملح، وبصل وجزر ولِفت وجوالان من الفاصوليا وأربعة أجولة من الشَّعير وتسعة أجولة من البُرتقال. أعترفُ بأنني ضعيف الإرادة أمام البُرتقال. لقد حصلتُ عليه من بحَّارٍ وأخشى أنه آخِر ما سأذوقه منه حتى الرَّبيع».
ميريبولد سِپتون بلا سِپت، يعلو درجةً واحدةً فقط على الإخوة الشَّحَّاذين في تدرُّج العقيدة الهرمي. هناك مئات مِثله، رجال بائسون واجبهم المتواضع أن يمشوا من قريةٍ ضئيلة إلى أخرى ليُؤَدُّوا المراسم المقدَّسة ويُقيموا طقوس الزِّفاف ويغفروا الخطايا. معظم مَن يزورهم يُنتظَر منهم أن يُطعِموه ويُؤووه، لكن أكثرهم فقراء مِثله، ولذا لا يبقى ميريبولد في مكانٍ واحدٍ طويلًا دون أن

يُثقِل على مُضيفيه. أحيانًا يسمح له أصحاب الخانات الطَّيِّبون بالمبيت في مطابخهم أو اسطبلاتهم، وثمَّة سِپتري هنا أو معقل هناك بل وبضع قلاع أيضًا يعلم أنه سيُلاقي ترحيبًا فيها، وحين لا يكون هناك مكان من هذه في الجوار ينام تحت شجرةٍ أو سياج من الشُّجيرات. «في أراضي النَّهر سوج شُجيرات ممتازة كثيرة. أفضلها الأقدم. لا شيء يفوق سياج شُجيراتٍ عُمره مئة عام. داخلها يستطيع المرء أن ينام مِلء جفنيه كأنه في خان، ولا يخشى البراغيث كثيرًا».

لا يقرأ السِّپتون أو يَكتُب، وهو ما اعترفَ لهم به بمرحٍ على الطَّريق، لكنه يعرف مئةً من الأدعية ويستطيع أن يتلو مقاطع طويلةً من (النَّجمة السُّباعيَّة) من الذَّاكرة، وهذا كلُّ المطلوب في القُرى. للرَّجل وجه متغضِّن لوَّحته الرِّيح وشَعر شائب كثيف وتجاعيد عند رُكنَي عينيه، وعلى الرغم من حجمه الكبير وطوله الذي يُناهِز الأقدام الستَّة فإنه يحني ظَهره إلى الأمام بينما يمشي بطريقةٍ تجعله أقصر قامةً بكثير. يداه كبيرتان متينتان، ومفاصل أصابعه حمراء وتحت أظفاره وسخ، كما أن له أكبر قدمين رأتهما بِريان على الإطلاق، حافيتان وسوداوان وقاسيتان كقرون الغزلان.

قال الرَّجل لِبريان: «لم أنتعل حذاءً منذ عشرين عامًا. في العام الأول كانت في قدمَي قروح أكثر من الأصابع، وكان باطنهما ينزف كالخنازير كلَّما وطأتُ حجرًا صُلبًا، لكنني صلَّيتُ وقوَّى (الإسكاف في الأعالي) جِلدي ومتَّنه».

قال پودريك محتجًّا: «ليس هناك إسكاف في الأعالي».

– «بل هناك أيها الصَّبي... وإن كنت تدعوه باسمٍ آخَر ربما. أخبِرني، مَن أكثر مَن تحبُّ مِن الآلهة السَّبعة؟».

أجابَ پودريك بلا لحظة تردُّد: «(المُحارب)».

تنحنحَت بِريان، وقالت: «في (بهو المساء) كان سِپتون أبي يقول دومًا إن هناك إلهًا واحدًا».

– «إله واحد بسبعة وجوه. هذا صحيح يا سيِّدتي ولكِ الحَقُّ في الإشارة إليه، لكن طلسم السَّبعة الذين هُم واحد ليس سهل الإدراك عند البُسطاء، وأنا رجل شديد البساطة، ولذا أتكلَّمُ عن آلهةٍ سبعة»، وعادَ ميريبولد يلتفت إلى پودريك قائلًا: «لم أعرف قَطُّ صبيًّا لا يحبُّ (المُحارب)، لكنني عجوز،

ولأنني عجوز أحبُّ (الحدَّاد)، فدون عمله عَمَّ سيُدافِع (المُحارب)؟ في كلِّ بلدةٍ وكلِّ قلعةٍ حدَّاد، وهؤلاء الحدَّادون يصنعون المحاريث التي نحتاج إليها لزراعة محاصيلنا، والمسامير التي نستخدمها لبناء سُفننا، والحدوات لحفظ حوافر خيولنا المخلصة، وسيوف سادتنا اللَّامعة. لا أحد يُشَكِّك في قيمة الحدَّاد، ولذا نُسَمِّي أحد آلهتنا السَّبعة هكذا تكريمًا له، لكن كان يُمكن بالسُّهولة نفسها أن نُسَمِّيه المُزارع أو الصَّيَّاد أو النَّجَّار أو الإسكاف. ما يعمل عليه لا يهمُّ، المهمُّ أنه يعمل. (الأب) يَحكُم و(المُحارب) يُقاتِل و(الحدَّاد) يَحكُم، ومعًا يفعلون كلَّ ما هو في صالح الإنسان. مِثلما (الحدَّاد) وجه واحد للألوهيَّة فـ(الإسكاف) وجه واحد لـ(الحدَّاد)، وهو من سمعَ صلواتي وشفى قدمَي».

قال السير هايل بجفاف: «الآلهة كريمة، ولكن لِمَ تُزعِجها بينما كان بإمكانك الاحتفاظ بحذائك بالبساطة نفسها؟».

– «المشي حافي القدمين كفَّارتي. حتى السِّپتونات الأتقياء يُمكن أن يكونوا خُطاةً، وجسدي كان ضعيفًا أيما ضعف. كنتُ شابًّا غِرًّا، والفتيات... من الممكن أن يبدو سِپتون ما نبيلًا كفارسٍ إذا كان الرَّجل الوحيد الذي تعرفه الفتاة وارتحلَ أكثر من ميلٍ واحد عن قريتها. كنتُ أتلو عليهن من (النَّجمة السُّباعيَّة)، وأثمر (سِفر العذَراء) أفضل النَّتائج. أوه، كم كنتُ رجلًا شرِّيرًا قبل أن أتخلَّص من حذائي. يُخزيني أن أفكِّر في كلِّ العذراوات اللائي دنَّستهن».

اعتدلَت بِريان فوق سَرجها بتوتُّرٍ مفكِّرةً في المعسكَر أسفل أسوار (هايجاردن) ورهان السير هايل والآخرين لرؤية مَن يستطيع أن يُضاجِعها أولًا.

قال پودريك پاين: «إننا نبحث عن فتاة، فتاة رفيعة النَّسب في الثَّالثة عشرة لها شَعر كستنائي».

– «اعتقدتُ أنكم تبحثون عن بعض الخارجين عن القانون».

– «هُم أيضًا».

قال السِّپتون ميريبولد: «معظم المُسافرين يفعلون ما في وسعهم لتحاشي أمثال هؤلاء، ومع ذلك تبحثان أنتما عنهم».

قالت بِريان: «نبحث عن واحدٍ فقط، كلب الصَّيد».

- «هكذا أخبرَني السير هايل. عسي (السَّبعة) أن يُنقِذوكِ يا بنيَّتي. يُقال إنه يَترُك وراءه أثرًا من الأطفال المذبوحين والعذراوات المدنَّسات، وسمعتُ من يدعوه بكلب (الملَّاحات) المسعور. ما الذي يُريده أناس صالحون من رجلٍ كهذا؟».

- «الفتاة التي ذكرَها پودريك قد تكون معه».

- «حقًّا؟ إذن يجب أن نُصَلِّي من أجل المسكينة».

قالت بِريان في قرارتها: ومن أجلي، صلاة من أجلي أيضًا. سَل (العجوز) أن ترفع مصباحها وتقودني إلى الليدي سانزا، وسَل (المُحارب) أن يبثَّ القوَّة في ذراعي كي أدافع عنها. على أن الكلام لم يَخرُج من شفتها، فليست تُريد هايل هَنت أن يسمعه ويسخر من ضعفها الأنثوي.

مع سير السِّپتون ميريبولد على قدميه والحمولة الثَّقيلة على ظَهر حماره كان تقدُّمهم بطيئًا طيلة هذا اليوم. لم يأخذوا الطَّريق الرَّئيس غربًا، الطَّريق الذي سبقَ أن سلكَته بِريان مع السير چايمي عندما أتيا من الاتِّجاه الآخَر ليجدا (بِركة العذارى) منهوبةً ملأى بالجُثث، وبدلًا من ذلك اتَّجهوا إلى الشَّمال الغربي متَّبعين ساحل (خليج السَّراطين) على دربٍ معوج صغير لدرجة أنه لا يظهر على أيٍّ من خريطتَي جِلد الخراف الثَّمينتين اللتين يحملهما السير هايل. على هذا الجانب من (بِركة العذارى) ليس هناك وجود لتلال (الرَّأس المتصدِّع) شديدة التَّحدُّر أو مستنقعاته السَّوداء أو غاباته الصَّنوبريَّة، أمَّا الأراضي التي يرتحلون فيها فواطئة بليلة، براري من الكُثبان الرَّمليَّة والمستنقعات المالحة تحت سماءٍ رحبة يمتزج فيها الرَّمادي بالأزرق. أحيانًا يختفي الطَّريق وسط أعواد البوص والبِرك المدِّيَّة، فقط ليُعاوِد الظُّهور بَعد ميل، وتعلم بِريان أن لولا ميريبولد لضلُّوا الطَّريق لا محالة. الأرض تحتهم طريَّة في مواضع كثيرة، ولذا يسبقهم السِّپتون في بقاعٍ بعينها ويدقُّ بنبُّوته ليتأكَّد من صلابة موطئ أقدامهم، ويمضون دون رؤيةٍ أيِّ أشجارٍ لفراسخ وفراسخ، وما من شيءٍ حولهم إلَّا البحر والسَّماء والرِّمال.

شتَّان ما بين هذه الأرض و(تارث) بجبالها وشلَّالاتها ومروجها العالية ووديانها الظَّليلة، وإن خطرَ لبِريان أن لهذا المكان جَماله الخاص رغم ذلك. مرُّوا بدستةٍ من النُّهيرات بطيئة التَّيَّار التي تزخر بالضَّفادع وصراصير الحقل، وشاهَدوا

طيور خطَّاف البحر تُحَلِّق عاليًا فوق الخليج، وسمعوا طيور زمَّار الرَّمل تصدح من بين الكُثبان، وفي مرَّةٍ صادَفوا ثعلبًا جعلَ كلب ميريبولد ينبح بضراوة.

وهناك أناس أيضًا، بعضهم يَقطُن وسط البوص في بيوتٍ من الطَّمي والقَش، في حين يصطاد آخَرون من الخليج في زوارق صغيرة من الجِلد ويبنون بيوتهم على ركائز خشبيَّة متقلقِلة فوق الكُثبان، ويبدو أن أغلبهم يعيش وحده معتكفًا عن سائر النَّاس. يبدون في الغالب قومًا خجولين منطوين، لكن قُرب منتصَف النَّهار بدأ الكلب ينبح ثانيةً، وخرجَت ثلاث نسوة من بين أعواد البوص وأعطين ميريبولد سلَّةً مجدولةً ملأى بأُم الخُلول، فأعطى كلًّا منهن بُرتقالةً في المقابل، مع أن أُم الخُلول منتشرة كالطَّمي في هذه الأنحاء والبُرتقال نادر نفيس. إحدى النِّسوة عجوز للغاية والثَّانية حُبلى منتفخة البطن والثَّالثة فتاة ناضرة جميلة كزهرةٍ في الرَّبيع، ولمَّا انتحى بهن ميريبولد جانبًا ليسمع خطاياهن قهقهَ السير هايل، وقال: «يبدو أن الآلهة معنا... على الأقل (العذراء) و(الأُم) و(العجوز)»، فلاحَت على پودريك دهشة بالغة حدَت ببِريان إلى أن تشرح له أنهن مجرَّد ثلاث نساء من أهل المستنقعات.

لاحقًا حين استأنَفوا رحلتهم التفتَت إلى السِّپتون قائلةً: «هؤلاء النَّاس لا يَبعُدون أكثر من يوم من الرُّكوب عن (بِركة العذارى)، لكن القتال لم يمسَّهم».

– «لأنهم يملكون القليل مما يُمَسُّ يا سيِّدتي. كنوزهم الأصداف والحجارة والزَّوارق الجِلديَّة، وأفضل أسلحتهم سكاكين من الحديد الصَّدئ. يُولَدون ويعيشون ويحبُّون ويموتون. إنهم يعلمون أن اللورد موتون يَحكُم أراضيهم، لكن قلائل منهم رأوه، و(ريڤررَن) و(كينجز لاندنج) وغيرهما مجرَّد أسماء بالنِّسبة إليهم».

قالت بِريان: «ومع ذلك يعرفون الآلهة. هذا عملك في رأيي. منذ متى تجول في أراضي النَّهر؟».

– «قريبًا سيتمُّ تجوالي أربعين عامًا»، أجابَ السِّپتون، وأطلقَ كلبه نباحًا عاليًا. «من (بِركة العذارى) إلى (بِركة العذارى) تستغرق جولتي نِصف عام وكثيرًا ما تطول عن هذا، وإن كنتُ لا أدَّعي أنني أعرفُ (الثَّالوث). إنني أبصرُ قلاع اللوردات العظام من بعيدٍ فقط، لكني أعرفُ بلدات الأسواق والمعاقل، والقُرى الأصغر من أن تكون لها أسماء، وسُوج الشُّجيرات والتِّلال، والغُدران

التي يشرب منها العطاشى، والكهوف التي يستطيعون أن يأووا إليها، وأعرفُ الطُّرق التي يَسلُكها العامَّة، الدُّروب الموحلة المتعرِّجة التي لا تظهر على أيِّ خريطةٍ من ورق الرُّقوق»، وقهقهَ مضيفًا: «يَجدُر بي أن أعرف. لقد وطأَت قدماي كلَّ ميلٍ منها عشر مرَّات».

المجرمونَ يَسلُكون الطُّرق الخلفيَّة، والكهوف مكان مثالي لاختباء المطارَدين. جعلَت لمحة من الارتياب بِريان تتساءَل عن قدر معرفة السير هايل بهذا الرَّجل. «لا بُدَّ أنها حياة مفعمة بالوحدة أيها السِّپتون».

قال ميريبولد: «(السَّبعة) معي دومًا، ولديَّ خادمي المخلص، وكلب أيضًا».

سأَلَه پودريك پاين: «ألكلبك اسم؟».

– «مؤكَّد، لكنه ليس كلبي، ليس هذا».

نبحَ الكلب وهزهزَ ذيله. إنه مخلوق ضخم أشعث، يزن مئة رطلٍ على الأقل، لكنه ودود.

سأَلَ پودريك: «إلى مَن ينتمي إذن؟».

– «إلى نفسه بالطَّبع، وإلى الآلهة. أمَّا اسمه فلم يُخبِرني به، ولذا أدعوه بكلب».

– «أوه». كان واضحًا أن پودريك يجهل ماذا يقول عن كلبٍ اسمه كلب، وقد فكَّر في هذا فترةً، ثم قال: «كان عندي كلب في صِغري، سمَّيته هيرو».

– «وهل كان اسمًا على مسمًّى؟».

– «كان ماذا؟».

– «بطلًا».

– «لا، لكنه كان كلبًا مطيعًا. لقد ماتَ».

قال السِّپتون: «كلب يُحافِظ على سلامتي على الطُّرق، حتى في أوقاتٍ عصيبة كهذه. لا ذئب أو خارج عن القانون يَجسُر على إزعاجي ما دامَ كلب إلى جانبي»، وعقدَ حاجبيه مردفًا: «الذِّئاب أصبحَت شنيعةً في الآونة الأخيرة. في أماكن بعينها خيرٌ للمرء أن يجد شجرةً ينام فوقها. في حياتي كلِّها أكبر قطيع رأيته كانت ذئابه أقلَّ من دستة، لكن القطيع العظيم الذي يجوب أراضي (أَلثَّالوث) الآن تعداده بالمئات».

سألَه السير هايل: «هل رأيت تلك الذِّئاب بنفسك؟».

- «أُعفيتُ من ذلك وليحمني (السَّبعة)، لكني سمعتها ليلًا أكثر من مرَّة. أصوات كثيرة للغاية... صوت يُخَثِّر دماء المرء في عروقه ويجعل كلب نفسه يرتعد، مع أنه قتلَ دستةً من الذِّئاب من قبل»، وداعبَ رأس الكلب نافشًا شَعره، وتابعَ: «ستجدين مَن يقول لكِ إنها شياطين. يقولون إن القطيع تقوده ذئبة وحشيَّة أشبه بظِلٍّ شبحي، شرسة وشهباء وضخمة، ويقولون إنها معروفة بافتراس الثِّيران البرِّيَّة بمفردها، وإن لا فَخَّ أو شَرك يُقَيِّدها، وإنها لا تخاف الفولاذ أو النَّار وتَقتُل أيَّ ذئبٍ يُحاوِل اعتلاءها ولا تلتهم إلَّا لحم البَشر».

قال السير هايل هَنت ضاحكًا: «ها قد فعلتها أيها السِّپتون، الآن عينا پودريك المسكين متَّسعتان كأنهما بيضتان مسلوقتان».

رَدَّ پودريك ساخطًا: «غير صحيح»، وأطلقَ كلب نباحًا.

ليلتها أقاموا مخيَّمًا باردًا وسط الكُثبان. أرسلَت بريان پودريك يمشي على السَّاحل ويبحث عن خشبٍ مجروف لإشعال النَّار، لكنه عادَ خاوي الوفاض والطَّمي يُغَطِّي ساقيه حتى الرُّكبتين.

نصحَه السِّپتون ميريبولد قائلًا: «ابتعد عن الطَّمي يا بُنَي. الطَّمي لا يحبُّ الغُرباء، وإذا مشيت في المكان الخطأ سينشقُّ ويبتلعك».

قال پودريك بإصرار: «إنه طمي فحسب».

قال الرَّجل: «إلى أن يملأ فمك ويبدأ الزَّحف داخل أنفك. عندئذٍ هو الموت»، وابتسمَ ليكسر حدَّة كلامه مردفًا: «امسح الطَّمي وتعالَ كُل فصًّا من البُرتقال يا بُنَي».

كان اليوم التَّالي مزيدًا من الأشياء نفسها. أفطَروا على سَمك القُدِّ والمزيد من فصوص البُرتقال، وواصَلوا طريقهم قبل أن تُشرِق الشَّمس تمامًا، من ورائهم سماء ورديَّة ومن أمامهم سماء أرجوانيَّة. قادَ كلب الطَّريق متشمِّمًا كلَّ كُتلةٍ من البوص ومتوقِّفًا بين الفينة والفينة ليتبوَّل على إحداها، وقد بدا أنه يعرف الطَّريق مِثل ميريبولد بالضَّبط، وشَقَّ صياح طيور خطَّاف البحر الرَّاجف هواء الصَّباح مع تدفُّق مياه المَد.

قُرب منتصَف النَّهار توقَّفوا في قريةٍ ضئيلة هي الأولى التي صادَفوها، حيث ترتفع ثمانية بيوتٍ على ركائز خشبيَّة فوق جدولٍ صغير. كان الرِّجال

يصطادون في زوارقهم الجِلديَّة، لكن النِّساء والأطفال نزلوا على سلالم مدلَّاة من الحبال وتجمَّعوا حول السِّيتون ميريبولد ليُصَلُّوا، وعقب الطُّقوس غفرَ لهم خطاياهم، ثم تركَهم بَعد أن أعطاهم القليل من اللِّفت وجوالًا من الفاصوليا واثنتين من بُرتقالاته الثَّمينة.

عندما عادوا إلى الطَّريق قال السِّيتون: «خيرٌ لنا أن نُعَيِّن حراسةً اللَّيلة أيها الأصدقاء. أهل القرية قالوا إنهم رأوا ثلاثة رجالٍ مكسورين يتسلَّلون حول الكُثبان غرب بُرج المراقبة القديم».

ابتسمَ السير هايل قائلًا: «ثلاثة فقط؟ ثلاثة بمثابة العسل عند مُبارِزتنا العزيزة. ليس محتملًا أن يُزعِجوا قومًا مسلَّحين».

قال السِّيتون: «ما لم يكونوا يتضوَّرون جوعًا. في هذه المستنقعات طعام، ولكن فقط لمن يعرف أين يبحث، أمَّا هؤلاء الرِّجال فأغراب، ناجون من معركةٍ أو أخرى. إذا دنوا منا فأرجوك أيها الفارس أن تَترُكهم لي».

– «وماذا ستفعل معهم؟».

– «سأُطعِمهم، سأسألهم أن يعترفوا بخطاياهم كي أغفرها لهم، وأدعوهم إلى المجيء معنا إلى (جزيرة الهدوء)».

رَدَّ هايل هَنت: «كأنك تدعوهم إلى ذبحنا ونحن نائمون. اللورد راندل له سُبل أفضل للتَّعامُل مع الرِّجال المكسورين... الفولاذ والحبال».

تساءلَ پودريك: «أيتها الفارس، سيِّدتي، هل الرَّجل المكسور خارج عن القانون؟».

أجابَت بِريان: «بشكلٍ ما».

ناقضَها السِّيتون ميريبولد قائلًا: «الأمر ليس بهذه البساطة. الخارجون عن القانون أنواعهم كثيرة كثرة أنواع الطُّيور. زمَّار الرَّمل ونورس البحر كلاهما له جناحان، لكنهما مختلفان. يحبُّ المطربون الغناء عن الرِّجال الصَّالحين الذين أُرغِموا على الخروج عن القانون لقتال أحد اللوردات الأشرار، لكن معظم الخارجين عن القانون أقرب إلى كلب الصَّيد المفترس هذا من سيِّد البرق. إنهم سفلة يُحَرِّكهم الجشع ويُلَوِّثهم الحقد، يستخفُّون بالآلهة ولا يكترثون إلَّا لأنفسهم. أمَّا الرِّجال المكسورون فيستحقُّون شفقتنا أكثر، ولو أنهم لا يقلُّون خطرًا. كلُّهم تقريبًا أولاد عوام، قوم بُسطاء لم يبتعدوا أكثر من

ميلٍ واحد عن البيت الذي وُلِدوا فيه، إلى أن يحين يوم ويأتي أحد اللوردات ليأخذهم إلى الحرب. بأحذيةٍ بالية وثيابٍ مهترئة يسيرون تحت راياته، وفي أغلب الأحيان لا يكون سلاحهم أفضل من منجلٍ أو معزقٍ مسنون، أو مطرقةٍ صنعوها بأنفسهم بربط حجرٍ على عصا بشريطٍ من الجِلد. يسير الإخوة مع إخوتهم والأبناء مع آبائهم والأصدقاء مع أصدقائهم. لقد سمعوا الأغاني والقِصص، فيذهبون بقلوبٍ متشوِّقة حالمين بالأعاجيب التي سيرونها وبما سيكسبون من ذهبٍ ومجد. تبدو لهم الحرب مغامَرةً رائعةً، أعظم ما سيشهده أكثرهم في حياته... ثم يذوقون طعم المعركة. بالنِّسبة إلى بعضهم يكفي هذا المذاق الواحد لكسرهم، في حين يستمرُّ آخَرون سنواتٍ إلى أن يعجزوا عن إحصاء المعارك التي قاتَلوا فيها، لكن حتى الرَّجل الذي نجا من مئة قتالٍ يُمكن أن ينكسر في القتال الواحد بَعد المئة. يُشاهِد الإخوة إخوتهم يموتون، ويفقد الآباء أبناءهم، ويرى الأصدقاء أصدقاءهم يُحاوِلون إعادة أحشائهم إلى بطونهم التي بقرَتها فأس، يرون اللورد الذي قادَهم يُقتَل، ويسمعون غيره يصيح أنهم رجاله الآن. يُصابون بجرح، وقبل أن يندمل يُصابون بآخَر، وليس هناك طعام كافٍ أبدًا، وأحذيتهم تتفسَّخ من طول السَّير، وثيابهم ممزَّقة تتعفَّن، ونِصفهم يتبرَّز في سراويله من جرَّاء شُرب المياه الفاسدة. إذا أرادوا حذاءً جديدًا أو معطفًا أثقل أو ربما خوذةً قصيرةً صدئةً فعليهم أن يخلعوها عن جثَّة، ولا يمضي وقت طويل قبل أن يبدأوا في سرقة الأحياء أيضًا، فيسرقون من الأهالي الذين يُقاتِلون في أراضيهم، من أناسٍ يُشبِهون كثيرًا مَن كانوا، يذبحون خرافهم ويسطون على دجاجهم، ومن هنا تفصلهم خُطوة قصيرة فقط عن اختطاف بناتهم أيضًا. ثم يتطلَّعون حولهم في يوم من الأيام ليُدرِكوا أن أهلهم وأصدقاءهم جميعًا لم يعودوا هناك، أنهم يُقاتِلون إلى جوار غُرباءٍ تحت رايةٍ يتعرَّفونها بالكاد. لا يعرفون أين هُم الآن ولا كيف يرجعون إلى ديارهم، واللورد الذي يُقاتِلون من أجله يجهل أسماءهم، لكن ها هو ذا يزعق فيهم أن يتَّخذوا تشكيلهم ويُكَوِّنوا صفًّا من الحراب والمناجل والمعازق المسنونة، أن يثبتوا... ثم ينقضُّ عليهم الفُرسان، رجال بلا وجوهٍ مدرَّعون بالفولاذ، ويملأ هدير هجمتهم الحديديَّة العالم... وعندئذٍ ينكسر الرَّجل؛ يستدير ويَهرُب، أو يزحف مبتعدًا بَعدها فوق جُثث القتلى، أو ينسلُّ

تحت جُنح الظَّلام ويجد مكانًا يختبئ فيه. ما عادَ في عقله خاطِر عن الوطن، والملوك واللوردات والآلهة لا قيمة لهم عنده تزيد على قيمة فخذٍ من اللَّحم الفاسد ستُبقيه على قيد الحياة يومًا آخَر، أو قِربةٍ من النَّبيذ التَّالف قد تُغرِق مخاوفه بضع ساعات. الرَّجل المكسور يحيا من يومٍ إلى يوم، من وجبةٍ إلى وجبة، أقرب إلى حيوانٍ من إنسان. الليدي بِريان ليسَت مخطئةً. في أوقاتٍ كهذه يجب أن يحذر المُسافرون الرِّجال المكسورين ويخافوهم... لكن يجب أن يُشفِقوا عليهم أيضًا».

حين فرغَ السِّپتون ميريبولد من الكلام رانَ صمت مهيب على مجموعتهم الصَّغيرة. سمعَت بِريان هفيف الرِّيح في كُتلةٍ من الصَّفصاف القصير، وفي مكانٍ ما أبعد طائر غوَّاص يصيح، وسمعَت كلب يلهث بخفوتٍ وهو يتوثَّب إلى جوار السِّپتون وحماره وقد تدلَّى لسانه من فمه.

امتدَّ الهدوء وامتدَّ، إلى أن قالت أخيرًا: «في أيِّ سِنٍّ أخذوك إلى الحرب؟».

أجابَ ميريبولد: «لم أكن أكبر من صبيِّكِ هذا، صغيرًا للغاية على القتال والحَقُّ يُقال، لكن إخوتي كلَّهم كانوا ذاهبين ولم أُرِد أن يَترُكوني وحدي. قال ويلام إنه يُمكنني أن أكون مُرافقه، ولو أن ويل لم يكن فارسًا، بل مجرَّد ساقٍ مسلَّح بسكِّين مطبخ سرقَه من الخان. لقد ماتَ في (الأعتاب) دون أن يضرب ضربةً واحدةً. الحُمَّى أجهزَت عليه وعلى أخي روبن. أوين ماتَ بهراوةٍ فلقَت رأسه، وصديقه چون المجدور شُنِقَ بتُهمة الاغتصاب».

سألَه السير هايل هَنت: «حرب ملوك التِّسع بنسات؟».

– «هكذا أطلَقوا عليها، مع أني لم أرَ ملكًا أو أجنِ بنسًا. لكنها كانت حربًا، كانت حربًا حقًّا».

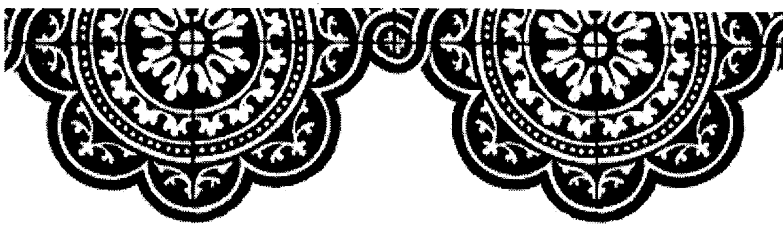

ساموِيل

وقفَ سام أمام النَّافذة يتـأرجَح على كعبيه بعصبيَّةٍ ويُشاهِد البصيص الأخير من نور الشَّمس يختفي وراء صَفٍّ من السُّقوف المدبَّبة، وبكآبةٍ قال لنفسه: لا بُدَّ أنه سكرَ ثانيةً، أو قابلَ فتاةً أخرى. لا يدري هل يسبُّ ويلعن أم يبكي. المفروض أن داريون أخوه. اطلُب منه أن يُغَنِّي ولا أحد أفضل منه، لكن اطلُب منه أن يفعل أيَّ شيءٍ آخَر...

بدأ ضباب المساء يرتفع مرسلًا أصابع رماديَّةً تزحف على جُدران المباني المصطفَّة على ضفَّة القناة القديمة، وقال سام: «لقد وعدَ بأنه سيعود. أنتِ أيضًا سمعتِه».

رمقَته جيلي بعينين منتفختيْن مؤطَّرتيْن بالأحمر، وقد تدلَّى شَعرها على وجهها متشابكًا متَّسخًا، فبدَت كحيوانٍ حذِر يختلس النَّظر من داخل دغل. أيام عدَّة مرَّت منذ شعروا بحرارة النَّار، لكن الفتاة الهمجيَّة تحبُّ الجثوم قُرب المستوقَد، كأن لمحةً من الدِّفء لا تزال عالقةً بالرَّماد البارد. قالت له هامسةً كي لا تُوقِظ الرَّضيع: «إنه لا يحبُّ البقاءَ معنا، المكان حزين هنا. يحب البقاء حيث النَّبيذ والابتسامات».

فكَّر سام: نعم، والنَّبيذ في كلِّ مكانٍ إلَّا هنا. (براڤوس) ملأى بالخانات والحانات والمواخير، وإذا كان داريون يُؤثِر النَّار وكوبًا من النَّبيذ المتبَّل على الخُبز البائت وصُحبة امرأةٍ باكية وجبانٍ بدين وعجوزٍ مريض، فمَن يلومه؟ أنا ألومه. قال إنه سيعود قبل الشَّفق، قال إنه سيجلب لنا نبيذًا وطعامًا.

مرَّةً أخرى نظرَ من النَّافذة آملًا رغم خيبة الأمل أن يرى المغنِّي مسرعًا

بالعودة. كان الظَّلام يحلُّ على المدينة السرِّيَّة ويتسلَّل إلى الأزقَّة والقنوات. قريبًا سيُغلِق أهل (براڤوس) الطَّيِّبون مصاريع نوافذهم ويُنزِلون مزاليج أبوابهم، فالليل ينتمي إلى مُبارزي البراڤو والمحظيَّات. فكَّر سام بمرارة: أصدقاء داريون الجُدد. في الفترة الأخيرة لا يتكلَّم داريون إلَّا عنهم، ويُحاوِل أن يَكتُب أغنيَّةً عن محظيَّةٍ اسمها ظِل القمر سمعَته يُغَنِّي إلى جوار (بِركة القمر) وجازَته بقُبلة. قال له سام: «كان واجبك أن تَطلُب الفضَّة. إننا محتاجون إلى النُّقود لا القُبلات»، لكن المغنِّي اكتفى بالابتسام مجيبًا: «بعض القُبلات أثمن من الذَّهب الأصفر أيها القاتِل».

هذا أيضًا يُغضِبه، فلا يُفترَض أن يُؤَلِّف داريون الأغاني عن المحظيَّات، وإنما ينبغي له أن يُغَنِّي عن (الجِدار) وشَجاعة حَرس اللَّيل. كان چون يأمل أن تنجح أغانيه في إقناع عددٍ من الشُّبَّان بارتداء الأسود، لكن بدلًا من ذلك يُغَنِّي داريون عن القُبلات الذَّهبيَّة والشَّعر الفضِّي والشِّفاه الحمراء المتورِّدة، ولا أحد أبدًا يرتدي أسود حَرس اللَّيل من أجل الشِّفاه الحمراء المتورِّدة.

أحيانًا يُوقِظ غناؤه الرَّضيع أيضًا فينفجر في العويل، ويزعق داريون فيه أن يَصمُت، وتنتحب جيلي، ويندفع المغنِّي مغادرًا ويغيب أيامًا. «كلُّ هذا البُكاء يجعلني أريدُ أن أصفعها، وأكادُ لا أستطيعُ النَّوم من نحيبها».

كادَ سام يقول: كنت لتنتحب أيضًا لو كان لك ابن وفقدته. ليس في مقدوره أن يلوم جيلي على حُزنها، لكنه يلوم چون سنو ويتساءَل متى استحالَ قلبه إلى حجر. في مرَّةٍ ألقى هذا السُّؤال تحديدًا على المِايستر إيمون حين نزلَت جيلي إلى القناة تجلب لهم ماءً، فأجابَ العجوز: «حين رفعته إلى القيادة».

حتى الآن وهو يتعفَّن هنا في هذه الغُرفة الباردة تحت إفريز السَّطح، ما زالَ جزء من سام لا يُريد أن يُصَدِّق أن چون فعلَ ما يعتقده المِايستر إيمون. لكن لا بُدَّ أنها الحقيقة، وإلَّا فلِمَ تبكي جيلي بلا انقطاع؟ ما عليه إلَّا أن يسألها ابن مَن تُرضِع من ثدييها، لكنه لا يملك شَجاعة السُّؤال ويخشى الجواب. ما زلتُ جبانًا يا چون. أينما ذهبَ في هذا العالم الفسيح لازمَته مخاوفه.

تردَّدت أصداء هديرٍ عميق على سقوف (براڤوس) كهزيم رعدٍ بعيد إذ أطلقَ (المارد) نفير المساء عبر الهَور. كان الصَّوت صاخبًا لدرجةٍ أيقظَت

الرَّضيع، ليُوقِظ عويله المِايستر إيمون بدوره، وبينما ذهبَت جيلي إلى الصَّغير لتُلقِمه ثديها انفتحَت عينا العجوز وتحرَّك بوهنٍ على السَّرير الضيِّق قائلًا: «إج؟ المكان مظلم. لماذا هذا الظَّلام الدَّامس؟».

لأنك أعمى. منذ وصلوا إلى (براڤوس) وعقل إيمون يتوه أكثر فأكثر. في بعض الأيام لا يعرف أين هو، وفي بعضها يَشرُد ذهنه وهو يقول شيئًا ما ويهيم في الكلام عن أبيه أو أخيه. قال سام لنفسه مذكِّرًا: إنه في المئة والاثنين من العُمر. غير أن الرَّجل كان في السِّنِّ نفسها في (القلعة السَّوداء) ولم يَتُه عقله هناك قَطُّ.

قال مضطرًّا: «هذا أنا، ساموِيل تارلي، وكيلك».

لعقَ المِايستر إيمون شفتيه وأغمضَ عينيه وفتحَهما قائلًا: «سام، نعم، وهذه (براڤوس). سامِحني يا سام. هل أتى الصَّباح؟».

– «لا»، وتحسَّس سام جبهة العجوز، ليجد جِلده مبلَّلًا بالعَرق وملمسه بارد رخو، علاوةً على أن كلَّ نفسٍ يلفظه يَخرُج منه مصحوبًا بصفيرٍ خافت. «إنه اللَّيل أيها المِايستر. كنت نائمًا».

– «نمتُ طويلًا جدًّا. المكان بارد».

رَدَّ سام: «ليس عندنا حطب، وصاحِب الخان يَرفُض إعطاءنا المزيد إلى أن ندفع ثَمنه». إنها المرَّة الرَّابعة أو الخامسة التي يُقال فيها الكلام ذاته، وكلَّ مرَّةٍ يُوَبِّخ سام نفسه قائلًا: كان عليَّ أن أشتري حطبًا بالنُّقود، كان عليَّ أن أكون عاقلًا وأحافظ على دفئه.

وبدلًا من ذلك بدَّد آخِر ما معهم من فضَّةٍ على مُعالِج من (بيت الأيدي الحمراء)، رجل طويل شاحب يرتدي ثيابًا مطرَّزةً بخطوطٍ دوَّامة من الأحمر والأبيض. لم يَحصُلوا بالفضَّة على أكثر من نِصف قنينةٍ من نبيذ النَّوم، وقال البراڤوسي بنبرةٍ لم تفتقِر إلى الرِّفق: «قد يُساعِد هذا على تسهيل الرَّحيل عليه»، فسألَه سام إن كان يستطيع أن يفعل المزيد، لكن الرَّجل هَزَّ رأسه نفيًا، وأجابَ: «إن عندي مراهم وعقاقير وأنقعةً وصبغاتٍ وسمومًا وكمَّادات، وأستطيعُ أن أعطيه دواءً مسهِّلًا للبطن أو أعلِّق له العَلق... لكن لماذا؟ لا عَلقة سترُدُّ إليه شبابه. هذا رجل هَرِم، والموت في رئتيه. اسقِه هذا ودَعه ينام».

ونامَ العجوز طيلة اللَّيل وطيلة النَّهار، وإن كان الآن يُكافِح للاعتدال جالسًا، ويقول: «يجب أن نذهب إلى السُّفن».

السُّفن مرَّةً أخرى. رغمًا عنه قال له سام: «إنك أضعف من أن تَخرُج». أصابَ المِايستر إيمون بردٌ في أثناء رحلتهم في البحر وكمنَ في صدره، ولدى بلوغهم (براڤوس) كان واهنًا لدرجة أنهم حملوه حملًا إلى الشَّاطئ. حينئذٍ كانت لا تزال معهم صُرَّة منتفخة بالفضَّة، فطلبَ داريون أكبر أسرَّة الخان، وحصلوا على واحدٍ يتَّسع لثمانية، فأصرَّ صاحِب الخان على أن يَنقُدوه ثَمن هذا العدد.

وعدَه سام قائلًا: «غدًا نذهب إلى الميناء. يُمكنك أن تستعلم عمَّا تُريد وتعرف ما السَّفينة التَّالية المبحرة إلى (البلدة القديمة)». حتى في الخريف تظلُّ (براڤوس) ميناءً مزدحمًا، وبمجرَّد أن يستردَّ المِايستر إيمون ما يكفي من طاقةٍ للسَّفر فلن يجدوا مشكلةً في العثور على سفينةٍ تأخذهم إلى حيث يُريدون الذَّهاب. الأصعب أن يدفعوا تكلفة رحلتهم، وأفضل أملٍ لهم أن تكون السَّفينة من (الممالك السَّبع). سفينة تجاريَّة من (البلدة القديمة) ربما، لبحَّارتها أقارب في حَرس اللَّيل. لا بُدَّ أن بعض النَّاس ما زالَ يحتفي بالرِّجال الذين يَحرُسون (الجِدار).

صفرَت أنفاس المِايستر إيمون وهو يقول: «(البلدة القديمة)، نعم. لقد حلمتُ بـ(البلدة القديمة) يا سام. كنتُ شابًّا من جديدٍ وكان معي أخي إج وذلك الفارس الكبير الذي يخدمه. كنا نشرب في الخان القديم الذي يُقدِّمون فيه خمر التُّفَّاح القويَّة للغاية». حاولَ ثانيةً أن ينهض، لكنه ألفى المجهود أقوى منه، وبَعد لحظةً عادَ يتمدَّد، وقال: «السُّفن. سنجد الإجابة هناك، بخصوص التَّنانين. أحتاجُ إلى المعرفة».

لا، ما تحتاج إليه هو الطَّعام والدِّفء، تحتاج إلى معدةٍ ممتلئة ونار تُطَقطِق في المستوقَد. «أأنت جائع أيها المِايستر؟ تبقَّى لدينا القليل من الخُبز والجُبنة».

– «ليس الآن يا سام، لاحقًا حين أصبحُ أقوى».

– «كيف ستُصبِح أقوى ما لم تأكل؟». لم يأكل أيُّهم الكثير في البحر منذ (سكاجوس). طوال طريقهم عبر (البحر الضيِّق) استبدَّت بهم عواصف

الخريف، تهبُّ أحيانًا من الجنوب مصحوبةً بالرَّعد والبرق والأمطار السَّوداء التي تنهمر أيامًا بلا انقطاع، وأحيانًا من الشَّمال باردةً كئيبةً تنفذ ريحها العاتية إلى عظام المرء. في مرَّةٍ اشتدَّ البرد على نحوٍ غير مسبوق، حتى إن سام استيقظَ ليجد السَّفينة كلَّها مغلَّفةً بجليدٍ أبيض يلتمع كاللُّؤلؤ. كان الرُّبَّان قد أنزلَ الصَّاري وربطَه على السَّطح ليُكمِل الرِّحلة بالمجاذيف فقط، ولدى رؤيتهم (المارد) أخيرًا لم يكن أحدهم يأكل.

لكن حالما صاروا آمنين على الشَّاطئ وجدَ سام معدته تَصرُخ جوعًا، مِثله مِثل داريون وجيلي، وحتى الصَّغير بدأ يرضع بشراهةٍ أكثر، أمَّا إيمون...

قال سام للعجوز: «الخُبز بائت، لكن يُمكنني أن أتوسَّل القليل من المرق من المطبخ لتُغَمِّسه به». صاحِب الخان رجل قاسٍ بارد العينين ويرتاب في هؤلاء الأغراب السُّود تحت سقفه، لكن الطَّاهي أكثر وُدًّا.

– «لا، لكن هل لي برشفةٍ من النَّبيذ؟».

ليس لديهم نبيذ. كان داريون قد وعدَ بابتياع القليل منه بما سيجنيه من غنائه. قال سام: «سنشرب النَّبيذ فيما بَعد. عندنا ماء، لكنه ليس الماء النَّظيف». الماء النَّظيف يأتي من فوق قناطر القناة القرميد العظيمة التي يُسَمِّيها البراڤوسيُّون نهر المياه العذبة، والتي يضخُّ الأثرياء ماءها إلى منازلهم، في حين يملأ الفُقراء دلاءهم وسُطولهم من النَّوافير العامَّة. كان سام قد أرسلَ جيلي لتجلب القليل منه ناسيًا أن الفتاة الهمجيَّة عاشَت حياتها كلَّها في حدود (قلعة كراستر) دون أن ترى ولو بلدة سوقٍ صغيرة. أخافَتها المتاهة الحجريَّة المسمَّاة (براڤوس) بجُزرها وقنواتها وخلوِّها من العُشب والشَّجر وامتلائها بالغُرباء الذين يُحَدِّثونها بكلماتٍ لا تفهمها—أخافَتها لدرجة أنها فقدَت الخارطة وسرعان ما تاهَت، ووجدَها سام تبكي عند قدمَي تمثال أمير بحرٍ ماتَ منذ زمنٍ بعيد. قال للمِايستر إيمون: «ليس عندنا إلَّا ماء القناة، لكن الطَّاهي غلاه. هناك نبيذ نوم أيضًا إذا كنت تُريد المزيد منه».

– «لقد نمتُ وحلمتُ بما فيه الكفاية. لا بأس بماء القناة. ساعِدني من فضلك».

برفقٍ ساعدَ سام العجوز على الاعتدال ورفعَ كوبًا إلى شفتيه الجافَّتين المشقَّقتين، وعلى الرغم من هذا انسكبَ نِصف الماء على صدر المِايستر،

وبَعد بضع رشفاتٍ سعلَ وقال: «كفى، ستُغرِقني»، وارتجفَ بين ذراعَي سام متسائلًا: «لماذا الغُرفة باردة هكذا؟».

– «لم يَعُد لدينا حطب». كان داريون قد نقدَ صاحِب الخان ضِعف الأُجرة لأجل غُرفةٍ مزوَّدة بمستوقَد، لكن لا أحد منهم كان يعلم أن الحطب باهظ الثَّمن هنا لهذه الدَّرجة، فالأشجار لا تنمو في (براڤوس) إلَّا في ساحات وحدائق عِلية القوم، كما أن البراڤوسيِّين يأبون قطع شجر الصَّنوبر الذي يُغَطِّي الجُزر النَّائية المحيطة بالهَور العظيم ويعمل كحواجز ريحٍ تقيهم العواصف، وبدلًا من هذا يأتون بالحطب بالقوارب عبر النَّهر والهَور. حتى الرَّوث مكلِّف هنا، فالبراڤوسيُّون يستخدمون القوارب بدلًا من الخيول. ما كان شيء من هذا ليهمَّ لو أنهم رحلوا إلى (البلدة القديمة) وفق الخطَّة، لكن مع مرض المِايستر إيمون الشَّديد ثبتَت استحالة ذلك، إذ إن رحلةً أخرى في البحر كفيلة بالقضاء عليه.

زحفَت يد إيمون على الأغطية بحثًا عن ذراع سام، وقال له: «يجب أن نذهب إلى الميناء يا سام».

– «حين تُصبِح أقوى». ليس العجوز في حالةٍ تُتيح له أن يُواجِه الرَّذاذ المالح والرِّيح البليلة على الواجهة المائيَّة، و(براڤوس) كلُّها واجهة مائيَّة. إلى الشَّمال (الميناء الأرجواني)، حيث ترسو السُّفن التِّجاريَّة البراڤوسيَّة أسفل قباب وأبراج (قصر أمير البحر)، وإلى الغرب (ميناء راجمان) المزدحم بالسُّفن من المُدن الحُرَّة الأخرى و(وستروس) و(إيبن) وبلدان الشَّرق البعيدة المحفوفة بالأساطير، وفي كلِّ مكانٍ آخَر تنتشر الأرصفة الصَّغيرة ومراسي العبَّارات والمرافئ الرَّماديَّة القديمة التي يربط صيَّادو الأسماك والرُّوبيان والسَّراطين مراكبهم عندها بَعد العمل في السُّهول الطِّينيَّة ومصبَّات النَّهر. «سيكون المجهود شديدًا عليك».

قال إيمون بإلحاح: «اذهب بدلًا مني إذن واجلب لي أحدًا رأى تلك التِّنانين».

رَدَّ سام وقد أفزعَته الفكرة: «أنا؟ أيها المِايستر، إنها مجرَّد قصَّة، قصَّة بحَّارة». داريون الملوم على هذا أيضًا، إذ اعتادَ المغنِّي أن يعود إليهم بمختلِف أنواع الحكايات العجيبة من الحانات والمواخير، لكنه لسوء الحَظِّ كان ثملًا

عندما سمعَ حكايةَ التَّنانين ولا يتذكَّر تفاصيلها. «ربما اختلقَها داريون برُمَّتها. هذا ما يفعله المغنُّون، يُلَفِّقون الحكايات».

قال المِايستر إيمون: «نعم، لكن ربما يحوي أكثر الأغاني شطوحًا في الخيال لمحةً من الحقيقة. اعثُر على تلك الحقيقة من أجلي يا سام».

– «لن أدري مَن أسألُ أو كيف أسأله. إنني أعرفُ القليل فقط من الڤاليريَّة الفُصحى، وعندما يُكَلِّمونني بالبراڤوسيَّة لا أفهمُ نِصف ما يقولون. أنت تتكلَّم لُغاتٍ أكثر مني، وما إن تُصبِح أقوى...».

– «متى سأصبحُ أقوى يا سام؟ أخبِرني».

– «قريبًا، إذا استرحت وأكلت. حين نصل إلى (البلدة القديمة)...».

قاطعَه العجوز: «إنني لن أرى (البلدة القديمة) ثانيةً أبدًا، أعلمُ هذا الآن»، وأحكمَ قبضته على ذراع سام متابعًا: «قريبًا سأكونُ مع إخوتي. بعضهم ربطَتني بهم الأيمان وبعضهم ربطَني به الدَّم، لكنهم كانوا إخوتي جميعًا. وأبي... إنه لم يحسب قَطُّ أن العرش سينتقل إليه، لكنه انتقلَ، وردَّد كثيرًا أن هذا عقابه على الضَّربة التي أودَت بحياة أخيه. أدعو الآلهة أنه وجدَ في الموت السَّلام الذي لم يعرفه قَطُّ في الحياة. السِّپتونات يترنَّمون عن راحةٍ جميلة، عن تخلِّينا عن همومنا والارتحال إلى أرضٍ بعيدةٍ رائعة نضحك ونحبُّ ونلتهم الولائم فيها حتى آخِر الزَّمان... لكن ماذا لو لم يكن لأرض النُّور والعسل تلك وجود؟ وماذا لو لم يكن هناك إلَّا البرد والظُّلمة والآلام وراء الجِدار المسمَّى الموت؟».

إنه خائف. «لستَ تُحتضَر. إنك مريض فحسب، والمرض سينقضي».

– «ليس هذه المرَّة يا سام. لقد حلمتُ... في جوف اللَّيل يسأل المرء ما لا يجرؤ عليه في ضوء النَّهار من أسئلة، وبالنِّسبة إليَّ لم يتبقَّ لديَّ إلَّا سؤال واحد في السنَّوات الأخيرة. لماذا تأخذ الآلهة عَينَي وقوَّتي ومع ذلك تَحكُم عليَّ بالحياة الطَّويلة مجمَّدًا منسيًّا؟ ما فائدة شيخٍ منتهٍ مِثلي عندها؟»، وارتعشَت أصابع إيمون الشَّبيهة بغُصيناتٍ رفيعة مغلَّفةً بالجِلد المبقَّع، وأضافَ: «إنني أذكرُ يا سام، ما زلتُ أذكرُ».

سألَه سام الذي لم يفهم: «تَذكُر ماذا؟».

همسَ إيمون: «التَّنانين، بليَّة عائلتي ومجدها».

– «آخِر التَّنانين ماتَ قبل أن تُولَد، فكيف تَذكُرها؟».

- «إنني أراها في أحلامي يا سام، أرى نجمًا أحمر ينزف في السَّماء. ما زلتُ أذكرُ الأحمر. أرى ظلالها على الثَّلج وأسمعُ خفقان أجنحتها الجِلديَّة وأشعرُ بأنفاسها السَّاخنة. إخوتي أيضًا حلموا بالتَّنانين وقتلَتهم أحلامهم جميعًا بلا استثناء. سام، إننا نقف راجفين على حافة نبوءاتٍ نِصف منسيَّة، وأمامنا أعاجيب وأهوال لا أمل لإنسانٍ حَيٍّ في استيعابها... أو...».

- «أو؟».

- «... أو لا»، وقهقهَ إيمون بخفوت، وأردفَ: «أو أنني عجوز محموم يُحتضَر»، وأغمضَ عينيه البيضاوين بإرهاق، ثم أجبرَهما على الانفتاح من جديدٍ قائلًا: «ما كان عليَّ أن أترك (الجِدار) قَطُّ. لم يكن بإمكان اللورد سنو أن يعلم، لكن كان حريًّا بي أنا أن أرى. النَّار تُذوي، أمَّا البرد فيحفظ. (الجِدار)... لكن أوان العودة فاتَ. (الغريب) منتظر خارج بابي ولن يُحرَم غنيمته. أيها الوكيل، لقد خدمتني بإخلاص، فأدِّ هذه المهمَّة الشُّجاعة الأخيرة من أجلي. اذهب إلى السُّفن يا سام واعرف كلَّ ما تستطيع عن تلك التَّنانين».

سحبَ سام ذراعه من قبضة العجوز بهدوء، وقال: «سأفعلُ ما دُمت تُريد هذا. إنني فقط...». لا يدري ماذا يقول غير هذا. لا أستطيعُ أن أرفض طلبه. يُمكنه أن يبحث عن داريون أيضًا عند أرصفة ومراسي (ميناء راجمان). سأجدُ داريون أولًا ونذهب إلى السُّفن معًا، ولمَّا نعود سيكون معنا طعام ونبيذ وحطب. سنُشعِل نارًا ونأكل وجبةً ساخنةً شهيَّةً. نهضَ قائلًا: «حسن، سأذهبُ الآن ما دمتُ ذاهبًا. جيلي ستكون هنا. جيلي، أنزِلي مزلاج الباب بَعد خروجي». (الغريب) منتظر خارج الباب.

أومأت جيلي برأسها ضامَّةً الصَّغير إلى صدرها والدُّموع تترقرَق في عينيها. ستبكي ثانيةً. هذا يفوق احتماله حقًّا. كان حزام سيفه معلَّقًا من مشجبٍ على الحائط إلى جوار البوق المكسور الذي أعطاه چون إياه، فاختطفَه وتمنطَقَ به، ثم وضعَ معطفه الصُّوف الأسود على كتفيه المستديرتين، وخرجَ من الباب بخُطى متثاقلة ونزلَ السُّلَّم الذي صرَّت درجاته الخشبيَّة تحت وطأة وزنه. للخان بابان أماميَّان، أحدهما ينفتح على شارع والثَّاني على قناة، فخرجَ سام من الأول ليتجنَّب القاعة العامَّة، حيث من المؤكَّد أن يراه صاحِب الخان ويَرمُقه بالعبوس الذي يدَّخره للنُّزلاء الذين يَمكُثون بَعد زوال التَّرحاب بهم. في الهواء برودة، لكن اللَّيلة ليست كثيفة الضَّباب كأكثر اللَّيالي، وهو ما

أشعرَ سام بالامتنان. أحيانًا يكسو الضَّباب الأرض بكثافةٍ تحول دون أن يرى المرء قدميه، وفي مرَّةٍ فصلَته خُطوة واحدة عن السُّقوط في إحدى القنوات.

في صِباه قرأ سام تاريخ (براڤوس) وحلمَ بأن يزورها يومًا. أرادَ أن يرى (المارد) يرتفع صارمًا مهيبًا من البحر، ويُبحِر في القنوات بقاربٍ أُفعواني مارًّا بالقصور والمعابد، ويُشاهِد مُبارزي البراڤو يَرقُصون رقصة الماء وتُومِض نصالهم في ضوء النُّجوم، لكن الآن وقد صارَ هنا بالفعل فلا شيء يرغب فيه أكثر من الرَّحيل إلى (البلدة القديمة).

بقلنسوةٍ مرفوعة ومعطفٍ يُرَفرِف في الرِّيح قطعَ الطُّرقات المرصوفة بالحصى صوب (ميناء راجمان)، وقد ظَلَّ حزام سيفه يُهَدِّد بالسُّقوط حول كاحليه، فاضطرَّ إلى شَدِّه إلى أعلى كلَّ مدَّةٍ بينما يمضي. التزمَ المشي في الشَّوارع الصَّغيرة المظلمة، حيث تقلُّ احتمالات أن يلتقي أحدًا، إلَّا أن كلَّ قطَّةٍ مرَّت به جعلَت قلبه يخفق بعُنف... و(براڤوس) تعجُّ بالقِطط. يجب أن أعثر على داريون. إنه رجل في حَرس اللَّيل، أخي المحلَّف. معًا سنتوصَّل إلى ما يُمكننا أن نفعله. المِايستر إيمون خارَت قُواه، وجيلي كانت لتضيع هنا حتى من دون الأسى الذي يَغمُرها، لكن داريون... لا يَجدُر بي أن أسيء به الظَّن. ربما يكون جريحًا ولهذا السَّبب لم يرجع، وربما يكون ميتًا، منطرحًا في زُقاقٍ ما في بِركةٍ من الدَّم، أو طافيًا على وجهه في إحدى القنوات. في اللَّيل يمشي مُبارزو البراڤو متبخترين في أنحاء المدينة بثيابهم المبرقشة المبهرجة، ساعين إلى إثبات براعتهم في القتال بالسُّيوف الرَّفيعة التي يحملونها. بعضهم يُقاتِل لأيِّ سببٍ وبعضهم دون سببٍ على الإطلاق، وداريون طليق اللِّسان سريع الغضب، خصوصًا عندما يشرب. ليس معنى أنه يستطيع الغناء عن المعارك أنه قادر بالضَّرورة على خوضها.

تقع أفضل الحانات والخانات والمواخير قُرب (الميناء الأرجواني) و(بِركة القمر)، غير أن داريون يُفَضِّل (ميناء راجمان)، حيث فُرصة أن يتكلَّم الزَّبائن اللُّغة العاميَّة أكبر. بدأ سام بحثه في (خان ثُعبان الماء الأخضر) و(الملَّاح الأسود) و(موروجو)، وكلُّها أماكن سبقَ لداريون أن غنَّى فيها، لكنه لم يَعثُر عليه في أيِّها. خارج (بيت الضَّباب) كانت عدَّة قوارب أُفعوانيَّة مربوطةً في انتظار الزَّبائن، وحاولَ سام أن يسأل الملَّاحين إن كانوا قد رأوا مطربًا يرتدي السَّواد، لكن لا أحد منهم فهمَ ڤاليريَّته الفُصحى. إمَّا هذا وإمَّا

أنهم يختارون ألَّا يفهموا. ألقى سام نظرةً داخل الخمَّارة القذرة تحت قنطرة (جسر نابو) الثَّانية التي تتَّسع بالكاد لعشرة أفراد، ولم يكن داريون أحدهم، ثم جرَّب (خان المنبوذين) و(دار القناديل السَّبعة)، ثم الماخور المسمَّى (المَقططة)، حيث تلقَّى نظرات الارتياب لكن لا عون على الإطلاق.

بينما يُغادِر كادَ يرتطم بشابَّيْن واقفيْن تحت مصباح (المَقططة) الأحمر، أحدهما داكن الشَّعر والثَّاني أشقره، وقد قال الأول شيئًا ما بالبراڤوسيَّة، فرَدَّ سام مضطرًّا: «آسفٌ، لكنني لا أفهمك»، وبدأ يبتعد عنهما خائفًا. في (الممالك السَّبع) يكسو النُّبلاء أنفسهم بالمخمل والحرير والسَّميت من مئة لون، بينما يرتدي الفلَّاحون والعامَّة الصُّوف غير المصبوغ والخيش البنِّي الباهت، أمَّا في (براڤوس) فالعكس بالعكس، فيمشي مُبارزو البراڤو مختالين كالطَّواويس مداعبين سيوفهم، بينما يرتدي الأعيان الرَّمادي الفاحم والأرجواني والأزرق القاتم كالأسود والأسود الحالك كليلةٍ بلا قمر.

– «صديقي تيرو يقول إن بدانتك تقلب معدته»، قال مُبارز البراڤو الأشقر، الذي يرتدي سُترةً مقسومةً طوليًّا إلى مخملٍ أخضر وقُماش فضَّة. «صديقي تيرو يقول إن صلصلة سيفك تُصَدِّع رأسه». كان يُخاطِب سام باللُّغة العاميَّة، أمَّا الآخَر، البراڤو أسود الشَّعر الذي يرتدي السُّترة الخمريَّة الموشَّاة تحت معطفٍ أصفر ويبدو أن اسمه تيرو، فألقى تعليقًا ما بالبراڤوسيَّة جعلَ صديقه الأشقر يضحك ويقول: «صديقي تيرو يقول إنك ترتدي ثيابًا أعلى من مقامك. أأنت أحد اللوردات العظام لترتدي الأسود؟».

أرادَ سام أن يَهرُب، لكن إذا فعلَ فعلى الأرجح سيتعثَّر في حزامه بينما يجري. قال لنفسه: لا تلمس سيفك. مجرَّد إصبع على المقبض قمين بأن يعتبره أحدهما دعوةً للنِّزال. حاولَ التَّفكير في كلامٍ يسترضيهما، فلم يَخرُج منه إلَّا: «لستُ...».

تدخَّل صوت طُفولي قائلًا: «ليس لورد. إنه في حَرس اللَّيل أيها الأحمقان، من (وستروس)»، وخرجَت فتاة صغيرة إلى الضَّوء دافعةً عربة يد ملأى بالطَّحالب البحريَّة، مخلوقة بائسة نحيلة تنتعل حذاءً كبيرًا ولها شَعر أشعث متَّسخ. أخبرَت مُبارزَي البراڤو: «هناك واحد آخَر في (الميناء السَّعيد) يُغَنِّي لزوجة البحَّار»، ولسام قالت: «إذا سألَك أيُّ براڤو مَن أجمل امرأةٍ في العالم فقُل إنها العندليب وإلَّا تحدَّاك للنِّزال. هل تشتري أُم الخلول؟ لقد بعتُ محاري كلَّه».

أجابَ سام: «ليس معي مال».

قال البراڤو الأشقر ساخرًا: «ليس معه مال»، فابتسمَ صديقه فاحم الشَّعر ابتسامةً عريضةً، وقال شيئًا بالبراڤوسيَّة ترجمَه الأشقر: «صديقي تيرو بردان. كُن صديقنا البدين الكريم وأعطِه معطفك».

قالت فتاة العربة: «لا تفعل هذا أيضًا وإلَّا طلبا حذاءك بَعده وسرعان ما ستجد نفسك عاريًا».

خاطبَها البراڤو الأشقر منذرًا: «القِطط الصَّغيرة التي تموء بصوتٍ مزعج يُغرِقونها في القنوات».

ردَّت الفتاة: «ليس إذا كان لها مخالب»، وفجأةً ظهرَ في يدها اليُسرى سكِّين نصله رفيع كقوامها، فقال المدعو تيرو شيئًا لصديقه الأشقر، ثم ابتعدَ الاثنان مقهقهيْن.

قال سام للفتاة بَعد رحيلهما: «أشكركِ».

اختفى سكِّينها، وقالت: «إذا حملت سيفًا ليلًا فمعنى هذا أنك قابل للتَّحدِّي. هل أردت أن تُقاتِلهما؟».

خرجَت الكلمة من سام كصرير أجفلَه: «لا!».

سألَته الفتاة: «أأنت في حَرس اللَّيل حقًّا؟ لم أرَ أخًا أسود مِثلك من قبل»، وأشارَت إلى العربة مضيفةً: «يُمكنك أن تأكل أُم الخُلول المتبقِّية. لقد سادَ الظَّلام ولن يبتاعها أحد. هل ستُبحِر إلى (الجِدار)؟».

أجابَ سام: «إلى (البلدة القديمة)»، وأخذَ واحدةً من أُم الخُلول المخبوزة والتهمَها بنهم، ثم قال: «نحن بين سفينتين الآن». وجدَ أُم الخُلول لذيذةً، فأكلَ أخرى.

- «مُبارزو البراڤو لا يُزعِجون أحدًا لا يحمل سيفًا أبدًا، حتى فروج النُّوق الحمقى مِثل تيرو وأوربيلو».

- «مَن أنتِ؟».

قالت ورائحة السَّمك الذَّفرة تفوح منها: «لا أحد. كنتُ أحدًا من قبل ولم أعُد كذلك. يُمكنك أن تدعوني بكات إذا أردت. مَن أنت؟».

- «ساموِيل سليل عائلة تارلي. إنكِ تتكلَّمين العاميَّة».

- «أبي كان مُشرف الملَّاحين على متن (نايميريا). قتلَه براڤو لأنه قال إن أمِّي أجمل من العندليب، ليس واحدًا من فروج النُّوق الذين التقيت اثنين منهم،

مُبارز براڤو حقيقي. في يوم ما سأذبحه. قال الرُّبَّان إن (نايميريا) ليست في حاجةٍ إلى البنات الصِّغار وأنزلَني، وبَعدها أخذَني بروسكو إلى بيته وأعطاني عربةً»، ورفعَت عينيها إليه متسائلةً: «ما السَّفينة التي سترحلون عليها؟».

– «دفعنا ثَمن رحلة على (الليدي أوشانورا)».

ضيَّقت الفتاة عينيها بشَكٍّ قائلةً: «لقد رحلَت. ألم تعلم؟ غادرَت منذ أيام طويلة».

كان سام ليُجيب: أعلمُ. هو وداريون وقفا على الرَّصيف يُشاهِدان مجاذيفها ترتفع وتنخفض بينما تشقُّ طريقها نحو (المارد) والبحر المفتوح، وقال المغنِّي: «طيِّب، انتهينا إذن». لو كان سام رجلًا أشجع لدفعَه في الماء. حين يتعلَّق الأمر بإقناع الفتيات بخلع ثيابهن يَقطُر من لسان داريون الشَّهد، لكن بوسيلةٍ ما في قمرة الرُّبَّان وقعَ عبء الكلام على كاهل سام وحده إذ حاولَ إقناع البراڤوسي بانتظارهم، لكن الرَّجل قال: «انتظرتُ العجوز ثلاثة أيام كاملةً. إن مخازني ممتلئة ورجالي نكَحوا زوجاتهم وودَّعوهن. بكم أو دونكم سترحل (الليدي) مع الجَزر».

متوسِّلًا قال سام: «أرجوك، أيام إضافيَّة قليلة، لا أطلبُ سوى هذا، كي يستردَّ المِايستر إيمون قوَّته».

كان الرُّبَّان قد زارَ الخان في اللَّيلة السَّابقة ليرى المِايستر إيمون بنفسه، فقال: «قوَّته كلُّها خارَت. إنه عجوز ومريض ولا أريده أن يموت على متن (الليدي). ابقوا معه أو اترُكوه، لا فرق عندي. أنا مبحرٌ». الأسوأ أنه رفضَ أن يردَّ ثَمن الرِّحلة الذي نقدوه إياه بالفعل، الفضَّة التي كان يُفترَض أن تأخذهم بأمانٍ إلى (البلدة القديمة). «لقد استأجرتم أفضل قمراتي، وهي موجودة في انتظاركم. إذا اخترتم ألَّا تشغلوها فليس هذا ذنبي. لماذا أتحمَّل الخسارة؟».

قال سام لنفسه محزونًا: لكنا قد بلغنا (وادي الغسق) الآن بالفعل، بل وربما (پنتوس) أيضًا لو ترفَّقت بنا الرِّياح.

لكن شيئًا من هذا لن يهمَّ فتاة العربة، فقال لها: «ذكرتِ أنكِ رأيتِ مغنِّيًا...».

– «في (الميناء السَّعيد). سيتزوَّج زوجة البحَّار».

– «يتزوَّج؟».

– «إنها تُضاجِع مَن يتزوَّجونها فقط».

- «أين هذا (الميناء السَّعيد)؟».
- «قُبالة (سفينة الممثِّلين). يُمكنني أن أدلَّك على الطَّريق».
- «أعرفُ الطَّريق». سبقَت لسام رؤية (سفينة الممثِّلين). لا يُمكن لداريون أن يتزوَّج! لقد حلفَ اليمين! «يجب أن أذهب».

ركضَ سام. كان الطَّريق طويلًا على حجارة الرَّصف الزَّلقة، وسرعان ما راحَ يلهث ومعطفه الأسود الكبير يخفق بإزعاج وراءه، وقد أمسكَ حزام سيفه بينما يَركُض. رمقَه القلائل الذين صادفَهم بنظرات الفضول، ورفعَت قطَّة عجيزتها وهسهسَت في وجهه، ولدى بلوغه السَّفينة كان يترنَّح.

قُبالتها في الزُّقاق وجدَ (الميناء السَّعيد)، وما إن دخلَ سام بوجهٍ محتقن وأنفاس متقطِّعة حتى طوَّقت امرأة عوراء عُنقه بذراعيها، فقال لها: «لا. لستُ هنا لأجل هذا». قالت شيئًا بالبراڤوسيَّة، فرَدَّ سام بالڤاليريَّة الفُصحى: «لا أتكلَّمُ تلك اللُّغة». في المكان شموع مضاءة ونار مشتعلة في المستوقَد، وأحدهم يعزف على الكمنجة، ورأى فتاتين تَرقُصان حول راهبٍ أحمر بأيدٍ متشابكة. ضغطَت العوراء ثدييها إلى صدره، فصاحَ: «لا تفعلي هذا! لستُ هنا لأجل هذا!».

رَنَّ صوت داريون المألوف قائلًا: «سام! يانا، دعيه، هذا سام القاتِل، أخي المحلَّف!».

أزاحَت العوراء ذراعيها وإن أبقَت يدًا على ذراعه، ونادَت إحدى الرَّاقصتيْن قائلةً: «يُمكنه أن يَقتُلني إذا أرادَ»، وسألَت الأخرى: «هل تظنُّ أنه سيَترُكني ألمس سيفه؟». وراءهما قاليون أرجواني مرسوم على الحائط، طاقمه نساء ينتعلن أحذيةً ترتفع حتى الفخذ ولا يرتدين شيئًا آخَر، وفي أحد الأركان ثمَّة بحَّار تايروشي غائب عن الوعي ويغطُّ من تحت لحيته القرمزيَّة الضَّخمة، وفي موضعٍ آخَر امرأة أكبر سِنًّا ذات نهدين عظيمين تلعب البلاطات مع رجلٍ عملاق من (جُزر الصَّيف) يرتدي الرِّيش الأسود والقرمزي، وفي مركز كلِّ هذا يجلس داريون ممرِّغًا أنفه في رقبة المرأة الجالسة في حِجره مرتديةً معطفه الأسود.

نادى المغنِّي بلسانٍ أثقلَته الخمر: «أيها القاتِل، تعالَ والتقِ السيِّدة زوجتي». شَعره رمل وعسل، وابتسامته دافئة. «غنَّيتُ لها أغاني الحُب. النِّساء يَذُبن كالزُّبدة حين أغنِّي. كيف أقاومُ هذا الوجه؟»، وقبَّل أنفها، وتابعَ: «أعطي سام

قُبلةً يا زوجتي، إنه أخي». لمَّا نهضَت الفتاة رأى سام أنها عارية تحت المعطف، وقال داريون ضاحكًا: «إياك أن تعبث بجسد زوجتي أيها القاتِل، لكن إذا أردت واحدةً من أخواتها فتفضَّل. ما زالَ معي مال يكفي على ما أظنُّ».

مال كان يُمكن أن تشتري به لنا طعامًا، مال كنا لنشتري به حطبًا ليتدفَّأ المِايستر إيمون. «ماذا فعلت؟ لا يُمكنك أن تتزوَّج. لقد حلفت اليمين مِثلي. يُمكن أن يقطعوا رأسك من أجل هذا».

– «إننا متزوِّجان لليلةٍ واحدة فقط أيها القاتِل. حتى في (وستروس) لا أحد يقطع رأسك من أجل هذا. ألم تذهب إلى (بلدة المناجذ) ولو مرَّة لتُنَقِّب عن الكنوز الدَّفينة؟».

احتقنَ وجه سام، وقال: «نعم، لا يُمكنني أبدًا أن...».

– «وماذا عن فتاتك الهمجيَّة؟ لا بُدَّ أنك ضاجعتها مرَّةً أو ثلاثًا. كلُّ تلك اللَّيالي في الغابة تحت معطفك، لا تقل لي إنك لم تضعه فيها قَطُّ»، ولوَّح داريون بيده نحو مقعدٍ مردفًا: «اجلس أيها القاتِل. خُذ كوبًا من النَّبيذ، خُذ عاهرةً، خُذ الاثنين».

قال سام الذي لا يُريد كوبًا من النَّبيذ: «لقد وعدتني بالعودة قبل الشَّفق، بأن تجلب نبيذًا وطعامًا».

رَدَّ داريون: «أهكذا قتلت (الآخَر)؟ بتوبيخه حتى الموت؟»، وضحكَ قائلًا: «هي زوجتي لا أنت. ما دُمت لن تشرب نخب زواجي فغادِر».

– «تعالَ معي. المِايستر إيمون استيقظَ ويُريد أن يسمع ما يُقال عن تلك التَّنانين. إنه يتكلَّم عن النُّجوم النَّازفة والظِّلال البيضاء والأحلام و... إذا عرفنا المزيد عن تلك التَّنانين فربما يُريحه هذا. ساعِدني».

– «غدًا، ليس ليلة زفافي»، ودفعَ داريون نفسه إلى الوقوف، وأخذَ عروسه من يدها وبدأ يتحرَّك نحو السَّلالم ساحبًا إياها.

اعترضَ سام طريقه قائلًا: «لقد وعدت يا داريون، وحلفت اليمين. المفروض أنك أخي».

– «في (وستروس). هل يبدو لك أننا في (وستروس)؟».

– «المِايستر إيمون...».

قاطعَه داريون بفم قسا: «... يُحتضَر. هذا ما قاله المُعالج المخطَّط الذي بدَّدت عليه فضَّتنا. خُذ فتاةً أو ارحل يا سام. إنك تُفسِد زفافي».

قال سام: «سأذهبُ، لكنك آتٍ معي».

- «لا، لقد فرغتُ منك وفرغتُ من الأسود»، وانتزعَ داريون معطفع من على جسد عروسه العاري ورماه في وجه سام قائلًا: «هاك. ألقِ هذه الخرقة على العجوز وربما تُدَفئه أكثر قليلًا. لن أحتاج إليها. قريبًا سأرفلُ في المخمل، والعام القادم سأكون مرتديًا الفراء وآكلُ...».

وضربَه سام.

لم يُفَكِّر. ارتفعَت يده وتكوَّرت قبضته وارتطمَت بفم المغنِّي، ليُطلِق داريون سبابًا وتَصرُخ زوجته العارية، وألقى سام نفسه على المغنِّي وأسقطَه على ظَهره فوق مائدةٍ واطئة. الاثنان قريبان في الطُّول، لكن سام يفوقه وزنًا مرَّتين، وهذه المرَّة على الأقل هو أكثر غضبًا من أن يخاف. لكمَ المغنِّي في وجهه وبطنه، وراحَ يهوي على كتفيه بقبضتيه، ولمَّا أمسكَ داريون معصميه نطحَه سام برأسه وشَقَّ شفته، فتخلَّى المغنِّي عن معصميه وضربَه في أنفه. في مكانٍ ما كان رجل يضحك وامرأة تسبُّ وتلعن، وبدا أن حركة العِراك تتباطَأ، كأنهما ذُبابتان سوداوان تخوضان في قطعةٍ من الكهرمان... ثم جَرَّ أحدهم سام من فوق صدر المغنِّي، فضربَ هذا الشَّخص أيضًا، ثم هوى شيء على رأسه.

بَعدها لم يَشعُر إلَّا بنفسه في الخارج طائرًا في الضَّباب، ولأقلِّ من لحظةٍ رأى المياه السَّوداء تحته، ثم ارتفعَت القناة ولطمَته على وجهه.

وغاصَ سام كالحجر، كالجُلمود، كالجبل.

دخلَ الماء عينيه وأنفه قاتمًا باردًا مالحًا، ولمَّا حاولَ أن يصيح مستغيثًا ابتلعَ المزيد، وراحَ يَرفُس ويشهق منقلبًا والفقاقيع تتفجَّر من أنفه. قال لنفسه: اسبح، اسبح. لسعَ الملح عينيه عندما فتحَهما وأعماهما، وبرزَ رأسه من السَّطح لحظةً عَبَّ خلالها الهواء وضربَ الماء بيأسٍ بيدٍ واحدة بينما تحسَّست الثَّانية جِدار القناة، لكنه وجدَ الحجارة زلقةً لَزجةً ولم يستطِع الإمساك بها... وعادَ يغوص.

أحسَّ سام بالبرودة على جِلده مع نفاذ المياه من ثيابه، وانزلقَ حزام سيفه على ساقيه واشتبكَ حول كاحليه، وبهلع أسود أعمى قال لنفسه: سأغرقُ. تلوَّى محاولًا العثور على طريق العودة إلى السَّطح، وبدلًا من هذا لطمَه قاع القناة على وجهه. إنني مقلوب، إنني أغرقُ. تحرَّك شيء تحت يده الضَّاربة بهياج، ثُعبان ماء أو سمكة انزلقَت بين أصابعه. لا يُمكن أن أموت. المِايستر

إيمون سيموت من غيري، ولن يعود لجيلي أحد. يجب أن أسبح، يجب أن...

سمعَ شيئًا ضخمًا يرتطم بالماء، وشعرَ بشيءٍ ما يُطَوِّقه من تحت ذراعيه وحول صدره، وأول ما خطرَ له كان: ثُعبان الماء، الثُّعبان طوَّقني، سيسحبني إلى أسفل. فتحَ فمه ليَصرُخ فابتلعَ المزيد من الماء، وآخِر فكرةٍ دارَت بباله كانت: لقد غرقتُ، أوه، بحقِّ الآلهة، لقد غرقتُ.

حين فتحَ عينيه كان على ظَهره ورجل (جُزر الصَّيف) الأسود الكبير يدقُّ على بطنه بقبضتين ضخمتين. حاولَ سام أن يَصرُخ: توقَّف، إنك تُؤلمني، لكن بدلًا من الكلمات خرجَ منه الماء وشهقَ. كان مبتلًّا عن آخِره ويرتعد على الأرض في بِركةٍ من الماء. لكمَه الرَّجل في بطنه ثانيةً وانبثقَ المزيد من الماء من أنفه، وقالَ سام لاهثًا: «توقَّف، لم أغرق، لم أغرق».

مالَ مُنقذه الأسود الضَّخم عليه والماء يَقطُر منه، وقال: «نعم. أنت مدين لزوندو بريشٍ كثير. الماء أفسدَ معطف زوندو الأنيق».

رأى سام صحَّة هذا في ريشات المعطف المبتلَّة المتَّسخة الملتصقة بكتفَي الأسود الضَّخمتين، وقال: «لم أكن أقصد...».

– «... أن تسبح؟ زوندو رأى. تلويح كثير جدًّا. المفترَض أن يطفو السِّمان»، وأطبقَ الرَّجل على سُترة سام بقبضةٍ سوداء هائلة وسحبَه موقِّفًا إياه، وقال: «زوندو وكيل رُبَّان على (ريح القرفة). لُغاتٍ كثيرة يتكلَّم بعض الشَّيء. في الدَّاخل يضحك زوندو لرؤيتك تَلكُم المغنِّي. وزوندو يسمع»، واتَّسعت ابتسامة بيضاء على وجهه إذ أضافَ: «زوندو يعرف هذه التَّنانين».

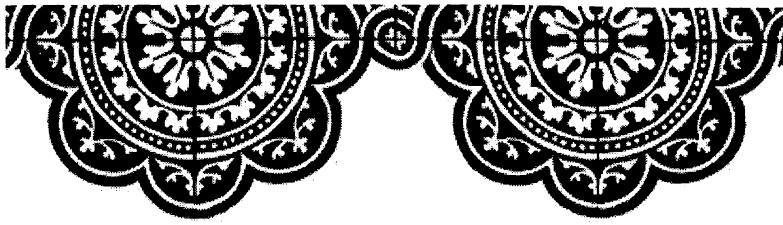

چايمي

- «كنتُ آملُ أنك سئمت من هذه اللِّحية الشَّنيعة. كلُّ هذا الشَّعر يجعلك تُشبِه روبرت». كانت أخته قد نبذَت ثياب الحداد، وبدلًا منها ارتدَت فُستانًا بلون اليَشب الأخضر له كُمَّان من شرائط الزِّينة المايريَّة المفضَّضة، وطوَّقت عُنقها بسلسلةٍ ذهبيَّة تتدلَّى منها زمرُّدة بحجم بيضة حمامة.

- «لحية روبرت كانت سوداء، لحيتي أنا ذهبيَّة».

سألَته سرسي: «ذهبيَّة أم فضِّيَّة؟»، ونتفَت شعرةً من تحت ذقنه، شعرةً شائبةً رفعَتها قائلةً: «الألوان كلُّها تتسرَّب منك يا أخي. لقد صِرت شبحًا للرَّجل الذي كنته، شيئًا باهتًا عاجزًا، وشاحبًا للغاية أيضًا، دائمًا تلبس الأبيض»، ونقرَت الشَّعرة بطرف إصبعها مضيفةً: «أفضِّلك مرتديًا القرمزي والذَّهبي».

وأفضِّلكِ موشَّاةً بنور الشَّمس وقطرات الماء تتلألأ على بشرتِكِ العارية. يُريد أن يُقَبِّلها، أن يحملها إلى غُرفة نومها ويُلقيها على الفِراش... كانت تُضاجِع لانسل وأوزموند كِتبلاك وفتى القمر... «سأعقدُ معكِ صفقةً. أعفيني من هذا الواجب وسأضعُ الموسى تحت أمركِ».

تقلَّص فمها. كانت تشرب النَّبيذ المتبَّل السَّاخن وتتضوَّع منها رائحة جوز الطِّيب. «هل تتجرَّأ وتُساوِمني؟ أعليَّ أن أذكِّرك بأنك أقسمت على الطَّاعة؟».

- «أقسمتُ على حماية الملك، ومكاني إلى جانبه».

- «مكانك أينما يُرسِلك».

- «تومن يختم كلَّ ورقةٍ تضعينها أمامه. هذه فعلتكِ أنتِ، وحماقة. لماذا تُقَلِّدين داڤن حُكم الغرب إذا كنتِ لا تثقين به؟».

جلسَت سرسي على مقعدٍ أسفل النَّافذة، وسألَت چايمي المتطلِّع إلى

أطلال (بُرج اليد) المسودَّة وراءها: «ما الذي يُنَفِّرك هكذا من مهمَّتك أيها الفارس؟ هل فقدت شَجاعتك مع يدك؟».

- «لقد أقسمتُ لليدي ستارك ألَّا أرفع السِّلاح ضد آل ستارك أو تَلي ثانيةً أبدًا».

- «وعد شخصٍ مخمور قطعته وعلى عُنقك سيف مصلت».

- «كيف أدافعُ عن تومن إن لم أكن معه؟».

- «بهزيمة أعدائه. لطالما قال أبونا إن ضربة السَّيف السَّريعة دفاع أفضل من أيِّ تُرس... ولو أنني لا أنكرُ أن معظم ضربات السُّيوف يحتاج إلى يد، لكن حتى الأسد المُعاق يُمكن أن يُثير الخوف. أريدُ (ريقْررَن)، أريدُ برايندن تَلي سجينًا أو ميتًا، وعلى أحدهم أن يُصَحِّح الأوضاع في (هارنهال). إننا في حاجةٍ ماسَّة إلى وايليس ماندرلي، بفرض أنه لا يزال حيًّا وأسيرًا، لكن الحامية لم تردَّ على أيٍّ من غِدفاننا».

ذكَّرها چايمي قائلًا: «مَن في (هارنهال) رجال جريجور. الجبل كان يُفَضِّلهم قساةً وحمقى. على الأرجح أكلوا غِدفانكِ برسائلها».

- «لهذا سأُرسلك. ربما يأكلونك أيضًا يا أخي الشُّجاع، لكنني واثقة بأنك ستُصيبهم بعُسر الهضم»، وسوَّت سرسي تنُّورتها مردفةً: «أريدُ أن يقود السير أوزموند الحَرس الملكي في غيابك».

... كانت تُضاجِع لانسل وأوزموند كتبلاك وربما فتى القمر أيضًا... «الخيار ليس لكِ. إذا كنتُ ذاهبًا لا محالة فسيتولَّى السير لوراس القيادة هنا بدلًا مني».

- «أهذه مزحة؟ أنت تعرف شعوري نحو السير لوراس».

- «لو لم تُرسِلي بالون سوان إلى (دورن)...».

- «أحتاجُ إلى وجوده هناك. أولئك الدورنيُّون ليسوا أهلًا للثِّقة. الثُّعبان الأحمر ناصرَ تيريون، هل نسيت؟ لن أترك ابنتي تحت رحمتهم، ولن أترك لوراس تايرل يقود الحَرس الملكي».

- «السير لوراس أكثر رجولةً من السير أوزموند ثلاث مرَّات».

- «أفكارك عن الرُّجولة تغيَّرت بعض الشَّيء يا أخي».

قال چايمي شاعرًا بغضبته تتصاعَد، «صحيح، السير لوراس لا يُحَملِق إلى ثدييكِ باشتهاءٍ كالسير أوزموند، لكنني لا أفكِّرُ في...».

- «فكِّر في هذه»، ولطمَته سرسي على وجهه.

لم يَحاوِل چايمي أن يصدَّ اللَّطمة، وقال: «أرى أنني في حاجةٍ إلى لحيةٍ أثقل تُلَطِّف تربيت مليكتي». يُريد أن ينتزع فُستانها من عليها ويُحَوِّل ضرباتها إلى قُبلات. لقد فعلَها من قبل، عندما كانت له يدان سليمتان.

قالت الملكة بعينين من الجليد الأخضر: «خيرٌ لك أن تذهب أيها الفارس».

... لانسل وأوزموند كِتلبلاك وفتى القمر...

- «أأنت أصم علاوةً على عاهتك؟ ستجد الباب وراءك أيها الفارس».

رَدَّ چايمي: «أمركِ»، ودارَ على عقبيه وتركَها.

لا بُدَّ أن الآلهة تضحك في مكانٍ ما. سرسي لا تتلقَّى المعارَضة بصدرٍ رحب أبدًا، وهو يعلم هذا. ربما كانت كلمات أرقُّ لتجعلها تستجيب، لكن في الفترة الأخيرة يُغضِبه مجرَّد منظرها.

جزء منه سيُسَرُّ لوضع (كينجز لاندنج) وراءه. إنه لا يُطيق صُحبة المُرائين والبُله المحيطين بسرسي، «المجلس الوضيع» كما يُسَمُّونهم في (جُحر البراغيث) وفق كلام أدام ماربراند. ثم إن كايبرن... ربما أنقذَ الرَّجل حياته، لكنه لا يزال من الممثِّلين السَّفَّاحين، وقد قال چايمي لسرسي منذرًا: «رائحة الأسرار العفنة تفوح من كايبرن»، فردَّت عليه ضاحكةً: «كلُّنا لنا أسرارنا يا أخي».

... كانت تُضاجِع لانسل وأوزموند كِتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا...

أربعون فارسًا ومِثلهم من المُرافقين كانوا ينتظرونه خارج اسطبلات (القلعة الحمراء)، نِصفهم من الغربيِّين المقسمين على الولاء لعائلة لانستر، والآخَرون كانوا أعداءً حتى فترةٍ قريبة قبل أن يُصبِحوا أصدقاءً مشكوكًا فيهم. سيحمل السير درموت ابن (الغابة المطيرة) عَلَم تومن، ورونيت كوننجتون الأحمر راية الحَرس الملكي البيضاء، في حين سيتقاسَم واحد من كلٍّ من آل پايپر وپايج وپكلدون شَرف مُرافقة حضرة القائد. «ضَع أصدقاءك وراء ظَهرك وأعداءك أمام ناظريْك». هكذا نصحَه سَمنر كراكهول ذات يوم... أم أن أباه مَن قالها؟

حصان ركوبه كستنائي غني بالحُمرة، وجواده الحربي فَحل رمادي مطهَّم. سنوات طويلة مرَّت منذ سمَّى چايمي أيًّا من خيوله، إذ رأى كثيرًا منها يموت

في المعارك، وهذا أصعب على النَّفس عندما تكون للخيل أسماء، لكن حين بدأ ابن پايپر يدعو حصانيْه بأونَر وجلوري، ضحكَ چايمي وأجازَ الاسمين. على جلوري كسوة بلون لانستر القرمزي، وعلى أونَر أبيض الحَرس الملكي، وقد أمسكَ چوزمين پكلدون زمام الثَّاني بينما امتطاه السير چايمي. المُرافق نحيل كالحربة، طويل الذِّراعين والسَّاقين، وله شَعر بنِّي كالفئران ووجنتان ينبت منهما الزَّغب النَّاعم، ويرتدي معطف لانستر القرمزي، لكن على سُترته نجمات عائلته الأرجوانيَّة العشر المصفوفة على خلفيَّةٍ صفراء. سألَه الصَّبي: «هل ستُريد يدك الجديدة يا سيِّدي؟».

استحثَّه السير كينوس الكايسي قائلًا: «ضعها يا چايمي، لوِّح بها للعامَّة وامنحهم حكايةً يحكونها لأطفالهم».

- «لا أظنُّ». لن يُري الجماهير كذبةً من ذهب. فليروا العاهة، فليروا المُعاق. «لكن لك حرِّيَّة أن تُعَوِّضهم يا سير كينوس. لوِّح بكلتا يديك وارفُس بقدميك أيضًا إذا أردت»، ولملمَ چايمي العِنان بيُسراه ودارَ بالحصان، ونادي بينما اتَّخذ الباقون تشكيلهم: «پاين، ستركب إلى جواري».

شَقَّ السير إلين پاين طريقه إلى چايمي باديًا كالشَّحَّاذين وسط الأبَّهة المحيطة، وقد ارتدى قميصًا قديمًا من الحلقات المعدنيَّة الصَّدئة فوق سُترةٍ متَّسخة من الجِلد المقوَّى. لا يحمل الرَّجل أو دابَّته أيَّ شعارات نَبالة، وتُرسه بالٍ مكسَّر لدرجةٍ تُصَعِّب معرفة لون الطِّلاء الذي كان يُغَطِّيه. بوجهه الكئيب وعينيه الغائصتين ونظرتهما الخاوية كان المرء ليحسب السير إلين الموت نفسه... وهو الدَّور الذي لعبَه أعوامًا.

لكنه لم يَعُد كذلك. السير إلين هو نِصف الثَّمن الذي طلبَه چايمي كي يبتلع أمر مليكه الصَّبي باعتباره قائد الحَرس الملكي المطيع، والنِّصف الثَّاني هو السير أدام ماربراند. قال لأخته إنه محتاج إليهما، ولم تُعارِضه سرسي. إنها في الغالب مسرورة لخلاصها منهما. السير أدام صديق صِبا چايمي، والجلَّاد الصَّامت كان ينتمي إلى أبيهما إن كان ينتمي إلى أيِّ أحد. كان پاين قائد حَرس يد الملك حين سُمِعَ يقول بزهوٍ إن اللورد تايوين هو مَن يَحكُم (الممالك السَّبع) ويُملي على الملك إيرس ما يفعله، ولأجل هذا قطعَ إيرس تارجاريَن لسانه.

قال چايمي: «افتحوا البوَّابة»، فزعقَ العُفر القوي بصوته الجهوري: «**افتحوا البوَّابة!**».

حين خرجَ مايس تايرل من (بوَّابة الطَّمي) على وقع الطَّبل والكمنجات اصطفَّ ألوف في الشَّوارع لتحيَّته، وانضمَّ صِبية صغار إلى المسيرة ماشين إلى جوار جنود تايرل برؤوسٍ مرفوعة وأرجُلٍ تدقُّ الأرض، بينما رمَت أخواتهم القُبلات من النَّوافذ.

ليس الأمر هكذا اليوم. صاحَت بعض العاهرات داعيات إياهم وهُم يمرُّون، ونادى بائع فطير لحم على بضاعته، وفي (ميدان الأساكفة) كان عُصفوران رثَّا الثِّياب يَخطُبان في عدَّة مئاتٍ من العامَّة داعين بالهلاك على الكافرين وعبدة الشَّياطين. أفسحَ المتزاحمون الطَّريق للمسيرة، ورمقَهم العُصفوران والأساكفة على حَدٍّ سواء بنظراتٍ فاترة، فعلَّق چايمي: «تُعجِبهم رائحة الورد لكنهم لا يحبُّون الأُسود. من الحكمة أن تأخذ أختي هذا بعين الاعتبار». لم يردَّ السير إلين، فقال لنفسه: الرَّفيق المِثالي لرحلةٍ طويلة. سأستمتعُ بمحادثاتي معه.

كان الجزء الأكبر من قوَّته في انتظاره خارج أسوار المدينة؛ السير أدام ماربراند مع جنوده، والسير ستفون سويفت مع قافلة الأمتعة، والسير بونيفر الصَّالح ورجاله الأتقياء المئة، ورُماة سارسفيلد الرَّاكبون، والمِايستر چوليان بأربعة أقفاص مليئة بالغِدفان، ومئتان من الخيول الثَّقيلة تحت قيادة السير فليمنت براكس. ليس جيشًا جرَّارًا بشكلٍ عام، أقل من ألف رجلٍ إجمالًا، على أن الأعداد آخِر ما يحتاجون إليه في (ريڤررَن)، فأحد جيوش لانستر يُحاصِر القلعة بالفعل، وثمَّة قوَّة أكبر من رجال فراي أيضًا. آخِر طائرٍ جاءَهم لمَّحت رسالته إلى أن المحاصِرين يجدون صعوبةً في إطعام أنفُسهم، إذ استولى برايندن تَلي على ما في الأراضي المحيطة بالكامل قبل أن ينسحب وراء أسواره. ولو أنه لم يكن هناك كثير يستولي عليه. مما رأى چايمي في أراضي النَّهر لا يكاد يتبقَّى حقل لم يُحرَق أو بلدة لم تُنهَب أو فتاة لم يُنتهَك عِرضها. والآن تُرسِلني أختي الجميلة لأتمَّ العمل الذي بدأه آموري لورك وجريجور كليجاين. تركَت الفكرة في فمه مذاقًا مريرًا.

على هذه المقربة من (كينجز لاندنج) يعدُّ (طريق الملوك) أكثر أمنًا من

أيِّ طريقٍ آخَر في وقتٍ كهذا، وعلى الرغم من ذلك أرسلَ چايمي ماربراند وكشَّافته لاستطلاع الطَّريق، وقال: «روب ستارك أخذَني على حين غرَّة في (الغابة الهامسة)، ولن يَحدُث ذلك ثانيةً أبدًا».

– «لك كلمتي». يبدو ماربراند مستريحًا بوضوحٍ لوجوده على صهوة حصانٍ من جديد، وقد ارتدى معطف عائلته الرَّمادي الدُّخاني بدلًا من صوف حَرس المدينة الذَّهبي. «إذا دنا أيُّ عدوٍّ أكثر من دستةٍ من الفراسخ فستعرف بوجوده قبلها».

كان چايمي قد أعطى أوامر مشدَّدةً بعدم خروج أحدٍ من الصَّفِّ دون إذنه، فلولا هذا سيجد لورداتٍ صغار يَشعُرون بالملل فيتسابَقون في الحقول ويُشَتِّتون قُطعان الماشية ويدعسون المحاصيل. ما زالَت هناك أبقار وخراف قُرب المدينة، وتفَّاح على الأشجار وتوت في الأجَمات، وسنابل ذُرة وشوفان وقمح شتوي في الحقول، وعربات يد وعربات تجرُّها الثِّيران على الطَّريق، لكن على مسافاتٍ أبعد لن تكون الأمور ورديَّةً هكذا.

يكاد چايمي يحسُّ بالقناعة وهو راكب على رأس الجيش وإلى جواره السير إلين الصَّامت. الشَّمس دافئة على ظَهره والرِّياح تُداعِب شَعره كأصابع امرأة، ولمَّا هرولَ ليو پايپر الصَّغير إليه بمِلء خوذةٍ من التُّوت الأسود أكلَ چايمي حفنةً وقال للصَّبي أن يتقاسَم الباقي مع زُملائه المُرافقين والسير إلين پاين.

يبدو پاين مرتاحًا في صمته مِثلما يرتاح في قميصه المعدني الصَّدئ وجِلده المقوَّى، لا يَصدُر منه صوت إلَّا طقطقة حوافر حصانه المخصي وصلصلة سيفه في غِمده كلَّما عدَّل نفسه فوق سَرجه. على الرغم من وجهه المجدور الكئيب وعينيه الباردتين كالجليد على بُحيرةٍ في الشِّتاء يَشعُر چايمي بأن الرَّجل مسرور لمجيئه. قال لنفسه مذكِّرًا: لقد منحته الخيار. كان بإمكانه أن يَرفُض ويبقى جلَّاد الملك.

كان تعيين السير إلين في منصب عدالة الملك هديَّة زفافٍ من روبرت باراثيون لوالد عروسه، وظيفةً تدرُّ دخلًا بلا جُهدٍ تعويضًا لپاين عن اللِّسان الذي فقدَه في خدمة عائلة لانستر. عملَ الرَّجل سيَّافًا ممتازًا، ولم يُفسِد إعدامًا قَطُّ ونادرًا ما احتاجَ إلى ضربةٍ ثانية، كما أن هناك شيئًا في صمته يُوقِع الخوف في القوب. قلَّما بدا عدالة ملكٍ مناسبًا لمنصبه تمامًا.

حين قرَّر چايمي أن يأخذه سعى إليه في مسكنه في طرف البُرج المسمَّى (مشية الخونة). ينقسم الطَّابق العُلوي من البُرج القصير نِصف المستدير إلى زنازين السُّجناء الذين يتطلَّبون نوعًا من الرَّاحة، الأسرى من الفُرسان وصغار اللوردات الذين ينتظرون دفع فديتهم أو مبادَلتهم، ويقع مدخل الزَّنازين الحقيقيَّة في الطَّابق الأرضي، وراء بابٍ من الحديد المطرَّق وبابٍ ثانٍ من الخشب الرَّمادي المشقَّق، وتضمُّ الطَّوابق الأخرى غُرفًا مخصَّصةً لرئيس السَّجَّانين واللورد قيِّم الاعترافات وعدالة الملك. الأخير جلَّاد، ولكن جرى العُرف على أن يكون مسؤولًا أيضًا عن الزَّنازين ورجالها.

ولهذه المهمَّة تحديدًا لم يكن السير إلين پاين مناسبًا على الإطلاق، فبما أنه لا يقرأ أو يَكتُب أو يتكلَّم، تركَ السير إلين إدارة الزَّنازين لمرؤوسيه، وهُم قلائل. على أن البلاد لم تعرف قيِّمًا للاعترافات منذ عهد دايرون الثَّاني، وآخِر رئيس سجَّانين كان تاجر أقمشةٍ اشترى الوظيفة من الإصبع الصَّغير خلال حُكم روبرت. لا شَكَّ أن الرَّجل أحسنَ الانتفاع من منصبه بضعة أعوام، إلى أن ارتكبَ غلطة التَّآمُر مع عددٍ من الأغنياء الحمقى الآخَرين على إعطاء ستانيس العرش الحديدي. كانوا يُسَمُّون أنفسهم رجال القرون، فدَقَّ چوف في رؤوسهم قرونًا قبل أن يرميهم بالمنجنيق من فوق أسوار المدينة، وهكذا وقعَ فتح باب الزَّنازين لچايمي على عاتق رينيفر لونجووترز، رئيس مُشرفي السَّجَّانين ذي الظَّهر المحني الذي يُسهِب على نحوٍ ممل في ادِّعاء أن في عروقه «قطرة من دماء التَّنانين». قادَه الرَّجل صاعدًا السَّلالم الضيِّقة المنحوتة داخل الجُدران إلى حيث يَسكُن السير إلين پاين منذ خمسة عشر عامًا.

كانت رائحة الطَّعام المتعفِّن تُفعِم الغُرفة، والحصير يعجُّ بالحشرات، وإذ دخلَ چايمي كادَ يتعثَّر في جرذ. رأى سيف پاين العظيم مستقرًّا على طاولةٍ إلى جانب مشحذٍ وقطعةٍ لزجة من القُماش المزيَّت. لا تشوب الفولاذ شائبة، ويلتمع حَدُّه بالأزرق في الضَّوء الشَّاحب، لكن فيما عدا ذلك تناثَرت أكوام الثِّياب المتَّسخة على الأرض، وقِطع الحلقات المعدنيَّة والدُّروع الملقاة هنا وهناك مبقَّعة بالصَّدأ الأحمر، ولم يستطِع چايمي إحصاء آنية النَّبيذ المكسورة. الرَّجل لا يعبأ إلَّا بالقتل، قال لنفسه بينما خرجَ السير إلين من غُرفة نومٍ تفوح منها رائحة أوعية الفضلات الطَّافحة. خاطبَ الرَّجل قائلًا:

«صاحِب الجلالة طلبَ مني أن أستردَّ أراضي نهره. أريدك معي... إذا كنت تطيق التَّخلِّي عن كلِّ هذا».

جاوبَه الصَّمت، ونظرة طويلة بعينين لا تطرفان، لكن قُبيل أن يلتفت ليُغادِر أومأَ پاين برأسه موافقًا.

رمقَ چايمي رفيقه مفكِّرًا: وها هو ذا راكب معي. ربما لم يزل هناك أمل لكلينا.

ليلتها خيَّموا أسفل قلعة عائلة هايفورد القائمة فوق تلِّها. مع ميل الشَّمس إلى المغيب ارتفعَت مئة خيمة عند سفح التَّل على ضفاف الجدول الجاري إلى جواره، وعيَّن چايمي الحراسة بنفسه. لا يتوقَّع متاعب على هذا القُرب من المدينة، لكن عمَّه ستافورد حسبَ نفسه آمنًا في (أوكسكروس) أيضًا، والأفضل ألَّا يُجازِف.

حين وصلَت الدَّعوة من أعلى لأن يتناوَل العَشاء مع أمين قلعة الليدي هايفورد، أخذَ چايمي معه السير إلين بالإضافة إلى السير أدام ماربراند والسير بونيفر هاستي ورونيت كوننجتون الأحمر والعُفر ومجموعةٍ أخرى من الفُرسان وصِغار اللوردات، وقبل أن يصعد قال لپك: «أظنُّ أن عليَّ أن أضع اليد».

جلبَها الصَّبي في الحال. اليد مطرَّقة من الذَّهب، يُحاكي تكوينها يدًا حقيقيَّةً بشدَّة، ومرصَّعة بأظفار من عِرق اللُّؤلؤ، وأصابعها الخمسة نِصف مغلقةٍ بحيث تُحيط بساق الكأس. قال لنفسه بينما أحكمَ الصَّبي عقد الأربطة التي تُثبِّتها إلى جَدعته: لا أستطيعُ القتال لكني أستطيعُ أن أشرب. عندما ركَّبها صانع السِّلاح على معصم چايمي أول مرَّةٍ قال له مؤكِّدًا: «سيدعوك النَّاس بذي اليد الذَّهبيَّة من الآن فصاعدًا يا سيِّدي». كان مخطئًا. سيأتي قاتِل الملك إلى أن أموت.

كانت اليد الذَّهبيَّة محطَّ العديد من تعليقات الإعجاب خلال العَشاء، على الأقل حتى خبطَ چايمي كأس نبيذٍ وأسقطَها، وعندها تمكَّن منه حنقه، وقال لفليمنت براكس: «إذا كانت اليد اللَّعينة تُعجِبك لهذه الدَّرجة فابتُر يد سيفك وخُذها».

بَعدها سكتَ الكلام عن يده تمامًا، واستطاعَ أن يشرب القليل من النَّبيذ في سلام.

تنتمي سيِّدة القلعة إلى عائلة لانستر بالزَّواج، وهي طفلة ممتلئة لا تزال تتعلَّم المشي زُوِّجَت بتايرك ابن عمِّه قبل أن تتمَّ العام. حسب الأصول جيءَ بالليدي إرميساند وعُرِضَت على الضُّيوف لأجل استحسانهم، وقد ألبَسوها فُستانًا صغيرًا من قُماش الذَّهب عليه رمز عائلة هايفورد -الشَّبكة الخضراء المائلة والخَطُّ المموَّج الأخضر الباهت- مشغولًا بحبَّات اليَشب. لكن سرعان ما انفجرَت الصَّغيرة في البُكاء، وبلا إبطاءٍ حملَتها مُرضعتها إلى الفِراش.

بينما يُقَدَّم طبق سَمك الترويت سألَ أمين القلعة: «ألا توجَد أخبار عن اللورد تايرك؟».

- «إطلاقًا». اختفى تايرك لانستر في أثناء الشَّغب في (كينجز لاندنج) وقت أن كان چايمي نفسه أسيرًا في (ريڤررَن)، وبافتراض وجوده على قيد الحياة فقد بلغَ الصَّبي الرَّابعة عشرة.

علَّق السير أدام ماربراند وهو يُزيل شوك سمكته: «قدتُ بحثًا بنفسي بأمر اللورد تايوين، لكني لم أجد أكثر مما وجدَه بايووتر من قبلي. آخِر مرَّةٍ شُوهِد الصَّبي كان على متن حصانه حين اخترقَ الغوغاء صفوف ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، لكن بَعدها... لقد عُثِرَ على حصانه من دون الرَّاكب. على الأرجح سحبوه من فوقه وقتلوه، لكن إذا كان هذا ما حدثَ، فأين الجثَّة؟ الغوغاء تركوا الجُثث الأخرى، فلِمَ ليس هو أيضًا؟».

قال العُفر: «قيمته أعلى حيًّا. أيَّ لانستر يستحقُّ فديةً ضخمةً».

رَدَّ ماربراند: «لا شَك، لكن لا أحد طلبَ فديةً بتاتًا. الصَّبي اختفى ببساطة».

- «الصَّبي ماتَ». كان چايمي قد شرِبَ ثلاثة كؤوس نبيذ، ويَشعُر بيده الذَّهبيَّة تزداد ثِقلًا وخرَقًا بمرور كلِّ لحظة. سينفعني خُطَّاف بالقدر نفسه. «إذا تبيَّنوا مَن قتلوا فلا ريب أنهم ألقوه في النَّهر خشية غضبة أبي. إنهم يعرفون مذاقها في (كينجز لاندنج). اللورد تايوين كان يُسَدِّد ديونه دائمًا».

أيَّده العُفر قائلًا: «دائمًا»، وبهذا انتهى الكلام في الموضوع.

لكن لاحقًا، وهو وحده في غُرفة البُرج التي أنزَلوه فيها اللَّيلة، وجدَ چايمي نفسه يتساءَل. تايرك خدمَ الملك روبرت كمُرافق جنبًا إلى جنب لانسل، ومن

شأن المعرفة أن تكون أثمن من الذَّهب ومميتةً أكثر من الخنجر. عندئذٍ فكَّر في ڤارس مبتسمًا وتفوح منه رائحة الخُزامى. كان للخصيِّ مُخبرون وجواسيس في جميع أنحاء المدينة، ولكان سهلًا عليه للغاية أن يُرَتِّب لاختطاف تايرك وسط البلبلة... بفرض أنه عرفَ باندلاع شغب الرَّعاع مسبقًا. وڤارس كان يعرف كلَّ شيء، أو أنه أرادَنا أن نعتقد هذا، لكنه لم يُحَذِّر سرسي من الشَّغب، ولا نزلَ إلى الرَّصيف لوداع مارسلا.

فتحَ النَّافذة ليَشعُر بالبرودة تتوغَّل في اللَّيل، والتمعَت يده في ضوء القمر المُحاق الشَّاحب. لا تَصلُح لخنق المخصيِّين لكنها ثقيلة بما فيه الكفاية لتهشيم ذلك الوجه الباسم اللَّزج وتحويله إلى خرابٍ أحمر. يُريد أن يضرب أحدًا.

عثرَ چايمي على السير إلين يشحذ سيفه العظيم، وقال له: «حانَ الوقت»، فنهضَ الجلَّاد وتبعَه، يحتكُّ حذاؤه الجِلد المشقَّق بالدَّرجات الحجريَّة العالية بينما ينزلان. ينفتح مستودَع السِّلاح على ساحةٍ صغيرة، وهناك وجدَ تُرسين وخوذتين قصيرتين وسيفَي مباريات مثلومَيْن، ناولَ پاين أحدهما وحملَ الثَّاني بيُسراه ودَسَّ اليُمنى في أحزمة تُرسه الجِلديَّة. أصابعه الذَّهبيَّة منحنية بما يكفي للإمساك بالأحزمة لكن لا يُمكنها الإطباق عليها، فلم يستطِع حمل التُّرس بإحكام.

قال چايمي: «كنتَ فارسًا ذات يوم، وأنا كذلك. لنرَ مَن نحن الآن».

رفعَ السير إلين سيفه ردًّا، وتحرَّك چايمي منقضًّا عليه من فوره. كانت مهارة پاين صدئةً كقميصه المعدني، وقوَّته ليست مفرطةً كبريان، لكنه قابلَ كلَّ ضربةٍ بسيفه أو اعترضَها بتُرسه. رقصا تحت المُحاق والنَّصلان المثلومان يُرَدِّدان أغنيَّتهما الفولاذيَّة، وقنعَ الفارس الصَّامت بترك چايمي يقود الرَّقصة بعض الوقت، لكنه بدأ أخيرًا يردُّ الضَّربة بالضَّربة، وحالما انتقلَ من الدِّفاع إلى الهجوم أصابَ چايمي على فخذه وكتفه وساعِده، وثلاث مرَّاتٍ دَقَّ رأسه بضرباتٍ سدَّدها إلى خوذته، وانتزعَت أخرى تُرسه من ذراعه اليُمنى وكادَت تُمَزِّق الأحزمة التي تربط يده الذَّهبيَّة بجَدعته. حين خفضا سيفيهما كان مكدومًا جريحًا، لكن أثر النَّبيذ زالَ تمامًا وصفا رأسه. وعدَ السير إلين قائلًا: «سنَرقُص ثانيةً، غدًا وبَعد غد. كلَّ يومٍ سنَرقُص إلى أن أجيد القتال بيُسراي كما كنتُ أجيده بيُمناي».

فتحَ السير إلين فمه وأصدرَ طقطقةً، وبَعد لحظةٍ أدركَ چايمي أنه يضحك، والتوى شيء ما في أعماقه.

في الصَّباح لم يتجرَّأ أحد الآخَرين ويَذكُر كدماته، ويبدو أن أحدًا منهم لم يسمع أصوات المبارَزة ليلًا، لكن لدى نزولهم التَّلَّ إلى المعسكَر أفصحَ ليو پايپر الصَّغير عن السُّؤال الذي لم يَجسُر الفُرسان وصغار اللوردات على إلقائه، فرَدَّ عليه چايمي بابتسامةٍ عريضة: «عندهم فتيات شبِقات في عائلة هايفورد. هذه لدغات حُب يا فتى».

يوم آخَر مشرق قويُّ الرِّيح مَرَّ عليهم، تبعَه يوم غائم ثم ثلاثة أيام من المطر، لكن الرِّيح والماء لم يصنعا فرقًا، وحافظَ الرَّكب على سُرعة تقَدُّمه شمالًا على (طريق الملوك). كلَّ ليلةٍ يجد چايمي مكانًا منعزلًا ليجني المزيد من لدغات الحُب، وهكذا تبارَزا داخل اسطبلٍ بينما تفرَّج عليهما بغل أعور، وفي قبو خانٍ وسط براميل النَّبيذ والمِزر، وفي حظيرةٍ حجريَّة لم يتبقَّ منها إلَّا هيكلها المسودُّ، وعلى جزيرةٍ مشجَّرة في جدولٍ ضحل، وفي حقلٍ مفتوح والمطر يُطَقطِق بنعومةٍ على خوذتيهما وتُرسيهما.

اختلقَ چايمي الأعذار للذَّهاب في غزواته اللَّيليَّة، لكنه ليس بالحماقة التي تجعله يخال الآخَرين يُصَدِّقونها. مؤكَّد أن أدام ماربراند يعرف ما يفعله، ولا بُدَّ أن بعض غيره من القادة خمَّنوه، لكن لا أحد ذكرَ هذا على مسمعٍ منه... وبما أن الشَّاهد الوحيد بلا لسانٍ فليس هناك ما يدعو چايمي إلى خشيةً أن يعرف أحد كم أصبحَ قاتِل الملك مُبارزًا فاشلًا.

سرعان ما لاحَت آثار الحرب في كلِّ حدبٍ وصوب. في الحقول التي ينبغي أن يَنضُج فيها القمح الخريفي تنمو الحشائش والأشواك والشُّجيرات الكثيفة بارتفاع رأس الحصان، و(طريق الملوك) خالٍ من المُسافرين، والذِّئاب تَحكُم العالم المتعَب من الغسق إلى الفَجر. أكثر الحيوانات حذرٌ بما يكفي للاحتفاظ بمسافةٍ بينه وبينهم، لكن حصان أحد كشَّافة ماربراند هوجِمَ وقُتِلَ عندما ترجَّل الرَّجل ليتبوَّل، فأعلنَ السير بونيفر الصَّالح بوجهه الصَّارم الحزين: «لا حيوان يتمتَّع بهذه الجرأة. تلك شياطين في فرو ذئاب، أُرسِلَت لتُعاقِبنا على آثامنا».

قال چايمي الواقف فوق بقايا الحيوان المسكين: «لا بُدَّ أنه كان حصانًا آثمًا للغاية إذن»، وأمرَ بتقطيع بقيَّة الجثَّة وتمليح اللَّحم، فربما يحتاجون إليه.

في مكانٍ اسمه (قرن الخنزيرة) وجدوا فارسًا عجوزًا متين البنيان يُسَمَّى السير روچر هوج قابعًا بعنادٍ في بُرجه مع ستَّة جنود وأربعةٍ من رُماة النُّشَّابيَّة ونحو عشرين من الفلَّاحين. السير روچر رجل كبير الحجم غزير الشَّعر كالخنازير، واقترحَ السير كينوس أنه ربما يكون ابنًا مفقودًا لآل كراكهول، بما أن رمزهم خنزير برِّي مخطَّط، وقد بدا أن العُفر يعتقد هذا، إذ أمضى ساعةً يستجوب السير روچر عن أسلافه بمنتهى الجدِّيَّة.

أمَّا چايمي فاهتمَّ أكثر بما لدى الرَّجل أن يقوله عن الذِّئاب، فأخبرَه الفارس العجوز: «واجَهنا متاعب من جماعةٍ من ذئاب النَّجمة البيضاء إياهم. كانوا يتشمَّمون أثرك يا سيِّدي لكننا طردناهم، ودفنَّا ثلاثةً منهم عند حقل اللِّفت. قبلهم جاءَ قطيع من الأُسود اللَّعينة، لا تُؤاخِذني. كان على تُرس قائدهم مانتيكور».

فسَّر چايمي: «السير آموري لورك. السيِّد والدي أمرَه بالإغارة على أراضي النَّهر».

رَدَّ السير روچر بقوَّة: «التي لسنا جزءًا منها. إنني أدينُ بالولاء لعائلة هايفورد، والليدي إرميساند تحني هامتها الصَّغيرة لـ(كينجز لاندنج)، أو أنها ستفعل عندما تتعلَّم المشي. أخبرته بهذا، لكن لورك رفضَ الإصغاء، وذبحَ نِصف خرافي وثلاثًا من الماعز الحلوب الممتازة، وحاولَ أن يشويني في بُرجي، لكن جُدراني من الحجر المصمت وسُمكها ثمانية أقدام، فرحلَ شاعرًا بالملل بَعد أن خمدَت ناره. لاحقًا أتَت الذِّئاب ذات السِّيقان الأربع وأكلَت الخراف التي تركَها لي المانتيكور. حصلتُ على بضع فرواتٍ لا بأس بها على سبيل التَّعويض، لكن الفرو لا يُشبع الجائعين. ماذا نفعل يا سيِّدي؟».

أجابَ چايمي: «ازرعوا وصلُّوا من أجل حصادٍ أخير». ليست إجابةً مفعمةً بالأمل، لكنها الوحيدة التي لديه.

في اليوم التَّالي عبروا النُّهير الذي يُعَيِّن الحدود بين الأراضي المدينة بالولاء لـ(كينجز لاندنج) وتلك المدينة به لـ(ريڤررَن). رجعَ المِايستر چوليان إلى خريطةٍ ثم أعلنَ أن هذه التِّلال تابعة للأخوين وود، وهما فارسان من مُلَّاك الأراضي مقسمان على الولاء لـ(هارنهال)... لكن مقرَّهم هُم مبنيٌّ من التُّربة والخشب، ولم يتبقَّ منه إلَّا العوارض المتفحِّمة.

لم يظهر الأخوان وود أو أيٌّ من قومهم، وإن كان عدد من الخارجين عن القانون أوى إلى القبو الأدنى تحت حصن الأخ الثَّاني، وقد ارتدى أحدهم أسمال معطفٍ قرمزي، لكن چايمي شنقَه مع الباقين. أحسَّ بالرَّاحة. هذه هي العدالة. اجعلها عادةً يا لانستر وربما يأتي يوم ويدعوك النَّاس بذي اليد الذَّهبيَّة حقًّا، ذي اليد الذَّهبيَّة العادل.

باتَ العالم أكثر اكفهرارًا مع دنوِّهم من (هارنهال)، وركبوا تحت سماءٍ رماديَّة ملبَّدة وإلى جوار مياهٍ قديمة تلتمع بالبرد كصفائح الفولاذ المطرَّق. وجدَ چايمي يتساءَل إن كانت بريان قد سبقَته إلى المرور من هذا الطَّريق. إذا حسبَت أن سانزا ستارك توجَّهت إلى (ريڤررَن)... لو قابَلوا مُسافرين غيرهم لتوقَّف وسألَ إن كان أحدهم قد صادفَ فتاةً جميلةً بشَعرٍ كستنائي أو واحدةً كبيرةً قبيحةً لها وجه يُخَثِّر الحليب، لكن لا أحد على الطُّرق إلَّا الذِّئاب، وليست في عُوائها إجابة.

عبر مياه البُحيرة الرَّماديَّة كالقصدير ظهرَت أبراج حماقة هارن الأسود أخيرًا، خمسة أصابع ملتوية من الحجارة السَّوداء المشوَّهة تُحاوِل بلوغ عَنان السَّماء. على الرغم من تنصيب الإصبع الصَّغير سيِّدًا على (هارنهال) فلا يبدو أنه متعجِّل على احتلال مقرِّه الجديد، وهكذا وقعَ على كاهل چايمي لانستر أن «يُسَوِّي الأمور» في (هارنهال) في طريقه إلى (ريڤررَن).

ولا شَكَّ لديه في أن الأمور في حاجةٍ إلى تسوية. كان جريجور كليجاين قد انتزعَ القلعة الهائلة الكئيبة من الممثِّلين السَّفَّاحين قبل أن تستدعيه سرسي إلى (كينجز لاندنج)، ومؤكَّد أن رجال الجبل ما زالوا متناثرين في الدَّاخل بلا هدف، لكنهم ليسوا مهيَّئين لمهمَّة إعادة سلام الملك إلى (الثَّالوث). السَّلام الوحيد الذي نالَه أحد من شرذمة السير جريجور هو سلام القبر.

كان كشَّافة السير أدام قد بلَّغوهم بأن بوَّابة (هارنهال) مغلقة وموصدة، فصَفَّ چايمي رجاله أمامها وأمرَ السير كينوس الكايسي بالنَّفخ في بوق هيروك الأسود الملتوي المطوَّق بالذَّهب القديم.

حين تردَّدت ثلاث دفقاتٍ على الأسوار سمعوا أنين المِفصلات الحديد وانفتحَت البوَّابة ببُطء. أسوار حماقة هارن الأسود سميكة للغاية، حتى إن چايمي مَرَّ من تحت دستةٍ من فتحات الدِّفاع قبل أن يَخرُج فجأةً إلى ضوء

الشَّمس في السَّاحة التي ودَّع فيها الممثِّلين السَّفَّاحين قبل فترةٍ ليست بالطَّويلة. كانت الحشائش تنبت من الأرض الصُّلبة، والذُّباب يئزُّ حول جثَّة حصان.

خرجَت حفنة من أتباع السير جريجور من الأبراج وشاهَدوه يترجَّل، رجال قُساة الأعيُن قُساة الأفواه عن آخِرهم. لا بُدَّ أن يكونوا كذلك ليركبوا في صُحبة الجبل. أفضل ما يُمكن أن يُقال عن رجال جريجور إنهم ليسوا كريهين عنيفين كرِفقة الشُّجعان، وقد اندفعَ جندي أشيب منهم يقول: «فتحلَّ بي اللَّعنة، إنه چايمي لانستر. إنه قاتِل الملك التَّعس يا أولاد. فلتنكني حربة!».

سألَه چايمي: «مَن أنت؟».

قال الرَّجل: «سيِّدنا كان يدعوني بفم الخراء، بَعد إذن سيِّدي»، وبصقَ في يديه ومسحَ بهما وجنتيه، كأن هذا سيجعل منظره مقبولًا أكثر.

– «بديع. هل أنت القائد هنا؟».

– «أنا؟ تبًّا، لا يا سيِّدي، فلتنكني حربة لعينة». في لحية المدعو فم الخراء فُتات طعام يكفي لإطعام الحامية بأكملها. ضحكَ چايمي رغمًا عنه، فاعتبرَ الرَّجل هذاً تشجيعًا، وكرَّر: «فلتنكني حربة لعينة»، وبدأ يضحك بدوره.

قال چايمي لإلين پاين: «سمعتَ الرَّجل. جِد حربةً طويلةً جيِّدةً ودُسَّها في دُبره».

لا يحمل السير إلين حرابًا، لكن سَرَّ چون بتلي الحليق أن يُلقي إليه واحدةً، ليَبتُر فم الخراء ضحكاته السَّكرانة قائلًا: «أبعِد هذا الشَّيء اللَّعين عني».

قال چايمي: «احزم أمرك. لمَن القيادة هنا؟ هل عيَّن السير جريجور أمينًا للقلعة؟».

أجابَه رجل آخَر: «پوليڤر، لكن كلب الصَّيد قتلَه يا سيِّدي، هو والمُدغدِغ، بالإضافة إلى صبيِّ سارسفيلد».

كلب الصَّيد مرَّةً أخرى. «أأنت واثق بأنه كان ساندور؟ هل رأيتموه».

– «ليس نحن يا سيِّدي. صاحِب الخان أخبرَنا».

– «حدثَ هذا في الخان على مفترَق الطُّرق يا سيِّدي». المتكلِّم رجل أصغر سِنًّا له شَعر رملي، ويضع حول عُنقه سلسلة العُملات التي كانت ملكًا لڤارجو هوت؛ عُملات من عشرات المدائن البعيدة، ذهب وفضَّة ونُحاس وبرونز، مربَّعة ومدوَّرة ومثلَّثة، وحلقات وقِطع من العظم. «صاحِب الخان

أقسمَ أن جانب وجه الرَّجل محترق، وقالت عاهراته الكلام نفسه. كان مع ساندور صبيٌّ ما، ابن فلَّاح يرتدي ثيابًا رثَّةً. قيل لنا إنهما مزَّقًا پولي والمُدغدِغ إربًا وركبا نحو (الثَّالوث)».

– «هل أرسلتم رجالًا في أعقابهما؟».

تجهَّم وجه فم الخراء كأن الفكرة في حَدِّ ذاتها مؤلمة، وقال: «لا يا سيِّدي، فلنُنَك جميعًا، لم نُرسِل أحدًا».

– «عندما يُصاب الكلب بالسُّعار يُذبَح».

فركَ الرَّجل فمه قائلًا: «ذلك الخراء پولي لم أحبَّه قَطُّ، والكلب كان أخا سيِّدنا، فـ...».

تدخَّل صاحِب سلسلة العُملات قائلًا: «نحن سيِّئون يا سيِّدي، لكن مَن يُواجِه كلب الصَّيد يجب أن يكون مجنونًا».

تطلَّع إليه چايمي مفكِّرًا: أجرأ من البقيَّة وليس سكران كفم الخراء. «كنتم خائفين منه».

– «لا أقول إننا كنا خائفين يا سيِّدي، بل إننا تركناه لمَن هُم أفضل منا، لأحدٍ مِثل سيِّدنا، أو مِثلك».

مِثلي حينما كانت لي يدان. لا يُخادِع چايمي نفسه. الآن يستطيع ساندور أن يفتك به في لحظات. «ألك اسم؟».

– «رافورد، بَعد إذن سيِّدي. يدعونني براف».

– «راف، اجمع الحامية في (قاعة المئة مستوقَد). وأسراكم أيضًا، أريدُ أن أراهم. وعاهرات مفترَق الطُّرق كذلك. أوه، وهوت. أحزنَني أن أسمع بموته، وأريدُ أن أرى رأسه».

حين أتوه به ألفى شفتَي الكبش مقطوعتين، بالإضافة إلى أُذنيه ومعظم أنفه، وكانت الغِربان قد التهمَت عينيه، وإن ظَلَّ تعرُّفه كهوت ممكنًا، إذ كان چايمي ليعرف لحيته في أيِّ مكان، حبل الشَّعر السَّخيف الذي يتدلَّى من ذقنٍ مدبَّب بطول قدمين، لكن فيما عدا هذا لم يتبقَّ على جمجمة الكوهوري إلَّا قِطع يابسة من اللَّحم. سألَ چايمي: «أين بقيَّته؟».

لم يرغب أحد في إخباره، وفي النِّهاية خفضَ فم الخراء بصره، وغمغمَ: «تعفَّن يا سيِّدي، وأُكِلَ».

قال رافورد: «أحد الأسرى كان يتوسَّل الطَّعام دائمًا، فقال سيِّدنا أن نُطعِمه لحم الكبش المشوي. لم يكن في جسد الكوهوري لحم كثير، وقطعَ سيِّدنا يديه وقدميه أولًا، ثم ذراعيه وساقيه».

أضافَ فم الخراء: «البدين اللَّعين حصلَ على أغلبه يا سيِّدي، لكن سيِّدنا قال أن نحرص على أن يذوق جميع الأسرى اللَّحم، وهوت أيضًا، لحم نفسه. كان ريق ابن العاهرة يجري عندما نُطعِمه والدُّهن يسيل على لحيته الرَّفيعة هذه».

كلا كلبيك أصابَه السُّعار يا أبي. وجدَ نفسه يتذكَّر حكاياتٍ سمعَها أول مرَّةٍ في طفولته في (كاسترلي روك)، عن الليدي لوثستون المجنونة التي كانت تستحمُّ في أحواضٍ ملأى بالدِّماء وتُشرِف على ولائم من اللَّحم البَشري في هذه القلعة بالذَّات.

بوسيلةٍ ما فقدَ الانتقام مذاقه الحُلو، فقال چايمي لِبِك: «خُذ هذه وألقِها في البُحيرة»، ورماها له ثم التفتَ يُواجِه الحامية قائلًا: «إلى أن يحين الوقت ويأتي اللورد پيتر ليتَّخذ مقرَّه، سيتولَّى السير بونيفر هاستي قيادة (هارنهال) باسم التَّاج. مَن يرغب منكم في الانضمام إليه فلينضمَّ إذا قبلَه، والبقيَّة ستركب معي إلى (ريڤررَن)».

تطلَّع بعض رجال الجبل إلى بعض، ثم قال أحدهم: «إن لنا دينًا. سيِّدنا وعدَنا، قال إننا سننال مكافآت سخيَّة».

وافقَه فم الخراء قائلًا: «كلامه بالضَّبط: مكافآت سخيَّة لمَن يركبون معي»، وبدأ دستة من الآخَرين يُتَمتِمون مؤيِّدين.

رفعَ السير بونيفر يده المقفَّزة قائلًا: «كلُّ رجلٍ يبقى معي هنا سيَحصُل على قطعةٍ من الأرض يعمل فيها، وقطعةٍ ثانية عندما يتزوَّج، وثالثة عند مولد طفله الأول».

قال فم الخراء بحدَّة: «أرض يا سيِّدي؟ بول على هذا! لو أردنا أن نعزق التُّربة اللَّعينة لبقينا في ديارنا، لا تُؤاخِذني أيها الفارس. سيِّدنا قال مكافآت سخيَّة، أي الذَّهب».

قال چايمي: «إذا كانت لديكم شكوى فاذهبوا إلى (كينجز لاندنج) واعرضوها على أختي الجميلة»، والتفتَ إلى رافورد قائلًا: «سأرى الأسرى الآن، بدايةً بالسير وايليس ماندرلي».

سألَه رافورد: «أهو السَّمين؟».

– «آملُ هذا بشدَّة، ولا تحكِ لي قصَّة حزينةً عن موته وإلَّا سيَحدُث المِثل لكم جميعًا».

خابَت كلُّ آمالٍ راودَته في العثور على شاجويل أو پيج أو زولو في الزَّنازين، إذ يبدو أن رجال رِفقة الشِّجعان قد تخلَّوا عن ڤارجو هوت عن آخِرهم. من قوم الليدي وِنت تبقَّى ثلاثة فحسب؛ الطَّاهي الذي فتحَ البوَّابة الجانبيَّة للسير جريجور، وصانع سلاحٍ محنيُّ الظَّهر اسمه بن ذو الإبهام الأسود، وفتاة اسمها پيا لم تَعُد جميلةً كما كانت حين رآها چايمي آخِر مرَّة. أحدهم كسرَ أنفها وحطَّم نِصف أسنانها، ولمَّا رأته الفتاة ارتمَت على قدميه باكيةً متمسِّكةً بساقيه بقوَّةٍ جنونيَّة، إلى أن سحبَها العُفر عنه.

قال لها چايمي: «لا أحد سيُؤذيكِ الآن»، لكن قوله لم يُفلِح إلَّا في جعل بُكائها يتصاعَد.

لاقى السُّجناء الآخَرون معاملةً أفضل. كان السير وايليس ماندرلي بينهم، ومعه عدَّة شماليِّين عوالي المقام أسرَهم الجبل راكب الخيول في أثناء القتال في مخاضات (الثَّالوث)، رهائن مفيدون يستحقُّون فديةً كبيرةً، كلُّهم متَّسخ رَثُّ الثِّياب أشعث الشَّعر، وبعضهم لديه كدمات حديثة وأسنان مكسورة وأصابع مفقودة، لكن جروحهم مغسولة مضمَّدة، ولا أحد منهم يُعاني الجوع. تساءلَ چايمي إن كانت لدى أيِّهم أدنى فكرة عمَّا كانوا يأكلونه، وقرَّر أن من الأفضل ألَّا يسأل.

لم يتبقَّ في أحدٍ منهم تحدٍّ، لا سيَّما السير وايليس السَّمين بلحيته الكثَّة وعينيه الفاترتين ولُغده الشَّاحب المتدلِّي، وحين أخبرَه چايمي بأن هناك من سيصطحبه إلى (بِركة العذارى) كي يوضَع على متن سفينةٍ إلى (الميناء الأبيض)، خَرَّ السير وايليس على رُكبتيه على الأرض وانفجرَ في بُكاءٍ أعلى وأطول من پيا، وتطلَّب الأمر أربعة رجالٍ لإعادته إلى الوقوف على قدميه. قال چايمي لنفسه: لحم كبش مشوي كثير للغاية. بحَقِّ الآلهة، لكم أمقتُ هذه القلعة. في أعوامها الثَّلاثمئة شهدَت (هارنهال) أهوالًا أكثر من (كاسترلي روك) خلال ثلاثة آلاف عام.

أمرَ چايمي بإشعال النَّار في (قاعة المئة مستوقَد)، وأرسلَ الطَّاهي مسرعًا

إلى المطبخ ليعدَّ وجبةً ساخنةً لرجاله قائلًا له: «أيَّ شيءٍ إلَّا لحم الكباش».

تناولَ عَشاءه في (قاعة الصَّيَّادين) مع السير بونيفر هاستي، وهو رجل نحيل وقور ينزع إلى تتبيل كلامه بذِكر الآلهة السَّبعة. «لا أريدُ أيًّا من أتباع السير جريجور»، أعلنَ الرَّجل وهو يُقَطِّع حبَّة كُمَّثرى ذابلةً مِثله، كأنما يحرص على ألَّا يُبَقِّع عصيرها المعدوم سُترته الأرجوانيَّة التي لا تشوبها شائبة، والمطرَّز عليها الشَّريط المائل رمز عائلته. «لن أسمح بوجود خُطاةٍ أمثالهم في خدمتي».

– «اعتادَ سِپتوني أن يقول إن كلَّ البَشر خُطاة».

رَدَّ السير بونيفر: «لم يكن مخطئًا، لكن ثمَّة خطايا أكثر سوادًا من غيرها، ورائحتها أكثر عفنًا في أنوف (السَّبعة)».

إذن فمِثل أخي الصَّغير لا أنف لك، وإلَّا لجعلَت خطاياي حبَّة الكُمَّثرى هذه تسدُّ حَلقك. «ليكن، سأريحك من شرذمة جريجور». يستطيع دائمًا أن يستفيد من المُقاتلين، وإن لم يكن لغرضٍ آخَر فيُمكنه أن يُرسِلهم لصعود السَّلالم أولًا إذا اضطرَّ إلى اقتحام (ريڤررَن).

قال السير بونيفر بإلحاح: «خُذ العاهرة أيضًا. أنت تعرفها، تلك الفتاة من الزَّنازين».

– «پيا». آخِر مرَّةٍ كان هنا أرسلَ كايبرن الفتاة إلى فِراشه معتقدًا أن هذا سيسرُّه، لكن پيا التي أتوا بها من الزَّنازين مخلوقة مختلفة عن تلك الحُلوة البسيطة الضَّحوك التي دسَّت نفسها تحت أغطيته. ارتكبَت الفتاة غلطة الكلام في وقتٍ أرادَ فيه السير جريجور الهدوء، فحطَّم الجبل أسنانها بقبضته المقفَّزة بالحلقات المعدنيَّة وكسرَ أنفها الجميل الصَّغير أيضًا، ولا ريب أنه كان ليفعل بها ما هو أسوأ لو لم تستدعِه سرسي إلى (كينجز لاندنج) ليُواجِه حربة الأُفعوان الأحمر. لن يبكيه چايمي. قال للسير بونيفر: «پيا مولودة في هذه القلعة. إنها البيت الوحيد الذي تعرفه».

– «إنها نبع فساد. لا أريدها قُرب رجالي تتميَّع بـ... بمفاتنها».

– «أعتقدُ أن أيام ميوعتها ولَّت، لكن ما دُمت تجدها منفِّرةً لهذه الدَّرجة فسآخذها». يُمكنه أن يُشَغِّلها غسَّالةً. مُرافقوه لا يُمانِعون أن يَنصُبوا خيمته ويسوسوا حصانيه ويُنَظِّفوا دِرعه، لكنهم يجدون واجب غسل ثيابه لا يليق

بالرِّجال. سألَ چايمي: «هل تستطيع السَّيطرة على (هارنهال) بأتقيائك المئة فقط؟». المفترَض أن يكون اسمهم الأتقياء الستَّة وثمانون، إذ فقدوا أربعة عشر رجلًا في معركة (النَّهر الأسود)، لكن مؤكَّد أن السير بونيفر سيُعَوِّض النَّقص حالما يَعثُر على مجنَّدين يرى فيهم الورع المطلوب.

- «لا أتوقَّعُ متاعب. (العجوز) ستُنير طريقنا و(المُحارب) سيبثُّ القوَّة في أذرُعنا».

أو سيزور (الغريب) جماعتكم المؤمنة كلَّها. لا يدري چايمي مَن بالضَّبط أقنعَ سرسي بتعيين السير بونيفر أمينًا للقلعة في (هارنهال)، لكن رائحة أورتون ميريويذر تفوح من الأمر. إنه يَذكُر بشيءٍ من الغموض أن هاستي خدمَ جَدَّ ميريويذر، كما أن كبير القُضاة ذو الشَّعر البُرتقالي كالجزر من النَّوع الأبله السَّاذج بما يكفي لأن يعتقد أن أحدًا ملقَّبًا بـ«الصَّالح» هو عينه الدَّواء الذي تحتاج إليه أراضي النَّهر لتندمل جراحها التي خلَّفها رووس بولتون وڤارجو هوت وجريجور كليجاين.

لكن ربما لا يكون مخطئًا. ينحدر هاستي من أراضي العواصف، أي أن لا أصدقاء له أو أعداء على ضفاف (الثَّالوث)، لا ضغائن يدفع ثَمنها أو ديون يُسَدِّدها أو أصحاب يُكافِئهم، والرَّجل يقظ وعادل ومطيع، ورجاله الأتقياء الستَّة وثمانون منضبطون كأيِّ جنودٍ في (الممالك السَّبع)، ويصنعون منظرًا رائعًا عندما يدورون بخيولهم المخصيَّة الرَّماديَّة الطَّويلة ويرمحون بها. في مرَّةٍ قال الإصبع الصَّغير مازحًا إن السير بونيفر خصى رجاله أيضًا بالتَّأكيد، فسُمعتهم ناصعة لا يرقى إليها الشَّك.

وعلى الرغم من هذا ساورَت چايمي الشُّكوك في جنودٍ مصدر شُهرتهم خيولهم المطهَّمة لا الأعداء الذين قتلوهم. يُجيدون الصَّلاة على ما أظنُّ، لكن هل يستطيعون القتال؟ على حَدِّ علمه لم يُكَلِّلوا أنفسهم بالعار في معركة (النَّهر الأسود)، لكنهم لم يتميَّزوا كذلك. السير بونيفر نفسه كان فارسًا واعدًا في شبابه، إلَّا أن شيئًا ما حَلَّ به، هزيمةً أو وصمةً أو مناوشةً وشيكةً مع الموت، وبَعدها قرَّر أن النِّزال خيلاء فارغة وتخلَّى عن رُمحه إلى الأبد.

لكن لا بُدَّ من الحفاظ على (هارنهال)، وبيلور فتحة الشَّرج هذا هو الرَّجل الذي اختارَته سرسي للحفاظ عليها. قال للسير بونيفر محذِّرًا: «هذه القلعة

سيِّئة السُّمعة، وعن جدارة. يُقال إن هارن وأبناءه ما زالوا يمشون في طُرقاتها ليلًا مشتعلين نارًا، ومَن يَنظُرون إليهم يشبُّ فيهم اللَّهب».

– «لا أخافُ الأشباح. مكتوب في (النَّجمة السُّباعيَّة) أنه ليس بإمكان الأرواح والجُثث الحيَّة والعائدين من الموت أذيَّة الأتقياء ما داموا مدرَّعين بإيمانهم».

– «درِّع نفسك بالإيمان إذن كما شئت، لكن ارتدِ الحلقات المعدنيَّة والفولاذ أيضًا. كلُّ من يتولَّى القيادة في هذه القلعة يؤول إلى نهايةٍ سيِّئة؛ الجبل، والكبش، وحتى أبي...».

– «أرجو أن تَعذُرني لقولي هذا، لكنهم لم يكونوا رجالًا متديِّنين مِثلنا. (المُحارب) يُدافِع عنا، والعون قريب دومًا إذا هدَّدنا عدوٌّ ما. المِايستر چوليان سيبقى مع غِدفانه، واللورد لانسل قريب في (داري) مع حاميته، واللورد راندل يُسَيطِر على (بِركة العذارى). معًا سنُلاحِق ونُدَمِّر كلَّ مَن يجوبون هذه الأنحاء من الخارجين عن القانون، وفور الفروغ من هذا سيقود (السَّبعة) الأهالي الطيِّبين معيدين إياهم إلى قُراهم ليَحرُثوا ويزرعوا ويُعيدوا البناء».

مَن لم يَقتُلهم الكبش على الأقل. وضعَ چايمي أصابعه الذَّهبيَّة حول ساق كأسه، وقال: «إذا وقعَ أحد من رجال هوت في أيديكم أريدك أن تُرسِل إليَّ خبرًا في الحال». ربما اختطفَ (الغريب) الكبش قبل أن يَبلُغه چايمي، لكن زولو البدين لا يزال طليقًا، وكذا شاجويل وورورچ وأورزويك الوفي والباقون.

– «لتُعَذِّبهم وتَقتُلهم؟».

– «أظنُّ أنك كنت لتُسامِحهم لو أنك في مكاني؟».

– «إذا أخلَصوا التَّوبة عن ذنوبهم... نعم، سأتقبَّلهم جميعًا كإخوة وأصلِّي معهم قبل أن أرسلهم إلى قُرمة الجلَّاد. الخطايا قابلة للغُفران، والجرائم تستوجب العقاب»، وشبَّك هاستي أصابعه أمامه بطريقةٍ ذكَّرت چايمي على نحوٍ غير مريح بأبيه، وتساءلَ: «إذا واجَهنا ساندور كليجاين فماذا تُريدني أن أفعل؟».

صَلِّ بحرارة واهرب. «أرسِله لينضمَّ إلى أخيه الحبيب واشكُر الآلهة لأنها خلقت سبع جحائم، فواحدة فقط لا تكفي لاحتواء كلا الأخوين كليجاين»،

ودفعَ نفسه إلى القيام بغير راحةٍ مضيفًا: «بريك دونداريون مسألة أخرى. إذا قبضت عليه فاحتفظ به حتى أعودُ. سأريدُ أن أسوقه إلى (كينجز لاندنج) بحبلٍ حول عُنقه وأجعل السير إلين يقطع رأسه حيث يراه نِصف أهل البلاد».

– «والرَّاهب المايري الذي يركب معه؟ يُقال إنه يَنشُر عقيدته الباطلة في كلِّ مكان».

– «اقتُله أو قبِّله أو صَلِّ معه، كما ترغب».

– «لا رغبة لديَّ في تقبيل الرَّجل يا سيِّدي».

قال چايمي: «لا شَكَّ أنه سيقول المِثل عنك»، واستحالَت ابتسامته إلى تثاؤب، فأردفَ: «اعذُرني، أستأذنُ منك في الانصراف إن لم يكن لديك اعتراض».

رَدَّ هاستي: «إطلاقًا يا سيِّدي». مؤكَّد أنه يُريد أن يُصَلِّي.

يُريد چايمي أن يُقاتِل أحدًا. نزلَ الدَّرجات اثنتين في المرَّة خارجًا إلى هواء اللَّيل البارد الجاف. في السَّاحة المضاءة بالمشاعل كان العُفر والسير فليمنت براكس يتقاتَلان وسط حلقةٍ من الجنود المشجِّعين. وقال لنفسه: لا ريب أن السير لايل سيغلب براكس. يجب أن أعثر على السير إلين. في أصابعه تلك الحاجة إلى القتال من جديد. قادَته خُطاه بعيدًا عن الضَّوء والضَّوضاء، ومَرَّ من تحت الجسر المغطَّى وعبر (ساحة الحجر المصهور) قبل أن يعي أين يتَّجه.

مع دنوِّه من جُبِّ الدُّبِّ رأى وهج مصباحٍ يغمر نوره البارد الشَّاحب المدرَّجات الحجريَّة العالية. يبدو أن أحدهم سبقَني إلى هنا. الجُبُّ مكان لا بأس به للرَّقص، وربما توقَّع السير إلين مجيئه.

لكن الفارس الواقف عند الجُبِّ أكبر حجمًا، رجل ملتحٍ متين يرتدي سُترةً طويلةً حمراء وبيضاء ويُزَيِّنها اثنان من الجَرافِن. كوننجتون. ماذا يفعل هنا؟ في الأسفل كانت جثَّة الدُّبِّ لا تزال ملقاةً شِبه مدفونةٍ في الرَّمل، وإن لم يتبقَّ منها إلَّا العظم والفرو المتهتِّك. أحسَّ چايمي بالشَّفقة على الحيوان تعتصر قلبه، وقال لنفسه: على الأقل ماتَ في المعركة، ثم إنه نادى: «سير رونيت، هل ضللت طريقك؟ أعرفُ أنها قلعة كبيرة».

رفعَ رونيت الأحمر مصباحه قائلًا: «أردتُ أن أرى أين رقصَ الدُّبُّ مع

تلك التي ليست جميلةً». كانت لحيته تلتمع في الضَّوء كأنها متَّقدة، واشتمَّ چايمي رائحة الخمر في أنفاسه. «أصحيحٌ أن الفتاة قاتلَته عاريةً؟».

أجابَ متسائلًا كيف أضيفَت هذه التَّفصيلة إلى القصَّة: «عاريةً؟ لا. الممثِّلون ألبَسوها فُستانًا ورديًّا من الحرير ووضعوا في يدها سيف مباريات. أرادَ الكبش أن يكون موتها «مُثَلِّيًا»، لكن فيما عدا هذا...».

قال كوننجتون ضاحكًا: «كان منظر بِريان عاريةً ليجعل الدُّبَّ يفرُّ مفزوعًا».

لكن چايمي لم يضحك، وقال: «تتكلَّم عن الليدي كأنك تعرفها».

- «كنتُ خطيبها».

فاجأَه هذا. لم تَذكُر بِريان خِطبةً قَطُّ. «أبوها رتَّب لها زيجةً...».

- «ثلاث مرَّات. أنا الثَّاني. فكرة أبي. كنتُ قد سمعتُ أن الفتاة قبيحة وأخبرته بهذا، لكنه قال إن كلَّ النِّساء واحد عندما تنطفئ الشُّموع».

- «أبوك». حدَّق چايمي إلى سُترة رونيت الأحمر التي يتواجَه عليها اثنان من الجَرافِن على خلفيَّةٍ من الأحمر والأبيض. الجَرافِن الرَّاقصة. «كان... شقيق يد الملك الرَّاحل، أليس كذلك؟».

- «ابن عمِّه. لم يكن للورد چون إخوة».

- «نعم». عادَت إليه الذِّكريات كلُّها. كان چون كوننجتون صديق الأمير ريجار، ولمَّا فشلَ ميريويذر فشلًا ذريعًا في احتواء ثورة روبرت ولم يستطِع أحد العثور على الأمير ريجار، لجأَ إيرس إلى أفضل رجلٍ بَعده ورفعَ كوننجتون إلى اليدويَّة، لكن الملك المجنون اعتادَ أن يقطع أيديه، وقطعَ اللورد چون بَعد معركة الأجراس مجرِّدًا إياه من ألقابه وأراضيه وثروته، وأرسلَه عبر (البحر الضيِّق) ليقضي بقيَّة حياته في المنفى، وسرعان ما ظَلَّ الرَّجلِ يشرب حتى ماتَ. أمَّا ابن العمِّ -أبو رونيت الأحمر- فقد انضمَّ إلى الثَّورة وكُوفئ بـ(وكر الجَرافِن) بَعد معركة (الثَّالوث)، لكنه لم يحصل إلَّا على القلعة، إذ استحوذَ روبرت على الذَّهب وأسبغَ السَّواد الأعظم من أراضي كوننجتون على مؤيِّدين أكثر حماسةً.

السير رونيت يمتلك أراضي محدودةً لا أكثر، ولأيِّ رجلٍ مِثله لكانت عذراء (تارث) ثمرةً شهيَّةً بالفعل. سألَه چايمي: «ولِمَ لم تتزوَّجها؟».

- «ذهبتُ إلى (تارث) ورأيتها. إنني أكبرها بستَّة أعوام، لكني وجدتُ

الفتاة تُناهِزني طولًا، خنزيرة ترتدي الحرير، ولو أن أكثر الخنزيرات له أثداء أكبر. لمَّا حاولَت أن تتكلَّم كادَت تختنق بلسانها. أعطيتها وردةً وقلتُ لها إنها لن تنال غيرها مني»، ونظرَ كوننجتون إلى الجُبِّ متابعًا: «أراهنُ أن الدُّبَّ كان له شَعر أقل من تلك المسخ، و...».

لكمَت يد چايمي الذَّهبيَّة الفارس الآخَر في فمه بقوَّةٍ أسقطَته على المدرَّجات، ووقعَ مصباحه وتحطَّم وتناثرَ زيته المشتعل. «إنك تتكلَّم عن ليدي رفيعة النَّسب أيها الفارس. ادعُها باسمها، ادعُها ببريان».

زحفَ كوننجتون على يديه ورُكبتيه مبتعدًا عن اللَّهب المنتشر، وقال: «بِريان، بَعد إذن سيِّدي»، وبصقَ كُتلةً من الدَّم عند قدم چايمي، وأضافَ: «بِريان المليحة».

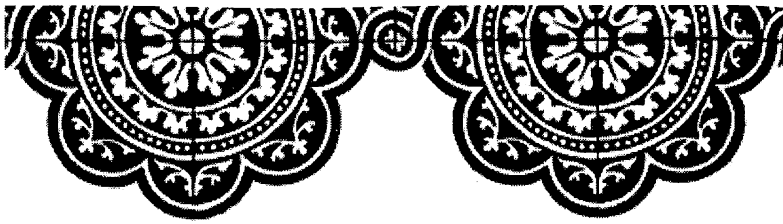

سرسي

ببُطءٍ صعدوا (تَل ڤيزينيا)، وإذ كدَّت الخيول متحرِّكةً إلى أعلى أسندَت الملكة ظَهرها إلى وسادةٍ قرمزيَّة منتفخة، ومن الخارج أتى صوت السير أوزموند كِتلبلاك يصيح: «أفسِحوا الطَّريق، أخلوا الشَّارع، أفسِحوا الطَّريق لصاحِبة الجلالة الملكة!».

كانت الليدي ميريويذر تقول: «مارچري محاطة بصُحبةٍ مثيرة حقًّا. عندنا حُواة وممثِّلون وشُعراء ومحرِّكو دُمى...».

استحثَّتها سرسي سائلةً: «ومغنُّون؟».

– «كثيرون يا جلالة الملكة. هاميش ذو القيثارة يُغَنِّي لها مرَّةً كلَّ أسبوعين، وفي بعض الأماسي يُسَلِّينا ألاريك الآيزيني، لكن الشَّاعر الأزرق مطربها المفضَّل».

تَذكُر سرسي الشَّاعر من زفاف تومن. شابٌّ وسيم الطَّلعة. هل ثمَّة شيء واعد هنا؟ «سمعتُ أن هناك رجالًا آخَرين، فُرسانًا ورجال حاشية، معجبين. أخبِريني بالحقيقة يا سيِّدتي، هل تحسبين أن مارچري لا تزال بِكرًا؟».

– «هذا ما تقوله يا جلالة الملكة».

– «هذا ما تقوله هي، فماذا تقولين أنتِ؟».

أجابَت تاينا والمكر يترقرَق في عينيها السَّوداوين: «حين تزوَّجت اللورد رنلي في (هايجاردن) ساعدتُ على خلع ملابسه من أجل الإضْجاع. حضرة اللورد كان رجلًا حسن البنيان، ومفعمًا بالشَّهوة. رأيتُ الدَّليل على هذا عندما ألقيناه في فِراش الزِّفاف حيث انتظرَته عروسه العارية كيوم مولدها ببشرةٍ محمرَّة خجلًا تحت الأغطية الخفيفة. السير لوراس حملَها على

السَّلالم بنفسه. ربما تقول مارچري إن الزِّيجة لم تتمَّ، إن اللورد رنلي أفرطَ في شُرب النَّبيذ خلال المأدبة، لكنني أؤكِّدُ لكِ أن ما بين ساقيه لم يكن متعَبًا على الإطلاق لمَّا رأيته آخِر مرَّة».

سألَتها سرسي: «هل رأيتِ فِراش الزَّوجيَّة في الصَّباح التَّالي؟ هل نزفَت؟».

– «لم يرَ أحد الملاءة يا جلالة الملكة».

مؤسف. على أن غياب الملاءة الدَّامية يعني القليل في حَدِّ ذاته. بنات الفلَّاحين ينزفن كالخنازير ليلة زفافهن حسب ما سمعَت، لكن ذلك لا ينطبق بالدَّرجة نفسها على العذراوات كريمات المحتد كمارچري تايرل. يُقال إن بنات اللوردات يفقدن عُذريَّتهن من جرَّاء ركوب الخيل أكثر من الزَّواج، ومارچري اعتادَت الرُّكوب منذ تعلَّمت المشي. «بلغَني أن للملكة الصَّغيرة معجبين بين فُرسان بيتنا. التَّوأمان ردواين والسير تالاد... أخبِريني، ومن أيضًا؟».

هزَّت الليدي ميريويذر كتفيها قائلةً: «السير لامبرت، الأحمق الذي يُخَبِّئ عينه السَّليمة برُقعة، بايارد نوركروس، كورتناي جرينهيل، الأخوان وودرايت، أحيانًا پورتيفر وغالبًا لوكانتين. أوه، والمِايستر الأكبر پايسل زائر متكرِّر».

– «پايسل؟ حقًّا؟». هل هجرَت الدُّودة العجوز الخرفة الأسد إلى الوردة؟ إن صَحَّ هذا فسيندم. «مَن أيضًا؟».

– «رجل (جُزر الصَّيف) ذو المعطف الرِّيش. كيف أنساه ببشرته السَّوداء كالحبر؟ هناك آخَرون يأتون ليتودَّدوا إلى بنات عمومتها. إلينور موعودة لابن أمبروز لكنها تحبُّ المغازَلة، ومِجا يأتيها خاطِب جديد كلَّ أسبوعين. في مرَّةٍ قبَّلت عاملًا في المطبخ. سمعتُ كلامًا عن زواجها بأخي الليدي بولوار، لكن إذا كان لِمِجا الاختيار بنفسها فستُفَضِّل مارك مالندور، إنني واثقة».

ضحكَت سرسي، وقالت: «فارس الفراشات الذي فقدَ ذراعه في معركة (النَّهر الأسود)؟ ما جدوى نِصف رجل؟».

– «مِجا تراه محبَّبًا. لقد سألَت الليدي مارچري أن تُساعِدها على العثور على قردٍ له».

ردَّدت الملكة: «قرد». لا تدري ماذا تقول عن هذا. عصافير وقرود. حقًّا

أصابَ هذه البلاد الجنون. «وماذا عن فارسنا الشُّجاع السير لوراس؟ كم يزور أخته؟».

أجابَت الليدي تاينا: «أكثر من كلِّ الآخَرين»، وعقدَت حاجبيها لتظهر تجعيدة ضئيلة بين عينيها الدَّاكنتين، وتابعَت: «كلَّ صباحٍ وكلَّ مساءٍ يزورها، ما لم يُعيقه واجبه. أخوها مخلص لها، ويتشارَكان كلَّ شيءٍ... أوه...». للحظةٍ بدَت المايريَّة كأنها مصدومة، ثم اتَّسعت ابتسامة على وجهها، وقالت: «خطرَت لي فكرة شرِّيرة للغاية يا جلالة الملكة».

– «يُستحسَن أن تحتفظي بها لنفسكِ. العصافير منتشرون على التَّل، وكلُّنا يعلم كم يبغض العصافير الشَّر».

– «سمعتُ أنهم يبغضون الماء والصَّابون أيضًا يا جلالة الملكة».

– «ربما يحرم الإكثار من الصَّلاة المرء حاسَّة الشَّم. سأحرصُ على سؤال صاحِب القداسة الأعلى».

قالت الليدي تاينا والسَّتائر القرمزيَّة الحرير تتأرجَح: «أورتون قال لي إن السِّپتون الأعلى لا اسم له. أهذا صحيح؟ في (ميرِ) كلُّنا لنا أسماء».

أجابَت الملكة: «أوه، كان له اسم من قبل. كلُّهم كذلك»، ولوَّحت بيدها باستهانةٍ مضيفةً: «حتى السِّپتونات أبناء العائلات النَّبيلة يُعرَفون فقط بأسمائهم الأولى حالما يحلفون اليمين، وعندما يترقَّى أحدهم إلى مقام السِّپتون الأعلى يتخلَّى عن هذا الاسم أيضًا. تقول العقيدة إنه لم يَعُد في حاجةٍ إلى اسمٍ بَشري، إذ أصبحَ تجسُّدًا للآلهة».

– «وكيف تُمَيِّزون بين سِپتون أعلى وغيره؟».

– «بصعوبة. عليكِ أن تقولي: السَّمين، أو الذي سبقَ السَّمين، أو العجوز الذي ماتَ في نومه. يُمكنكِ دائمًا أن تتوصَّلي إلى الأسماء التي وُلِدوا بها إذا أردتِ، لكن استخدامها يُضايِقهم، يُذَكِّرهم بأنهم وُلِدوا بَشرًا عاديِّين، ولا يحبُّون هذا».

– «السيِّد زوجي يقول لي إن هذا السِّپتون الأعلى وُلِد وتحت أظفاره الوسخ».

– «هذا ما أرتابُ فيه. كقاعدةٍ يرفع مجلس القانِتين واحدًا من أفراده، لكن ثمَّة استثناءات». كان المِايستر الأكبر پايسل قد أخبرَها بالتَّاريخ بتفصيلٍ ممل.

«في عهد الملك بيلور المبارَك اختيرَ حجَّار بسيط لمنصب السِّپتون الأعلى. كان ينحت أشكالًا في غاية الجَمال من الحجارة لدرجة أن بيلور اعتقدَ أنه (الحدَّاد) وقد وُلِدَ من جديدٍ في هيئةٍ بَشريَّة. لم يكن الرَّجل يقرأ أو يَكتُب أو يتذكَّر كلمات أبسط الأدعية». ما زالَ البعض يَزعُم أن يد بيلور سمَّم الرَّجل ليُعفي البلاد من الإحراج. «بَعد موته رُفِعَ صبيٌّ في الثَّامنة إلى المنصب، مرَّةً أخرى بإيعازٍ من الملك بيلور، وأعلنَ جلالته أن الصَّبي يصنع المعجزات، ولو أن يديه الشَّافيتين الصَّغيرتين لم تنجحا في إنقاذ بيلور نفسه وقت صيامه الأخير».

أطلقَت الليدي ميريويذر ضحكةً، وقالت: «في الثَّامنة؟ ربما يستطيع ابني أن يُصبِح السِّپتون الأعلى إذن. إنه يكاد يَبلُغ السَّابعة».

سألَتها الملكة: «هل يُصَلِّي كثيرًا؟».

– «يُفَضِّل اللَّعب بالسُّيوف».

– «صبيٌّ حقيقيٌّ إذن. هل يعرف أسماء الآلهة السَّبعة جميعًا؟».

– «أظنُّ هذا».

– «سأضعه في الاعتبار». لا تشكُّ سرسي في أن وجود عددٍ ما من الصِّبية الذين بإمكانهم تكريم التَّاج البلَّوري أكثر من المأفون الذي اختارَ مجلس القانِتين أن يهبه له. هذا ما ينتج عن ترك الحمقى والجُبناء يَحكُمون أنفسهم. المرَّة القادمة سأختار لهم سيِّدهم. وربما لا تتأخَّر المرَّة القادمة كثيرًا إذا استمرَّ السِّپتون الأعلى الجديد في إزعاجها، فليس عند يد بيلور كثير يُلَقِّن سرسي لانستر إياه في مِثل هذه الأمور.

كان السير أوزموند كِتلبلاك يزعق: «أخلوا الشَّارع! أفسِحوا الطَّريق لصاحِبة الجلالة!».

بدأت حركة الهودج تتباطَأ، وهو ما يعني أنهم دنوا من قمَّة التَّل. قالت سرسي لليدي ميريويذر: «يَجدُر بكِ أن تجلبي ابنكِ هذا إلى البلاط. ستَّة أعوام ليست سِنًّا صغيرةً جدًّا. تومن محتاج إلى صِبيةٍ آخَرين حوله، فلِمَ لا يكون ابنكِ أحدهم؟». حسب ما تَذكُر لم يكن لچوفري صديق مقرَّب من سِنِّه قَطُّ. كان الصَّبي المسكين وحيدًا دومًا. في طفولتي كان عندي چايمي... وميلارا، إلى أن سقطَت في البئر. أي نعم كان چوف مغرمًا بكلب الصَّيد،

لكنها لم تكن صداقةً، بل كان يبحث عن الأب الذي لم يجده في روبرت. قد يكون أخ في التَّربية ما يحتاج إليه تومن بالضَّبط لفطامه عن مارچري ودجاجاتها. ومع الوقت ربما يُصبِحان قريبيْن قُرب روبرت وصديق صِباه ند ستارك. أحمق، لكنه أحمق مخلص، وتومن سيحتاج إلى أصدقاءٍ مخلصين لحماية ظَهره.

- «جلالتكِ لطيفة، لكن راسل لم يعرف بيتًا إلَّا (الطَّاولة الطَّويلة)، وأخشى أن يضيع في هذه المدينة العظيمة».

علَّقت الملكة: «في البداية، لكن سرعان ما سيتغلَّب على ذلك مِثلما تغلَّبتُ عليه. حين أرسلَني أبي إلى البلاط بكيتُ وثارَ چايمي، إلى أن أجلسَتني عمَّتي في (الحديقة الحجريَّة) وأفهمَتني أنه ليس هناك مَن أخشاه في (كينجز لاندنج). قالت: أنتِ لبؤة، وعلى كلِّ الدَّواب الأدنى أن تخشاكِ. ابنكِ أيضًا سيَعثُر على شَجاعته. مؤكَّد أنكِ تُريدينه قريبًا منكِ حيث تستطيعين رؤيته كلَّ يوم. إنه طفلكِ الوحيد، أليس كذلك؟».

- «في الوقت الحالي. السيِّد زوجي سألَ الآلهة أن تَرزُقنا بابنٍ آخَر في حال...».

- «أعرفُ». فكَّرت سرسي في چوفري وهو يخمش عُنقه. في لحظاته الأخيرة نظرَ إليها بضراعةٍ يائسة، وأوقفَت ذكرى مباغتة قلبها عن الخفقان؛ قطرة من الدَّم الأحمر تُهَسهِس في لهب شمعة، وصوت مشؤوم يتكلَّم عن التِّيجان والأكفان، عن الموت على يدَي القالونكار.

خارج الهودج كان السير أوزموند يزعق بشيءٍ ما ويردُّ عليه أحدهم زاعقًا، ثم توقَّف الهودج بحركةٍ حادَّة، وهدرَ كِتلبلاك: «أأنتم موتى جميعًا؟ ابتعدوا عن الطَّريق اللَّعين!».

أزاحَت الملكة رُكن السِّتار، وأشارَت إلى السير مرين ترانت متسائلةً: «ما المشكلة؟».

كان السير مرين يرتدي دِرعًا بيضاء تحت معطفه، وقد علَّق خوذته وتُرسه من سَرجه. أجابَها: «العصافير يا جلالة الملكة. إنهم مخيِّمون في الشَّوارع. سنجعلهم ينزاحون».

- «افعلوا هذا ولكن برفق. لا أريدُ أن أجد نفسي وسط شغبٍ آخَر»،

وأفلتَت سرسي السِّتار قائلةً: «هذا سُخف».

قالت الليدي ميريويذر مؤيِّدةً: «نعم يا جلالة الملكة. كان ينبغي أن يأتيكِ السِّبتون الأعلى بنفسه، وهؤلاء العصافير الحُقراء...».

- «إنه يُطعِمهم ويُدَلِّلهم ويُبارِكهم، ومع ذلك يَرفُض مبارَكة الملك». تعلم أن المبارَكة طقس فارغ، لكن للطُّقوس والمراسم سطوة في أعيُن الجاهلين. إجون الفاتِح نفسه حدَّد تاريخ بداية مملكته بيوم مرخَه السِّبتون الأعلى بالزُّيوت المقدَّسة في (البلدة القديمة). «إمَّا أن يخضع ذلك الرَّاهب التَّافه وإمَّا سيتعلَّم أنه لا يزال إنسانًا ضعيفًا».

- «أورتون يقول إن ما يُريده حقًّا هو الذَّهب، إنه ينوي الإمساك عن مبارَكة الملك إلى أن يستأنف التَّاج دفع ديونه».

- «ستَحصُل العقيدة على ذهبها ما إن يحلَّ السَّلام». السِّبتون توربرت والسِّبتون رايناردتفهَّما أزمتها تمامًا... على عكس البراڤوسي المأفون الذي ألحَّ على اللورد جايلز المسكين بلا رحمة، إلى أن أُخِذَ إلى فِراشه وهو يَسعُل دمًا. كان من الضَّروري أن نبني تلك السُّفن. لا تستطيع سرسي الاعتماد على (الكرمة) في شأن قوَّتها البحريَّة، فآل ردواين قريبون للغاية من آل تايرل، وهي محتاجة إلى قوَّتها الخاصَّة في البحر.

ستمنحها الدُّرمونات التي ترتفع في النَّهر هذا. سفينة القيادة ستُبحِر بضِعف مجاذيف (مطرقة الملك روبرت)، وقد طلبَ أوران إذنها في تسميتها (اللورد تايوين)، فقبلَت سرسي مسرورةً، وتتطلَّع إلى أن تسمع النَّاس يتكلَّمون عن أبيها باعتباره أنثى. إحدى السُّفن الأخرى ستُسَمَّى (الجميلة سرسي)، وستحمل تمثال مقدِّمةٍ مذهَّبًا منحوتًا بحيث يُحاكي ملامحها بينما ترتدي الحلقات المعدنيَّة وتعتمر خوذة الأسد وتحمل حربةً. ستتبعها (چوفري الشُّجاع) و(الليدي چوانا) و(اللَّبؤة) إلى البحر، بالإضافة إلى (الملكة مارچري) و(الوردة الذَّهبيَّة) و(اللورد رنلي) و(الليدي أولينا) و(الأميرة مارسلا). ارتكبَت الملكة خطأ إخبار تومن بأنه يستطيع تسمية السُّفن الخمس الأخيرة، والحقيقة أنه اختارَ اسم (فتى القمر) لإحداها، وفقط حين علَّق اللورد أوران قائلًا إن الرِّجال قد لا يرغبون في الخدمة على متن سفينةٍ مسمَّاة على اسم مهرِّج، قبلَ الصَّبي على مضضٍ بتكريم أخته بدلًا من ذلك.

قالت لتاينا: «إذا كان هذا السِّيتون الوضيع يحسب أنه سيجعلني أشتري مبارَكة تومن فسيتعلَّم واقع الأشياء قريبًا». لا تنوي الملكة أن تنصاع لقطيعٍ من الرُّهبان.

توقَّف الهودج ثانيةً بشكلٍ مباغت لدرجةٍ رجَّت جسد سرسي، فقالت: «أوه، لم يَعُد هذا يُطاق»، ومالَت إلى الخارج فرأت أنهم بلغوا قمَّة (تَل ڤيزينيا). أمامها لاحَ (سِپت بيلور الكبير) بقُبَّته المهيبة وبروجه السَّبعة البرَّاقة، لكن بينها وبين درجاته الرُّخام بحر كئيب من البَشر مسمرِّي البشرة لابسي الأسمال متَّسخي الأجساد. فكَّرت متنشِّقةً: عصافير، ولو أن لا عُصفور تفوح منه رائحة عفنٍ ونتانة كهذه.

ارتاعَت سرسي للمنظر. كان كايبرن قد جلبَ لها تقارير بأعدادهم، لكن السَّماع بها شيء ورؤيتها رأي العين شيء مختلف. في السَّاحة يُخَيِّم المئات، وفي الحدائق مئات أكثر، تُفعِم بؤر نيرانهم الهواء بالدُّخان والرَّوائح المنفِّرة، وتُلَوِّث خيامهم الخيش وأكواخهم الحقيرة المبنيَّة بالطَّمي وفُضالة الأخشاب الأرضيَّة الرُّخام العريقة، بل ويتلملَمون بالمِثل على السَّلالم أمام باب (السِّپت الكبير) الشَّاهق.

عادَ السير أوزموند إليها خببًا، وإلى جواره يركب السير أوزفريد فَحلًا ذهبيًّا كمعطفه. أوزفريد أوسط الإخوة كِتلبلاك، وأكثر من أخويه هدوءًا وجنوحًا إلى العبوس عن الابتسام. وأقسى كذلك إذا صدقَت الحكايات. ربما كان عليَّ أن أرسله إلى (الجِدار).

أرادَ المِايستر الأكبر پايسل رجلًا أكبر سِنًّا «متمرِّسًا في أمور الحرب» لقيادة ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، واتَّفق معه كثيرون من مستشاريها الآخَرين، فقالت لهم: «السير أوزفريد متمرِّس بما فيه الكفاية»، لكن حتى هذا لم يُخرِسهم. ينبحون في وجهي كقطيعٍ من الجِراء المزعجة. يكاد صبرها على پايسل ينفد عن آخِره. بكلِّ سفاهةٍ اعترَض الرَّجل على إرسالها إلى (دورن) طالبةً قيِّم سلاح، بزعم أن شيئًا كهذا قد يُسيء إلى آل تايرل، وعندها سألَته متهكِّمةً: «ولِمَ تحسبني أفعلُ هذا؟».

قال السير أوزموند: «أستميحكِ العُذر يا صاحِبة الجلالة. أخي يستدعي المزيد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة. سنفتح طريقًا، لا تخافي».

- «ليس لديَّ وقت. سأواصلُ على قدمَي».

أمسكَت تاينا ذراعها قائلةً: «أرجوكِ يا جلالة الملكة، أنا خائفة منهم. إنهم مئات، ومتَّسخون للغاية».

طبعَت سرسي قُبلةً على وجنتها، وقالت: «اللَّيث لا يخشى العُصفور... لكن لُطف منكِ أن تُلقي بالًا لسلامتي. أعلمُ أنكِ تحبِّينني كثيرًا يا سيِّدتي. سير أوزموند، ساعِدني على النُّزول من فضلك».

لو عرفتُ أني سأضطرُّ إلى المشي لارتديتُ ما يُناسِبه. اليوم ترتدي فُستانًا أبيض مشرَّطًا بقُماش الذَّهب، فيه تخريم لكن لا يعوزه الاحتشام. آخِر مرَّةٍ وضعَته الملكة على جسدها كانت منذ عدَّة أعوام، والآن تجده ضيِّقًا من المنتصَف على نحوٍ غير مريح. خاطبَت رجالها قائلةً: «سير أوزموند، سير مرين، ستصحباني. سير أوزفريد، احرص على سلامة هودجي». بعض العصافير يبدو ضاويًا غائص العينين بما فيه الكفاية لالتهام خيولها.

بينما شقَّت طريقها في زحام المعدِمين مارَّةً ببؤر نيرانهم وعرباتهم ومساكنهم البائسة، وجدَت الملكة نفسها تتذكَّر مرَّةً سابقةً ازدحمَ فيها النَّاس في هذه السَّاحة. يوم زفافها إلى روبرت باراثيون جاءَ آلاف يهتفون لهما. ارتدَت كلُّ النِّساء أفضل ثيابهن وحملَ نِصف الرِّجال أطفالهم على أكتافهم، ولمَّا خرجَت من السِّبت ويدها في يد الملك الشَّاب أطلقَ الجمهور هديرًا مدوِّيًا من شأنه أن يُسمَع في (لانسپورت)، فهمسَ روبرت في أُذنها: «يحبُّونكِ للغاية يا سيِّدتي. انظُري، الوجوه كلُّها مبتسمة». في هذه اللَّحظة الواحدة العابرة كانت سعيدةً في زواجها... إلى أن وقعَ ناظراها مصادفةً على چايمي، وتَذكُر أنها فكَّرت لحظتها: لا، ليس كلُّ الوجوه يا سيِّدي.

لا أحد يبتسم الآن. النَّظرات التي يرميها بها العصافير فاترة كئيبة عدوانيَّة، وقد أفسحوا لها الطَّريق على مضض. لو كانوا عصافير حقًّا لطيرَّتهم صيحة. مئة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة بالعصيِّ والسُّيوف والهراوات يستطيعون طرد هؤلاء الغوغاء خلال وقتٍ قصير. هذا ما كان اللورد تايوين ليفعله. كان ليدعسهم بدلًا من المشي وسطهم.

حين رأت ما فعلوه ببيلور المبارَك وقعَ الأسف في قلب الملكة الرَّقيق. التِّمثال المرمر العظيم الذي يرتفع مبتسمًا في السَّاحة منذ مئة عامٍ مغطًّى حتى

الخصر بكومةٍ من العظم والجماجم، وبعض الجماجم ما زالَت رُقع لحمٍ عالقةً به، وقد حَطَّ غُراب على واحدةٍ من هذه ليستمتع بوليمته اليابسة الجافَّة، وراحَ الذُّباب يطنُّ في كلِّ مكان. سألَت الجمع: «ما هذا؟ هل تُريدون دفن بيلور المبارَك تحت جبلٍ من الجيف؟».

تقدَّم رجل بساقٍ واحدة متَّكئًا على عُكَّازٍ خشبي، وقال: «جلالة الملكة، هذه عظام مؤمنين ومؤمنات قُتِلوا لإيمانهم، سِپتونات وسِپتوات، وإخوة بنيُّون ورماديُّون وخُضر، وأخوات بيضاوات وزرقاوات ورماديَّات. بعضهم شُنِقَ وبعضهم بُقِرَ بطنه. السِّپتات نُهِبَت والفتيات وأمَّهاتهن اغتصبهن الكافرون وعبدة الشَّياطين. حتى الأخوات الصَّامتات تعرَّضن للتَّحرُّش. (الأُم في الأعالي) تَصرُخ لوعةً. لقد جلبنا عظامهم من جميع أنحاء البلاد لتشهد على كرب العقيدة المقدَّسة».

شعرَت سرسي بثِقل النَّظرات المسلَّطة عليها، وبرصانةٍ أجابَت: «سيعرف الملك بهذه البشاعات وسيُشارِككم تومن غضبتكم. هذا عمل ستانيس وساحرته الحمراء، وعمل الشَّماليِّين الهمجيِّين عابدي الأشجار والذِّئاب»، ورفعَت صوتها مضيفةً: «أيها القوم الكرام، ستنالون ثأر موتاكم!».

هلَّل قلائل، ولكن قلائل فحسب، وقال ذو السَّاق الواحدة: «لا نَطلُب ثأرًا لموتانا وإنما الحماية للأحياء، وللسِّپتات والأماكن المقدَّسة».

دمدمَ جلف ضخم على جبهته نجمة سُباعيَّة مرسومة: «يجب أن يُدافِع العرش الحديدي عن العقيدة. الملك الذي لا يحمي شعبه ليس ملكًا على الإطلاق»، فارتفعَت همهمات التَّأييد من حوله، وكان أحدهم بالنَّزق الكافي لأن يُمسِك معصم السير مرين ويقول: «آن أوان أن يتخلَّى جميع الفُرسان المحلَّفين عن سادتهم الدُّنيويِّين ويُدافِعوا عن عقيدتنا المقدَّسة. قِف معنا أيها الفارس إذا كنت تحبُّ (السَّبعة)».

انتزعَ السير مرين يده قائلًا: «اترُكني».

قالت سرسي: «أسمعكم. ابني صغير، لكنه يحبُّ (السَّبعة) حُبًّا جمًّا. ستحظون بحمايته وحمايتي أيضًا».

لم يقتنِع الكبير ذو النَّجمة على جبهته، وقال: «(المُحارب) سيُدافِع عنا، وليس ذلك الملك الصَّبي البدين».

مَدَّ مرين ترانت يده إلى سيفه، لكن سرسي أثنَته عن هذا قبل أن يستلَّه. إن معها فارسيْن لا أكثر في بحرٍ من العصافير، كما أنها ترى عصيًّا ومناجل ونبابيت وهراوات وعدَّة فؤوس. قالت: «لن أسمح بسفك الدِّماء في هذا المكان المقدَّس أيها الفارس». لماذا الرِّجال جميعهم أطفال؟ اقتُله وسيُمَزِّقنا البقيَّة تمزيقًا. «كلُّنا أطفال (الأُم). هيا، صاحِب القداسة الأعلى ينتظرنا». لكن إذ خطَت وسط الزِّحام إلى درجات السِّبت تقدَّمت جماعة من المسلَّحين لتحول بينها وبين الباب. يرتدون الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وهنا وهناك قِطعة منبعجة من دِرع، ويحمل بعضهم الحِراب وبعضهم السُّيوف الطَّويلة، في حين يُفَضِّل أكثرهم الفؤوس، وقد خاطوا نجماتٍ حمراء على سُتراتهم البيضاء الطَّويلة، وبلغَت الوقاحة باثنين منهم أن يُقاطِعا حربتيهما ويسدَّا طريقها.

سألَتهم: «أهكذا تستقبلون ملكتكم؟ أين رايناره وتوربرت؟». ليس من عادة هذين الاثنين أن يُفَوِّتا فُرصة تملُّقها، ودائمًا يركع توربرت على رُكبتيه ويغسل قدميها على نحوٍ استعراضي.

قال واحد ممن يحملون النَّجمة الحمراء على سُتراتهم: «لا أعرفُ عمَّن تتكلَّمين، لكن إذا كانا من رجال العقيدة فلا بُدَّ أن الآلهة احتاجَت إلى خدماتهما».

قالت سرسي: «السِّبتون رايناره والسِّبتون توربرت من مجلس القانِتين، وسيُغضِبهما أن يعلما أنكم أعقتموني. هل تمنعونني من دخول سِبت بيلور المقدَّس؟».

أجابَها شيخ بكتفين محنيَّتين: «مرحبًا بكِ هنا يا جلالة الملكة، لكن على رجليك أن يَترُكا حزاميهما. ليس مسموحًا بالأسلحة في الدَّاخل بأمر السِّبتون الأعلى».

– «فُرسان الحَرس الملكي لا يتخلُّون عن سيوفهم حتى في حضرة الملك».

رَدَّ الفارس المسنُّ: «في بيت الملك الكلمة للملك، لكن هذا بيت الآلهة».

احتقنَ وجهها. كلمة واحدة لمرين ترانت وسيلقى الشَّيخ محنيُّ الظَّهر آلهته خلال وقتٍ أقرب مما يحبُّ. لكن ليس هنا، ليس الآن. قالت لفارسَي

الحَرس الملكي باقتضاب: «انتظراني»، ووحدها صعدَت السَّلالم. سحبَ حاملَي الحِراب حربتيهما، ودفعَ اثنان آخَران مصراعَي الباب بالأكتاف لينفتحا مصدريْن قعقعةً عظيمةً.

في (بهو القناديل) وجدَت عشرين من السِّپتونات راكعين، ولكن ليس للصَّلاة. كانت معهم دلاء من الماء والصَّابون ويمسحون الأرض. دفعَت ثيابهم الخيش وصنادلهم سرسي إلى اعتقادهم عصافير، إلى أن رفعَ أحدهم رأسه، لترى وجهه المحمَر كالبنجر والقروح المفتوحة النَّازفة في يديه. خاطبَها الرَّجل قائلًا: «جلالة الملكة؟».

قالت وهي تكاد لا تُصَدِّق ما تراه: «السِّپتون رايناردِ؟ ماذا تفعل على رُكبتيك؟».

- «يُنَظِّف الأرض». المتكلِّم أقصر قامةً من الملكة بعدَّة بوصات، ورفيع كعصا المقشَّة. «العمل صورة من صُور العبادة، ويُرضي (الحدَّاد) للغاية»، ونهضَ الرَّجل حاملًا فُرشاةً خشنةً، وقال: «جلالة الملكة، كنا ننتظر حضورك».

لحية الرَّجل بنِّيَّة شائبة ومشذَّبة بعناية، وشَعره معقود بإحكام وراء رأسه، وعلى الرغم من أن رداءه نظيف فإنه مهترئ ومرتوق، وكان قَد شمَّر كُمَّيه حتى المِرفقيْن بينما يحكُّ الأرض، لكن تحت رُكبتيه القُماش مبتلٌّ تمامًا. له وجه مدبَّب وعينان غائصتان بنِّيَّتان كالطَّمي، ورأت سرسي قدميه فقالت لنفسها مشدوهةً: حافيتان. ثم إنهما شنيعتان أيضًا، صُلبتان قاسيتان وجِلدهما يابس. «أنت صاحِب القداسة الأعلى؟».

- «نحن كذلك».

أبانا، امنحني القوَّة. تعلم الملكة أن عليها أن تركع، لكن الأرض مبتلَّة بالمياه المتَّسخة والصَّابون، وليست راغبةً في إتلاف فُستانها. تطلَّعت إلى المسنِّين على رُكبهم، وقالت: «لا أرى صديقي السِّپتون توربرت».

- «السِّپتون توربرت محتجَز في صومعة توبة ويقتات بالخُبز والماء. من الإثم أن يكون رجل ما بدينًا هكذا بينما يتضوَّر نِصف البلاد جوعًا».

تحمَّلت سرسي ما يكفي ليوم واحد، فتركَته يرى غضبها إذ قالت: «أهكذا تُحَيِّيني؟ بفُرشاةٍ يَقطُر منها الماء في يدك؟ هل تعرف مَن أنا؟».

أجابَ الرَّجل: «أنتِ صاحِبة الجلالة الملكة الوصيَّة على عرش (الممالك السَّبع)، لكن مكتوب في (النَّجمة السُّباعيَّة) أنه كما يحني الإنسان رأسه لسادته، والسَّادة لملوكهم، فعلى الملوك والملكات حني رؤوسهم للسَّبعة الذين هُم واحد».

هل يقول لي أن أركع؟ إذا كان الأمر هكذا فهو لا يعرفها جيِّدًا. «كان المفترَض أن تُقابِلني على السَّلالم في أبهى صورةٍ وعلى رأسك التَّاج البلَّوري».

- «ليس لدينا تاج يا جلالة الملكة».

ردَّت بوجهٍ ازدادَ جهامةً: «السيِّد والدي أهدى إلى سلفك تاجًا نادر الجَمال من البلَّور والذَّهب المغزول».

قال السِّيتون الأعلى: «ولهذه الهديَّة نَذكُره بالخير في صلواتنا، لكن الفُقراء في حاجةٍ إلى طعامٍ في بطونهم أكثر مما نحتاج إلى الذَّهب والبلَّور على رأسنا. ذلك التَّاج بيعَ، وكذا جميع التِّيجان الأخرى في خزائننا، إضافةً إلى خواتمنا وأرديتنا المصنوعة من قُماش الذَّهب وقُماش الفضَّة. الصُّوف يَصلُح لتدفئة المرء بالقدر ذاته. لهذا خلقَ (السَّبعة) الخراف».

يا لجنونه المطبق. لا بُدَّ أن أعضاء مجلس القانِتين كانوا مجانين أيضًا إذ رقَّوا مخلوقًا كهذا... مجانين أو مرعوبين من المتسوِّلين على أبوابهم. هامسو كايبرن ادَّعوا أن تسعة أصواتٍ كانت تفصل السِّيتون لوشن عن التَّرقية حين انفتحَت تلك الأبواب، وتدفَّق العصافير إلى (السِّيت الكبير) حاملين قائدهم على أكتافهم والفؤوس في أيديهم.

حدَّقت إلى الرَّجل الصَّغير بنظرةٍ جليديَّة متسائلةً: «أهناك مكان نستطيع الكلام فيه على انفراد يا صاحِب القداسة؟».

ناولَ السِّيتون الأعلى أحد القانِتين فُرشاته مجيبًا: «تفضَّلي واتبعيني يا صاحِبة الجلالة».

قادَها عبر الباب الدَّاخلي إلى صحن السِّيت وتردَّدت أصداء خُطاهما على الأرضيَّة الرُّخام، وقد طفا الهباء في أشعَّة الضَّوء الملوَّن المتسلِّلة من زُجاج القُبَّة العظيمة المطلي بالرَّصاص، وعطَّر البَخور الهواء، وإلى جوار المذابح السَّبعة تألَّقت الشُّموع كالنُّجوم. لـ(الأُم) تتلألأ ألف شمعة،

ولـ(العذراء) نحوها، لكن يُمكنك أن تُحصي الشُّموع المضاءة لـ(الغريب) على أقلِّ من عشرة أصابع.

بلغَ غزو العصافير قلب السِّپت. أمام (المُحارب) تركع دستة من الفُرسان المتجوِّلين متَّسخي الملبس، يتضرَّعون إليه أن يُبارِك السُّيوف التي كوَّموها عند قدميه، وعند مذبح (الأُم) يقود سِپتون مئةً من العصافير في الصَّلاة، بعيدة أصواتهم كالموج على السَّاحل. قادَ السِّپتون الأعلى سرسي إلى حيث ترفع (العجوز) مصباحها، ولمَّا ركعَ أمام مذبحها لم تجد خيارًا إلَّا الرُّكوع إلى جواره، لكن من الرَّحمة أن هذا السِّپتون الأعلى لا يجنح إلى الإطناب في الصَّلاة كسلفه السَّمين. أظنُّ أن عليَّ أن أمتنَّ لهذا على الأقل.

لم يُحاوِل صاحِب القداسة الأعلى القيام حين فرغَ من الصَّلاة، ويبدو أن عليهما أن يتشاوَرا راكعيْن. فكَّرت وقد وجدَت هذا طريفًا: حيلة من رجل وضيع. «صاحِب القداسة، هؤلاء العصافير يُخيفون أهل المدينة. أريدهم أن يرحلوا».

– «وأين يذهبون يا جلالة الملكة؟».

ثمَّة سبع جحائم، أيٌّ منها يَصلُح. «إلى حيث جاءوا كما أتصوَّرُ».

– «لقد جاءوا من كلِّ مكان. مِثل العُصفور الأكثر تواضُعًا وشيوعًا بين الطُّيور، هُم أكثر النَّاس تواضُعًا وشيوعًا».

إنهم شائعون بالفعل، على هذا نتَّفق. «هل رأيت ما فعلوه بتمثال بيلور المبارَك؟ إنهم يُدَنِّسون السَّاحة بخنازيرهم وماعزهم وفضلاتهم».

– «غسل الفضلات أسهل من غسل الدِّماء يا جلالة الملكة. إذا دُنِّسَت السَّاحة فقد دنَّسها الإعدام الذي تَمَّ هنا».

هل يجرؤ على إلقاء ند ستارك في وجهي؟ «كلُّنا آسفون لهذا. چوفري كان صغيرًا ولا يتمتَّع بحكمةٍ كافية. كان يجب قطع رأس اللورد ستارك في مكانٍ آخَر احترامًا لبيلور المبارَك... لكن دَعنا لا ننسى أن الرَّجل كان خائنًا».

– «الملك بيلور عفا عمَّن تآمَروا ضده».

الملك بيلور حبسَ أخواته اللاتي كانت جريرتهن الوحيدة جَمالهن. أول مرَّةٍ سمعَت سرسي هذه الحكاية ذهبَت إلى غُرفة تيريون الرَّضيع وقرصَته حتى انفجرَ باكيًا. كان حريًّا بي أن أكتم أنفاسه وأدسَّ جوربي في فمه. أجبرَت

نفسها على الابتسام قائلةً: «والملك تومن سيعفو عن العصافير أيضًا ما إن يرحلوا إلى ديارهم».

– «أكثرهم فقدَ داره. المعاناة في كلِّ مكان... والحُزن والموت. قبل مجيئي إلى (كينجز لاندنج) اعتدتُ التَّجوال بين عشرات القُرى الأصغر من أن يكون لها سِپتونها الخاص، وسرتُ من كلِّ واحدةٍ إلى التَّالية مقيمًا طقوس الزِّفاف وغافرًا خطايا الخُطاة ومسمِّيًا المواليد. تلك القُرى لم يَعُد لها وجود يا جلالة الملكة، والحشائش والأشواك تنمو حيث كانت الحدائق المُزهرة، وعظام الموتى ملقاة على قارعة الطَّريق».

– «الحرب شيء فظيع. هذه البشاعات من صُنع الشَّماليِّين واللورد ستانيس ورجاله عبدة الشَّياطين».

– «بعض عصافيري يتكلَّمون عن جماعاتٍ من الأُسود انتهكَت حُرمتهم... وعن كلب الصَّيد الذي كان رجلكم الوفي. في (الملَّاحات) فتكَ بسِپتون مسن واغتصبَ فتاةً في الثَّانية عشرة، طفلةً بريئةً موعودةً للعقيدة. كان يرتدي دِرعه بينما يغتصبها، ومزَّقت حلقاته المعدنيَّة لحمها الغَضَّ وسحقَه، ولمَّا فرغَ منها تركَها لرجاله الذين قطعوا أنفها وثدييها».

– «لا يُمكن تحميل جلالة الملك مسؤوليَّة كلِّ رجلٍ سبقَت له خدمة عائلة لانستر. ساندور كليجاين خائن متوحِّش. لماذا تحسبني صرفته من خدمتنا؟ إنه يُقاتِل لحساب المجرم بريك دونداريون الآن، وليس الملك تومن».

– «كما تقولين، لكن يجب ألَّا نُغفِل هذا السُّؤال... أين كان فُرسان الملك عندما جرى هذا؟ ألم يُقسِم چهيرس المُصلح ذات يومٍ على العرش الحديدي نفسه أن التَّاج سيُدافِع عن العقيدة دومًا ويحميها؟».

لا تدري سرسي بِمَ أقسمَ چهيرس المُصلح، لكنها قالت متَّفقةً: «صحيح، وباركَه السِّپتون الأعلى ومرخَه بالزُّيوت المقدَّسة باعتباره الملك. لقد جرَت العادة على أن يُبارِك كلُّ سِپتون أعلى جديد الملك... ومع ذلك تَرفُض مبارَكة الملك تومن».

– «جلالتكِ مخطئة. نحن لم نَرفُض».

– «لكنك لم تأتِ».

– «لم تَحِن ساعة القطاف بعدُ».

أأنت راهب أم خُضري؟ «وما الذي يُمكن أن يجعلها... تحين؟». إذا جرؤَ على ذِكر الذَّهب سأتعاملُ معه كما تعاملتُ مع سابقه وأجدُ طفلًا ورعًا في الثَّامنة يعتمر التَّاج البلَّوري.

- «البلاد ملأى بالملوك، ولتُعلي العقيدة واحدًا فوق البقيَّة يجب أن نكون واثقين. قبل ثلاثمئة عام، عندما رسا إجون الفاتِح عند هذا التَّلِّ تحديدًا، حبسَ السِّپتون الأعلى نفسه في (السِّپت النَّجمي) في (البلدة القديمة) وصلَّى سبعة أيام وسبع ليالٍ دون غذاءٍ إلَّا الخُبز والماء، وحين خرجَ أعلنَ أن العقيدة لن تُناوِئ إجون وأختيه، لأن (العجوز) رفعَت مصباحها وأرَته المستقبَل. لو رفعَت (البلدة القديمة) السِّلاح ضد التنِّين لاحترقَت، ولحاقَ الخراب والدَّمار بـ(البُرج العالي) و(القلعة) و(السِّپت النَّجمي). اللورد هايتاور كان رجلًا متديِّنًا، ولمَّا سمعَ النُّبوءة أبقى قوَّاته في دياره وفتحَ بوَّابات المدينة لإجون لدى وصوله، ومرخَ صاحِب القداسة الأعلى الفاتِح بالزُّيوت السَّبعة. عليَّ أن أفعل ما فعلَه السِّپتون الأعلى قبل ثلاثمئة عام، عليَّ أن أصلِّي وأصوم».

- «سبعة أيامٍ وسبع ليالٍ؟».

- «مهما تطلَّب الأمر».

فكَّرت سرسي وهي تتحرَّق شوقًا إلى صفعه على وجهه الرَّصين: أستطيعُ مساعَدتك على الصِّيام، أستطيعُ أن أحبسك في بُرجٍ ما وأحرص على ألَّا يأتيك أحد بطعام إلى أن تقول الآلهة كلمتها. قالت لهُ مذكِّرةً: «هؤلاء الملوك الزَّائفون يعتنقونَ أديانًا باطلةً. ملكنا تومن يُدافِع عن العقيدة المقدَّسة».

- «ومع ذلك تُحرَق السِّپتات وتُسرَق في كلِّ مكان، وحتى الأخوات الصَّامتات اغتُصِبن ويرفعن أصواتهن الملتاعة إلى السَّماء. هل رأت صاحِبة الجلالة عظام وجماجم إخوتنا المؤمنين؟».

ردَّت مرغمةً: «رأيتها. امنح تومن البَركة وسيضع نهايةً لهذه الانتهاكات».

- «وكيف سيفعل ذلك يا جلالة الملكة؟ هل سيُرسِل فارسًا يمشي على الطُّرق مع كلِّ أخٍ شحَّاذ؟ هل سيُعطينا رجالًا لحماية سِپتواتنا من الذِّئاب والأُسود؟».

سأتظاهرُ بأنك لم تَذكُر الأُسود. «البلاد في حرب. صاحِب الجلالة في حاجةٍ إلى كلِّ رجل». لا نيَّة لدى سرسي في تبديد قوَّة تومن بإرسال رجاله

للعب دور المُرضعات مع العصافير أو حراسة الفروج المتغضِّنة لألف سِپتة كئيبة. على الأرجح يُصَلِّي نِصفهن طلبًا للاغتصاب. «عصافيرك يحملون هراواتٍ وفؤوسًا. فليُدافِعوا عن أنفسهم».

– «قوانين الملك ميجور تَحظُر ذلك كما تعلم صاحِبة الجلالة بالتَّأكيد. بمرسوم منه لم تَعُد العقيدة تحمل السُّيوف».

– «تومن الملك الآن لا ميجور». لِمَ تُبالي بما فرضَه ميجور المتوحِّش قبل ثلاثمئة عام؟ بدلًا من أخذ السُّيوف من أيدي المؤمنين كان عليه استغلالها في تحقيق مآربة. أشارَت إلى (المُحارب) الواقف فوق مذبحه الرُّخامي الأحمر، وسألَت: «ما هذا الذي يحمله؟».

– «إنه سيف».

– «هل نسيَ كيف يستخدمه؟».

– «قوانين ميجور...».

– «... قابلة للإلغاء»، قالتها وتركَت القول يسبح في الهواء منتظرةً أن يلتقط السِّپتون الأعلى الطُّعم.

ولم يُخَيِّب الرَّجل ظنَّها، وقال: «ميلاد مُناضلي العقيدة من جديد... ستكون هذه إجابةً لثلاثمئة عام من الدُّعاء يا جلالة الملكة. سيرفع (المُحارب) سيفه ثانيةً ويُطَهِّر هذه البلادَ الأثيمة من شرورها. إذا سمحَ لي صاحِب الجلالة بإحياء جماعتَي السَّيف والنَّجمة العريقتيْن المبارَكتيْن فسيعرف كلُّ مؤمنٍ في (الممالك السَّبع) يقينًا أنه مولانا الشَّرعي الحَق».

رائع أن تسمع هذا، لكن سرسي حرصَت على عدم إبداء لهفتها، وقالت: «تكلَّمت منذ قليلٍ عن العفو يا صاحِب القداسة الأعلى. في هذه الأوقات العصيبة سيكون الملك تومن ممتنًّا للغاية إذا وجدت وسيلةً للعفو عن ديون التَّاج. على حَدِّ علمي نحن مدينون للعقيدة بنحو تسعمئة ألف تنِّين».

– «تسعمئة ألف وستُّمئة وأربعة وسبعون، ذهب من شأنه إطعام الجياع وإعادة بناء ألف سِپت».

سألَته الملكة: «هل تُريد الذَّهب أم إبطال قوانين ميجور التي عفا عليها الزَّمن؟».

فكَّر السِّپتون الأعلى لحظةً، ثم قال: «كما ترغبين. سنعفو عن هذا الدَّين،

وسينال الملك تومن البَركة. سيصحبني أبناء المُحارب إليه متألِّقين بمجد عقيدتهم، بينما يذهب عصافيري للدِّفاع عن الضُّعفاء والمساكين في البلاد، مولودين من جديدٍ كجماعة الصَّعاليك القديمة».

نهضَت الملكة وسوَّت تنُّورتها قائلةً: «سآمرُ بتجهيز الأوراق، وسيُوَقِّعها جلالته ويضع عليها الختم الملكي». إذا كان هناك جزء من المُلك يحبُّه تومن فهو اللَّعب بختمه.

قال السِّپتون الأعلى: «فليحمه (السَّبعة) وعسى أن يطول حُكمه»، وشبَّك أصابعه ورفعَ عينيه إلى السَّماء، وأردفَ: «فليرتجف الأشرار!».

هل تسمع يا لورد ستانيس ؟لم تستطِع سرسي أن تمنع نفسها من الابتسام. ما كان السيِّد والدها نفسه ليُبلي بلاءً أحسن. بضربةٍ واحدة خلَّصت (كينجز لاندنج) من وباء العصافير وأمَّنت بَركة تومن وخفَّضت نحو مليون تنِّين من ديون التَّاج. كان قلبها يُحَلِّق تحليقًا إذ سمحَت للسِّپتون الأعلى باصطحابها عائدةً إلى (بهو القناديل).

شاركَتها الليدي ميريويذر ابتهاجها، مع أنها لم تسمع قَطُّ بأبناء المُحارب أو جماعة الصَّعاليك، فشرحَت لها سرسي قائلةً: «تاريخهم يرجع إلى ما قبل غزوة إجون. أبناء المُحارب كانوا جماعةً من الفُرسان الذين تنازَلوا عن أراضيهم وذهبهم وأقسَموا على تكريس سيوفهم لصاحِب القداسة الأعلى. الصَّعاليك... كانوا رجالًا أكثر تواضُعًا ولو أن أعدادهم كانت أكبر كثيرًا، نوعًا من الإخوة الشَّحَّاذين ولكن يحملون الفؤوس بدلًا من الآنية. اعتادوا أن يجوبوا الطُّرق ويصطحبوا المُسافرين من سِپت إلى سِپت وبلدة إلى بلدة حاملين شارة النَّجمة السُّباعيَّة، أحمر على أبيض، فسمَّاهم العامَّة النُّجوم. أمَّا أبناء المُحارب فارتدوا معاطف بألوان قوس قزح ودروعًا فضِّيَّةً مزخرفةً فوق قمصانٍ من الشَّعر، وكانت في قبيعة سيف كلٍّ منهم بلَّورة على شكل نجمة. هؤلاء كانوا السُّيوف. مؤمنون، متنسِّكون، متعصِّبون، مشعوذون، قتَلة تنانين، صيَّادوا شياطين... الحكايات عنهم عديدة، لكن جميعها متَّفق على أنهم كانوا لا يُبارون في كراهيتهم لكلِّ أعداء العقيدة المقدَّسة».

قالت الليدي ميريويذر وقد فهمَت في الحال: «أعداء كاللورد ستانيس ومشعوذته الحمراء مثلًا؟».

ردَّت سرسي: «نعم، بالفعل»، وقهقهَت كفتاةٍ صغيرة، وقالت: «هل نفتح برميلًا من الهيبوكراس ونشرب نخب حميَّة أبناء المُحارب في طريقنا؟».

- «نخب حميَّة أبناء المُحارب وعبقريَّة الملكة الوصيَّة على العرش! نخب سرسي الأولى!».

كان الهيبوكراس حُلوًا لذيذًا كانتصار سرسي، وبدا هودج الملكة كأنه طافٍ في الهواء في طريق العودة عبر المدينة.

لكن عند سفح (تَل إجون العالي) صادفَت مارچري تايرل وبنات عمومتها العائدات من ركوب الخيل، ولمَّا وقعَت عيناها على الملكة الصَّغيرة قالت سرسي لنفسها بضيق: تُزعِجني في كلِّ مكان.

وراء مارچري طابور طويل من أفراد حاشيتها، حُرَّاس وخدم يحمل كثيرون منهم سلالًا من الزُّهور النَّاضرة، وقد لازمَ كلًّا من بنات عمومتها أحد المعجبين، فركبَ المُرافق الطَّويل الهزيل آلن أمبروز إلى جوار خطيبته إلينور، والسير تالاد مع آلا الخجول، ومقطوع الذِّراع مارك مالندور مع مِجا الممتلئة الضَّحوك، وصاحبَ التَّوأمان ردواين اثنتين من رفيقات مارچري الأخريات، ميريديث كرين وچانا فوسواي. وضعَت كلُّ النِّساء في شعورهن الزُّهور، وضَمَّ چالابار شو نفسه إلى الرَّكب أيضًا، بالإضافة إلى السير لامبرت تِرنبري بالرُّقعة على عينه، والمغنِّي الوسيم المعروف باسم الشَّاعر الأزرق.

وبالطَّبع لا بُدَّ أن يُصاحِب فارس من الحَرس الملكي الملكة الصَّغيرة، وبالطَّبع هو فارس الزُّهور. بدا السير لوراس متألِّقًا في دِرعه البيضاء المنقوشة بالذَّهبي. على الرغم من أنه لم يُحاوِل ثانيةً أن يُدَرِّب تومن على السِّلاح فما زالَ الملك الصَّغير يقضي أوقاتًا طويلةً للغاية معه، وكلَّما عادَ الصَّبي بَعد أن أمضى الأصيل مع زوجته الصَّغيرة حكى قصَّةً جديدةً عن شيءٍ قاله السير لوراس أو فعلَه.

حيَّتهم مارچري عندما التقى الرَّكبان وركبَت إلى جوار هودج الملكة. كانت وجنتاها متورِّدتين، وحُليقات شَعرها البنِّيَّة تنسدل بلا انتظامٍ على كتفيها، تُحَرِّكها مجرَّد نفخة ريحٍ خفيفة. قالت لهم: «كنا نقطف زهور الخريف من (غابة الملوك)».

أعرفُ أين كنتم. مُخبروها مفلحون للغاية في إطلاعها على كلِّ حركات

مارچري وسكناتها. فتاة ملول للغاية ملكتنا الصَّغيرة هذه. نادرًا ما تَترُك ثلاثة أيام بأكملها تمرُّ دون أن تَخرُج للرُّكوب. أحيانًا يركبون على طريق (روزبي) لصَيد الأصداف والأكل على شاطئ البحر، وفي أحيانٍ أخرى تأخذ حاشيتها عبر النَّهر لقضاء الأصيل في الصَّيد بالصُّقور. الملكة الصَّغيرة مولعة بركوب القوارب أيضًا، والإبحار جيئةً وذهابًا في (النَّهر الأسود) بلا وجهةٍ بعينها، ولمَّا يعزُّ إليها الإيمان تُغادِر القلعة لتُصَلِّي في (سِپت بيلور)، ثم إنها زبونة عند دستةٍ من الخيَّاطات، ومعروفة جيِّدًا وسط صاغة المدينة، بل ومعروفة أيضًا بزيارة سوق السَّمك عند (بوَّابة الطَّمي) لتُلقي نظرةً على صيد اليوم. أينما ذهبَت يتزلَّف إليها العامَّة، والليدي مارچري تفعل كلَّ ما في إمكانها لتُلهِب حماستهم. بلا انقطاع تتصدَّق على المتسوِّلين وتشتري الفطير السَّاخن من عربات الخبَّازين وتُوقِّف حصانها لتتكلَّم مع عوام التُّجَّار.

لو كان الأمر بيدها لجعلَت تومن يفعل كلَّ تلك الأشياء أيضًا. طوال الوقت تدعوه إلى المجيء معها ودجاجاتها في مغامراتهن، وطوال الوقت يتوسَّل الصَّبي إلى أمِّه لتأذن له في الذَّهاب، وقد وافقَت الملكة بضع مرَّات، ولو فقط لتسمح للسير أوزني بقضاء بضع ساعاتٍ إضافيَّة في رِفقة مارچري. كأن هذا أثمرَ شيئًا. أوزني خيَّب آمالي تمامًا. سألَت سرسي ابنها: «هل تَذكُر يوم أبحرَت أختك إلى (دورن)؟ هل تَذكُر عُواء الرِّعاع في طريق عودتنا إلى القلعة؟ والحجارة واللَّعنات؟».

لكن بفضل الملكة الصَّغيرة صَمَّ الملك أُذنيه عن سماع صوت العقل، وقال: «إذا اختلطنا بالعامَّة فسيحبُّوننا أكثر».

ذكَّرته قائلةً: «الرِّعاع أحبُّوا السِّپتون الأعلى السَّمين لدرجة أنهم مزَّقوه إربًا رغم قدسيَّته»، لكن قولها لم يُفضِ إلَّا إلى وجوم تومن. أراهنُ أن هذا ما أرادتَه مارچري بالضَّبط. كلُّ يوم تُحاوِل بكلِّ وسيلةٍ أن تسرقه مني. كان چوفري ليستشفَّ الدَّسائس المتوارية تحت ابتساماتها، لكن تومن أكثر سذاجةً. فكَّرت متذكِّرة العُملة الذَّهب التي وجدَها كايبرن: كانت تعلم أن چوف أقوى من أن تحتال عليه، ولأجل أن يكون لعائلة تايرل أمل في الحُكم كان يجب أن يُزاح. عادَ إلى ذاكرتها فجأةً أن مارچري وجدَّتها الشَّنيعة خطَّطتا ذات مرَّةٍ لتزويج سانزا ستارك بويلاس أخي الملكة الصَّغيرة المُعاق، وقد

أحبطَ اللورد تايوين هذا المخطَّط باستباق آل تايرل وتزويج سانزا بتيريون، لكن الرَّابط موجود. قالت لنفسها مفزوعةً وقد حَطَّ عليها الإدراك: كلُّهم متآمرون معًا. آل تايرل رشوا السَّجَّانين لإطلاق سراح تيريون وهرَّبوه على (الطَّريق الوردي) لينضمَّ إلى عروسه البغيضة. لا بُدَّ أنهما آمنان الآن في (هايجاردن)، مختبئان وراء جدارٍ من الورود.

بينما صعدوا منحدَر (تَل إجون العالي) واصلَت المتآمرة الصَّغيرة ثرثرتها قائلةً: «ليتكِ أتيتِ معنا يا جلالة الملكة. كنا لنقضي وقتًا رائعًا معًا. الأشجار متَّشحة بالذَّهبي والأحمر والبُرتقالي، والزُّهور في كلِّ مكان، والكستناء أيضًا. شوينا القليل في طريق العودة».

قالت سرسي: «ليس لديَّ وقت للرُّكوب في الغابة وقطف الزُّهور. إن عندي مملكةً أحكمها».

ردَّت مارچري: «واحدة فقط يا جلالة الملكة؟ ومَن يَحكُم السِّت الأخريات؟»، وأطلقَت ضحكةً مرحةً قصيرةً، وأردفَت: «آملُ أن تغفري لي مزحتي. أعرفُ العبء الذي تحملينه. يَجدُر بكِ أن تدعيني أشاركِ إياه. لا بُدَّ من وجود أشياء يُمكنني فِعلها لأعينكِ. سيضع هذا حدًّا لكلِّ الكلام الدَّائر عن تنافُسنا على الملك».

مبتسمةً قالت سرسي: «أهذا ما يقولون؟ حماقة. إنني لم أعدَّكِ منافِسة قَطُّ ولو لحظةً».

لم يبدُ على الفتاة أنها أدركَت ما في ردِّها من استخفاف، وقالت: «يسرُّني للغاية أن أسمع هذا. يجب أن تأتي معنا أنتِ وتومن المرَّة القادمة. أعرفُ أن جلالته سيحبُّ هذا. الشَّاعر الأزرق يُغَنِّي لنا، والسير تالاد أرانا كيف نُقاتِل بالنَّبابيت على غرار العوام. الغابة جميلة للغاية في الخريف».

– «زوجي الرَّاحل أحبَّ الغابة أيضًا». في سنوات زواجهما الأولى كان روبرت يُناشِدها طوال الوقت أن تذهب معه للصَّيد، لكن سرسي اعتذرَت دومًا، إذ أتاحَت لها رحلاته قضاء الوقت مع چايمي. نهارات من ذهب وليلات من فضَّة. لا شَكَّ أنهما كانا يُجازِفان، فـ(القلعة الحمراء) ملأى بالأعيُن والآذان دومًا، ولم يكونا متأكِّدين متى قد يعود روبرت، لكن بوسيلةٍ ما جعلَ الخطر أوقاتهما معًا تبدو أكثر إثارةً مرارًا. قالت للملكة الصَّغيرة

محذِّرةً: «ولو أن الجَمال من شأنه أن يُخفي خطرًا مميتًا أحيانًا. روبرت فقدَ حياته في الغابة».

منحَت مارچري السير لوراس ابتسامةً أخويَّةً عذبةً مفعمةً بالحنان، وقالت: «لُطف من جلالتكِ أن تخافي عليَّ، لكن أخي يحميني جيِّدًا».

عشرات المرَّات ألحَّت سرسي على روبرت قائلةً: اذهب للصَّيد، أخي يحميني جيِّدًا. تذكَّرت ما قالَته تاينا قبلًا، وتفجَّرت من بين شفتيها ضحكة.

ابتسمَت لها الليدي مارچري بفضول، وقالت: «ضحكة جلالتكِ جميلة للغاية. هلَّا أشركتِنا في الدُّعابة؟».

ردَّت الملكة: «ستشتركون فيها، هذا وعد».

المُغير

دقَّت طبول المعركة و(النَّصر الحديدي) تتقدَّم مسرعةً، يشقُّ مِدكُّها المياه الخضراء المتلاطمة نحو السَّفينة الأصغر حجمًا التي تدور أمامهم ومجاذيفها تضرب البحر وعلى راياتها تُرَفرِف الورود؛ من كلٍّ من المقدِّمة والمؤخِّرة ترتفع وردة بيضاء على خلفيَّةٍ حمراء بشكل المِجَنِّ، وفوق صاريتها وردة ذهبيَّة على خلفيَّةٍ خضراء كالنَّجيل. ارتطمَت (النَّصر الحديدي) بجانبها بعُنفٍ أفقدَ نِصف رجال فِرقة الاقتحام توازُنهم، وانقصمَت المجاذيف وتشظَّت بصوتٍ تردَّد في أُذني القائد كلحنٍ أخَّاذ.

وثبَ من فوق الحاجز وحَطَّ على السَّطح الأدنى ومعطفه الذَّهبي يخفق وراء ظَهره، فتراجعَت الورود البيضاء كدأب الرِّجال الدَّائم لدى مرأى ڤيكتاريون جرايچوي مسلَّحًا مدرَّعًا وقد توارى وجهه تحت خوذة الكراكِن. كانوا يحملون سيوفًا وحِرابًا وفؤوسًا، غير أن تسعةً من كلِّ عشرةٍ لا تحميهم دروع، والعاشر لا يرتدي أكثر من قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة المخيطة. هؤلاء ليسوا رجالًا حديديِّين، ما زالوا يخافون الغرق.

صاحَ أحدهم: «نلوا منه! إنه بمفرده!».

وهدرَ ڤيكتاريون مجيبًا: «**هلمُّوا!** تعالوا واقتُلوني إن استطعتم!».

من كلِّ صوبٍ التفَّ مُحاربو الورود حوله، في أيديهم الفولاذ الرَّمادي وفي أعيُنهم الذُّعر، محسوسٌ ملموسٌ خوفهم لدرجة أنه تذوَّقه على لسانه. شِمالًا ويمينًا انهالَ بضرباته شاطرًا ذراع الرَّجل الأول من عند المِرفق وفالقًا كتف الثَّاني، ودفنَ الثَّالث رأس فأسه في خشب تُرس ڤيكتاريون الصَّنوبري اللَّيِّن، فهوى به على وجه الأحمق طارحًا إياه أرضًا، وقتلَه لمَّا حاولَ النُّهوض.

بينما يُحاوِل انتزاع فأسه من قفص القتيل الصَّدري وخزَته حربة بين لوحَي الكتفين، فأحسَّ كأن أحدًا لطمَه على ظَهره، ودارَ ڤيكتاريون على عقبيه وهوى بفأسه على رأس حامل الحربة شاعرًا بتأثير الصَّدمة في ذراعه إذ شَقَّ الفولاذ الخوذة والشَّعر والجمجمة. ترنَّح الرَّجل لحظةً أو أقلَّ، ثم انتزعَ القائد الحديدي فولاذه وتركَ الجثَّة تَسقُط بأطرافٍ مرتخية على سطح السَّفينة وهي تبدو سكرانة أكثر من ميتة.

عندها كان رجاله الحديديُّون قد تبعوه إلى سطح السَّفينة الطَّويلة المحطَّمة. سمعَ وولف ذا الأُذن الواحدة يُطلِق عُواءً وهو يبدأ العمل، ولمحَ راجنور پايك في قميصه المعدني الصَّدئ، ورأى نيوت الحلَّاق يُلقي فأسًا دارَت في الهواء وأصابَت أحد الخصوم في صدره. قتلَ ڤيكتاريون رجلًا آخَر وآخَر، وكان ليَقتُل ثالثًا على التَّوالي، لكن راجنور أرداه أولًا، فجأرَ مخاطبًا إياه: «أحسنت القتْلة!».

حين التفتَ باحثًا عن ضحيَّة فأسه التَّالية أبصرَ الرُّبَّان الآخَر عبر سطح السَّفينة، سُترته البيضاء الطَّويلة ملوَّثة بالدَّم الطَّازج والمتخثِّر، إلَّا أن ڤيكتاريون ميَّز الرَّمز على صدره، الوردة البيضاء على المِجَنِّ الأحمر، وقد حملَ تُرسه الرَّمز نفسه على خلفيَّةٍ بيضاء مؤطَّرة بشكل شُرفات الحصن. ناداه الرُّبَّان الحديدي عبر المقتلة بينهما: «أنت! أنت يا حامل الوردة! أأنت سيِّد (تُرس الجنوب)؟».

رفعَ الرُّبَّان الآخَر مقدِّمة خوذته ليظهر وجهه الحليق، وأجابَ: «ابنه ووريثه، السير تالبرت سيري. ومَن أنت أيها الكراكِن؟».

رَدَّ ڤيكتاريون: «موتك»، وانقضَّ عليه.

وثبَ سيري يُجابِهه رافعًا سيفه الفولاذي المطرَّق في قلعة، وقد جعلَه الفارس الشَّاب يُغَنِّي. كانت ضربته الأولى منخفضةً وتلقَّاها ڤيكتاريون على فأسه، وأصابَت الثَّانية الرُّبَّان الحديدي على خوذته قبل أن يرفع تُرسه، فردَّها بضربةٍ جانبيَّة من فأسه اعترضَها تُرس سيري لتتطايَر شظايا الخشب وتنشقَّ الوردة البيضاء بالطُّول بصوتٍ حاد عذب. هوى السَّيف الطَّويل على فخذه مرَّةً واثنتين وثلاثًا صارخًا مع احتكاكه بفولاذ دِرعه، فقال الرُّبَّان الحديدي لنفسه: الصَّبي سريع، وهوى بتُرسه على وجه سيري دافعًا إياه إلى التَّراجُع

مترنِّحًا إلى الحاجز، ثم رفعَ ڤيكتاريون فأسه واضعًا ثِقله كلَّه وراء ضربتها ليفلق جسد الصَّبي من العُنق إلى ملتقى الفخذين، لكن سيري دارَ متملِّصًا، وانغرسَ رأس الفأس في الحاجز الخشبي مطيِّرًا الشَّظايا، ولمَّا حاولَ ڤيكتاريون انتزاعه وجدَه عالقًا... وتحرَّك ظَهر السَّفينة تحت قدميه وسقطَ على رُكبته.

ألقى السير تالبرت تُرسه المهشَّم وسدَّد ضربةً بسيفه الطَّويل، وكان تُرس ڤيكتاريون قد التوى جزئيًّا حين سقطَ، فصَدَّ النَّصل بقبضةٍ من حديد، ليتحطَّم فولاذ قُفَّازه المقعَّر وتسري في ذراعه طعنة من الألم جعلَته يئنُّ، لكنه ظَلَّ متشبِّثًا، وقال: «أنا أيضًا سريع يا فتى»، وانتزعَ السَّيف من يد الفارس وألقاه في البحر.

اتَّسعت عينا السير تالبرت، وغمغمَ: «سيفي...».

طوَّق ڤيكتاريون رقبة الصَّبي بقبضته الدَّامية قائلًا: «اذهب واعثُر عليه»، وألقاه من فوق الحاجز في المياه الملطَّخة بالدِّماء.

منحَه هذا فترة راحةٍ ليُحَرِّر فأسه من الخشب. كانت الورود البيضاء تتراجَع أمام السَّيل الحديدي، يُحاوِل بعضها الفرار إلى قلب السَّفينة ويَصرُخ بعضها متوسِّلًا الرَّحمة. شعرَ ڤيكتاريون بالدَّم الدَّافئ يسيل على أصابعه تحت الحلقات المعدنيَّة والجِلد والفولاذ المقعَّر، لكن هذا لا شيء. حول الصَّارية رأى مجموعةً ملتزَّةً من الخصوم يُواصِلون القتال كتفًا إلى كتفٍ في حلقة، ففكَّر: هؤلاء القلائل رجال على الأقل، يُؤثِرون الموت على الاستسلام، ودَقَّ بفأسه على تُرسه وانقضَّ عليهم.

لم يخلق الإله الغريق ڤيكتاريون جرايچوي للقتال بالكلمات في انتخاب الملك، ولا لمغالَبة الأعداء الخفيِّين المتسلِّلين في مستنقعاتٍ بلا نهاية، أمَّا هذا فهو ما وُضِعَ على هذه الأرض لكي يفعله، لأن يقف مدرَّعًا بالفولاذ وفي يده فأس حمراء يَقطُر منها الدَّم، مُعمِلًا الموت مع كلِّ ضربة.

من الأمام والخلف هاجَموه، لكن سيوفهم لم تُصِبه بأذى كأنها غصون صَفصاف. لا نصل يُمكنه النَّفاذ من دِرع ڤيكتاريون جرايچوي الثَّقيلة، ولا أعطى هو غُرماءه فُرصة العثور على نقاط الضَّعف عند المفاصل حيث لا يقيه إلَّا الجِلد وحلقات المعدن. فليُهاجِمه ثلاثة رجال، أو أربعة، أو خمسة،

لا فرق. واحدًا تلو الآخَر قتلَهم مؤتمنًا فولاذه على حمايته من الآخَرين، وإذ سقطَ كلُّ غريم سلَّط ڤيكتاريون ثورته على التَّالي.

لا بُدَّ أن آخِر رجلٍ واجهَه حدَّاد، فللرَّجل كتفان ضخمتان كأكتاف كالثِّيران وإحداهما مفتولة العضلات أكثر من الثَّانية بكثير. ليست دِرعه أكثر من سُترةٍ جِلديَّة مرصَّعة بالحديد وقبَّعة من الجِلد المقوَّى، والضَّربة الوحيدة التي سدَّدها أكملَت دمار تُرس ڤيكتاريون، لكن الضَّربة التي رَدَّ بها القائد شطرَت رأسه نِصفين. ليتني أستطيعُ التَّعامُل مع عين الغُراب بهذه البساطة. حين انتزعَ رأس فأسه ثانيةً انفجرَ رأس الحدَّاد، وتناثرَت العظام والدِّماء وخلايا المُخ في كلِّ مكان، وسقطَت الجثَّة إلى الأمام على ساقيه، وفكَّر ڤيكتاريون وهو يُخَلِّص نفسه من الرَّجل الميت: فاتَ أوان توسُّل الرَّحمة.

عندئذٍ كان سطح السَّفينة قد صارَ زلقًا تحت قدميه، وأكوام الموتى والمحتضرين على كلِّ جانب. ألقى تُرسه وعَبَّ الهواء، وسمعَ الحلَّاق يقول من جانبه: «حضرة القائد، النَّصر لنا».

حولهم من كلِّ جهةٍ امتلأَ البحر بالسُّفن، بعضها يحترق وبعضها يغرق وبعضها تحطَّم تمامًا، وبين أبدانها المياه زاخرة بالجُثث والمجاذيف المكسورة والرِّجال المتمسِّكين بالحُطام، ومن بعيدٍ نِصف دستةٍ من سُفن الجنوبيِّين الطَّويلة تهرع صوب نهر (الماندر). فليذهبوا ويحكوا الحكاية. ما إن يُوَلِّي الرَّجل الأدبار ويفرَّ من المعركة لا يعود رجلًا.

كانت عيناه تُؤلِمانه من العَرق الذي سالَ فيهما خلال القتال. ساعدَه اثنان من ملَّاحيه على حَلِّ أربطة خوذة الكراكِن ليرفعها، وجفَّف ڤيكتاريون جبهته مدمدمًا: «الفارس، فارس الوردة البيضاء. هل سحبَه أحد من الماء؟». الصَّبي ابن لورد ويستحقُّ فديةً لا بأس بها، من أبيه إذا نجا اللورد سيري من المعركة، وإن لم يكن فمن وليِّ أمره في (هايجاردن).

على أن أحدًا من رجاله لم يرَ ما جرى للفارس بَعد أن سقطَ في الماء، وعلى الأرجح غرقَ، فقال ڤيكتاريون: «عسى أن ينعم كما قاتلَ في أبهاء الإله الغريق المائيَّة». مع أن أهل (جُزر التُّروس) يقولون عن أنفسهم إنهم بحَّارة، فإنهم يجتازون البحر في خوفٍ ويَدخُلون المعارك مرتدين ثيابًا خفيفةً خشية الغرق، أمَّا سيري الشَّاب فمختلف. رجل شُجاع، يكاد يكون حديديًّا.

أعطى راجنور پايك السَّفينة المأسورة واختارَ دستةً من الرِّجال لطاقمها، ثم عادَ يصعد إلى سطح سفينته (النَّصر الحديدي)، حيث قال لنيوت الحلَّاق: «جرِّدوا الأسرى من السِّلاح والدُّروع وضمِّدوا جراحهم، وألقوا المحتضرين في البحر. إذا توسَّل أحدهم الرَّحمة فاذبحوه». لا يَشعُر ڤيكتاريون إلَّا بالاحتقار نحو أمثالهم، فالمفترَض أن خيرًا لهم أن يغرقوا في مياه البحر من الدِّماء. «أريدُ إحصاء السُّفن التي ظفرنا بها وجميع الفُرسان وصغار اللوردات الذين أسرناهم، وأريدُ راياتهم كذلك». ذات يوم سيُعَلِّقها في قاعته، وعندما يشيخ ويتمكَّن منه الوهن سيتذكَّر كلَّ الأعداء الَّذين بطشَ بهم وقت أن كان يتمتَّع بقوَّته وعُنفوانه.

رَدَّ نيوت بابتسامةٍ واسعة: «كما تأمر. إنه انتصار عظيم».

أجل، انتصار عظيم لعين الغُراب وسحرته. سيهتف الرَّبابنة الآخَرون باسم أخيه من جديدٍ عندما تَبلُغ الأنباء (تُرس السَّنديان). لقد سحرَهم يورون بلسانه المعسول وعينه الباسمة وضمَّهم إلى قضيَّته بغنائم من عشرات البلدان البعيدة؛ ذهب وفضَّة، ودروع منمَّقة وسيوف مقوَّسة بقبائع مذهَّبة وخناجر من الفولاذ الڤاليري، وجلود نمورٍ مخطَّطة وقططٍ رقطاء، ومانتيكورات من اليَشب وتماثيل أبي هولٍ عتيقة من (ڤاليريا)، وصناديق من جوز الطِّيب والقرنفل والزَّعفران، وأنياب من العاج وقرون يونيكورنات، وريش أخضر وبُرتقالي وأصفر من (جُزر الصَّيف)، ولفائف من الحرير النَّاعم والسَّميت البرَّاق... لكن كلَّ هذا لا يُذكَر مقارنةً بما أعطاهم إياه الآن. الآن أعطاهم الغزو وأصبحوا له بلا رجعة. تركَت الفكرة مذاقًا مُرًّا على لسانه. هذا انتصاري أنا لا انتصاره. أين هو؟ في (تُرس السَّنديان) يجلس متكاسلًا في قلعة. لقد سرقَ زوجتي وسرقَ عرشي، والآن يسرق مجدي.

الطَّاعة من طباع ڤيكتاريون جرايچوي ومفطور عليها. خلال نشأته في ظِلِّ إخوته وقبل بلوغه مبلغ الرِّجال تبعَ بالون بإخلاصٍ في كلِّ ما فعلَه، ولاحقًا بَعد مولد أبناء بالون تقبَّل مع مرور الوقت حقيقة أنه سيركع لهم أيضًا عندما يحلُّ أحدهم محلَّ أبيه على كُرسي حجر اليم. إلَّا أن الإله الغريق استدعى بالون وأبناءه إلى أبهائه المائيَّة، والآن لا يستطيع ڤيكتاريون أن يدعو يورون بالملك دون أن يذوق المرارة في حَلقه.

الرِّيح منعشة، وعطشه يتأجَّج. دائمًا يشتهي النَّبيذ بَعد المعركة، وهكذا سلَّم نيوت سطح السَّفينة وذهبَ إلى أسفل، وفي قمرته الضيِّقة في المؤخِّرة وجدَ المرأة السَّمراء مبتلَّةً وجاهزةً. ربما أحمَت المعركة دماءها أيضًا. أخذَها مرَّتين متتاليتين بلا استراحة، ولمَّا فرغا كان الدَّم يُلَطِّخ ثدييها وفخذيها وبطنها، لكنه دمه هو النَّازف من الجرح البليغ في يده.

غسلَته له السَّمراء بالخَلِّ المغلي، وبينما تركع إلى جواره قال ڤيكتاريون: «الخطَّة كانت موفَّقةً، أعترفُ بهذا. (الماندر) مفتوح لنا الآن كما كان من قديم». إنه نهر خامل، واسع وبطيء الجريان ومليء بأخطار غصون الأشجار السَّاقطة والامتدادات الرَّمليَّة المرتفعة، وهكذا لا يجرؤ معظم مراكب البحر على الإبحار فيه بَعد (هايجاردن)، لكن السُّفن الطَّويلة بغواطسها المسطَّحة بإمكانها الإبحار في اتِّجاه التَّيَّار حتى (جسر العلقم). في سالف الزَّمن اعتادَ حديديُّو الميلاد خوض النَّهر بجرأةٍ والإغارة على جانبيه وعلى روافده... إلى أن سلَّح ملوك الأراضي الخضراء صيَّادي الجُزر الأربع الصَّغيرة عند مصبِّ (الماندر) وسمَّوها تُروسه.

ألفا عام مرَّا، لكن في أبراج المراقبة على شواطئ الجُزر الوعرة ما زالَ المسنُّون يقِّفون حراسةً حتى الآن، وعند أول بادرةٍ للسُّفن الطَّويلة يُشعِل هؤلاء العجائز نيران مناراتهم ويثب النِّداء من تَلٍّ إلى تَلٍّ ومن جزيرةٍ إلى جزيرة. خوف! أعداء! مُغيرون! مُغيرون! حين يرى الصَّيَّادون النَّار مضطرمةً في البقاع العالية يضعون شباكهم ومحاريثهم جانبًا ويحملون السُّيوف والفؤوس، ويهرع سادتهم من قلاعهم وفي صُحبتهم فُرسانهم وجنودهم، وتُدَوِّي أبواق الحرب عبر الماء من (التُّرس الأخضر) و(التُّرس الرَّمادي) و(تُرس السَّنديان) و(تُرس الجنوب)، وتَخرُج سُفنهم الطَّويلة من أحواضها الحجريَّة المغطَّاة بالطَّحالب بطول الشُّطآن، تُومِض مجاذيفها بينما تحتشد في المضايق لإغلاق (الماندر) ومطارَدة المُغيرين وسياقتهم إلى حتفهم.

أرسلَ يورون كلًّا من توروولد ذي السِّن البنِّيَّة والملَّاح الأحمر يخوضان (الماندر) بدستةٍ من السُّفن الطَّويلة السَّريعة كي يندفع لوردات (جُزر التُّروس) إلى مطارَدتهما، ولدى وصول القوَّة الأساسيَّة من أسطوله لم تَعُد هناك إلَّا حفنة من المُقاتلين المتبقِّين للدِّفاع عن الجُزر نفسها. أتى الحديديُّون مبحرين في تيَّار المساء، ليُخفيهم وهج الشَّمس الغاربة عن أعيُن المسنِّين

في أبراج المراقبة حتى يفوت الأوان. كانت الرِّياح تهبُّ من ورائهم مِثلما ظلَّت منذ إقلاعهم من (ويك القديمة)، وقد سرَت عبر الأسطول همسات تقول إن سحرة يورون لعبوا دورًا كبيرًا في هذا، إن عين الغُراب استرضى إله العواصف بقرابين الدَّم، وإلَّا كيف كان ليَجسُر على التَّوغُل غربًا هكذا بدلًا من الإبحار بمحاذاة السَّاحل كما جرَت العادة؟

رسا حديديُّو الميلاد بسُفنهم الطَّويلة على الأرصفة الحجريَّة وتدفَّقوا منها في الغسق الأرجواني والفولاذ يَبرُق في أيديهم. عندئذٍ كانت المنارات قد أضيئَت في البقاع العالية، ولكن في وجود قلائل يحملون السِّلاح. سقطَت (التُّرس الرَّمادي) و(التُّرس الأخضر) و(تُرس الجنوب) قبل شروق الشَّمس، بينما ظلَّت (تُرس السَّنديان) صامدةً طول نِصف النَّهار، وحين تخلَّى رجال (جُزر التُّروس) عن مطارَدتهم توروولد والملَّاح الأحمر وعادوا أدراجهم وجدوا الأسطول الحديدي ينتظرهم عند مصبِّ (الماندر).

قال للسَّمراء وهي تُضَمِّد يده بالكتَّان: «كلُّ شيءٍ جرى كما قال يورون. لا بُدَّ أن سحرته رأوا هذا». إن معه ثلاثةً على متن (الصَّمت)، كما باحَ له كويلون همبل همسًا، رجالًا أغرابًا فُظعاء، لكن عين الغُراب استعبدَهم. واصلَ ڤيكتاريون بإصرار: «لكنه ما زالَ محتاجًا إليَّ لخوض المعارك. لا بأس بالسَّحرة، لكن الحروب تُربَح بالدَّم والفولاذ». جعلَ الخَلُّ ألم جرحه أسوأ من قبل، فدفعَ السَّمراء جانبًا وأغلقَ قبضته بسحنةٍ مكفهرَّة، وقال: «أحضِري لي نبيذًا».

شربَ في الظَّلام مفكِّرًا في أخيه. إذا لم أوجِّه الضَّربة بيدي أفما زلتُ قاتِل أقربين؟ لا يخشى ڤيكتاريون إنسانًا، لكن لعنة الإله الغريق تبعث على التَّردُّد. إذا جندلَه أحد غيري بأمري فهل تُلَوِّث دماؤه يدَي أنا؟ كان آرون ذو الشَّعر الرَّطب ليعرف الجواب، لكن الرَّاهب في مكانٍ ما في (جُزر الحديد)، لا يزال يأمل أن يُجَيِّش الحديديِّين ضد ملكهم المتوَّج لتوِّه. نيوت يُمكنه أن يحلق لحية رجلٍ برمية فأسٍ من بُعد مئة ياردة، ولا أحد من هِجان يورون يقوى على الصُّمود ضد وولف ذي الأُذن الواحدة أو أندريك اللا مبتسم. بإمكان أيِّهم أن يفعلها... لكن ما يستطيع الرَّجل أن يفعله شيء وما يقبل أن يفعله شيء مختلف، وهو ما يعلمه ڤيكتاريون.

في (ويك القديمة) تنبَّأ آرون قائلًا: «تجديف يورون سيستجلب غضبة

الإله الغريق علينا جميعًا. يجب أن نُوقِفه يا أخي. إننا ما زلنا من دم بالون، أليس كذلك؟».

رَدَّ ڤيكتاريون: «وهو أيضًا. الأمر لا يروقني أكثر منك، لكن يورون الملك. الانتخاب الذي دعوت أنت إليه رفعَه، وبنفسك وضعت تاج الخشب المجروف على رأسه!».

قال الرَّاهب والماء يَقطُر من طحالبِ البحر في شَعره: «وضعتُ التَّاج على رأسه، وعن طيب خاطرٍ سأنتزعه من عليه وأضعه على رأسك بدلًا منه. أنت الوحيد القوي بما فيه الكفاية لمقاتَلته».

قال ڤيكتاريون متذمِّرًا: «الإله الغريق رفعَه، فلنَترُك الإله الغريق يطيح به».

رماه آرون بنظرةٍ مُهلكة، تلك النَّظرة المعروفة بتسميم الآبار وجعل النِّساء عواقر، وقال: «ليس الإله من تكلَّم. يورون معروف بالاحتفاظ بالسَّحرة والمشعوذين البغيضين على سفينته الحمراء. لقد ألقوا تعويذةً بيننا كي لا نسمع البحر. الرَّبابنة والملوك أسكرَهم الكلام عن التَّنانين».

- «أسكرَهم الكلام وأخافَهم ذلك البوق. أنت سمعت الصَّوت الذي خرجَ منه. لا يهمُّ، يورون مليكنا».

أعلنَ الرَّاهب: «ليس مليكي. الإله الغريق يُعين الجسورين لا مَن يتوارون في بطون سُفنهم حين تثور العاصفة. ما دُمت لن تُحَرِّك ساكنًا لإزاحة عين الغُراب من على كُرسي حجر اليم، فعليَّ أن أتولَّى هذه المهمَّة بنفسي».

- «كيف؟ إنك لا تملك سُفنًا ولا يتبعك جنود».

رَدَّ الرَّاهب: «إن لديَّ صوتي، والإله معي. قوَّتي قوَّة البحر، قوَّة لا أمل لعين الغُراب في التَّصدِّي لها. ربما تتكسَّر الأمواج على الجبل، لكنها تظلُّ تأتي موجةً عقب موجة، وفي النِّهاية لا يتبقَّى من الجبل الشَّامخ إلَّا الحصى، وسرعان ما ينجرف الحصى ويغوص إلى قرار البحر ويفترِشه إلى الأبد».

دمدمَ ڤيكتاريون: «حصى؟ أنت مجنون إذا كنت تحسب أنك ستطيح بعين الغُراب بالكلام عن الموج والحصى».

قال ذو الشَّعر الرَّطب: «حديديُّو الميلاد سيكونون الموج، ليس العُظماء والسَّادة وإنما البُسطاء الذين يفلحون الأرض ويصطادون من البحر. الرَّبابنة والملوك رفعوا يورون، لكن العامَّة سيُسقِطونه. سأذهبُ إلى (ويك الكُبرى)،

إلى (هارلو)، إلى (أوركمونت)، إلى (پايك) ذاتها. في كلِّ بلدةٍ وقريةٍ سيسمعونني. ليس لكافرٍ أن يجلس على كُرسي حجر اليم!»، وهَزَّ رأسه الأشعث وعادَ يَخرُج ليغيب في اللَّيل، وحين أشرقَت الشَّمس في اليوم التَّالي كان آرون ذو الشَّعر الرَّطب قد اختفى من (ويك القديمة)، وحتى رجاله الغرقى لم يعرفوا مكانه، وقالوا إن عين الغُراب اكتفى بالضَّحك حين علمَ.

لكن على الرغم من غياب الرَّاهب ظلَّت تحذيراته الملحَّة في عقل ڤيكتاريون، الذي وجدَ نفسه يستعيد ما قاله له بيلور بلاكتايد أيضًا. «بالون كان مجنونًا وآرون أكثر جنونًا ويورون الأكثر جنونًا على الإطلاق». حاولَ اللورد الشَّاب الإبحار إلى دياره بَعد انتخاب الملك رافضًا أن يقبل يورون مولاه، لكن الأسطول الحديدي كان قد أغلقَ الخليج، وعادة الطَّاعة متجذِّرة في ڤيكتاريون جرايجوي، ويورون يعتمر تاج الخشب المجروف، وهكذا استولِيَ على (طيَّار اللَّيل) وأُخِذَ اللورد بلاكتايد إلى الملك مكبَّلًا بالسَّلاسل، ثم قطَّعه بُكم يورون وهِجانه إلى سبعة قِطعٍ لإطعام آلهة الأراضي الخضراء السَّبعة التي كان يَعبُدها.

مكافأةً على خدمته المخلصة، منحَ الملك حديث التَّتويج ڤيكتاريون المرأة السَّمراء التي أخذَها من سفينة نخَّاسين كانت متَّجهةً إلى (لِيس)، فقال لأخيه بازدراء: «لا أريدُ شيئًا من فُضالتك»، لكن لمَّا قال عين الغُراب إنها ستموت إن لم يأخذها ضعفَت مقاوَمته. لسانها مقطوع، لكنها فيما عدا هذا سليمة، ثم إنها جميلة أيضًا، بشرتها بنِّيَّة كخشب السَّاج المزيَّت، غير أنه عندما يَنظُر إليها يجد نفسه أحيانًا يتذكَّر المرأة الأولى التي منحَه أخوه إياها لتصنع منه رجلًا.

أرادَ ڤيكتاريون أن يستعمل السَّمراء مرَّةً أخرى، لكنه لم يجد في نفسه القُدرة، فقال لها: «أحضِري لي قِربة نبيذٍ أخرى ثم اخرُجي»، وحين عادَت بقِربةٍ من النَّبيذ الأحمر المُر صعدَ بها القائد إلى السَّطح ليتنشَّق هواء البحر النَّظيف. شربَ نِصف القِربة وصَبَّ البقيَّة في البحر لأجل كلِّ من ماتوا.

ظلَّت (النَّصر الحديدي) راسيةً عند مصبِّ (الماندر) ساعات، وبينما أبحرَ الجزء الأكبر من الأسطول الحديدي إلى (تُرس السَّنديان) احتفظَ ڤيكتاريون بكلٍّ من (الثُّبور) و(اللورد داجون) و(الرِّيح الحديد) و(لعنة العذراء) حوله

لحراسة المؤخِّرة. سحبوا النَّاجين من البحر وشاهَدوا (اليد القويَّة) تغرق ببُطء، يجرُّها إلى أسفل حُطام السَّفينة التي دكَّتها، ولدى غيابها تحت الماء بلغَ ڤيكتاريون الإحصاء الذي طلبَه، وعرفَ أنه فقدَ ستَّ سُفنٍ وأسرَ ثماني وثلاثين. قال لنيوت: «لا بأس. إلى المجاذيف، سنعود إلى (بلدة اللورد هيويت)».

جذَّف ملَّاحوه نحو (تُرس السَّنديان)، وعادَ الرُّبَّان الحديدي إلى قمرته مجدَّدًا، حيث قال للسَّمراء: «يُمكنني أن أقتله، ولو أنه إثم عظيم أن يَقتُل المرء مليكه، وإثم أعظم أن يَقتُل أخاه»، وقطَّب جبينه مردفًا: «كان على آشا أن تُعطيني صوتها». كيف أملَت أن تكسب الرَّبابنة والملوك بأكواز الصَّنوبر واللِّفت؟ في عروقها دماء بالون، لكنها تظلُّ امرأةً. فرَّت آشا بَعد انتخاب الملك. ليلة وُضِعَ تاج الخشب المجروف على رأس يورون ذابَت هي وطاقمها، وفي أعماق ڤيكتاريون جزء صغير مسرور لهذا. إذا احتفظَت الفتاة بعقلها فستتزوَّج أحد لوردات الشَّمال وتحيا معه في قلعته بعيدًا عن البحر ويورون عين الغُراب.

نادى أحد رجال الطَّاقم: «(بلدة اللورد هيويت) يا حضرة القائد».

نهضَ ڤيكتاريون. كان النَّبيذ قد خفَّف نبض الألم في يده. ربما يجعل المِايستر الذي يخدم هيويت يُلقي نظرةً عليها إذا لم يكن قد قُتِلَ. عادَ إلى السَّطح بينما يدورون حول لسانٍ من اليابسة، ورأى قلعة اللورد هيويت مستقرَّةً فوق الميناء فذكَّرته بـ(لوردزپورت)، مع أن هذه البلدة تَبلُغ ضِعفها مساحةً. بَعد الميناء يخوض نحو عشرين من السُّفن الطَّويلة المياه وعلى ذيولها يتلوَّى الكراكِن الذَّهبي، في حين ترسو مئات أخرى بطول الأرصفة مربوطةً بالحبال، وعند رصيفٍ حجري ثمَّة ثلاثة أكواج عظيمة ودستة من الأكواج الأصغر تُحَمَّل بالغنائم والمؤن. أمرَ ڤيكتاريون بأن تُلقي (النَّصر الحديدي) مرساتها، وقال لرجاله: «جهِّزوا لي قاربًا».

بدَت البلدة هادئةً على نحوٍ غريب مع اقترابهم. معظم المحال والمنازل نُهِبَ كما تشهد الأبواب المحطَّمة والنَّوافذ المهشَّمة، لكن وحده السِّپت أُحرِقَ، وفي الشَّوارع تتناثَر الجُثث، كلٌّ منها يتحلَّق حوله سرب صغير من غِربان الجيف. راحَت مجموعة من النَّاجين العابسين تتحرَّك بينها طاردةً

الطُّيور السَّوداء وملقيةً الموتى على ظَهر عربةٍ ليُؤخَذوا إلى المدافن، وهو ما أفعمَ ڤيكتاريون بالازدراء، فلا ولد حقيقيًّا للبحر يرغب في أن يتعفَّن في باطن الأرض، وإلَّا فكيف سيَعثُر على أبهاء الإله الغريق المائيَّة لينعم بالمأكل والمشرب أبد الدَّهر؟

من بين السُّفن التي مرُّوا بها (الصَّمت). انجذبَت نظرة ڤيكتاريون إلى تمثال المقدِّمة الحديدي، الفتاة عديمة الفم ذات الشَّعر الذي يُهَفهِف في الرِّيح والذِّراع الممدودة، وقد بدا كأن عينيها المصنوعتين من عِرق اللُّؤلؤ تتبعانه، فقال لنفسه: كان لها فم كأيِّ امرأةٍ أخرى، إلى أن خاطَه عين الغُراب وأغلقَه.

مع دنوِّهم من الشَّاطئ لاحظَ مجموعةً من النِّساء والأطفال المصفوفين على متن أحد الأكواج العظيمة، بعضهم يداه مقيَّدتان وراء ظَهره، وحول أعناقهم جميعًا حبال من القِنَّب. سألَ الرِّجال الذين ساعَدوا على ربط القارب: «مَن هؤلاء؟».

- «أرامل وأيتام، سيُباعون كعبيد».

- «يُباعون؟». ليس في (جُزر الحديد) عبيد، بل أقنان فقط، والقِنُّ ملزَم بالخدمة لكنه ليس ملكًا لسيِّده، ويُولَد أطفاله أحرارًا شريطة أن يُعطَوا للإله الغريق، ثم إن الأقنان لا يُشتَرون أو يُباعون بالذَّهب أبدًا، فعلى الرَّجل أن يدفع الثَّمن الحديدي مقابلهم وإلَّا فلا أقنان له على الإطلاق. قال متبرِّمًا: «المفترَض أن يكونوا أقنانًا أو زوجاتٍ ملحيَّات».

رَدَّ الرَّجل: «هذا أمر الملك».

قال نيوت الحلَّاق: «الأقوياء يأخذون من الضِّعاف دومًا. أقنان أو عبيد، لا فرق. رجالهم لم يستطيعوا الدِّفاع عنهم، والآن أصبحوا لنا لنفعل بهم ما نشاء».

كان ليقول: ليس هذا النَّهج القديم، ولكنه لم يجد وقتًا، إذ سبقَته أخبار انتصاره واحتشدَ الرِّجال حوله يُقَدِّمون له التَّهاني. تركَهم ڤيكتاريون يُداهِنونه، إلى أن بدأ أحدهم يُثني على جرأة يورون، فزمجرَ: «جرأة حقًّا أن نُبحِر بعيدًا عن اليابسة كي لا تَبلُغ كلمة عن مجيئنا هذه الجُزر القابعة أمامنا، لكن عبور نِصف العالم لصيد التِّنانين شيء آخَر»، ولم ينتظِر ردًّا بل تحرَّك شاقًّا طريقه في الزِّحام وصعدَ إلى القلعة.

قلعة اللورد هيويت صغيرة لكن قويَّة، أسوارها سميكة وبوَّابتها المصنوعة من السَّنديان المدعَّم بالحديد تستدعي إلى الذِّهن رمز عائلته العريق، المِجَنَّ السَّنديانيّ المطعَّم بالحديد على خلفيَّةٍ من الأزرق والأبيض المتموِّجيْن. على أن كراكِن عائلة جرايجوي هو ما يخفق فوق الأبراج ذات السُّطوح الخضراء الآن، ووجدوا البوَّابة العظيمة محروقةً محطَّمةً، وفي الشُّرفات يمشي الحديديُّون حاملين الحِراب والفؤوس، بالإضافة إلى بعض هِجان يورون.

في السَّاحة وجدَ ڤيكتاريون جورولد جودبراذر ودروم العجوز يتكلَّمان بهدوءٍ مع رودريك هارلو. أطلقَ نيوت الحلَّاق صيحةً هازئةً لمرآهم، ونادى: «أيها القارئ، لماذا الوجه العابس؟ هواجسك كانت بلا داعٍ. النَّصر لنا، ولنا الغنائم!».

زَمَّ اللورد رودريك فمه قائلًا: «تعني هذه الصُّخور؟ أربعتها معًا أصغر من (هارلو). لم نَفُز إلَّا ببعض الأحجار والأشجار والحُلِيِّ الرَّخصية، وعداوة عائلة تايرل».

قال نيوت ضاحكًا: «الورود؟ وما الوردة التي بإمكانها إيذاء كَراكِن الأعماق؟ لقد سلبناهم تُروسهم وحطَّمناها تحطيمًا. مَن يحميهم الآن؟».

رَدَّ القارئ: «(هايجاردن). قريبًا ستحتشد قوَّات (المرعى) كلُّها ضدنا أيها الحلَّاق، وعندها قد تتعلَّم أن لبعض الورود أشواكًا من فولاذ».

أومأَ دروم برأسه موافقًا وقد استقرَّت يده على مقبض سيفه (المطر الأحمر)، وقال: «اللورد تارلي يحمل السَّيف العظيم (آفة القلوب) المصنوع من الفولاذ الڤاليري، ودائمًا يقود طليعة جيش اللورد تايرل».

قال ڤيكتاريون وقد اشتعلَت غضبته: «فليأتِ. سآخذُ سيفه لنفسي مِثلما أخذَ سلفك (المطر الأحمر). فليأتوا جميعًا ويجلبوا آل لانستر معهم أيضًا. ربما تكون للأسد السَّطوة على اليابسة، لكن في البحر للكراكِن السِّيادة المطلقة». يُمكنه أن يتخلَّى عن نِصف أسنانه لقاء فُرصةٍ لتجربة فأسه ضد قاتِل الملك أو فارس الزُّهور. هذا هو نوع المعارك الذي يفهمه. قاتِل الأقربين ملعون عند الآلهة والبَشر، لكن المُحارب مكرَّم موقَّر.

قال القارئ: «لا تخف يا حضرة القائد، سيأتون. جلالته يتمنَّى هذا، وإلَّا فلِمَ أمرَنا بترك غِدفان هيويت تُحَلِّق؟».

قال نيوت: «تقرأ كثيرًا للغاية وتُقاتِل قليلًا للغاية. إن دماءك حليب»، لكن القارئ تظاهرَ بأنه لم يسمع.

كانت في القاعة مأدبة صاخبة عندما دخلَ ڤيكتاريون، يحتشد حديديُّو الميلاد على الموائد يشربون ويتصايَحون ويتدافَعون ويتباهون بقتلاهم ومآثرهم وما سلبوه، وقد تحلَّى كثيرون منهم بالغنائم، فارتدى لوكاس كود الأعسر وكويلون همبل معطفين من المعلَّقات التي انتزعاها من على الحوائط، ووضعَ جرموند بوتلي عِقدًا من اللُّؤلؤ والعقيق الأحمر فوق واقي صدره المذهَّب الذي كان لأحد قادة لانستر، وتحرَّك أندريك اللا مبتسم مترنِّحًا ومطوِّقًا بكلٍّ من ذراعيه امرأةً، وعلى الرغم من أنه ظَلَّ غير مبتسم فعلى أصابعه كلِّها خواتم، وبدلًا من الصِّحاف المصنوعة من الخُبز الجامد البائت كان الرَّبابنة يأكلون من أطباقٍ من الفضَّة الخالصة.

اربدَّ وجه نيوت الحلَّاق غضبًا إذ تطلَّع حوله، وقال: «يُرسِلنا عين الغُراب لمواجَهة السُّفن الطَّويلة فيما يأخذ رجاله القلاع والقُرى ويستولون على الغنائم والنِّساء. ماذا تركَ لنا؟».

– «المجد لنا».

– «لا بأس بالمجد، لكن الذَّهب أفضل».

هَزَّ ڤيكتاريون كتفيه قائلًا: «عين الغُراب يقول إننا سننال (وستروس) كلَّها. (الكرمة)، (البلدة القديمة)، (هايجاردن)... هناك ستجد الذَّهب. لكن كفى كلامًا، إنني جائع».

بحَقِّ الدَّم كان ڤيكتاريون ليتَّخذ مقعدًا على المنصَّة، لكنه لا يرغب في الأكل مع يورون ومخلوقاته، وبدلًا من هذا اختارَ مكانًا إلى جوار رالف الأعرج رُبَّان (اللورد كويلون).

قال له الأعرج: «نصر عظيم يا حضرة القائد، نصر يستحقُّ لورديَّة. المفترَض أن تنال إحدى الجُزر».

اللورد ڤيكتاريون، أجل، ولِمَ لا؟ ربما لا يحظى بكُرسي حجر اليم، لكن ذلك أفضل من لا شيء.

كان هوثو هارلو جالسًا قُبالتهما على الطَّاولة ينهش اللَّحم من على عظمة، ثم إنه ألقاها جانبًا ومالَ إلى الأمام قائلًا: «الفارس سينال (التُّرس الرَّمادي)، هل سمعت؟».

أجابَ ڤيكتاريون: «لا»، وتطلَّع عبر القاعة إلى حيث يجلس السير هاراس هارلو يشرب النَّبيذ من كأسٍ ذهبيَّة. الفارس رجل مديد القامة، له وجه طويل وقسمات صارمة. «لماذا يمنح يورون أحدًا مِثله جزيرةً؟».

رفعَ هوثو كأسه الفارغة لتملأها له شابَّة شاحبة في فُستانٍ من المخمل الأزرق وشرائط الزِّينة المذهَّبة، وقال: «الفارس استولى على (جريمستن) بنفسه، غرسَ رايته عند القلعة وتحدَّى آل جريم أن يُواجِهوه، فتحدَّاه أحدهم، ثم آخر وآخر، وقتلَهم جميعًا... أو ما يَقرُب من هذا، اثنان منهم استسلَما. حين سقطَ الرَّجل السَّابع حزمَ سِپتون اللورد جريم أمره وأعلنَ أن الآلهة قالت كلمتها وسلَّم القلعة»، وضحكَ هوثو مواصلًا: «سيصير سيِّد (التُّرس الرَّمادي)، وهنيئًا له بها. في غيابه أصبحُ أنا وريث القارئ»، ودَقَّ صدره بكأسه، وأضافَ: «هوثو الأحدب، سيِّد (هارلو)».

– «تقول سبعة؟». تساءلَ ڤيكتاريون في قرارة نفسه كيف يُمكن أن يُبلي سيف الفارس المسمَّى (غُروب) في مواجَهة فأسه. إنه لم يُقاتِل رجلًا يحمل سيفًا من الفولاذ الڤاليري قَطُّ، وإن كان قد غلبَ هاراس هارلو مرَّاتٍ عدَّة في صِباهما. في صِغره كان هارلو صديقًا صدوقًا لرودريك أكبر أبناء بالون، الذي ماتَ عند أسوار (سيجارد).

المأدبة جيِّدة، أفضل ما فيها النَّبيذ، وهناك أيضًا لحم ثيرانٍ مشوي، دامٍ وغير تام الاستواء، بالإضافة إلى بَطٍّ محشو ودلاء من السَّراطين الطَّازجة. لم يغب عن عينَي حضرة الرُّبَّان القائد أن الخادمات يرتدين ملابس مترفةً من الصُّوف والمخمل، وفي البداية حسبهن مساعِدات طبَّاخ في ثياب الليدي هيويت ورفيقاتها، إلى أن أخبرَه هوثو بأنهن الليدي هيويت ورفيقاتها أنفسهن، إذ طابَ لعين الغُراب أن يجعلهن يُقَدِّمن الطَّعام ويصبَّن الشَّراب. هناك ثمانية منهن؛ حضرة الليدي نفسها التي لا تزال حسناء على الرغم من امتلاء قوامها، وسبعة أخريات أصغر منها، تتراوَح أعمارهن من الخامسة والعشرين إلى العاشرة، بناتها وزوجات أبنائها.

اللورد هيويت نفسه جالس في مكانه المعتاد على المنصَّة مرتديًا أفخر ثيابه التي تحمل رمز وألوان عائلته، لكن ذراعيه وساقيه مقيَّدة إلى مقعده، وثمَّة حبَّة فجل بيضاء ضخمة مدسوسة بين أسنانه لمنعه من الكلام... ولو أنه

يرى ويسمع. اتَّخذ عين الغُراب موضع الشَّرف إلى يمين حضرة اللورد، وقد جلسَت فتاة حسناء عامرة الصَّدر في السَّابعة أو الثَّامنة عشرة في حِجره حافية القدمين منفوشة الشَّعر واضعةً ذراعيها حول عُنقه. سألَ ڤيكتاريون الرِّجال المحيطين به: «مَن هذه؟».

أجابَه هوثو ضاحكًا: «ابنة حضرة اللورد النَّغلة. قبل استيلاء يورون على القلعة كانت مرغمةً على خدمة الآخَرين على المائدة وأكل وجباتها مع الخدم».

وضعَ يورون شفتيه الزَّرقاوين على حَلقها، فقهقهَت الفتاة وهمسَت بشيءٍ ما في أُذنه، ليبتسم ويُقَبِّل حَلقها ثانيةً. كانت العلامات الحمراء تُغَطِّي بشرتها البيضاء حيث قبَّلها، وتصنع قلادةً ورديَّةً حول رقبتها وكتفيها. همسة أخرى في الأُذن دفعَت عين الغُراب إلى الضَّحك بصوتٍ عالٍ هذه المرَّة، ثم إنه دَقَّ المائدة بكأسه آمرًا بالصَّمت، ونادى خادماته رفيعات النَّسب قائلًا: «سيِّداتي الكريمات، فاليا قلقة على فساتينكن الأنيقة ولا تُريدها أن تتَّسخ بالدُّهون والنَّبيذ والأصابع القذرة التي تتحسَّسكن، لأني وعدتها بأن تختار ثيابها من أصونتكن بَعد المأدبة. الأفضل أن تخلعنها إذن».

دوَّى الضَّحك الهادر في أنحاء القاعة الكبيرة، واحتقنَ وجه اللورد هيويت لدرجة أن ڤيكتاريون حسبَ أن رأسه سينفجر. لم تجد النِّساء خيارًا إلَّا الطَّاعة، وبكَت أصغرهن قليلًا لكن أمَّها واسَتها وحلَّت الأربطة على ظَهر فُستانها، وبَعدها تابعن الخدمة كما من قبل وتحرَّكن بين الموائد بأباريق النَّبيذ لمَلء الكؤوس الفارغة، مع فرق أنهن يفعلن هذا عارياتٍ الآن.

فكَّر القائد متذكِّرًا الزَّوجة التي سالَت دموعه وهو يضربها: يذلُّ هيويت كما ذلَّني من قبل. يعلم أن أهل (التُّروس الأربعة) يتزوَّج بعضهم بعضًا غالبًا مِثل حديديِّي الميلاد، وربما تكون واحِدة من هؤلاء الخادمات العاريات زوجة السير تالبرت سيري. أن تَقتُل عدوَّك شيء وأن تُهين شَرفه شيء آخَر. كوَّر ڤيكتاريون قبضته وقد تلوَّثت يده بدماء جرحه التي تغلغلَت في كتَّان الضِّمادة.

على المنصَّة دفعَ يورون مومسه جانبًا ووقفَ فوق المائدة، فبدأ الرَّبابنة يدقُّون الموائد بالكؤوس والأرض بالأقدام هاتفين: «**يورون! يورون! يورون! يورون!**»، كأنه انتخاب الملك ثانيةً.

حين هدأت الجلبة قال عين الغُراب: «أقسمتُ أن أعطيكم (وستروس)، وهاكم أول مذاقٍ منها، لُقيمة لا أكثر... لكننا سنأكل الوليمة قبل أن يحلَّ اللَّيل!». على الجُدران تتوهَّج المشاعل وضَّاءةً، وكذا هو بشفتيه الزَّرقاوين وعينه الزَّرقاء وجسده كلِّه. «ما يُطبِق عليه الكراكِن لا يُفلِته. هذه الجُزر كانت لنا من قبل، والآن عادَت لنا من جديد... لكننا نحتاج إلى رجالٍ أقوياء للحفاظ عليها، فانهض أيها السير هاراس هارلو سيِّد (التُّرس الرَّمادي)». نهضَ الفارس مريحًا يده على قبيعة سيفه (غُروب) المصنوعة من أحجار القمر، وتابعَ يورون: «انهض يا أندريك اللا مبتسم سيِّد (تُرس الجنوب)»، فدفعَ أندريك امرأته جانبًا وهَبَّ واقفًا كجبلٍ يرتفع على حين غرَّةٍ من البحر. «انهض يا مارون ڤولمارك سيِّد (التُّرس الأخضر)»، فنهضَ ڤولمارك الصَّبي الحليق ذو الستَّة عشر عامًا باديًا كأنه سيِّد الأرانب. «وانهض يا نيوت الحلَّاق سيِّد (تُرس السَّنديان)».

اكتسَت نظرة نيوت بالحذر كأنه يخشى أن يكون مرمى دُعابةٍ قاسية، وتساءلَ: «أنا لورد؟».

كان ڤيكتاريون يتوقَّع أن يمنح عين الغُراب اللورديَّات لمخلوقاته، مِثل ذي اليد الحجر والملَّاح الأحمر ولوكاس كود الأعسر. حاولَ أن يقول لنفسه: على الملك أن يكون سخيًّا، إلَّا أن صوتًا مختلفًا همسَ: هدايا يورون مسمومة. لمَّا دوَّر الخاطر في رأسه رأى الأمر بوضوح. الفارس كان وريث القارئ المختار، وأندريك اللا مبتسم ذراع دنستان دروم اليُمنى القويَّة، وڤولمارك صبيٌّ غرير لكن دماء هارن الأسود في عروقه من خلال أمِّه، والحلَّاق...

أمسكَه ڤيكتاريون من ساعِده قائلًا: «ارفُض!».

رمقَه نيوت كأن صوابه طارَ، ورَدَّ: «أرفضُ؟ الأراضي واللورديَّة؟ هل سترفعني أنت إلى مصاف اللوردات؟»، وانتزعَ ذراعه وقامَ يتنعَّم بهتاف الهاتفين.

والآن يسرق رجالي.

نادى الملك يورون الليدي هيويت طالبًا كأسًا جديدةً من النَّبيذ، ثم إنه رفعَها عاليًا فوق رأسه، وصاحَ: «أيها الرَّبابنة والملوك، ارفعوا كؤوسكم لسادة (التُّروس الأربعة)!».

شربَ ڤيكتاريون مع البقيَّة مفكِّرًا: لا خمر بحلاوة الخمر المأخوذة من عدوٍّ. أحدهم قال له هذا في مرَّة، أبوه أو أخوه بالون. ذات يوم سأشربُ نبيذك يا عين الغُراب وآخذُ كلَّ ما تعدُّه عزيزًا. لكن هل من شيءٍ يعدُّه يورون عزيزًا؟

كان الملك يقول: «غدًا نستعدُّ للإبحار من جديد. أعيدوا مَلء براميلنا بمياه الينابيع، وخُذوا كلَّ جوالٍ من الحبوب وكلَّ برميلٍ من لحم الأبقار وكلَّ ما نستطيع أن نحمل من الماعز والخراف. الجرحى الَّذين ما زالوا يتمتَّعون بعافيةٍ تكفي لتحريك المجاذيف سيُجَذِّفون، وسيظلُّ الباقون هنا للمساعَدة على حِفظ هذه الجُزر لسادتها الجُدد. قريبًا سيعود توروولد والملَّاح الأحمر بالمزيد من المؤن. ستفوح من سُفننا روائح الخنازير والدَّجاج الكريهة في الطَّريق شرقًا، لكننا سنعود بالتَّنانين».

سمعَ ڤيكتاريون صوت اللورد رودريك يقول: «متى؟ متى سنعود يا جلالة الملك؟ بَعد عام؟ ثلاثة أعوام؟ خمسة؟ تنانينك تلك تَبعُد عنا عالمًا كاملًا، والخريف حَلَّ»، وتقدَّم القارئ معدِّدًا المخاطر كلَّها: «القوادس تَحرُس (بوغاز ردواين). السَّاحل الدورني جافٌّ مقفر، أربعمئة فرسخ من الدَّوَّامات والجُروف والمياه الضَّحلة الخفيَّة، وبالكاد بُقعة تَصلُح لرسوٍ آمن. وبَعد هذا تنتظر (الأعتاب) بعواصفها وأوكار القراصنة اللايسينيِّين والمايريِّين. إذا أبحرَت ألف سفينة فربما تَبلُغ ثلاثمئة الجانب البعيد من (البحر الضيِّق)... ثم ماذا؟ (لِيس) لن تُرَحِّب بنا، ولا (ڤولانتيس). أين ستجد الماء العذب والطَّعام؟ أول عاصفةٍ نُواجِهها ستُشَتِّتنا وتَنثُرنا عبر نِصف العالم».

تلاعبَت ابتسامة على شفتَي يورون الزَّرقاوين إذا قال: «أنا العاصفة يا سيِّدي، العاصفة الأولى والأخيرة. لقد أخذتُ (الصَّمت) في رحلاتٍ أطول من هذه وأخطر مرارًا. هل نسيت؟ لقد أبحرتُ في (بحر الدُّخان) ورأيتُ (ڤاليريا)».

كلُّ رجلٍ حاضر يعلم أن السُّلطة المطلقة لا تزال للهلاك في (ڤاليريا). هناك تغلي مياه البحر ذاته وينبعث منها الدُّخان، واليابسة تجتاحها الشَّياطين، ويُقال إن أيَّ بحَّارٍ يرى ولو لمحةً من جبال (ڤاليريا) النَّاريَّة ترتفع فوق الموج سرعان ما تحيق به ميتة شنعاء، لكن عين الغُراب ذهبَ إلى هناك وعادَ.

بمنتهى الهدوء سألَه القارئ: «حقًّا؟».

اختفَت ابتسامة يورون الزَّرقاء، وفي السُّكون الذي خيَّم قال: «أيها القارئ، خيرٌ لك أن تُبقي أنفك مدسوسًا في كُتبك».

شعرَ ڤيكتاريون بالتَّوتُّر في القاعة، فنهضَ قائلًا بصوتٍ جهوري: «أخي، إنك لم تُجِب أسئلة هارلو».

هَزَّ يورون كتفيه، وقال: «أسعار العبيد ترتفع. سنبيع عبيدنا في (لِيس) و(ڤولانتيس). مقابلهم بالإضافة إلى ما أخذناه من هنا من غنائم سيكون معنا ذهب يكفي لشراء المؤن».

سألَه القارئ: «أنحن نخَّاسون الآن؟ ومن أجل ماذا؟ تنانين لا أحد هنا رآها؟ هل سنُطارِد وهم بحَّارٍ سكران إلى أطراف الأرض؟».

استدرَّت كلماته همهمات التَّأييد. رفعَ رالف الأعرج صوته قائلًا: «(خليج النَّخَّاسين) بعيد للغاية»، وصاحَ كويلون همبل: «وقريب للغاية من (ڤاليريا)»، وقال فرالج القوي: «(هايجاردن) قريبة. رأيي أن نبحث عن التَّنانين هناك، التَّنانين الذَّهب!»، وأضافَ آلڤن شارپ: «لماذا نُبحِر عبر العالم و(الماندر) مفتوح أمامنا؟»، وهَبَّ رالف ستونهاوس الأحمر معلنًا: «(البلدة القديمة) أغنى، و(الكرمة) أغنى وأغنى. أسطول ردواين بعيد، وما علينا إلَّا أن نمدَّ يدنا لنقطف أينع ثمرةٍ في (وستروس)».

قال الملك وقد بدَت عينه سوداء أكثر من زرقاء: «ثمرة؟ لا يسرق الثِّمار بينما يستطيع الاستيلاء على البُستان كلِّه إلَّا جبان».

قال رالف الأحمر: «نُريد (الكرمة)»، وسرى الهتاف بين الرِّجال الآخَرين، فتركَ عين الغُراب صيحاتهم تغمره، ثم وثبَ من فوق المائدة وأخذَ المومس من ذراعها وسحبَها خارجًا من القاعة.

هربَ كالكلاب. لم تَعُد سيطرة يورون على كُرسي حجر اليم تبدو محكمةً كما كانت قبل دقائق قليلة. لن يتبعوه إلى (خليج النَّخَّاسين). ربما ليسوا كلابًا حمقى كما خشيتُ. الفكرة لذيذة لدرجة أن ڤيكتاريون اضطرَّ إلى ازدرادها بالنَّبيذ، فشربَ كأسًا مع الحلَّاق ليُريه أنه لا يحسده على لورديَّته، حتى إذا جاءَت من يد يورون.

كانت الشَّمس قد غربَت في الخارج وتوغَّل الظَّلام وراء الأسوار، لكن في الدَّاخل تُضيء المشاعل بوهجٍ بُرتقالي ضارب إلى الحُمرة ويتكاثفَ دُخانها

تحت عوارض السَّقف كسحابةٍ رماديَّة. بدأ السَّكرانون يَرقُصون رقصة الأصابع، وفي لحظةٍ ما قرَّر لوكاس كود الأعسر أنه راغب في إحدى بنات اللورد هيويت، وأخذَها هناك على مائدةٍ بينما صرخَت أخواتها وانتحَبن.

شعرَ ڤيكتاريون بتربيتةٍ على كتفه. كان أحد هِجان يورون واقفًا وراءه، صبيٌّ في العاشرة له شَعر كالصُّوف وبشرة بلون الطَّمي قال له: «أبي يُريد أن يتكلَّم معك».

قامَ ڤيكتاريون بلا ثبات. على الرغم من كونه رجلًا كبير الحجم وقادرًا على شُرب الكثير من النَّبيذ فقد شربَ أكثر من اللَّازم بالفعل. ضربتها حتى الموت بيدَي، لكن عين الغُراب هو من قتلَها عندما ولجَها. لم أملك خيارًا. تبعَ الصَّبي النَّغل من القاعة وصعدَ وراءه سلالم حجريَّةً ملتفَّةً، ومع صعودهما خفتَت أصوات الاغتصاب والمرح الصَّاخب، إلى أن لم يَعُد هناك إلَّا صوت احتكاك نعالهما بالحجر.

علاوةً على ابنته النَّغلة أخذَ عين الغُراب غُرفة نوم اللورد هيويت أيضًا، ولمَّا دخلَ ڤيكتاريون كانت الفتاة متمدِّدةً عاريةً على الفِراش وتغطُّ بصوتٍ خافت، في حين وقفَ يورون عند النَّافذة يشرب من كأسٍ فضِّيَّة، وقد ارتدى معطف فرو السَّمُّور الذي أخذَه من بلاكتايد ورُقعة عينه الجِلديَّة الحمراء ولا شيء غيرهما. أعلنَ قائلًا: «في صِباي حلمتُ بأنني أستطيعُ الطَّيران، وحين استيقظتُ لم أستطِع... أو أن هذا ما قاله المِايستر. لكن ماذا لو أنه كذبَ؟».

كان ڤيكتاريون يشمُّ رائحة البحر الدَّاخلة من النَّافذة المفتوحة مع أن الغُرفة تُفعِمها روائح النَّبيذ والدَّم والجنس، وساعدَ الهواء المالح البارد على صفاء دماغه إذ سألَ: «ماذا تعني؟».

التفتَ يورون يُواجِهه، والتوَت شفتاه الزَّرقاوان المكدومتان في ابتسامةٍ صغيرة وهو يُجيب: «ربما نستطيع الطَّيران كلُّنا. كيف سنعرف ما لم نقفز من بُرجٍ شاهق؟». هبَّت الرِّيح من النَّافذة محرِّكةً معطفه، وكان في عُريه شيء ما فاحِش مزعج. «لا أحد يدري ما يقدر على فِعله حقًّا ما لم يجرؤ على القفز».

– «ها هي النَّافذة، اقفز». لا يملك ڤيكتاريون صبرًا على هذا، كما أن يده الجريحة تُؤلِمه. «ماذا تُريد؟».

– «العالم». في عين يورون يلتمع نور النَّار. عينه الباسمة. «هل تشرب

كأسًا من نبيذ اللورد هيويت؟ لا خمر بحلاوة الخمر المأخوذة من عدوٍّ مهزوم».

أجابَ ڤيكتاريون: «لا»، وأشاحَ بنظره مضيفًا: «غَطِّ نفسك».

جلسَ يورون وشَدَّ معطفه ليُغَطِّي عورته، وقال: «كنتُ قد نسيتُ أن رجالي الحديديِّين قوم ضآل مزعجون. أريدُ أن آتيهم بالتَّنانين فيزعقون طالبين العنب».

– «العنب حقيقي ملموس ويستطيع المرء أن يلتهم ما يشاء منه، ثم إن عصيره حُلو ويُصنَع منه النَّبيذ. ما الذي تصنعه التَّنانين؟».

أجابَ عين الغُراب: «الويل»، ورشفَ من كأسه الفضَّة، وتابعَ: «في مرَّةٍ حملتُ بيضة تنِّينٍ بيدي هذه يا أخي. ذلك السَّاحر المايري أقسمَ أنه يستطيع أن تجعلها تفقس إذا أمهلته عامًا وأعطيته كلَّ ما يتطلَّب من ذهب. حين مللتُ أعذاره قتلته، وبينما رأى أحشاءه تنزلق بين أصابعه قال: لكن عامًا لم يمضِ!»، وضحكَ مردفًا: «هل تعلم أن كراجورن ماتَ؟».

– «مَن؟».

– «الرَّجل الذي نفخَ في بوق التَّنانين. حين فتحَ المِايستر صدره وجدَ رئتيه متفحِّمتين مسودَّتين كالسُّخام».

مرتجفًا قال ڤيكتاريون: «أرِني بيضة التنِّين هذه».

– «رميتها في البحر في خلال إحدى نوبات غضبي»، وهَزَّ يورون كتفيه متابعًا: «يبدو لي أن القارئ ليس مخطئًا. إذا كان الأسطول أكبر من اللَّازم فلن يستطيع التَّماسُك طيلة تلك المسافة. الرِّحلة طويلة جدًّا وخطيرة جدًّا، ولا أمل إلَّا لأفضل سُفننا وأطقمنا في الإبحار إلى (خليج النَّخَّاسين) ثم الإياب، الأسطول الحديدي».

فكَّر ڤيكتاريون: الأسطول الحديدي لي، لكنه لم يقل شيئًا.

ملأَ عين الغُراب كأسين بنبيذٍ أسود غريب قوامه ثخين كالعسل، وقال: «اشرب معي يا أخي، تذوَّق هذا»، ومَدَّ يده لڤيكتاريون بإحدى الكأسين.

التقطَ ڤيكتاريون الكأس التي لم يُقَدِّمها يورون وتشمَّم محتوياتها بارتياب. من قُربٍ يبدو الشَّرابِ أقرب إلى الأزرق من الأسود، وله منظر زيتي خاثر ورائحة كالأسماك المتعفِّنة. جرَّب رشفةً صغيرةً بصقَها من فوره، وقال: «شراب كريه. هل تُريد أن تُسَمِّمني؟».

رَدَّ يورون: «أريدُ أن أفتح عينيك»، وجرعَ من كأسه، ثم ابتسمَ مواصلًا: «صبغة المساء، خمر الدَّجَّالين. وجدتُ برميلًا منها عندما استوليتُ على قاليون معيَّن من (كَارث)، بالإضافة إلى القليل من القرنفل وجوز الطِّيب وأربعين لفَّةً من الحرير الأخضر وأربعة دجَّالين حكوا حكايةً تُثير الاهتمام. أحدهم تجرَّأ على تهديدي فقتلته وأطعمتُ الثَّلاثة الآخَرين إياه. في البدء رفضوا أكل لحم صديقهم، لكن حين استبدَّ بهم الجوع غيَّروا رأيهم. البَشر لحم».

بالون كان مجنونًا وآرون أكثر جنونًا ويورون الأكثر جنونًا على الإطلاق. كان ڤيكتاريون يلتفت ليُغادِر عندما قال عين الغُراب: «يجب أن تكون للملك زوجة تمنحه ورثةً. إنني في حاجةٍ إليك يا أخي. هل تذهب إلى (خليج النَّخَّاسين) وتعود إليَّ بحبيبتي؟».

تكوَّرت قبضتا ڤيكتاريون وسقطَت قطرة دماءٍ على الأرض إذ قال في قرارته: كانت لي حبيبة ذات يوم أيضًا. يَجدُر بي أن أبرِّحك ضربًا وأطعمك للسَّراطين كما فعلتُ بها. أجابَ أخاه: «إن لك أبناءً».

- «هِجان نغول، أبناء العاهرات والنَّائحات».

- «لقد خرجوا من جسدك».

- «وكذا محتويات وعاء فضلاتي. لا أحد منهم يَصلُح للجلوس على كُرسي حجر اليم، ناهيك بالعرش الحديدي. لا، إنني محتاجٍ إلى امرأةٍ مختلفة كي أنجب وريثًا يليق به (هو). حين يتزوَّج الكراكِن التنِّينة يا أخي فليحذر العالم كلُّه».

تساءلَ ڤيكتاريون مقطِّبًا جبينه: «أيُّ تنِّينة؟».

- «آخِر سُلالتها. يقولون إنها أجمل امرأةٍ في العالم، إن شَعرها ذهب وفضَّة وعينيها جَمَشْت... لكنك لست مضطرًّا إلى تصديق كلمتي يا أخي. اذهب إلى (خليج النَّخَّاسين) واطَّلع على جَمالها بنفسك وارجع إليَّ بها».

سألَه ڤيكتاريون: «ولِمَ أفعلُ ذلك؟».

- «لأجل الحُب، لأجل الواجب، لأن مليكك أمرَك»، وقهقهَ يورون مضيفًا: «ولأجل كُرسي حجر اليم. إنه لك حالما أرتقي العرش الحديدي. ستتبعني كما تبعتُ بالون... وذات يومٍ سوف يتبعك أبناؤك الشَّرعيُّون».

أبنائي. ولكن لكي يُنجِب الرَّجل ابنًا شرعيًّا يجب أن تكون له زوجة أولًا، وڤيكتاريون سيِّئ الحَظِّ في الزَّواج. قال لنفسه مذكِّرًا: هدايا يورون مسمومة، ومع ذلك...

- «الخيار لك يا أخي. عِش قِنًّا أو مُت ملكًا. هل تَجسُر على الطَّيران؟ ما لم تقفز فلن تعرف أبدًا»، والتمعَت السُّخرية في عين يورون الباسمة إذ أردفَ: «أم أنني أحمِّلك ما لا طاقة لك به؟ الإبحار بَعد (ڤاليريا) مخيف حقًّا».

رَدَّ ڤيكتاريون: «سأبحرُ بالأسطول الحديدي إلى الجحيم إذا لزمَ الأمر»، وفتحَ يده ليجد راحتها مبلَّلةً بالدِّماء، وتابعَ: «سأذهبُ إلى (خليج النَّخَّاسين)، أجل، وسأجدُ تلك التنِّينة وأرجعُ بها». ولكن ليس من أجلك. لقد سرقت زوجتي وهتكت عِرضها، ولذا سأظفرُ بامرأتك، أجمل نساء العالم، لي أنا.

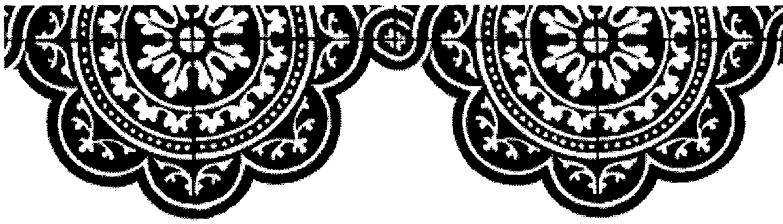

چايمي

عادَت الحقول خارج أسوار (داري) تُحرَث من جديدٍ بَعد أن جُرِّفَت المحاصيل المحروقة، وأبلغَه كشَّافة السير أدام برؤية نسوةٍ في الأخاديد يقتلعن الحشائش، في حين تُمَهِّد مجموعة من الثِّيران أرضًا جديدةً للزِّراعة على حافة غابةٍ قريبة، وقد وقفَت دستة من الرِّجال الملتحين حاملي الفؤوس حراسةً عليها فيما تعمل.

لدى بلوغ چايمي وركبه القلعة كانوا قد فرُّوا جميعًا إلى ما وراء الأسوار، ووجدَ (داري) مغلقةً في وجهه مِثل (هارنهال) من قبلها، ففكَّر: استقبال بارد من لحمي ودمي. قال آمرًا: «أطلِق النَّفير»، فخلعَ السير كينوس الكايسي بوق هيروك من على كتفه ونفخَ فيه، وبينما انتظرَ چايمي ردًّا من القلعة رمقَ الرَّاية الخافقة بالبنِّي والقرمزي فوق حصن ابن عمِّه الأمامي. يبدو أن لانسل اختارَ تقسيم رايته إلى أربعة مربَّعاتٍ على كلٍّ اثنين منها أسد لانستر وحارث داري، ورأى چايمي يد عمِّه في هذا كما رآها في اختيار عروس لانسل. منذ أطاحَ الأندالِيُّون بالبَشر الأوائل والحُكم في هذه الأنحاء لعائلة داري، ولا شَكَّ أن السير كيڤان ارتأى أن المهمَّة ستكون أيسر على ابنه إذا رآه الفلَّاحون استمرارًا للسُّلالة القديمة، يَحكُم هذه الأراضي بحَقِّ المصاهَرة بالأحرى من مرسومٍ ملكي. المفترَض أن يكون كيڤان يد تومن. هاريس سويفت رجل تافه، وأختي حمقاء إذا كانت تعتقد غير هذا.

انفتحَت بوَّابة القلعة ببُطء، وقال چايمي للعُفر: «ليست عند ابن عمِّي مساحة لإيواء ألف رجل. سننصب المعسكَر عند السُّور الغربي. أريدُ حفر

الخنادق وغرس الخوازيق في محيطنا. ما زالَت هناك جماعات من الخارجين عن القانون في هذه المنطقة».

– «سيكونون مجانين بالتَّأكيد إذا هاجَموا قوَّةً كقوَّتنا».

– «مجانين أو يتضوَّرون جوعًا». إلى أن تُصبِح لديه فكرة أفضل عن هؤلاء الخارجين عن القانون وقوَّتهم لا ينوي چايمي أن يُجازِف بالاستهانة بدفاعاته. كرَّر: «خنادق وخوازيق»، ثم همزَ أونَر نحو البوَّابة، وإلى جواره يركب السير درموت حاملًا الوعل والأسد الملكيَّيْن، والسير هيوجو ڤانس براية الحَرس الملكي. كان چايمي قد كلَّف رونيت الأحمر بمهمَّة توصيل وايليس ماندرلي إلى (بِركة العذارى)، كي لا يضطرَّ إلى رؤية وجهه ثانيةً أبدًا.

مع مُرافقيه تركب پيا الحصان المخصيَّ الذي وجدَه لها پِك، وقد سمعَها چايمي تقول: «كأنها قلعة لُعبة»، فحدَّث نفسه متأمِّلًا: الفتاة لم تعرف بيتًا إلَّا (هارنهال). كلُّ قلعةٍ في البلاد ستبدو لها صغيرةً، باستثناء (الصَّخرة).

رَدَّ چوزمين پكلدون عليها بالكلام نفسه قائلًا: «لا يجب أن تَحكُمي بـ(هارنهال). هارن الأسود بناها بضخامةٍ غير عاديَّة»، وأصغَت پيا بإذعان فتاةٍ في الخامسة تتلقَّى الدُّروس من سِبتتها. ليست إلَّا هذا، فتاة صغيرة في جسد امرأة، على جسدها النُّدوب وفي نفسها الخوف. على أن پِك مفتون بها. لا يظنُّ چايمي أن الصَّبي عرفَ امرأةً من قبل، وپيا لا تزال حسناء بما فيه الكفاية ما دامَ فمها مغلقًا. لا أظنُّ أن هناك أذًى في أن يُضاجِعها، بشرط أن تكون راغبةً.

في (هارنهال) حاولَ أحد رجال الجبل اغتصاب الفتاة، وبدا مندهشًا بصدقٍ عندما أمرَ چايمي إلين پاين بقطع رأسه، وإذ أرغَموه على الرُّكوع ظَلَّ يُرَدِّد: «لقد استعملتها مئة مرَّةٍ من قبل، مئة مرَّة يا سيِّدي، كلُّنا استعملناها». حين قدَّم السير إلين الرَّأس لپيا بَعدها ابتسمَت كاشفةً حُطام أسنانها.

أيدٍ كثيرة تداولَت (داري) في أثناء القتال، واحترقَت قلعتها مرَّةً ونُهِبَت مرَّتين على الأقل، وإن يبدو أن لانسل لم يُضَيِّع وقتًا قبل الشُّروع في تصحيح الأوضاع. هكذا عُلِّقَ مصراعان جديدان للبوَّابة من ألواح السَّنديان الخام المدعَّمة بالحديد، والآن يُبنى اسطبل جديد في مكان القديم الذي أُحرِقَ، كما استُبدِلَت السَّلالم الصَّاعدة إلى الحصن ومصاريع نوافذ كثيرة. ما زالَت

الأحجار المسودَّة تشي بالبقاع التي لعقَتها ألسنة اللَّهب، لكنها ستبهت مع مرور الوقت وسقوط الأمطار.

داخل القلعة يذرع رُماة النُّشَّابيَّة الشُّرفات، بعضهم يرتدي المعاطف القرمزيَّة وخوذات الأسد، وبعضهم يرتدي أزرق ورمادي عائلة فراي. خَبَّ چايمي في السَّاحة ليفرَّ الدَّجاج من تحت حوافر أونَر، وثغَت الخراف وحدجَه الفلَّاحون بنظراتٍ باهتة. لم يَفُته أنهم فلَّاحون مسلَّحون، منهم من يحمل المناجل ومنهم حاملو الهراوات والمعاول مدبَّبة الرُّؤوس، وهناك من يحملون فؤوسًا أيضًا، كما لمحَ عدَّة رجالٍ ملتحين خيطَت على سُتراتهم الرَّثَّة المتَّسخة نجوم سُباعيَّة حمراء. المزيد من العصافير الملاعين. من أين يأتي كلُّ هؤلاء؟

لم يرَ أثرًا لعمِّه كيڤان أو لانسل، ولم يَخرُج لتحيَّته إلَّا مِايستر يخفق رداؤه الرَّمادي حول ساقيه النَّاحلتين، وقد خاطبَه الرَّجل قائلًا: «حضرة القائد، شرَّفت (داري) بهذه... الزِّيارة غير المتوقَّعة. أرجو أن تَعذُرنا لعدم استعدادنا. ظننَّا أنك في طريقك إلى (ريڤررَن)».

رَدَّ چايمي كاذبًا: «كانت (داري) في طريقي». (ريڤررَن) ستنتظر. وإذا تصادفَ أن ينتهي الحصار قبل أن يَبلُغ القلعة فسيُعفى من الاضطرار إلى حمل السِّلاح ضد آل تَلي. ترجَّل وناولَ أحد عُمَّال الاسطبل زمام أونَر متسائلًا: «هل سأجدُ عمِّي هنا؟». لم يَذكُر الاسم، فالسير كيڤان العمُّ الأوحد الذي تبقَّى له، آخِر أبناء تايتوس لانستر الأحياء.

أجابَ المِايستر: «لا يا سيِّدي. السير كيڤان رحلَ بَعد الزِّفاف»، وشَدَّ سلسلته كأنها ضاقَت على عُنقه، وتابعَ: «أعلمُ أن اللورد لانسل سيُسَرُّ لرؤيتك و... وجميع فُرسانك البواسل، لكن يُؤسِفني أن أعترف بأن (داري) لا تستطيع إطعام هذا العدد الكبير».

– «إن معنا مؤننا. مَن أنت؟».

– «المِايستر أوتومور، بَعد إذن سيِّدي. الليدي آميري رغبَت في التَّرحيب بك بنفسها، لكنها تُشرِف على تجهيز مأدبةٍ على شرفك، وتتمنَّى أن تتمكَّن وكبار فُرسانك وقادتك من الانضمام إلينا على المائدة هذا المساء».

– «نُرحِّب بوجبةٍ ساخنة بالتَّأكيد. الأيام الماضية كانت باردةً مطيرةً»،

وتطلَّع چايمي عبر السَّاحة إلى وجوه العصافير الملتحين مفكِّرًا: كثيرون جدًّا، ورجال فراي كثيرون جدًّا أيضًا. «أين أجدُ الحجر الصُّلب؟».

- «بلغَتنا أنباء عن وجود خارجين عن القانون على ضفَّة (الثَّالوث) الأخرى، فأخذَ السير هاروين خمسة فُرسان وعشرين من الرُّماة وخرجَ يتعامَل معهم».

- «واللورد لانسل؟».

- «يُصَلِّي. حضرة اللورد أمرَنا بعدم إزعاجه أبدًا في أثناء الصَّلاة».

هو والسير بونيفر سينسجمان معًا. «ليكن». لاحقًا سيجد الوقت الكافي للحديث مع ابن عمِّه. «اصحبني إلى مسكني واجعلهم يجلبون لي حوض استحمام».

- «بَعد إذن سيِّدي، سنُنزِلك في (حصن الحارث). سأريك الطَّريق».

- «أعرفُ الطَّريق». ليست هذه القلعة غريبةً على چايمي، إذ سبقَ أن نزلَ وسرسي هنا ضيفين مرَّتين، الأولى في الطَّريق إلى (وينترفل) والثَّانية في طريق العودة إلى (كينجز لاندنج). على الرغم من صغر مساحة القلعة فإنها أكبر من أيِّ خان، وعند النَّهر ثمَّة بقاع جيِّدة للصَّيد، وروبرت باراثيون لم يعزف قَطُّ عن استغلال كرم ضيافة رعاياه.

وجدَ چايمي الحصن كما يَذكُره، وبينما قطعَ به المِايستر رواقًا علَّق: «الجُدران لا تزال عاريةً».

قال أوتومور: «اللورد لانسل يأمل أن يُغَطِّيها ذات يومٍ بالمعلَّقات، مشاهد تُعَبِّر عن الورع والبِر».

ردَّد في سريرته باذلًا قصارى جهده كي لا يضحك: الورع والبِر. كانت الجُدران عاريةً في زيارته الأولى أيضًا، وأشارَ تيريون إلى مربَّعات الحجارة الأغمق حيث كانت المعلَّقات من قبل. استطاعَ السير رايمون أن يُزيل المعلَّقات ولكن ليس الآثار التي تركَتها. لاحقًا رشا العِفريت أحد خدم داري بحفنةٍ من الأيائل الفضِّيَّة من أجل مفتاح القبو الذي يحوي المعلَّقات المفقودة، وقد أرى چايمي إياها على ضوء شمعةٍ وقد ارتسمَت على شفتيه ابتسامة عريضة. كانت الصُّور المنسوجة لجميع ملوك عائلة تارجاريَن من إجون الأول إلى إينس الثَّاني، وقال القزم بضحكةٍ خافتة: «إذا أخبرتُ روبرت فلربما يجعلني أنا سيِّد (داري)».

قادَ المِايستر أوتومور چايمي إلى قمَّة الحصن، حيث قال: «إنني واثق بأنك ستكون مستريحًا هنا يا سيِّدي. ثمَّة مرحاض لتلبية نداء الطَّبيعة، ونافذتك تطلُّ على أيكة الآلهة. غُرفة نومك مجاورة لغُرفة حضرة الليدي، وبينهما حُجيرة خادمة».

– «كان هذا مسكن اللورد داري».

– «نعم يا سيِّدي».

– «ابن عمِّي في غاية اللُّطف. لم أكن أريد إخراج لانسل من غُرفة نومه».

– «اللورد لانسل ينام في السِّپت».

ينام مع (الأُم) و(العذراء) في حين أن له زوجة دافئة وراء الباب؟ لا يدري چايمي هل يضحك أم يبكي. ربما يُصَلِّي لكي ينتصب قضيبه. في (كينجز لاندنج) لاكَت الألسنة شائعةً عن أن جراح لانسل تركَته عاجزًا. ولو، حريٌّ به أن يكون عاقلًا كفايةً ويُحاول. لن يُحكِم ابن عمِّه سيطرته على هذه الأراضي الجديدة إلى أن يُنجِب ابنًا من زوجته المنتمية نصفيًّا إلى عائلة داري. بدأ النَّدم يُراوِد چايمي على النَّزوة التي دفعَته إلى المجيء هنا.

شكرَ أوتومور وذكَّره بالحمَّام وأمرَ پِك باصطحابه إلى الخارج.

تغيَّرت غُرفة نوم اللورد منذ زيارته الأخيرة، وليس للأفضل. الأرض يُغَطِّيها الحصير القديم بدلًا من البساط المايري الفاخر، والأثاث كلُّه جديد بسيط. كان سرير السير رايمون داري يسع ستَّة أفراد، وله ستائر بنِّيَّة من المخمل وأعمدة من خشب السَّنديان منقوشة عليها نباتات متسلِّقة وأوراق شجر، أمَّا سرير لانسل فحشيَّة من القَشِّ المتكتِّل موضوعة أسفل النَّافذة حيث يضمن أن يُوقِظه أول خيوط النَّهار. لا ريب أن السَّرير الآخَر قد أُحرِقَ أو حُطِّمَ أو سُرِقَ، ومع ذلك...

حين وصلَ حوض الاستحمام خلعَ ليو الصَّغير حذاء چايمي وساعدَه على حَلِّ يده الذَّهبيَّة، بينما جلبَ پِك وجاريت الماء ووجدَت له پيا ثيابًا نظيفةً يرتديها على العَشاء. رمقَته الفَتاة بخجلٍ وهي تنفض سُترته، ووجدَ چايمي نفسه يلحظ على نحوٍ غير مريح انحناءات وَركيها وثدييها تحت فُستانها الخيش البنِّي، ليتذكَّر الأشياء التي همسَت له بها في (هارنهال) ليلة أرسلَها كايبرن إلى فِراشه. أحيانًا وأنا مع رجلٍ ما أغلقُ عينَي وأتخيَّلُ أنك أنت فوقي.

شعرَ بالامتنان لعُمق الحوض الذي أخفى إثارته، وإذ نزلَ في المياه السَّاخنة تذكَّر حمَّامًا آخَر، ذلك الذي تقاسمَه مع بِريان. كان محمومًا واهنًا من جرَّاء ما فقدَ من دماء، ودوَّرت الحرارة رأسه فوجدَ نفسه يقول أشياءً كان أفضل ألَّا تُقال، أمَّا هذه المرَّة فلا عُذر له. تذكَّر قَسمك. پيا أصلح لِفراش تيريون من فِراشك. قال لپِك: «أحضِر لي صابونًا وفُرشاةً يابسةً»، ولپيا قال: «يُمكنكِ أن تَترُكينا».

ردَّت مغطِّيةً فمها كي تُخفي أسنانها المكسورة: «حاضر يا سيِّدي، شكرًا يا سيِّدي».

حين خرجَت سألَ چايمي پِك: «هل تُريدها؟»، ولمَّا احمرَّ وجه المُرافق كالبنجر قال له: «إذا قبلَتك فخُذها. لا شَكَّ لديَّ في أنها ستُعَلِّمك أشياء ستجدها نافعةً ليلة زفافك، وليس محتمَلًا أن تزرع نغلًا في بطنها». لقد فتحَت پيا ساقيها لنِصف رجال جيش أبيها ولم تحبل، وعلى الأرجح الفتاة عاقر. «لكن إن ضاجعتها فتلطَّف بها».

– «أتلطَّفُ يا سيِّدي؟ كيف... كيف يُمكنني أن...».

– «كلمات حُلوة، لمسات رقيقة. لست تُريد أن تتزوَّجها، لكن ما دامَت معك في الفِراش فعامِلها كأنها عروسك».

أومأ الصَّبي برأسه، وقال: «سيِّدي، إنني... أين يُمكنني أن أفعل ذلك معها؟ ليس هناك مكان أبدًا لـ... لـ...».

أكملَ چايمي قوله: «... لتكونا وحدكما؟»، وابتسمَ ابتسامةً واسعةً مردفًا: «سنغيب عدَّة ساعات على العشاء. القَشُّ يبدو متكتِّلًا لكن يُفترَض أن يكون مناسبًا».

اتَّسعت عينا پِك، وسألَه: «سرير حضرة اللورد؟».

– «ستَشعُر كأنك لورد عن نفسك عندما تَفرُغ، إذا كانت پيا تعرف ما تفعله». وحريٌّ بأحدهم أن يستغلَّ تلك الحشيَّة القَش البائسة.

حينما نزلَ لحضور المأدبة ليلتها كان چايمي لانستر يرتدي سُترةً ضيِّقةً من المخمل الأحمر المشرَّط بقُماش الذَّهب، ووضعَ حول رقبته سلسلةً ذهبيَّةً مطعَّمةً بالماسات السَّوداء، وقد ربطَ يده الذَّهبيَّة إلى جَدعته أيضًا بَعد تلميعها وصقلها حتى تألَّقت. ليس هذا بالمكان الملائم لارتداء ثيابه البيضاء، فواجبه ينتظره في (ريڤررَن)، بينما بعثَته حاجة أكثر سوادًا على المجيء هنا.

لا يُقال عن قاعة (داري) الكُبرى إنها كُبرى إلَّا على سبيل المجامَلة، إذ تتزاحَم فيها الموائد من جِدارٍ إلى جِدار، وعوارض السَّقف مسودَّة من الدُّخان. وضعوا چايمي على المنصَّة إلى يمين مقعد لانسل الشَّاغر، وبينما جلسَ سألَ: «ألن ينضمَّ إلينا ابن عمِّي على العَشاء؟».

أجابَت زوجة لانسل: «سيِّدي يُفَضِّل الصِّيام. إنه حزين لأقصى حَدٍّ على السِّپتون الأعلى المسكين». الليدي آميري فتاة طويلة السَّاقين عامرة الصَّدر قويَّة البنية، تَبلُغ من العُمر نحو الثَّامنة عشرة، ويبدو من منظرها أنها تتمتَّع بالصِّحَّة، وإن كان وجهها المدبَّب الممصوص يُذَكِّر چايمي بكليوس ابن عمَّته الرَّاحل غير مأسوفٍ عليه، الذي بدا دومًا أشبه بابن عرس.

الصِّيام؟ إنه أكثر حُمقًا مما ظننتُ إذن. المفترَض أن ينشغل ابن عمِّه بإنجاب وريثٍ له وجه ابن عرس من زوجته الأرملة بدلًا من تجويع نفسه حتى الموت. تساءلَ عمَّا كان السير كيڤان ليقوله عن حماسة ابنه المستجدَّة هذه. أهذا هو السَّبب وراء رحيل عمِّه المتعجِّل؟

بينما يتناوَلون حَساء الفاصوليا واللَّحم المقدَّد حكَت الليدي آميري لچايمي عن زوجها الأول الذي قتلَه السير جريجور كليجاين عندما كان آل فراي ما زالوا يُحارِبون في صفوف روب ستارك. «توسَّلتُ إليه ألَّا يذهب، لكن عزيزي پايت كان شديد الشَّجاعة وأقسمَ أنه سيكون الرَّجل الذي يَقتُل الوحش. أرادَ أن يصنع اسمًا عظيمًا لنفسه».

كلُّنا كذلك. «حين كنتُ مُرافقًا قلتُ لنفسي إنني سأكون الرَّجل الذي يَقتُل الفارس الباسم».

سألَته حائرةً: «الفارس الباسم؟ مَن هو؟».

جبل صِبابي، نِصفه في الحجم وضِعفه في الجنون. «خارج عن القانون ماتَ منذ زمن، ليس أحدًا يهمُّ حضرة الليدي».

ارتعشَت شفتها وسالَت الدُّموع من عينيها البنِّيَّتين، فقالت امرأة أكبر سِنًّا: «أرجو أن تَعذُر ابنتي، إنها لا تزال حزينةً على أبيها». كانت الليدي آميري قد جلبَت معها زُهاء عشرين من آل فراي إلى (داري)، أختًا وعمًّا ونِصف عمٍّ وعددًا من أبناء وبنات العمومة، بالإضافة إلى أمِّها المولودة في (داري).

باكيةً قالت آميري: «المجرمون قتَلوه. لم يذهب أبي إلَّا لدفع فدية پيتر

ذي الدَّمامل. أحضرَ لهم الذَّهب الذي طلبوه، لكنهم علَّقوه على كلِّ حال».

قالت الليدي ماريا: «شنَقوه يا آمي، أبوكِ لم يكن لافتةً»، والتفتَت إلى چايمي قائلةً: «أعتقدُ أنك كنت تعرفه أيها الفارس».

– «كلانا كان مُرافقًا في (كراكهول)». لن يتمادى ويَزعُم أنهما كانا صديقيْن. حين وصلَ چايمي كان ميريت فراي بلطجي القلعة الذي يفرض سيطرته على الصِّبية الأصغر سِنًّا. ثم حاولَ البلطجة عليَّ. «لقد كان... قويًّا للغاية». هذا هو الثَّناء الوحيد الذي خطرَ بباله. ميريت كان بطيئًا وأخرق وأحمق، لكنه لم يفتقر إلى القوَّة إطلاقًا.

قالت الليدي آميري متنشِّقةً: «لقد قاتَلتما أخوَّة غابة الملوك معًا. اعتادَ أبي أن يحكي لي».

تعنين أن أباكِ اعتادَ أن يتباهى ويكذب. «صحيح». أكبر إسهامات فراي في القتال كان الإصابة بعدوى الجُدري من تابعة معسكَراتٍ والسَّماح لنفسه بالوقوع في أَسر الظَّبية البيضاء. آنذاك وسمَت ملكة الخارجين عن القانون مؤخِّرته برمزها قبل أن تُعيده إلى سَمنر كراكهول لقاء فدية، وطيلة أسبوعين لم يستطِع ميريت الجلوس، وإن كان چايمي قد شَكَّ في أن الحديد الملتهب آلمَه بقدر السُّخرية التي انهالَت عليه من زُملائه المُرافقين فور عودته. الصِّبية أقسى مخلوقاتٍ على وجه الأرض. طوَّق كأس نبيذه بيده الذَّهبيَّة، ورفعَها قائلًا: «لذكرى ميريت». أسهل عليه أن يشرب نخب الرَّجل من أن يتكلَّم عنه.

بَعد النَّخب كفَّت الليدي آميري عن البُكاء وتحوَّل حديث المائدة إلى الذِّئاب، تحديدًا النَّوع ذي الأقدام الأربع. زعمَ السير دانويل فراي إن هناك أعدادًا أكبر منها الآن مما يتذكَّر جدُّه نفسه، وقال: «لم تَعُد تعرف خوفًا من البَشر. قُطعان منها هاجمَت قافلة أمتعتنا ونحن في الطَّريق من (التَّوأمتين)، وغرسَ رُماتنا سهامهم في نحو دستةٍ منها قبل أن تفرَّ البقيَّة»، فرَدَّ السير أدام ماربراند معترفًا بأن ركبهم واجهَ متاعب مشابهةً في الطَّريق من (كينجز لاندنج).

ركَّز چايمي على الطَّعام أمامه، مقطِّعًا الخُبز بيده اليُسرى وممسكًا بيُمناه كأس النَّبيذ بحركةٍ خرقاء. شاهدَ أدام ماربراند يجتذب الفتاة الجالسة إلى جواره، وستفون سويفت يُعيد خوض معركة (كينجز لاندنج) بالخُبز

والمكسَّرات والجزر، بينما شَدَّ السير كينوس خادمةً وأجلسَها في حِجره وحثَّها على التَّمليس على بوقه، وسلَّى السير درموت عددًا من المُرافقين بحكايات تطواف الفُرسان في (الغابة المطيرة). في موضعٍ أبعد على المائدة كان هيوجو ڤانس قد أغمضَ عينيه، ففكَّر چايمي: يُفكِّر في غوامض الحياة ربما، أو أنه يغفو بين صنفٍ وصنف. عادَ يلتفت إلى الليدي ماريا قائلًا: «الخارجون عن القانون الذين قتلوا زوجكِ... أهُم من جماعة اللورد بريك؟».

على الرغم من الشَّيب الذي وخطَ شَعر الليدي ماريا فإنها لا تزال امرأةً حسناء، وقد أجابَته: «هذا ما حسبناه في البداية. القتَلة تفرَّقوا حين غادَروا (الحجر العتيق). تعقَّب اللورد ڤايپرن مجموعةً منهم إلى (السُّوق القصيَّة) لكنه فقدَ أثرهم هناك، وقادَ والدر الأسود قنَّاصين وكلاب صيدٍ إلى (مستنقع هاج) مطاردًا الآخَرين. أنكرَ الفلَّاحون رؤيتهم، لكن عند استجوابهم بغلظةٍ غيَّروا أقوالهم وتكلَّموا عن رجلٍ بعينٍ واحدة وآخَر يرتدي معطفًا أصفر... وعن امرأةٍ تُخفي ملامحها تحت قلنسوة معطفها».

– «امرأة؟». كان ليحسب أن الظَّبية البيضاء علَّمت ميريت أن يظلَّ بمنأى عن الخارجات عن القانون. «كانت هناك امرأة مع أخوَّة غابة الملوك أيضًا».

– «سمعتُ بها»، قالت الليدي ماريا، فيما قالت نبرتها: وكيف لا وقد تركَت وسمها على زوجي؟ «الظَّبية البيضاء كانت شابَّةً جميلةً حسب ما يُقال، أمَّا تلك المرأة المقلنَسة فلا هذا ولا ذاك. الفلَّاحون يُؤَكِّدون أن وجهها ممزَّق مليء بالنُّدوب ونظرة عينيها مريعة، ويدَّعون أنها تقود الخارجين عن القانون».

قال چايمي الذي يجد هذا عصيًّا على التَّصديق: «تقودهم؟ بريك دونداريون والرَّاهب الأحمر...».

أتمَّت الليدي ماريا عبارته بنبرةٍ واثقة: «... لم يرهما أحد».

قال العُفر: «دونداريون ماتَ. الجبل أغمدَ سكِّينًا في عينه، ومعنا رجال رأوا هذا بأنفُسهم».

عقَّب أدام ماربراند: «هذه حكاية واحدة. سيقول لك آخَرون إن اللورد بريك لا يُقتَل».

لفَّت الليدي آميري خُصلةً من شَعرها حول إصبعها قائلةً: «السير هاروين

يقول إن تلك الحكايات كاذبة. لقد وعدَني برأس اللورد بريك. إنه شهم للغاية»، وعلى الرغم من دموعها تخضَّب وجهها بالحُمرة.

استعادَ چايمي في ذاكرته الرَّأس الذي أعطى پيا إياه، وفي الآن نفسه كادَ يسمع أخاه الصَّغير يُقَهقِه. كان تيريون ليسأل: ماذا جرى لإعطاء النِّساء الزُّهور؟ وكان ليقول بضع كلماتٍ منتقاة عن هاروين پلوم أيضًا، ولو أن «شهم» ليست واحدةً منها. أخوا پلوم رجلان كبيران لحيمان لكلٍّ منهما عُنق ثخين ووجه متورِّد، وكلاهما صاخب شبِق سريع الضَّحك سريع الغضب سريع الغُفران... أمَّا هاروين فصنف مختلف من آل پلوم، صموت قاسي العينين لا يعرف السَّماح، كما أنه مميت وفي يده مطرقة. إنه رجل صالح لقيادة الحامية، لكنه ليس رجلًا يُحَبُّ. مع أن... رمقَ چايمي الليدي آميري بنظرةٍ متفرِّسة.

جاءَ الخدم بطبق سمك الكراكي النَّهري المخبوز بالأعشاب والمكسَّرات المفرومة، فتذوَّقته زوجة لانسل وأبدَت استحسانها، ثم أمرَت بتقديم الحصَّة الأولى لچايمي، وبينما يضعون السَّمك أمامه مالَت من فوق مكان زوجها لتمسَّ يده الذَّهبيَّة قائلةً: «أنت تستطيع أن تَقتُل اللورد بريك يا سير چايمي كما قتلت ذلك الفارس المبتسم. أرجوك يا سيِّدي، أتوسَّلُ إليك، ابقَ وساعِدنا على التَّغلُّب على اللورد بريك وكلب الصَّيد»، ومسَّدت أصابعها الشَّاحبة أصابعه الذَّهبيَّة.

هل تحسبني أشعرُ بهذا؟ «سيف الصَّباح هو من قتلَ الفارس الباسم يا سيِّدتي، السير آرثر داين، فارس أفضل مني»، وسحبَ چايمي يده الذَّهبيَّة والتفتَ إلى الليدي ماريا مخاطبًا إياها: «إلى أين تعقَّب والدر الأسود تلك المرأة ذات القلنسوة ورجالها؟».

أجابَته المرأة الأكبر سِنًّا: «كلابه التقطَت رائحتهم ثانيةً شمال (مستنقع هاج). يُقسِم أنه لم يكن وراءهم بأكثر من نِصف يوم حين اختفوا في (العُنق)».

أعلنَ السير كينوس بمرح: «فليتعفَّنوا هناك. إذَا شاءَت الآلهة ستبتلعهم الرِّمال المتحرِّكة أو تلتهمهم الأُسود الزواحف[1]».

---

(1) الأُسود الزَّواحف الاسم الذي يُطلِقه الوستروسيُّون على التَّماسيح التي تعيش في المستنقعات. (المترجم).

قال السير دانويل فراي: «أو يأخذهم أكَلة الضَّفادع. لن يُدهِشني أن يُؤوي أهل المستنقعات الخارجين عن القانون».

قالت الليدي ماريا: «ليتهم الوحيدون. بعض لوردات النَّهر متواطئ مع رجال اللورد بريك أيضًا».

تنشَّقت ابنتها، وقالت: «والعامَّة أيضًا. السير هاروين يقول إنهم يُخَبِّؤونهم ويُطعِمونهم، ولمَّا يسألهم أين ذهبوا يكذبون. يكذبون على سادتهم!».

حضَّها العُفر قائلًا: «اقطعوا ألسنتهم إذن».

قال چايمي: «حظًّا سعيدًا في الحصول على إجاباتٍ إذن. إذا أردتم مساعَدتهم فعليكم أن تجعلوهم يحبُّونكم. هذا ما فعلَه آرثر داين حين خرجنا لقتال أخوَّة غابة الملوك؛ نقدَ العامَّة ثَمن الطَّعام الذي أكلناه، وأطلعَ الملك إيرس على مظالمهم، ووسَّع مساحات الرَّعي حول قُراهم، بل وكسبَ لهم حَقَّ قطع عددٍ معيَّن من الأشجار كلَّ عام وصيد بعض غزلان الملك في الخريف. أهل الغابة تطلَّعوا إلى توين ليُنقِذهم، لكن السير آرثر فعلَ من أجلهم أضعاف ما كانت الأخوَّة لتأمل أن تفعله، وكسبَهم إلى صفِّنا، وبَعدها كانت البقيَّة سهلةً».

قالت الليدي ماريا: «حضرة القائد يتكلَّم بحكمة. لن نتخلَّص من هؤلاء المجرمين أبدًا ما لم يحبَّ العامَّة لانسل كما أحبُّوا أبي وجدِّي من قبل».

رمقَ چايمي مكان ابن عمِّه الخالي مفكِّرًا: غير أن لانسل لن يربح حبَّهم بالصَّلاة أبدًا.

مطَّت الليدي آميري شفتيها قائلةً: «سير چايمي، أتوسَّلُ إليك ألَّا تتخلَّى عنا. إن زوجي في حاجةٍ إليك وكذلك أنا. نحن في زمنٍ مخيف حقًّا. في بعض اللَّيالي أكادُ لا أستطيعُ النَّوم من خوفي».

– «مكاني مع الملك يا سيِّدتي».

قال العُفر: «أنا سآتي. حالما نَفرُغ من (ريڤررَن) سأكون متشوِّقًا إلى قتالٍ آخَر، ولو أن اللورد بريك لن يَصمُد أمامي. إنني أذكره في دورات المباريات السَّابقة. كان فتى وسيمًا في معطفٍ أنيق، نحيلًا وغِرًّا».

قال السير آرووود فراي الشَّاب: «كان هذا قبل أن يموت. العامَّة يقولون إن الموت غيَّره. يُمكنك أن تَقتُله لكنه لن يبقى ميتًا. كيف تَقتُل رجلًا كهذا؟ وهناك كلب الصَّيد أيضًا. لقد قتلَ عشرين رجلًا في (الملَّاحات)».

قهقهَ العُفر بقوَّة، وقال: «قتلَ عشرين صاحِب خانٍ بدينًا ربما، عشرين خادمًا يبولون في سراويلهم، عشرين أخًا شحَّاذًا مسلَّحين بالآنية. ليس عشرين فارسًا، ليس أنا».

رَدَّ السير آروود بإصرار: «ثمَّة فارس في (الملَّاحات). الرَّجل اختبأَ وراء أسواره بينما عاثَ كليجاين وكلابه المسعورة تدميرًا في بلدته. إنك لم ترَ الأشياء التي فعلَها أيها الفارس، أنا رأيتها. حين بلغَت الأخبار (التَّوأمتين) خرجتُ مع السير هاريس هاي وأخيه دونل وخمسين من الرُّماة والمُشاة. كنا نظنُّ أن اللورد بريك هو من فعلَ هذا وأملنا أن نجد أثره لنقتفيه. لم يتبقَّ في (الملَّاحات) إلَّا القلعة، وكان السير كوينسي العجوز مرعوبًا لدرجة أنه رفضَ فتح بوَّابته، وخاطبَنا بالزَّعيق من فوق أسواره بالأعلى. البقيَّة عظام ورماد، البلدة بأكملها. كلب الصَّيد أحرقَ المباني وقتَّل السُّكَّان وغادرَ ضاحكًا. النِّساء... لن تُصَدِّقوا ما فعلَه ببعض النِّساء. لن أتكلَّم عن هذا على المائدة. مجرَّد مرآه أثارَ غثياني».

قالت الليدي آميري: «لقد بكيتُ عندما سمعتُ».

رشفَ چايمي من نبيذه، وسألَ: «وما الذي يجعلكم واثقين بأنه كلب الصَّيد؟». ما يصفونه أقرب إلى أفعال جريجور من ساندور. صحيحٌ أن ساندور قاسٍ صُلب، لكن أخاه الكبير هو الوحش الحقيقي في عائلة كليجاين.

قال السير آروود: «هناك من رأوه. ليس من السَّهل ألَّا يتعرَّف المرء خوذته إياها أو ينساها، وثمَّة من نجوا ليحكوا ما جرى؛ الفتاة التي اغتصبَها، وبعض الصِّبية الذين تواروا، وامرأة وجدناها حبيسةً تحت عارضةٍ متفحِّمة، والصَّيَّادون الذين شاهَدوا المجزرة من قواربهم...».

قالت الليدي آميري بخفوت: «لا تصفها بالمجزرة، إنها إهانة للجزَّارين الشُّرفاء في كلِّ مكان. ما حدثَ في (الملَّاحات) من صُنع حيوانٍ رهيب في هيئةٍ بَشريَّة».

هذا زمن الحيوانات، الأُسود والذِّئاب والكلاب الغاضبة، زمن الغِدفان وغربان الجيف.

عادَ العُفر يملأ كأسه قائلًا: «عمل آثم. ليدي ماريا، ليدي آميري، لقد أثَّرت فيَّ محنتكما. لكما كلمتي، ما إن تَسقُط (ريڤررَن) سأعودُ لملاحَقة كلب الصَّيد وأقتله من أجلكما. الكلاب لا تُخيفني».

المفترَض أن يُخيفك هذا الكلب. كلا الرَّجلين كبير الحجم قويٌّ، إلَّا أن ساندور كليجاين أسرع كثيرًا، ويُقاتِل بشراسةٍ لا يقوى لايل كراكهول على مضاهاتها.

على أن الليدي آميري قالت مفتونةً: «أنت فارس حقيقي يا سير لايل لمساعَدتك ليدي في محنةٍ مِثلي».

لم تدعُ نفسها بالفتاة على الأقل. مَدَّ چايمي يده الذَّهب إلى كأسه فأسقطَها، ليتشرَّب مفرش المائدة الكتَّاني النَّبيذ، وبينما اتَّسعت بُقعة الأحمر تظاهرَ رفاقه جميعًا بأنه لم يلحظوا. قال لنفسه: إنها كياسة المائدة العالية، لكن مذاقها في فمه لم يختلف عن مذاق الشَّفقة. نهضَ على حين غرَّةٍ قائلًا: «سيِّدتي، أرجو أن تَعذُريني».

بدا الانزعاج على الليدي آميري، وقالت: «هل ستَتْرُكنا؟ ما زلنا سنأكل لحم الغزلان، وهناك ديوك محشوَّة بالكرفس والفِطر».

– «لا شَكَّ أنهما صنفان شهيَّان، لكني لن أستطيع أن آكل لُقمةً أخرى. يجب أن أرى ابن عمِّي»، وحنى چايمي رأسه وتركَهم لطعامهم.

كان الرِّجال يأكلون في السَّاحة أيضًا، وقد تحلَّق العصافير حول دستةٍ من بؤر النَّار لتدفئة أيديهم من برد الغسق ومتابَعة أصابع السُّجق السَّمينة التي تُطَقطِق وينزُّ منها الدُّهن فوق النَّار. لا بُدَّ أنهم مئة على الأقل. أفواه معدومة القيمة. تساءلَ چايمي عن مخزون السُّجق لدى لانسل وكيف ينوي إطعام العصافير حين ينفد. بحلول الشِّتاء ستجدهم يأكلون الجرذان، ما لم يجدوا محصولًا يحصدونه. في هذا الوقت المتأخِّر من الخريف فُرصة حصادٍ آخَر ضعيفة.

وجدَ سِپت القلعة في الجناح الدَّاخلي، مبنى سُباعي الجوانب بلا نوافذ، نِصفه من الخشب وبابه الخشبي منقوش وسطحه مغطًّى بالبلاط. على الدَّرجات يجلس ثلاثة من العصافير، وقد نهضوا مع اقتراب چايمي، وسألَه أحدهم: «أين أنت ذاهب يا سيِّدي؟». هو أصغر الثَّلاثة، لكن لحيته الأكبر.

– «إلى الدَّاخل؟».

– «حضرة اللورد في الدَّاخل، يُصَلِّي».

– «حضرة اللورد ابن عمِّي».

قال عُصفور آخَر، رجل أصلع ضخم فوق عينه رسم لنجمةٍ سُباعيّة: «إذن فلست تُريد إزعاج ابن عمِّك في أثناء صلاته يا سيِّدي».

– «اللورد لانسل يسأل (الأب في الأعالي) الهداية»، قال العُصفور الثَّالث الحليق، الذي حسبَه چايمي صبيًّا أولًا، لكن صوتها أخبرَه بأنها امرأة ترتدي أسمالًا بلا شكلٍ وقميصًا من الحلقات المعدنيَّة الصَّدئة. «يُصَلِّي لأجل أرواح السِّپتون الأعلى وكلِّ من ماتوا».

أجابَها چايمي: «سيظلُّون موتى غدًا. (الأب في الأعالي) لديه وقت أطول مني. هل تعرفون مَن أنا؟».

رَدَّ الكبير ذو العين المنجَّمة: «لورد ما».

وقال الصَّغير ذو اللِّحية الكبيرة: «مُعاق ما».

وقالت المرأة: «قاتِل الملك، لكننا لسنا ملوكًا وإنما مجرَّد صعاليك، ولا يُمكنك الدُّخول ما لم يقل حضرة اللورد أن تَدخُل»، ورفعَت هراوةً مدبَّبةً ورفعَ الصَّغير فأسًا.

انفتحَ الباب من ورائهم، وقال لانسل برفق: «دعوا ابن عمِّي يمرُّ بسلامٍ أيها الأصدقاء، كنتُ في انتظاره».

وانزاحَ العصافير في الحال.

يبدو لانسل أكثر هزالًا مما كان في (كينجز لاندنج)، ثم إنه حافي القدمين ويرتدي سُترةً قصيرةً تقليديَّةً من الصُّوف غير المصبوغ تجعله يبدو أقرب إلى متسوِّلٍ من لورد، وكان قد حلقَ قمَّة رأسه ونبتَ زغب لحيته بعض الشَّيء، ولو أن من الصَّعب أن يعدَّ ما على وجهه زغبًا، خصوصًا أنه لا يتماشى مع الشَّعر الأبيض حول أُذنيه.

قال چايمي لمَّا صارا وحدهما داخل السِّپت: «هل فقدت عقلك يا ابن العم؟».

– «أوثرُ أن أقول إنني عثرتُ على إيماني».

– «أين أبوك؟».

أجابَ لانسل: «رحل. لقد تشاجَرنا»، وركعَ أمام مذبح أبيه الآخَر قائلًا: «هلَّا صلَّيت معي يا چايمي؟».

– «هل سيُعطيني (الأب) يدًا جديدةً إذا صلَّيتُ جيِّدًا؟».

- «لا، لكن (المُحارب) سيُعطيك الشَّجاعة، و(الحدَّاد) القوَّة، و(العجوز) الحكمة».

- «إنني محتاج إلى يد». فوق المذابح المنحوتة ترتفع الآلهة السَّبعة ويلتمع خشبها الدَّاكن في ضوء الشُّموع، وفي الهواء رائحة بَخورٍ خفيفة. «هل تنام هنا؟».

- «كلَّ ليلةٍ أنامُ عند مذبحٍ مختلف ويُرسِل لي (السَّبعة) رؤًى».

كان بيلور المبارَك يرى رؤًى أيضًا. خصوصًا عندما يصوم. «متى أكلت آخِر مرَّة؟».

- «إيماني الغذاء الوحيد الذي يلزمني».

- «الإيمان كالثَّريد، أفضل بالحليب والعسل».

- «لقد حلمتُ بأنك ستأتي. في الحُلم كنت تعرف الذي فعلته وما ارتكبتُ من خطايا، ولأجل هذا قتلتني».

- «الأرجح أنك ستَقتُل نفسك بكلِّ هذا الصِّيام. ألم يَصُم بيلور المبارَك حتى الموت؟».

- «ما حيواتنا إلَّا لهب شموع، كما تقول (النَّجمة السُّباعيَّة)، مجرَّد هبَّة ريحٍ شاردة كفيلة بإطفائها. الموت ليس بعيدًا أبدًا في هذا العالم، وثمَّة سبع جحائم تنتظر الخُطاة الذين لم يتوبوا عن خطاياهم. صَلِّ معي يا چايمي».

- «إذا فعلتُ فهل ستأكل وعاءً من الثَّريد؟». لم يُجِبه ابن عمِّه، فزفر چايمي، وقال: «حريٌّ بك أن تنام مع زوجتك لا (العذراء). إنك في حاجةٍ إلى ابنٍ في عروقه دماء داري إذا أردت الاحتفاظ بهذه القلعة».

قال لانسل: «كومة حجارةٍ باردة لم أطلبها ولم أرِدها، لم أرِد إلَّا أن...»، وارتجفَ مردفًا: «فليحمني (السَّبعة)، لكني أردتُ أن أكون أنت».

ضحكَ چايمي رغمًا عنه، وقال: «أنا أفضل من بيلور المقدَّس. (داري) محتاجة إلى أسدٍ يا ابن عمِّي، وكذا زوجتك الصَّغيرة ابنة فراي. كلَّما أتى أحدهم على ذِكر الحجر الصُّلب ابتلَّ ما بين ساقيها. إذا لم تكن قد ضاجعَته بعدُ فستفعل قريبًا».

- «إذا كانت تحبُّه فأتمنى أن يجد كلاهما المسرَّةَ في الآخَر».

- «لا يَجدُر بالأسد أن يكون له قرنان. لقد تزوَّجت الفتاة».

- «ردَّدتُ بعض الكلمات وأعطيتها معطفًا أحمر، ولكن لإرضاء أبي فحسب. الزِّيجة تتطلَّب أن تتمَّ في الفِراش. الملك بيلور اضطرَّ إلى الزَّواج بأخته دايانا، لكنهما لم يعيشا كزوجٍ وزوجةٍ قَطُّ، وحال تتويجه اعتزَلها».

- «كان أصلح للبلاد أن يُغلِق عينيه وينكحها. أعرفُ ما يكفي من التَّاريخ لأدرك هذا. على كلِّ حالٍ ليس واردًا أن يحسبك أحد كبيلور المبارَك».

- «صحيح. لقد كان صاحِب نفسٍ نادرة، نفسٍ نقيَّة وشُجاعة وبريئة لم تمسَّها شرور العالم. أمَّا أنا فآثم، ولديَّ كثير أكفِّرُ عنه».

وضعَ چايمي يده على كتف ابن عمِّه، وقال: «ماذا تعرف عن الآثام يا ابن عمِّي؟ لقد قتلتُ ملكي».

- «الشُّجاع يَقتُل بالسَّيف، والجبان بِقِربة نبيذ. كلانا قاتِل ملكٍ أيها الفارس».

- «روبرت لم يكن ملكًا حقًّا، بل وقد يقول بعضهم إن الوعل فريسة الأسد الطَّبيعيَّة». كان چايمي يَشعُر بالعظم البارز تحت جِلد ابن عمِّه... وبشيءٍ آخَر أيضًا، إذ يرتدي لانسل قميصًا من الشَّعر تحت سُترته. «ماذا فعلت غير هذا ويتطلَّب تكفيرًا؟ أخبِرني؟».

طأطأَ ابن عمِّه رأسه والدُّموع تجري على وجنتيه.

وكانت هذه الدُّموع كلَّ الإجابة التي أرادَها چايمي، الذي قال: «قتلت الملك ثم نكحت الملكة».

- «لم يَحدُث قَطُّ...».

- «... أن نِمت مع أختي الجميلة؟». قُلها، قُلها!

- «لم يَحدُث قَطُّ أني أفرغتُ منيِّي في... في...».

- «... فَرجها؟».

- «... في رحمها. إنها ليست خيانةً ما لم تُفرِغ المنيَّ في الدَّاخل. لقد واسيتها بَعد موت الملك. كنت أنت أسيرًا وأبوك في ميدان المعركة وأخوك... كانت تخشاه، ولسببٍ وجيه. لقد جعلَني أخونها».

- «حقًّا؟». لانسل والسير أوزموند وكم غيرهما؟ هل قال فتى القمر على سبيل الاستهزاء؟ «هل أكرهتها؟».

- «لا! لقد أحببتها، أردتُ أن أحميها».

أردت أن تكون أنا. أحسَّ بأصابعه السَّبحيَّة تستحكُّه. يوم أتَته أخته في (بُرج السَّيف الأبيض) تتوسَّل إليه أن يتبرَّأ من قَسمه—يومها ضحكَت بَعد أن رفضَ وقالت متبجِّحةً إنها كذبَت عليه ألف مرَّة، لكن چايمي اعتبرَها محاولةً رعناء لإيلامه كما آلمَها. ربما كان هذا الشَّيء الحقيقي الوحيد الذي قالَته لي.

ناشدَه لانسل قائلًا: «لا تُسئ الظَّنَّ بالملكة. كلُّ مخلوقٍ من لحمٍ ضعيف يا چايمي. لم يَنتُج عن خطيئتنا أذى، لا... لا نغول».

– «نعم، نادرًا ما يَنتُج النُّغول عن إفراغ المنيِّ على البطن». تساءلَ عمَّا سيقوله ابن عمِّه إذا اعترفَ له بخطاياه هو، بالخيانات الثَّلاث التي سمَّتها سرسي چوفري وتومن ومارسلا.

– «كنتُ غاضبًا من جلالتها بَعد المعركة، لكن السِّپتون الأعلى قال إن عليَّ أن أسامحها».

– «إذن فقد اعترفت بخطاياك لصاحِب القداسة الأعلى، أليس كذلك؟».

– «لقد صلَّى معي عندما كنتُ جريحًا. كان رجلًا صالحًا».

إنه رجل ميت، دقُّوا له الأجراس بالفعل. تساءلَ إن كانت لدى ابن عمِّه فكرة عمَّا قد تُثمِره كلماته. «لانسل، أنت أحمق كبير».

قال لانسل: «لست مخطئًا، لكني وضعتُ حماقتي ورائي أيها الفارس. لقد سألتُ (الأب في الأعالي) أن يُريني السَّبيل، وقد فعلَ. سأتخلَّى عن هذه اللورديَّة وهذه الزَّوجة. هنيئًا للحجر الصُّلب بهما إذا أرادَ. غدًا سأعودُ إلى (كينجز لاندنج) وأتعهَّد بسيفي للسِّپتون الأعلى الجديد و(السَّبعة). إنني أنوي حلفان اليمين والانضمام إلى أبناء المُحارب».

علَّق چايمي الذي لم يفهم ما قالَه الصَّبي: «أبناء المُحارب محظورون منذ ثلاثمئة عام».

– «السِّپتون الأعلى الجديد أحياهم، وأرسلَ يستدعي الفُرسان الجديرين ليتعهَّدوا بأنفُسهم وسيوفهم لخدمة (السَّبعة). جماعة الصَّعاليك ستعود ثانيةً أيضًا».

– «ولِمَ يسمح العرش الحديدي بهذا؟». يَذكُر چايمي أن أحد ملوك تارجارين الأوائل كافحَ أعوامًا لقمع الجماعتين العسكريَّتين، وإن كان قد نسيَ مَن. ميجور ربما، أو چهيرس الأول. كان تيريون ليعرف.

- «صاحِب القداسة الأعلى كتبَ قائلًا إن الملك تومن وافقَ. سأريك الرِّسالة إذا أردت».

- «حتى إذا كان هذا صحيحًا... أنت أسد من أولاد (الصَّخرة)، لورد! إن لك زوجةً وقلعةً وأراضيَ تُدافِع عنها ورعايا تحميهم، وإذا شاءَت الآلهة سيكون لك أبناء من دمك يخلفونك. لماذا تَهجُر كلَّ هذا من أجل... من أجل يمين؟».

سألَه لانسل: «لماذا هجرت أنت ما كان لك؟».

كان چايمي ليُجيب: من أجل الشَّرف، من أجل المجد، ولكن لكانت إجابته كاذبةً. أي نعم لعبَ الشَّرف والمجد دورًا، إلَّا أن الجزء الأكبر من حافزه كان سرسي. فرَّت ضحكة من بين شفتيه، وقال: «هل تهرع إلى السِّپتون الأعلى أم إلى أختي الجميلة؟ صَلِّ لتعرف الإجابة يا ابن عمِّي، صَلِّ كثيرًا».

- «هلَّا صلَّيت معي يا چايمي؟».

تطلَّع إلى الآلهة في جوانب السِّپت؛ إلى (الأُم) الملأى بالرَّحمة، و(الأب) الصَّارم في حُكمه، و(المُحارب) المستقرَّة يده على سيفه، وإلى (الغريب) وسط الظِّلال، يتوارى وجهه نِصف الإنساني تحت قلنسوة معطفه. حسبتُ نفسي (المُحارب) وسرسي (العذراء)، لكنها كانت (الغريب) طيلة الوقت، تُخفي وجهها الحقيقي عن بصري. قال لابن عمِّه: «صَلِّ من أجلي إذا أردت. لقد نسيتُ الكلمات كلَّها».

كان العصافير ما زالوا يُرَفرِفون على الدَّرج عندما خرجَ چايمي إلى اللَّيل، فقال لهم: «أشكركم. أشعرُ بأني أكثر إيمانًا بكثير الآن».

وذهبَ ووجدَ السير إلين وزوجين من السُّيوف.

ساحة القلعة مليئة بالأعيُن والآذان، ولتحاشيها سعيا إلى أيكة الآلهة. لا يوجَد عصافير هناك، فقط سكينة الأشجار الجرداء التي تخدش فروعها السَّوداء السَّماء، وقد افترشَ الأرض بساط من أوراق ميتة سحقَتها أقدامهما.

أشارَ چايمي بسيفه قائلًا: «هل ترى هذه النَّافذة أيها الفارس؟ كانت هذه غُرفة نوم رايمون داري، حيث نامَ روبرت خلال رحلة عودتنا من (وينترفل). لا بُدَّ أنك تَذكُر أن ابنة ند ستارك هربَت بَعد أن هاجمَت ذئبتها چوف. أرادَت أختي أن تُقطَع يد الفتاة، العقوبة القديمة لضرب أحد ذوي الدَّم الملكي،

فقال لها روبرت إنها متوحِّشة مجنونة، وقضيا نِصف اللَّيلة في الشِّجار... أو أن سرسي تشاجرَت في حين شربَ روبرت. بَعد منتصَف اللَّيل استدعَتني الملكة إلى داخل الغُرفة، وكان الملك قد فقدَ وعيه وراحَ يغطُّ في نوم عميق على البساط المايري. سألتُ أختي إن كانت تُريدني أن أحمله إلى الفِراش، فقالت لي أن أحملها هي إلى الفِراش وخلعَت ثوبها، وأخذتها هناك على فِراش رايمون داري بَعد أن خطونا فوق روبرت. لو استيقظَ جلالته لقتلته في مكانه في لحظتها، ولما كان أول ملكٍ يموت بسيفي... لكنك تعرف تلك القصَّة، أليس كذلك؟»، وضربَ غُصن شجرةٍ شاطرًا إياه نِصفين، وتابعَ: «بينما أضاجعُ سرسي صاحَت: أريدُ. ظننتها تُريدني أنا، لكن مَن أرادَته كان ابنة ستارك، إمَّا مشوَّهةً وإمَّا ميتةً». يا للأشياء التي أفعلها من أجل الحُب. «تصادفَ أن عثرَ رجال ستارك على الفتاة قبلي، لكن لو عثرتُ عليها أولًا...».

في ضوء المشعل بدَت آثار الجُدري على وجه السير إلين كثقوبٍ سوداء مظلمة كروح چايمي، وأصدرَ الرَّجل صوت الطَّقطقة إياه.

فكَّر چايمي لانستر: يضحك مني، وقال بحدَّة: «على حَدِّ علمي ربما تكون قد ضاجعت أختي أيضًا أيها الوغد المجدور. حسن، أغلِق فمك اللَّعين واقتُلني إن استطعت».

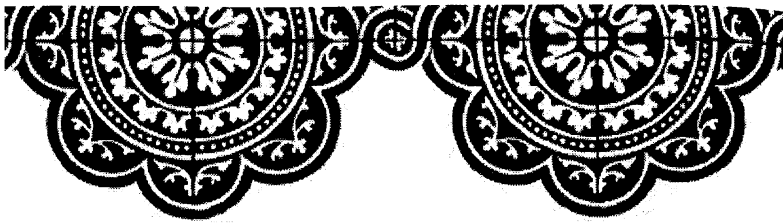

بِريان

يرتفع السِّپتري فوق جزيرةٍ منبثقة من قلب الماء على بُعد نِصف ميلٍ من السَّاحل، حيث يتَّسع ثغر (الثَّالوث) الواسع أكثر فأكثر ليُقَبِّل (خليج السَّراطين). حتى من الشَّاطئ يبدو ازدهارها جليًّا؛ منحدَراتها مغطَّاة بالحقول المدرَّجة، وأسفلها بِرك أسماكٍ وأعلاها طاحونة هواء تدور ريشاتها المصنوعة من الخشب وقُماش الأشرعة ببُطءٍ في نسيم الخليج، ورأت بِريان خرافًا ترعى على جانب التَّلِّ ولقالق تخوض في المياه الضَّحلة حول مرسى العبَّارة.

قال السِّپتون ميريبولد مشيرًا شمالًا عبر الخليج: «(الملَّاحات) على الضِّفَّة الأخرى. سيَعبُر بنا الإخوة غدًا في تيَّار الصَّباح، ولو أنني متوجِّس خيفةً مما سنجده هناك. لنستمتع بوجبةٍ شهيَّة ساخنة قبل أن نواجِهه. الإخوة عندهم دائمًا عظم يستغنون عنه لكلب». مع قوله الأخير نبحَ كلب وهزهزَ ذيله.

كانت المياه التي تفصل الجزيرة عن السَّاحل تنحسر بسُرعةٍ مع الجَزر، تاركةً مساحةً شاسعةً من السُّهول الطِّينيَّة اللَّامعة التي تنتشر فيها البِرك المدِّيَّة المتلألئة كعُملاتٍ من الذَّهب في شمس الأصيل. حكَّت بِريان مؤخِّرة عُنقها حيث لدغَتها حشرة، وكانت قد رفعَت شَعرها وثبَّتته بدبُّوسٍ ودفَّأت الشَّمس بشرتها.

سألَ پودريك: «لماذا يُسَمُّونها (جزيرة الهدوء)؟».

– «مَن يَقطُنون هنا تائبون يسعون إلى التَّكفير عن ذنوبهم عن طريق التَّأمُّل والصَّلاة والصَّمت. فقط الأخ الكبير ونُظَّاره مسموح لهم بالكلام، والنُّظَّار يتكلَّمون يومًا واحدًا فقط من كلِّ سبعة».

قال پودريك: «الأخوات الصَّامتات لا يتكلَّمن أبدًا. سمعتُ أنهن بلا ألسنة».

ابتسمَ السِّپتون ميريبولد، وقال: «منذ كنتُ في سِنِّك أسمعُ الأمَّهات يُخِفنَ بناتهن بهذه الحكاية، لكنها لم تمتَّ للحقيقة بصِلةٍ آنذاك ولا تمتُّ لها بصِلةٍ الآن. نذر الصَّمت فِعل الغرض منه التَّوبة، تضحية نُثبِت بها انكبابنا على عبادة (السَّبعة في الأعالي). أن يأخذ الأخرس على نفسه نذر صمتٍ أشبه بأن يعتزل رجل بلا ساقين الرَّقص»، وقادَ حماره نازلًا به المنحدَر، وأشارَ لهم بأن يتبعوه مستطردًا: «إذا أردتم النَّوم تحت سقفٍ اللَّيلة فعليكم أن تترجَّلوا وتَعبُروا الأوحال معي. نُسَمِّيه طريق الإيمان. وحدهم المؤمنون يستطيعون عبوره بأمان، أمَّا الآثمون فتبتلعهم الرِّمال المتحرِّكة أو يغرقون عندما يتدفَّق المَدُّ. آملُ أن لا أحد منكم آثم. ومع ذلك أنصحكم بالانتباه إلى موطئ أقدامكم. امشوا حيث أمشي فقط وستَبلَغون الجانب الآخَر».

لم يكن بمقدور بِريان ألَّا تلحظ أن طريق الإيمان معوجٌّ، فعلى الرغم من أن الجزيرة ترتفع إلى شمال شرق البُقعة التي تحرَّكوا منها على الشَّاطئ، لم يتَّجه السِّپتون ميريبولد صوبها في خَطٍّ مستقيم، وبدلًا من هذا تحرَّك شرقًا نحو مياه الخليج الأعمق التي تَبرُق بالأزرق والفضِّي من بعيد. انهرسَ الطَّمي البنِّي اللَّين بين أصابع قدميه، وفي أثناء سيره كان يتوقَّف بين الفينة والفينة ويجسُّ الطَّريق أمامه بنبُّوته، وقد ظَلَّ كلب يمشي في أعقابه متشمِّمًا كلَّ صخرةٍ وصدفةٍ وكُتلةٍ من طحالب البحر، ممتنعًا هذه المرَّة عن استباقهم أو الحيد عن الطَّريق.

تحرَّكت بِريان بحرصٍ على الالتزام بخَطِّ الآثار الذي يرسمه الكلب والحمار ورجل الدِّين، ووراءها پودريك ثم السير هايل. بَعد أن قطعوا مئة ياردة انعطفَ ميريبولد بغتةً إلى الجنوب فكادَ ظَهره يُصبِح إلى السِّپتري مباشرةً، وقد واصلَ السَّير في هذا الاتِّجاه مئة ياردة أخرى قائدًا إياهم بين بِركتين مدِّيَّتين ضحلتين. دَسَّ كلب فمه في إحداهما ونبحَ عندما قرصَه سرطان بمخالبه، ثم اندلعَ قتال قصير لكن عنيف قبل أن يعود الكلب متوثِّبًا وقد ابتلَّ جسمه وتلوَّث بالوحل وبين فكَّيه السَّرطان.

نادى السير هايل من ورائهم مشيرًا إلى السِّپتري: «ألسنا نُريد الذَّهاب إلى هناك؟ يبدو أننا نمشي في كلِّ اتِّجاهٍ ما عدا نحوه».

رَدَّ السِّپتون ميريبولد بنبرةٍ ملحَّة: «الإيمان. آمِن وثابِر واتبع وسنجد السَّلام الذي نسعى إليه».

من كلِّ جهةٍ حولهم تلتمع الأرض المسطَّحة المبتلَّة المرقَّشة بعشرات درجات الألوان. الطَّمي بنِّي داكن للغاية لدرجة أنه يكاد يبدو أسود، لكن هناك رُقعًا من الرَّمل الذَّهبي أيضًا، وصخورًا منتصبةً حمراء ورماديَّةً، وشباكًا من الطَّحالب البحريَّة السَّوداء والخضراء. في البِرك المدِّيَّة تتحرَّك اللَّقالق تاركةً آثار أقدامها في كلِّ مكان، وتجري السَّراطين مسرعةً على سطوح المياه الضَّحلة، بينما تُفعِم الهواء روائح الملح والعفَن، وتمتصُّ الأرض أقدامهم ولا تَترُكها تتحرَّر إلَّا على مضضٍ بصوتٍ كالفرقعة المصحوبة بتنهيدةٍ بليلة. انعطفَ السِّپتون ميريبولد مرَّةً أخرى وأخرى وأخرى، لتمتلئ آثار قدميه بالماء تَوَّ أن يخطو مبتعدًا، وحين أصبحَت الأرض أكثر صلابةً وبدأت ترتفع تحت أقدامهم أخيرًا كانوا قد قطعوا ميلًا ونِصفًا على الأقل.

كان ثلاثة رجالٍ في انتظارهم وهُم يتسلَّقون الحجارة المكسَّرة التي تُطَوِّق ساحل الجزيرة، يرتدون ثياب الإخوة ذات الأكمام الواسعة والقلانس المدبَّبة بلونيها البنِّي والرَّمادي، ومنهما اثنان يلفُّ كلاهما وشاحًا من الصُّوف حول نِصف وجهه السُّفلي أيضًا، فلا يلوح منه إلَّا العينان. الأخ الثَّالث هو من تكلَّم مناديًا: «السِّپتون ميريبولد. مضى ما يَقرُب من عام. أهلًا بك وبرفاقك أيضًا».

هزهزَ كلب ذيله، ونفضَ ميريبولد الوحل عن قدميه قائلًا: «هل لنا في التماس كرم ضيافتكم ليلةً؟».

– «نعم، بالطَّبع. سنتناوَل يخنة السَّمك هذا المساء. هل ستحتاجون إلى العبَّارة في الصَّباح؟».

أجابَ ميريبولد: «إن لم نكن نُثقِل عليكم»، والتفتَ إلى رفاقه، وقال: «الأخ ناربرت من نُظَّار الجماعة، ولذا فمسموح له بالكلام يومًا واحدًا من كلِّ سبعة. أيها الأخ، هؤلاء القوم الطيِّبون ساعَدوني في الطَّريق. السير هايل فارس هُمام من (المرعى)، والصَّبي هو پودريك پاين الذي أصبحَ من الغربيِّين منذ فترةٍ قريبة، وهذه هي الليدي بِريان المعروفة بعذراء (تارث)».

توقَّف الأخ ناربرت فجأةً، وغمغمَ: «امرأة».

خلعَت بِريان دبُّوس شَعرها ونفضَته قائلةً: «نعم أيها الأخ. أليست عندكم نساء هنا؟».

رَدَّ ناربرت: «ليس في الوقت الرَّاهن. النِّساء اللائي يَزُرننا يأتيننا مريضات أو جريحات أو حوامل. لقد باركَ (السَّبعة) أخانا الكبير بيدين شافيتين، وعليهما تعافى رجال كثيرون لم يستطِع المِايسترات أنفُسهم علاجهم، ونسوة كثيرات أيضًا».

- «لستُ مريضةً أو جريحةً أو حاملًا».

قال السِّيتون ميريبولد: «الليدي بِريان فتاة مُحاربة، تُطارِد كلب الصَّيد».

لاحَت الدَّهشة على ناربرت، وتساءلَ: «حقًّا؟ لأيِّ غاية؟».

مسَّت بِريان مقبض (حافِظ العهد) مجيبةً: «نهايته».

تفرَّس النَّاظر في ملامحها قائلًا: «إنكِ... قويَّة بالنِّسبة إلى امرأة، هذا صحيح، ولكن... ربما عليَّ أن آخذك إلى الأخ الكبير. لا بُدَّ أنه رآكم تَعبُرون الأوحال. تعالوا».

قادَهم ناربرت في ممرٍّ مفروش بالحصى وعبر بُستان تفَّاح إلى اسطبل مطليٍّ بالجير الأبيض له سقف مدبَّب من القَش، حيث قال لهم: «يُمكنكم أنَّ تَترُكوا حيواناتكم هنا. سيحرص الأخ جيلام على إطعامها وسقائها».

أكثر من ثلاثة أرباع الاسطبل خالٍ. في أحد طرفيه نِصف دستةٍ من البغال يرعاها أخ صغير متقوِّس السَّاقين خمَّنت بِريان أنه جيلام، وفي الطَّرف الأقصى، بعيدًا تمامًا عن الحيوانات الأخرى، جواد أدهم ضخم دوَّى صهيله حين سمعَ أصواتهم ورفسَ باب مربطه.

حدجَ السير هايل الفَحل الكبير بنظرة إعجابٍ وهو يُناوِل الأخ جيلام عِنان حصانه، وقال: «دابَّة فارهة».

تنهَّد الأخ ناربرت معلِّقًا: «(السَّبعة) يُرسِلون لنا نِعمًا ويُرسِلون لنا مِحنًا. ربما يكون فارهًا، لكن دريفتوود وُلِدَ في الجحيم من غير ريب. عندما حاوَلنا ربطه بمحراثٍ رفسَ الأخ راوني وكسرَ قصبة ساقه في موضعين. كنا نأمل أن يُحَسِّن الإخصاء مزاجه الأسود، ولكن... هلَّا أريتهم أيها الأخ جيلام؟».

أنزلَ الأخ جيلام قلنسوته، ليلوح من تحتها شَعره الأشقر وقمَّة رأسه المحلوقة وضِمادة ملوَّثة بالدَّم تحتلُّ مكان أُذنه.

شهقَ پودريك، وسألَ: «الحصان قضمَ أُذنك؟!».

أومأَ جيلام برأسه إيجابًا وعادَ يُغَطِّي رأسه، وقال له السير هايل: «سامِحني أيها الأخ، لكني كنتُ لآخذ الأُذن الأخرى لو اقتربت مني حاملًا مقصًّا».

لم تُعجِب الدُّعابة الأخ ناربرت، الذي قال: «أنت فارس يا سيِّدي، ودريفتوود دابَّة أحمال. (الحدَّاد) وهبَ الخيل للبَشر لإعانتهم على أشغالهم»، والتفتَ مضيفًا: «تفضَّلوا معي. لا شَكَّ أن الأخ الكبير ينتظركم».

وجدوا المنحدَر أشدَّ ارتفاعًا مما بدا من النَّاحية الأخرى من السُّهول الطِّينيَّة، ولتسهيله رفعَ الإخوة سلالم خشبيَّةً تتعرَّج يمينًا ويسارًا على جانب التَّلِّ وبين البنايات. بَعد يومٍ طويل من الجلوس فوق السَّرج سُرَّت بِريان لفُرصة فرد قدميها.

مرُّوا بدستةٍ من إخوة الجماعة في طريقهم إلى أعلى، رجال يُغَطُّون رؤوسهم بالقلانس ويرتدون البنِّي والرَّمادي رمقوهم بنظراتٍ فضوليَّة لدى مرآهم وإن لم ينبسوا بكلمة تحيَّةٍ واحدة، أحدهم يقود بقرتين حلوبيْن نحو حظيرةٍ واطئة سقفها من النَّجيل، بينما يعمل آخَر على ممخضة زُبدة. على المنحدَرات الأعلى رأوا ثلاثة صِبيان يسوقون الأغنام، وفي مستوى أعلى من هذا مرُّوا بساحة دفنٍ فيها أخ أكبر حجمًا من بِريان يكدح في حفر قبر، وقد بدا بوضوحٍ من الطَّريقة التي يتحرَّك بها أنه أعرج، وإذ طوَّح بمِلء مجرافٍ من التُّربة الحجريَّة من فوق كتفه تناثرَ القليل على أقدامهم، وقال الأخ ناربرت مؤنِّبًا: «توخَّى الحذر أكثر، التُّراب كان سيَدخُل فم السِّيتون ميريبولد»، فخفضَ حفَّار القبور رأسه، ولمَّا ذهبَ إليه كلب يتشمَّمه أفلتَ مجرافه وحَكَّ أُذنه.

قال ناربرت مفسِّرًا: «إنه مبتدئ».

سألَه السير هايل بينما استأنَفوا صعود السَّلالم الخشب: «لمَن القبر؟».

– «الأخ كليمنت، عسى (الأب) أن يَحكُم عليه بالعدل».

سألَ بودريك پاين: «هل كان متقدِّمًا في السِّن؟».

– «إذا كنت تعدُّ الثَّامنة والأربعين تقدُّمًا في السِّن، نعم، لكن ليست السِّن ما قتلَه، بل ماتَ بالجروح التي أصيبَ بها في (الملَّاحات). كان قد أخذَ القليل من بِتعنا إلى السُّوق هناك يوم هاجمَ الخارجون عن القانون البلدة».

سألَت بِريان: «كلب الصَّيد؟».

– «واحد آخَر، لكنه يُعادِله توحُّشًا. لقد قطعَ لسان كليمنت المسكين عندما رفضَ الكلام، وقال الهجَّام إنه ليس في حاجةٍ إليه ما دامَ قد أخذَ على

نفسه نذر الصَّمت. الأخ الكبير سيعرف المزيد. إنه يحتفظ بأسوأ الأخبار من الخارج لنفسه كي لا يُقلِق سكينة السِّبتري. كثيرون من إخوتنا جاءوا هنا للهرب من أهوال العالم وليس للإسهاب في التَّفكير فيها. لم يكن الأخ كليمنت الوحيد الجريح منا، فثمَّة جراح لا تتبدَّى للأعيُن»، وأشارَ الأخ ناربرت إلى يمينهم، واستطردَ: «هناك كرمتنا الصَّيفيَّة. العنب صغير ولاذع، لكننا نصنع منه نبيذًا صالحًا للشُّرب، ونصنع مِزرنا الخاص أيضًا، كما أن البِتع وخمر التُّفَّاح اللذين نُنتِجهما ذائعا الصِّيت».

سألَته بِريان: «ألم تمسَّكم الحرب هنا؟».

– «ليس هذه الحرب والشُّكر لـ(السَّبعة). صلواتنا تحمينا».

أضافَ السِّبتون ميريبولد: «والمَدُّ والجَزر أيضًا»، ونبحَ كلب مؤيِّدًا.

قمَّة التَّلِّ متوَّجة بسورٍ من الحجارة غير المملَّطة يُحيط بمجموعةٍ من المباني الكبيرة؛ الطَّاحونة التي تصرُّ ريشاتها مع دورانها، والمساكن التي ينام فيها الإخوة، والقاعة العامَّة التي يتناوَلون فيها وجباتهم، بالإضافة إلى سِبت خشبي للصَّلاة والتَّأمُّل له نوافذ من الزُّجاج المطلي بالرَّصاص، وباب مصراعاه الكبيران منقوش عليهما شكلا (الأُم) و(الأب)، وبُرج سُباعي الجوانب على قمَّته ممشى، ووراءه حديقة خضراوات يجتثُّ منها إخوة أكبر سِنًّا الحشائش.

قادَ الأخ ناربرت الزُّوَّار دائرًا حول شجرة كستناء إلى بابٍ خشبي في جانب التَّل، فتساءلَ السير هايل مندهشًا: «كهف بباب؟».

ابتسمَ السِّبتون ميريبولد قائلًا: «يُسَمَّى (حُفرة المتنسِّكين). أول رجل دينٍ وجدَ طريقه إلى هنا أقامَ في الدَّاخل وصنعَ أعاجيب دفعَت آخَرين إلى الإتيان والانضمام إليه. يقولون إن ذلك كان منذ ألفي عام، أمَّا الباب فوُضِعَ في زمنٍ لاحق».

ربما كانت (حُفرة المتنسِّكين) مكانًا مظلمًا رطبًا قبل ألفي عام، أرضه من تُرابٍ وتتردَّد فيه أصداء تقاطُر المياه، لكنه لم يَعُد كذلك، فالكهف الذي دخلَته بِريان ورفاقها تحوَّل إلى معتكَفٍ دافئ مريح، تُغَطِّي البُسط الصُّوف أرضه والمعلَّقات جُدرانه، وتشعُّ فيه الشُّموع الطَّويلة ضوءًا يكفي ويزيد. الأثاث غريب لكن بسيط؛ طاولة طويلة ودكَّة وصندوق وعدَّة رفوف ملأى بالكُتب

ومقاعد، كلُّها مصنوع من الأخشاب المجروفة ذات الأشكال المتنافرة، وإن نُسِّقَت معًا ببراعةٍ وصُقِلَت حتى صارَت تلتمع بلونٍ ذهبي عميق في ضوء الشُّموع.

ليس الأخ الكبير كما توقَّعته بِريان. بدايةً، لا يبدو من مظهره أن لقب «الكبير» يَصلُح له، فبينما للإخوة الآخَرين الذين ينتزعون الحشائش في الحديقة أكتاف وظهور الرِّجال الأكبر سِنًّا المحنيَّة، يقف هو منتصب القامة طويلها ويتحرَّك بنشاط رجلٍ في ريعان الشَّباب، كما أن وجهه ليس بالوجه الحنون الطيِّب الذي توقَّعتَ أن يكون لمُعالج، فرأسه كبير مربَّع، وعيناه ثاقبتان، وأنفه أحمر مليء بالعروق، ومع أن قمَّة رأسه جرداء فشَعره كثيف كالذي يُغَطِّي فكَّه الثَّقيل.

فكَّرت عذراء (تارث): يبدو أقرب إلى رجلٍ مخلوق لكسر العظام من تجبيرها.

تقدَّم الأخ الكبير بخُطواتٍ واسعة ليُعانِق السِّبتون ميريبولد ويُرَبِّت على كلب، ثم أعلنَ: «يوم سعيد دومًا عندما يُشَرِّفنا صديقانا ميريبولد وكلب بزيارةٍ أخرى»، والتفتَ إلى ضيوفه الآخَرين قائلًا: «والوجوه الجديدة مرحَّب بها دائمًا، إننا نرى القليل منها».

أدَّى ميريبولد المجامَلات المعتادة ثم جلسَ على الدِّكَّة. على عكس ناربرت لم يبدُ الأخ الكبير منزعجًا من جنس بِريان، لكن ابتسامته تذبذبَت وخفتَت حين أخبرَه السِّبتون بسبب مجيئها والسير هايل، ولم يردَّ إلَّا بـ«مفهوم»، قبل أن يلتفت قائلًا: «لا بُدَّ أنكم ظمآنون. تفضَّلوا، اشربوا القليل من خمر تفَّاحنا المحلَّاة لتغسلوا حلوقكم من غُبار الطَّريق». صَبَّ لهم بنفسه في أكوابٍ من الخشب المجروف لا يتشابَه منها اثنان، ولمَّا أثنَت عليها بِريان قال لها: «سيِّدتي شديدة اللُّطف. لا نفعل أكثر من تقطيع الخشب وتلميعه. إننا في نعمةٍ هنا. حيث يلتقي النَّهر بالخليج تتصارَع التَّيَّارات فتدفع إلينا أشياء غريبةً عجيبةً كثيرةً نجدها على شواطئنا. الخشب المجروف أقلُّها. لقد وجدنا كؤوسًا من الفضَّة وأوعيةً من الحديد وأجولةً من الصُّوف ولفافاتٍ من الحرير وخوذاتٍ صدئة وسيوفًا لامعةً... أجل، وعثرنا على ياقوت أيضًا».

أثارَ هذا اهتمام السير هايل، فسألَ: «ياقوت ريجار؟».

- «ربما. مَن يدري؟ المعركة دارَت على بُعد فراسخ عديدة من هنا، لكن النَّهر صبور لا يتعَب. عثرنا على ستِّ حبَّاتٍ وننتظر السَّابعة».

عقَّب السِّپتون ميريبولد وهو يَفرُك قدمه ليتقشَّر الطِّين تحت أصابعه: «الياقوت أفضل من العظام. ليست كلُّ هدايا النَّهر تسرُّ. الإخوة الكرام ينتشلون الموتى من الماء أيضًا؛ الأبقار والغزلان الغارقة، والخنازير الميتة التي تنتفخ فتَبلُغ نِصف حجم الحصان، أجل، والجُثث البَشريَّة أيضًا».

تنهَّد الأخ الكبير قائلًا: «جُثث كثيرة هذه الأيام. حفَّار القبور لا يعرف الرَّاحة. رجال من أراضي النَّهر ومن الغرب ومن الشَّمال، كلُّهم تجرفهم المياه إلينا، الفُرسان والخدم على حَدٍّ سواء. ندفنهم جنبًا إلى جنب، ستارك ولانستر، بلاكوود وبراكن، فراي وداري. هذا هو الواجب الذي يَطلُبه النَّهر منا لقاء هداياه، ونُؤَدِّيه بأفضل ما نستطيع. لكننا نجد امرأةً أحيانًا... أو أسوأ، طفلًا صغيرًا. تلك أقسى الهدايا طرًّا»، والتفتَ إلى السِّپتون ميريبولد، وقال: «آملُ أن لديك الوقت لإبرائنا من خطايانا. منذ قتلَ المُغيرون السِّپتون بينيت العجوز لم يأتنا أحد لسماع اعترافاتنا».

قال ميريبولد: «سأجدُ وقتًا، وإن كنتُ آملُ أن ذنوبكم هذه المرَّة أفضل من آخِر مرَّةٍ زُرتكم فيها». نبحَ كلب، فأردفَ: «أترى؟ لقد أصابَت كلب نفسه بالملل».

لاحَت الحيرة على پودريك پاين، الذي قال: «ظننتُ أن لا أحد يستطيع الكلام. ليس لا أحد، وإنما الإخوة، الإخوة الآخَرون وليس أنت».

أجابَه الأخ الكبير: «مسموح لنا بالخروج عن الصَّمت عند الاعتراف. من العسير الكلام عن الخطايا بالإشارات والإيماءات».

سألَه هايل هَنت: «هل أحرَقوا السِّپت في (الملَّاحات)؟».

اختفَت ابتسامة الرَّجل، وقال: «أحرَقوا كلَّ شيءٍ في (الملَّاحات) باستثناء القلعة. الفرق أنها مبنيَّة من الحجر... ولو أنها لم تنفع البلدة في شيءٍ كأنها مبنيَّة من الورق. وقعَ على عاتقي أن أعالج بعض النَّاجين الذين جلبَهم الصَّيَّادون إليَّ عبر الخليج بَعد أن همدَت النَّار ووجدوا الرَّسو آمنًا. ثمَّة امرأة بائسة اغتصَبوها مرارًا، وثدياها... سيِّدتي، إنكِ ترتدين دروع الرِّجال، فلن أعفيكِ من ذِكر هذه الأهوال... ثدياها مُزِّقا ونُهِشا وأُكِلا أكلًا، كأن من فعل

بها هذا... وحش كاسر. فعلتُ ما استطعتُ من أجلها مع أنه قليل، وبينما تلفظ آخِر أنفاسها لم تصبَّ أسوأ لعناتها على مَن اغتصبوها أو على الوحش الذي التهمَ لحمها الحيَّ، بل على السير كوينسي كوكس الذي أوصدَ أبوابه عندما دخلَ الخارجون عن القانون البلدة، وجلسَ في الأمان وراء أسواره الحجريَّة في حين صرخَ قومه وماتوا».

قال السِّپتون ميريبولد برفق: «السير كوينسي رجل عجوز، أبناؤه وزوجا ابنتيه الوحيدتين بعيدون أو موتى، وأحفاده ما زالوا صغارًا. ماذا كان ليفعل وهو رجل واحد ضد كثيرين؟».

فكَّرت بِريان: كان يُمكنه أن يُحاوِل، أن يموت. عجوزًا كان أم شابًّا، الفارس الحقيقي يُقسِم على حماية من هُم أضعف منه، أو يموت وهو يُحاوِل.

قال الأخ الكبير للسِّپتون ميريبولد: «كلام صحيح وحكيم. لا شَكَّ أن السير كوينسي سيسألك المغفرة عندما تَعبُر إلى (الملَّاحات). يسرُّني أنك هنا لإعطائه إياها، فأنا لم أستطِع»، ووضعَ كوب الخشب المجروف، ونهضَ مستطردًا: «جرس العَشاء سيُدَقُّ قريبًا. أيها الأصدقاء، هلَّا أتيتم معي إلى السِّپت لنُصَلِّي لأرواح أهل (الملَّاحات) الطيِّبين قبل أن نجلس ونتقاسَم الطَّعام والشَّراب؟».

أجابَ ميريبولد: «يسرُّنا هذا»، ونبحَ كلب.

كان عَشاؤهم في السِّپتري أغرب وجبةٍ شهدَتها بِريان في حياتها، وإن لم تكن سيِّئةً على الإطلاق. الطَّعام تقليدي غير أنه شهيٌّ للغاية؛ أرغفة من الخُبز السَّاخن، وآنية من الزُّبدة الطَّازجة، وعسل من خلايا نحل السِّپتري، ويخنة غنيَّة بالسَّراطين وبلح البحر وثلاثة أنواع على الأقل من السَّمك. شربَ السِّپتون ميريبولد والسير هايل البِتع الذي يصنعه الإخوة وأعلنا أنه ممتاز، في حين قنعَت هي وپودريك بالمزيد من خمر التُّفَّاح الحُلوة. ولم تكن الوجبة كئيبةً كذلك، إذ ردَّد ميريبولد صلاةً قبل تقديم الطَّعام، وبينما أكلَ الإخوة الجالسون إلى الموائد الطَّويلة الأربع عزفَ لهم أحدهم على القيثارة السَّامية مالئًا القاعة بالأنغام الهادئة العذبة، ولمَّا أذنَ الأخ الكبير للمغنِّي في تناوُل وجبته تبادلَ الأخ ناربرت وناظر آخَر القراءة من (النَّجمة السُّباعيَّة).

مع ختام القراءة كانت الأطباق قد رفعَها المبتدئون المكلَّفون بالخدمة،

أكثرهم صِبية في سِنٍّ پودريك أو أصغر، لكن هناك رجالًا بالغين أيضًا، منهم حفَّار القبور الكبير الذي صادَفوه بينما يصعدون التَّلَّ وله تلك المشية الخرقاء المتمايلة كأنه نِصف مشلول. لدى فروغ القاعة طلبَ الأخ الكبير من ناربرت أن يُري پودريك والسير هايل سريريهما في المساكن، وقال لهما: «آملُ أنكما لا تُمانِعان في اقتسام حُجيرةٍ واحدة. ليست واسعةً، لكنكما ستجدانها مريحةً».

قالَ پودريك: «أريدُ البقاء مع الفارس، أعني سيِّدتي».

رَدَّ الأخ ناربرت: «ما تفعله أنت والليدي بِريان في الخارج بينكما وبين (السَّبعة)، لكن على (جزيرة الهدوء) لا ينام رجل وامرأة تحت سقفٍ واحد ما لم يكونا متزوِّجيْن».

قال الأخ الكبير: «عندنا بعض الأكواخ المتواضعة المخصَّصة للنِّساء اللاتي يَزُرننا، سواء أكن نبيلات أم قرويَّات. إنها لا تُستخدَم كثيرًا، لكننا نُحافِظ على نظافتها وجفافها. ليدي بِريان، هل تسمحين لي بأن أريكِ الطَّريق؟».

– «نعم، شُكرًا. پودريك، اذهب مع السير هايل. إننا ضيوف الإخوة المؤمنين، وتحت سقفهم تسري قواعدهم».

تقع أكواخ النِّساء في الجانب الشَّرقي من الجزيرة، وتطلُّ على مساحةٍ شاسعة من الأوحال ومياه (خليج السَّراطين) البعيدة. المكان أكثر برودةً ووعورةً هنا من الجانب الآخَر المحجوب، والتَّلُّ أكثر تحدُّرًا، والطَّريق يتعرَّج بين الحشائش والنَّباتات البرِّيَّة والصُّخور التي نحتَتها الرِّيح والأشجار الشَّائكة الملتوية المتعلِّقة بعنادٍ بجانب التَّل. حملَ الأخ الكبير مصباحًا ليُضيء طريقهم إلى أسفل، وعند أحدِ المنعطفات توقَّف قائلًا: «في اللَّيالي الصَّافية يُمكنكِ أن تري أنوار (الملَّاحات) من هنا، عبر الخليج، هناك»، وأشارَ إلى البُقعة التي يعنيها.

قالت بِريان: «ليس هناك شيء».

– «لم يتبقَّ إلَّا القلعة. الصَّيَّادون أنفُسهم رحلوا، القلائل المحظوظون الذين كانوا في الماء عندما أتى المُغيرون وشاهَدوا بيوتهم تحترق وسمعوا الصَّريخ والبُكاء يتردَّدان عبر الميناء خائفين من الرَّسو بقواربهم، وحين رسوا

أخيرًا ذهبوا لدفن أهاليهم وأصدقائهم. ما الذي تبقَّى لهم في (الملَّاحات) إلَّا العظام والذِّكريات المريرة؟ لقد نزحوا إلى (بِركة العذارى) أو بلداتٍ أخرى»، وأشارَ الأخ الكبير بمصباحه وواصلَ النُّزول قائلًا: «لم تكن (الملَّاحات) من المواني المهمَّة قَطُّ، لكن السُّفن اعتادَت الرَّسو هناك بين الحين والآخَر. هذا ما أرادَه المُغيرون، كانوا يبحثون عن قادسٍ أو كوج يحملهم عبر (البحر الضيِّق)، وعندما لم يجدوا واحدًا أفرَغوا غضبهم ويأسهم في أهل البلدة. إنني أتساءلُ يا سيِّدتي... علامَ تأملين أن تَعثُري هناك؟».

أجابَته: «فتاة، بنت رفيعة النَّسب في الثَّالثة عشرة، لها وجه جميل وشَعر كستنائي».

بخفوتٍ قال الرَّجل: «سانزا ستارك. هل تعتقدين أن تلك المسكينة مع كلب الصَّيد؟».

– «الدورني قال إنها كانت في طريقها إلى (ريڤررَن). تيميون، كان مرتزِقًا من رِفقة الشُّجعان، قاتلًا ومغتصِبًا كذَّابًا، لكني لا أظنُّ أنه كذبَ بشأن هذا. قال إن كلب الصَّيد اختطَفها وفَرَّ بها».

– «مفهوم». انعطفَ الطَّريق مرَّةً أخرى وإذا بالأكواخ أمامهما. الأخ الكبير ذكَر أنها متواضعة، وهي كذلك بالفعل، إذ تبدو كأنها خلايا نحلٍ مبنيَّة من الحجارة. قال مشيرًا إلى أقربها: «هنا»، وهو الكوخ الوحيد الذي يتصاعَد الدُّخان من فتحة التَّهوية في منتصَف سقفه. اضطرَّت بِريان إلى طأطأة رأسها حين دخلَت كي لا يصطدم رأسها بالعارضة، وفي الدَّاخل وجدَت أرضيَّةً من التُّربة وسريرًا من القَشِّ وأغطيةً من الفرو وحوض ماء وإبريقًا من خمر التُّفَّاح والقليل من الخُبز والجُبنة وبؤرة نارٍ صغيرة، بالإضافة إلى مقعدين صغيرين جلسَ الأخ الكبير على أحدهما ووضعَ المصباح قائلًا: «هل تسمحين بأن أبقى قليلًا؟ أشعرُ أن علينا أن نتكلَّم».

قالت بِريان: «إذا أردت»، وخلعَت حزام سيفها وعلَّقته على المقعد الثَّاني، ثم جلسَت مربِّعةً ساقيها على السَّرير.

قال الأخ الكبير: «ذلك الدورني لم يكذب، لكني أخشى أنكِ لم تفهميه. إنك تُطارِدين الذِّئبة الخطأ يا سيِّدتي. إدارد ستارك كانت له بنتان، والأخرى هي مَن فَرَّ بها كلب الصَّيد، الصَّغيرة».

حملقَت إليه بِريان مذهولةً بفمٍ مفغور، ثم قالت: «آريا ستارك؟ أأنت واثق؟ أخت الليدي سانزا حيَّة؟».

– «آنذاك، أمَّا الآن... فلا أدري. ربما كانت بين الأطفال الذين قُتِلوا في (الملَّاحات)».

أحسَّت بكلامه كسكِّينٍ في بطنها. لا، لا، ستكون هذه قسوةً لا تُطاق. «ربما... بمعنى أنك لست واثقًا؟».

– «ما أثقُ به أن الفتاة كانت مع ساندور كليجاين في الخان عند مفترَق الطُّرق، ذلك الذي كانت صاحِبته العجوز ماشا هدِل قبل أن يَشنُقها الأُسود، وواثق بأنهما كانا في طريقهما إلى (الملَّاحات)، لكن بَعدها... لا، لا أدري أين هي أو إن كانت حيَّةً حتى. على أن هناك شيئًا واحدًا أعرفه... الرَّجل الذي تُطارِدينه ماتَ».

صدمَها هذا أيضًا، وتساءلَت: «كيف ماتَ؟».

– «كما عاشَ، بالسَّيف».

– «أتعرف هذا يقينًا؟».

– «دفنته بنفسي. يُمكنني أن أخبركِ بموضع قبره إذا أردتِ. لقد غطَّيته بالحجارة لئلا ينبش أكَلة الجيف جُثمانه ووضعتُ خوذته فوق كومة الرُّكام لأعلِّم مثواه الأخير. كان هذا خطأً فادحًا، إذ عثرَ مُسافر آخَر على علامتي وأخذَها لنفسه. الرَّجل الذي اغتصبَ وقتَّل في (الملَّاحات) لم يكن ساندور كليجاين، ولو أنه لا يقلُّ خطورةً. أراضي النَّهر ملأى بأمثاله من حيوانات الجيف. لن أدعوهم بالذِّئاب، فالذِّئاب أنبل من هذا... والكلاب كذلك على ما أظنُّ. لا أعرفُ إلَّا القليل عن هذا الرَّجل ساندور كليجاين. كان حارس الأمير چوفري الشَّخصي لعدَّة سنوات، وحتى هنا كنا نسمع بأفعاله خيرها وشرِّها. إذا كان نِصف ما سمعناه فقط صحيحًا فقد كان صاحِب روح مريرة معذَّبة، رجلًا آثمًا يسخر من الآلهة والبَشر على حَدٍّ سواء. لقد خدَم لكنه لم يجد فخرًا في خدمته، وقاتلَ لكنه لم يعرف بهجة النَّصر، وشربَ ليُغرِق ألمه في بحرٍ من النَّبيذ. لم يُحِبَّ أو يُحَبَّ، دافعه الوحيد الكراهية، وارتكبَ خطايا عديدةً لكنه لم يسعَ إلى الغُفران، وفي حين حلمَ غيره بالحُبِّ أو الثَّراء أو المجد كان هذا الرَّجل ساندور كليجاين يَحلُم بقتل أخيه، خطيئة شنيعة

يجعلني مجرَّد الكلام عنها أرتجفُ، لكنها كانت الزَّاد الذي تغذَّى به والوقود الذي أبقى ناره مشتعلةً. على الرغم من خلوِّه من النُّبل كان أمل رؤية دماء أخيه على سيفه كلَّ ما عاشَ هذا المخلوق الحزين الغاضب من أجله... وحتى ذلك لم ينَله عندما طعنَ الأمير أوبرين الدورني السير جريجور بحربةٍ مسمومة».

قالت بِريان: «تتكلَّم كأنك تُشفِق عليه».

– «أشفقتُ عليه بالفعل، وكنتِ لتُشفِقي عليه أيضًا لو أنكِ رأيتِه في النِّهاية. لقد وجدته عند (الثَّالوث) وقد اجتذبَني إليه صُراخ ألمه، وتوسَّل إليَّ أن أعطيه هديَّة الرَّحمة، لكني مقسمٌ على عدم القتل ثانيةً، وبدلًا من ذلك غسلتُ جبهته المتَّقدة بماء النَّهر وأعطيته نبيذًا يشربه وكمَّادةً لجرحه، لكن جهودي كانت أقلَّ من اللَّازم وفاتَ أوانها. كلب الصَّيد ماتَ هناك بين ذراعَي. ربما رأيتِ فَحلًا أسود كبيرًا في الاسطبل. كان هذا جواده الحربي سترينچر. اسم فيه تجديف على الآلهة. نُفَضِّل أن نُسَمِّيه دريفتوود بما أننا وجدناه عند النَّهر كالخشب المجروف. أخشى أن له طبيعة سيِّده السَّابق».

الحصان. لقد رأته وسمعَته يَرفُس، لكنها لم تفهم. خيول الحرب مدرَّبة على الرَّفس والعَضِّ، وفي المعارك تعدُّ سلاحًا كالرِّجال الذين يمتطونها. مِثل كلب الصَّيد. قالت بقُنوط: «الأمر صحيح إذن، ساندور كليجاين ماتَ».

قال الأخ الكبير: «لقد استراحَ»، وصمتَ لحظةً قبل أن يُردِف: «أنتِ صغيرة يا بنيَّتي. لقد أحصيتُ أربعةً وأربعين يوم ميلاد... أي أنني أفوقكِ سِنًّا مرَّتين على ما أظنُّ. هل سيُدهِشكِ أن تعلمي أنني كنتُ فارسًا ذات يوم؟».

– «لا، إنك تبدو أقرب إلى فارسٍ من رجل دين». يبوح بهذا صدره وكتفاه وفكُّه المربَّع السَّميك. «لماذا تخلَّيتَ عن الفُروسيَّة؟».

– «لم أختَرها قَطُّ. أبي كان فارسًا، وكذا أبوه من قبله، وجميع إخوتي. تدرَّبتُ على المعارك منذ يوم قرَّروا أنني كبير بما فيه الكفاية لأن أحمل سيفًا خشبيًّا، وقد رأيتُ نصيبي منها ولم أكلِّل نفسي بالعار. كانت لي نساء أيضًا، وفي هذا كلَّلتُ نفسي بالعار، لأني أخذتُ بعضهن قسرًا. كانت هناك فتاة أردتُ أن أتزوَّجها، ابنة صُغرى لأحد اللوردات الصِّغار، لكني كنتُ ابن أبي الثَّالث ولم أملك أرضًا أو ثروةً أقدِّمها لها... فقط سيفي وحصاني وتُرسي.

إجمالًا كنتُ رجلًا حزينًا، عندما لا أقاتلُ أسكرُ، حياتي مسطورة بالأحمر، بالدَّم والنَّبيذ».

سألَته بِريان: «ومتى تغيَّرت؟».

«حين مِتُّ في معركة (الثَّالوث). كنتُ أقاتلُ في سبيل الأمير ريجار، ولو أنه لم يعرف اسمي قَطُّ. لا أستطيعُ إخبارَكِ بسببٍ إلَّا أن اللورد الذي خدمته خدم لورد يخدم لورد قرَّر تأييد التنين بدلًا من الوعل، ولو قرَّر العكس لكنتُ على الجانب الآخَر من النَّهر. كانت المعركة داميةً. أغاني المطربين تُريدنا أن نُصَدِّق أنها كانت كلُّها بين ريجار وروبرت المتصارعيْن في الغدير من أجل المرأة التي يدَّعي كلاهما محبَّته لها، لكني أؤكِّدُ لكِ أن رجالًا غيرهما قاتَلوا أيضًا، وكنتُ منهم. أصبتُ بسهمٍ في الفخذ وبآخَر في القدم، وقُتِلَ حصاني تحتي لكني واصلتُ القتال. ما زلتُ أذكرُ لهفتي على العثور على حصانٍ آخَر، فلم أكن أملك مالًا لشراء واحد، ودون حصانٍ لا أعودُ فارسًا. هذا هو الشَّيء الوحيد الذي جالَ ببالي في الحقيقة، ولم أرَ الضَّربة التي أسقطَتني. سمعتُ حوافر وراء ظَهري وفكَّرتُ: حصان! لكن قبل أن ألتفت ارتطمَ شيء برأسي وأسقطَني في النَّهر، حيث كان يُفترَض أن أغرق، وبدلًا من ذلك أفقتُ لأجد نفسي على (جزيرة الهدوء). قال لي الأخ الكبير إن المَدَّ جرفَني إليهم عاريًا كيوم مولدي، ولا أستطيعُ أن أتصوَّر إلَّا أن أحدًا وجدَني في المياه الضَّحلة فجرَّدني من دِرعي وحذائي وسراويلي قبل أن يدفعني إلى المياه الأعمق، ولذا أحسبُ أن من الملائم أنني بدأتُ حياتي الثَّانية بالطَّريقة ذاتها. بَعدها أمضيتُ الأعوام العشرة التَّالية في صمت».

قالت بِريان: «مفهوم». لا تدري لِمَ يحكي لها كلَّ هذا أو إن كان هناك شيء آخَر يُمكنها أن تردَّ به.

– «حقًّا؟»، ومالَ الأخ الكبير واضعًا يديه الكبيرتين على رُكبتيه، وتابعَ: «إذا كان هذا صحيحًا فدعكِ من مهمَّتك هذه. كلب الصَّيد ماتَ، وعلى كلِّ حالٍ لم تكن سانزا ستاركَ معه من الأصل. وبالنِّسبة إلى الوحش الذي يعتمر خوذته فسيقع ويُشنَق. الحروب تكاد تضع أوزارها، وهؤلاء الخارجون عن القانون لن يستطيعوا العيش في زمن السَّلام. راندل تارلي يُلاحِقهم من (بِركة العذارى)، ووالدر فراي من (التَّوأمتين)، وثمَّة لورد شاب جديد في (داري)،

رجل ورِع مؤكَّد أنه سيُعيد الأمور إلى نصابها السَّليم في أراضيه. عودي إلى ديارِكِ يا بنيَّتي. إن لكِ ديارًا، وهذا أكثر مما يستطيع كثيرون أن يقولوا في هذه الأيام السَّوداء. ثم إن لكِ أبًا نبيلًا لا ريب أنه يحبُّكِ. فكِّري في حُزنه إذا لم ترجعي إليه. ربما يأخذون إليه سيفكِ وتُرسكِ بَعد سقوطكِ، بل وربما يُعَلِّقهما في بهوه ويتطلَّع إليهما بفخر... لكن إذا سألتِه فإنني أعلمُ أنه سيقول لكِ إنه يُؤثِر أن تكون معه ابنته الحيَّة لا تُرسها المحطَّم».

اغرورقَت عينا بِريان بالدُّموع، وقالت: «ابنته. هذا ما يستحقُّه، ابنة تُغَنِّي له وتَنشُر البهجة في بهوه وتحمل له أحفاده. ويستحقُّ ابنًا أيضًا، ابنًا قويًّا شهمًا يُكَرِّم اسمه. جالادون غرقَ حين كان في الثَّامنة وكنتُ في الرَّابعة، وأليسين وآريان ماتَتا في المهد. أنا الولد الوحيد الذي سمحَت له الآلهة بالبقاء، المسخ الذي لا يَصلُح لأن يكون ابنًا أو ابنةً». لحظتها انصبَّ كلُّ شيءٍ من بين شفتَي بِريان وتدفَّق كالدَّم الأسود من جرح؛ الخيانات والخِطبات، رونيت الأحمر ووردته، اللورد رنلي يَرقُص معها، الرَّهان على بتولتها، الدُّموع المريرة التي ذرفَتها ليلة تزوَّج مليكها مارچري تايرل، الالتحام الجماعي في (جسر العلقم)، معطف قوس قزح الذي تاهَت به فخرًا، الظِّلُّ في سُرادق الملك، موت رنلي بين ذراعيها، (ريڤررَن) والليدي كاتلين، الرِّحلة في (الثَّالوث)، مبارَزة چايمي في الغابة، الممثِّلون السَّفَّاحون، چايمي يصيح: صفيِّر، چايمي في الحوض في (هارنهال) والبُخار يتصاعَد من جسده، مذاق دم ڤارجو هوت حين قضمَت أُذنه، جُبُّ الدُّب، وثبة چايمي إلى الرِّمال، الرِّحلة الطَّويلة إلى (كينجز لاندنج)، سانزا ستارك، العهد الذي أخذَته على نفسها لچايمي، العهد الذي أخذَته على نفسها لليدي كاتلين، (حافِظ العهد)، (وادي الغسق) و(بِركة العذارى)، ديك الرَّشيق و(الرَّأس المتصدِّع) و(قلعة الهمس)، الرِّجال الذين قتلَتهم...

أنهَت كلامها قائلةً: «يجب أن أعثر عليها. ثمَّة آخَرون يبحثون عنها، وكلُّهم يسعى إلى القبض عليها وبيع الملكة إياها. يجب أن أعثر عليها أولًا كما وعدتُ چايمي. لقد سمَّى السَّيف (حافِظ العهد). يجب أن أحاول أن أنقذها... أو أموتُ وأنا أحاولُ».

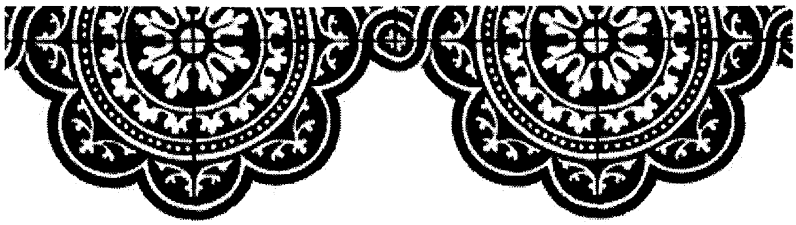

سرسي

– «ألف سفينة!». كان شَعر الملكة الصَّغيرة منفوشًا أشعث، وجعلَ ضوء المشاعل وجنتاها تبدوان متورِّدتين كأنها أَتَت لتوِّها من حضن رجل. «جلالة الملكة، يجب الرَّدُّ عليهم بعُنف!». رنَّت كلمتها الأخيرة على عوارض السَّقف وتردَّد صداها في قاعة العرش الفسيحة.

جالسةً على مقعدها الذَّهبي والقرمزي العالي عند قاعدة العرش الحديدي، أحسَّت سرسي بالشَّدِّ يزداد في عُنقها، وفكَّرت: يجب. تتجرَّأ وتقول لي يجب. كم تتوق إلى صفع ابنة تايرل على وجهها. حريٌّ بها أن تكون على رُكبتيها تتوسَّل مني العون، وبدلًا من ذلك تقلُّ حياءها وتُخبِر ملكتها الشَّرعيَّة بما عليها أن تفعله.

قال السير هاريس سويفت لاهثًا: «ألف سفينة؟ مؤكَّد أن هناك خطأً. ليس في البلاد لورد يملك ألف سفينة».

أيَّده أورتون ميريويذر قائلًا: «أحمق مرعوب ما أحصى ضِعف العدد، أو أن حمَلة راية اللورد تايرل يكذبون علينا ويُهَوِّلون أعداد العدوِّ كي لا نحسبهم متهاونين».

يُلقي ضوء المشاعل المثبَّتة على الجِدار الخلفي ظِلَّ العرش الحديدي الطَّويل الشَّائك حتى منتصَف المسافة إلى الباب، بينما يغيب طرف القاعة البعيد في الظَّلام، ولا تَشعُر سرسي إلَّا بالظِّلال كأنها تنغلق عليها أيضًا. أعدائي في كلِّ مكانٍ وأصدقائي معدومو الفائدة. ما عليها إلَّا أن تُلقي نظرةً على مستشاريها لتعلم هذا. وحدهما اللورد كايبرن وأوران ووترز يبدوان مستيقظيْن، في حين يقف الآخَرون مشوَّشين مرتبكين بَعد أن دَقَّ رُسل

مارچري أبوابهم وأيقَظوهم من النَّوم. في الخارج اللَّيل أسود ساكن، والمدينة والقلعة نائمتان، وهنا يبدو بوروس بلاونت ومرين ترانت نائميْن أيضًا ولكن على أقدامهما، وحتى أوزموند كِتلبلاك يتثاءَب. لكن ليس لوراس، ليس فارس الزُّهور. كان واقفًا وراء أخته الصَّغيرة، ظِلٌّ شاحب يستريح على وَركه سيف طويل.

رَدَّ أوران ووترز على أورتون ميريويذر قائلًا: «نِصف عدد السُّفن ما زالَ يعني أنها خمسمئة يا سيِّدي. فقط (الكرمة) تملك قوَّةً كافيةً في البحر لمواجَهة أسطولٍ بهذا الحجم».

سألَه السير هاريس: «وماذا عن الدُّرمونات الجديدة؟ سُفن الحديديِّين الطَّويلة لا يُمكن أن تَصمُد أمام دُرموناتنا بالتَّأكيد. (مطرقة الملك روبرت) أقوى سفينةٍ حربيَّة في (وستروس) بأَسرها».

قال ووترز: «كانت كذلك. (الجميلة سرسي) ستكون نظيرتها حالما تكتمل، و(اللورد تايوين) سيكون حجمها ضِعف الاثنتين. لكن نِصف السُّفن فقط جاهز، ولا واحدة منها طاقمها كامل، وحتى عندئذٍ ستظلُّ الأعداد ضدنا إلى حَدٍّ كبير. السَّفينة الطَّويلة التَّقليديَّة صغيرة الحجم مقارنةً بقوادسنا، هذا صحيح، لكن الحديديِّين لديهم سُفن أكبر أيضًا. (الكراكِن العظيم) سفينة اللورد بالون وسُفن الأسطول الحديدي الحربيَّة مبنيَّة للمعارك لا الغارات، وتُضاهي قوادسنا الأقلَّ شأنًا في السُّرعة والقوَّة، وأكثرها أطقُمه وربابنته أفضل. الحديديُّون يقضون حياتهم كلَّها في البحر».

كان على روبرت أن يُطَهِّر (جُزر الحديد) بَعدما تمرَّد بالون جرايجوي عليه. لقد حطَّم أسطولهم وأحرقَ بلداتهم واقتحمَ قلعتهم، لكن بَعد أن أركعَهم سمحَ لهم بالنُّهوض من جديد. كان عليه أن يصنع جزيرةً أخرى من جماجمهم. هذا ما كان أبوها ليفعله، لكن روبرت لم يتمتَّع قَطُّ بالإرادة التي يُفترَض أن يملكها الملوك ليحفظ السَّلام في البلاد. قالت: «الحديديُّون لم يَجسُروا على الإغارة على (المرعى) منذ كان داجون جرايجوي جالسًا على كُرسي حجر اليم. لماذا يفعلون هذا الآن؟ ما الذي شجَّعهم؟».

قال كايبرن الواقف مخبِّئًا يديه داخل كُمَّيه: «ملكهم الجديد، أخو اللورد بالون الملقَّب بعين الغُراب».

قال المِايستر الأكبر پايسل: «غِربان الجيف تُقيم ولائمها من لحم الموتى والمحتضرين ولا تُهاجِم الحيوانات السَّليمة المعافاة. نعم، سيُتخِم اللورد يورون معدته بالذَّهب والغنائم، لكن حالما نتحرَّك ضده سيرجع إلى پايك كديدن اللورد داجون في عصره».

قالت مارچري تايرل: «أنت مخطئ. المُغيرون لا يُهاجِمون بكلِّ هذه القوَّة. ألف سفينة! اللورد هيويت واللورد تشستر قُتِلا، وكذا ابن اللورد سيري ووريثه. سيري نفسه فَرَّ إلى (هايجاردن) بما تبقَّى له من سُفن، واللورد جريم سجين في قلعته. ويلاس يقول إن الملك الحديدي نصَّب أربعة لوردات جُددًا من رجاله بدلًا منهم».

ويلاس، العاجز. هو الملوم على هذا. ذلك الأبله مايس تايرل تركَ الدِّفاع عن (المرعى) بين يدَي ابنه التَّعس الضَّعيف. «الرِّحلة من (جُزر الحديد) إلى (التُّروس) طويلة. كيف قطعَت ألف سفينة كلَّ تلك المسافة دون أن يراها أحد؟».

أجابَت مارچري: «ويلاس يعتقد أنهم لم يتحرَّكوا بمحاذاة السَّاحل، بل ابتعدوا عن اليابسة وتوغَّلوا في (بحر الغروب)، ثم عادوا وانقضُّوا من الغرب».

الأرجح أن العاجز لم يضع رجالًا في أبراج الحراسة، والآن يخشى أن نعلم هذا. الملكة الصَّغيرة تختلق الأعذار لأخيها. أحسَّت سرسي بجفاف فمها، فقالت لنفسها: أريدُ كأسًا من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي. إذا كانت خُطوة الحديديِّين التَّالية أن يأخذوا (الكرمة) فربما يُصيب العطش البلاد كلَّها عمَّا قريب. «قد تكون لستانيس يد في هذا. بالون جرايچوي عرضَ على أبي حِلفًا، وربما عرضَ أخوه واحدًا على ستانيس».

قطَّب پايسل جبينه متسائلًا: «وما الذي يجنيه اللورد ستانيس من...».

- «يجني موطئًا آخَر لقدمه، وهناك الغنائم أيضًا. ستانيس يحتاج إلى الذَّهب ليَنقُد مرتزِقته أجورهم، وبالإغارة على الغرب يأمل أن يصرف انتباهنا عن (دراجونستون) و(ستورمز إند)».

أومأَ اللورد ميريويذر برأسه، وقال: «تشتيت انتباه. ستانيس أمكر مما حسبنا. ذكاءٌ من جلالتكِ أن تستشفِّي حيلته».

قال پايسل: «اللورد ستانيس يُكافِح لكسب الشَّماليِّين إلى صفوفه، وإذا صادقَ الحديديِّين فلا أملٍ له...».

قاطعَته سرسي متسائلةً كيف يُمكن لرجلٍ عليم مِثله أن يكون بهذا الغباء: «الشَّماليُّون لن يقبلوه. اللورد ماندرلي قطعَ رأس فارس البصل ويديه كما أكَّد لنا آل فراي، وثمَّة نِصف دستة من اللوردات الشَّماليِّين الآخَرين الذين انضمُّوا إلى اللورد بولتون. عدوٌّ عدوِّي صديقي. إلى من إذن يلجأ ستانيس إلَّا أعداء الشَّمال من الحديديِّين والهَمج؟ لكن إذا كان يحسب أنني سأقعُ في الفَخِّ فهو أكثر منك حُمقًا»، وعادَت تلتفت إلى الملكة الصَّغيرة قائلةً: «(جُزر التُّروس) تنتمي إلى (المرعى). جريم وسيري والبقيَّة مقسمون على الولاء لـ(هايجاردن)، وعلى (هايجاردن) أن تردَّ على هذا العُدوان».

قالت مارچري تايرل: «(هايجاردن) سترُدُّ. ويلاس أرسلَ خبرًا إلى لايتون هايتاور في (البلدة القديمة) ليحرص على تشديد دفاعاته، وجارلان يحشد الرِّجال لاسترداد الجُزر، لكن الجزء الأكبر من قوَّتنا مع أبي. يجب أن نبعث له برسالةٍ في (ستورمز إند) على الفور».

- «ونرفع الحصار؟». لا تروق سرسي وقاحة مارچري. تقول لي على الفور. هل تحسبني وصيفتها؟ «لا شَكَّ لديَّ في أن اللورد ستانيس سيُسَرُّ لهذا. ألم تُصغي يا سيِّدتي؟ إذا نجحَ في صرف انتباهنا عن (دراجونستون) و(ستورمز إند) إلى تلك الصُّخور...».

شهقَت مارچري، وقالت: «صخور؟ هل قالت صاحِبة الجلالة إنها صخور؟».

وضعَ فارس الزُّهور يده على كتف أخته قائلًا: «بَعد إذن جلالتكِ، من تلك الصُّخور المزعومة يُهَدِّد الحديديُّون (الكرمة) و(البلدة القديمة)، فمِن معاقل (التُّروس) يستطيع المُغيرون الإبحار في (الماندر) إلى قلب (المرعى) ذاته كما اعتادوا قديمًا، وبعددٍ كافٍ من الرِّجال بإمكانهم تهديد (هايجاردن) نفسها».

قالت الملكة بمنتهى البراءة: «حقًّا؟ إذن على أخويك الشُّجاعيْن طردهم من على تلك الصُّخور، وسريعًا».

قال السير لوراس: «كيف تقترح الملكة أن يفعلا ذلك بلا سُفنٍ كافية؟

ويلاس وجارلان يقدران على حشد عشرة آلاف رجل في غضون أسبوعين، وضِعف هذا العدد خلال دورة قمر، لكنهم لا يستطيعون المشي على الماء يا صاحِبة الجلالة».

ذكَّرته سرسي قائلةً: «(هايجاردن) تستقرُّ أعلى (الماندر). أنتم وأتباعكم تملكون ألف فرسخ من السَّاحل. أليس هناك صيَّادون؟ ألا توجَد قوارب نُزهة أو عبَّارات أو قَوادس نهريَّة أو زوارق؟».

أجابَ السير لوارس: «هناك الكثير».

– «إذن فمن المفترَض أن يكفي هذا لحمل جيشٍ عبر مساحةٍ صغيرة من المياه في رأيي».

– «وعندما تنقضُّ السُّفن الطَّويلة على أسطولنا البائس بينما يقطع تلك «المساحة الصَّغيرة من المياه»، فما الذي تُريدنا صاحِبة الجلالة أن نفعله عندها؟».

اغرقوا. «(هايجاردن) تملك الذَّهب أيضًا. لكم إذني في استئجار قراصنةٍ من وراء (البحر الضيِّق)».

رَدَّ لوارس باحتقار: «تعنين قراصنةً من (مير) و(لِيس)؟ حُثالة المُدن الحُرَّة؟».

وقح كأخته. قالت بعذوبةٍ سامَّة: «من المؤسف أن علينا جميعًا التَّعامُل مع الحُثالة بين الحين والآخَر. هل لديك فكرة أفضل؟».

– «وحدها (الكرمة) تملك السُّفن الكافية لاستعادة مصبِّ (الماندر) من الحديديِّين وحماية أخوَي من سُفنهم الطَّويلة خلال العبور. أتوسَّلُ إلى جلالتكِ أن تُرسِلي إلى (دراجونستون) وتأمري اللورد ردواين بالإبحار في الحال».

على الأقل يتمتَّع بعقلٍ كافٍ لأن يتوسَّل. يملك پاكستر ردواين مئتي سفينةٍ حربيَّة وخمسة أضعافها من القراقير وأكواخ النَّبيذ والقوادس التِّجاريَّة وسُفن صيد الحيتان، على أن ردواين مخيِّم عند أسوار (دراجونستون)، والجزء الأكبر من أسطوله مشغول بنقل الرِّجال عبر (الخليج الأسود) من أجل الهجوم على معقل الجزيرة، والبقيَّة تجوب (خليج السُّفن الغارقة) إلى الجنوب، حيث يحول وجودها وحده دون إمداد (ستورمز إند) بالمؤن من البحر.

قال أوران ووتيز متميِّزًا غيظًا من اقتراح السير لوراس: «إذا أبحرَت سُفن اللورد ردواين فكيف ننقل المؤن إلى رجالنا في (دراجونستون)؟ دون قوادس (الكرمة) كيف نستمرُّ في حصار (ستورمز إند)؟».

- «يُمكن استئناف الحصار لاحقًا بَعد...».

قاطعَته سرسي: «(ستورمز إند) أعلى قيمة مئة مرَّة من (التُّروس)، و(دراجونستون)... ما دامَت (دراجونستون) في يدَي ستانيس باراثيون فستبقى سيفًا مصلتًا على رقبة ابني. سنسمح للورد ردواين وأسطوله بالإبحار عند سقوط القلعة»، ونهضَت الملكة قائلةً: «هذا الاجتماع انتهى. أيها المِايستر الأكبر پايسل، أريدُ كلمةً معك».

جفلَ العجوز كأن صوتها أيقظَه بحُلم ما من شبابه، لكن قبل أن يقوم تقدَّم لوراس تايرل بخُطى سريعة لدرجة أنَّ الملكة تراجعَت مذعورةً، وكانت على وشك أن تصيح في السير أوزموند أن يُدافِع عنها عندما جثا فارس الزُّهور على رُكبته أمامها قائلًا: «جلالة الملكة، اسمحي لي بالاستيلاء على (دراجونستون)».

ارتفعَت يد أخته إلى فمها، وقالت: «لوراس، لا».

تجاهلَ السير لوراس مناشَدتها، وتابعَ: «تجويع (دراجونستون) حتى تخضع سيستغرق نِصف عام كما ينوي اللورد پاكستر أن يفعل. كلِّفيني بالقيادة يا صاحِبة الجلالة. ستكون القلعة ملككِ خلال أسبوعين ولو اضطررتُ إلى أن أهدمها بيدَي».

لا أحد أعطى سرسي هديَّة بهذه الحلاوة منذ هرعَت إليها سانزا ستارك لتُفصِح لها عن خُطط اللورد إدارد، فقالت وقد سرَّتها رؤية وجه مارچري الذي امتقعَ: «شَجاعتك تحبس أنفاسي يا سير لوراس. لورد ووترز، هل أيُّ الدُّرمونات الجديدة صالح للإبحار؟».

- «(الجميلة سرسي) يا جلالة الملكة. إنها سفينة سريعة، وقويَّة مِثل سميَّتها الملكة».

- «رائع. فلتحمل (الجميلة سرسي) فارس الزُّهور إلى (دراجونستون) على الفور. سير لوراس، القيادة لك. عِدني بأنك لن ترجع قبل أن تكون (دراجونستون) لتومن».

رَدَّ: «سأفعلها يا جلالة الملكة»، ونهضَ.

لثمَته سرسي على كلتا وجنتيه، ولثمَت أخته أيضًا وهمسَت لها: «إن لكِ أخًا باسلًا»، ولكن إمَّا أن مارچري لم تجد الكياسة لتردَّ وإمَّا أن الخوف سلبَها القُدرة على الكلام.

كانت ساعات عدَّة لا تزال تفصلهم عن الفَجر عندما خرجَت سرسي من باب الملك وراء العرش الحديدي، يتقدَّمها السير أوزموند بمشعلٍ ويمشي كايبرن إلى جوارها، في حين جَدَّ پايسل السَّير ليلحق بهم، وقال لاهثًا: «بَعد إذن صاحِبة الجلالة، الشُّبَّان يُبالِغون في جراءتهم ولا يُفكِّرون أبدًا إلَّا في أمجاد المعركة وليس في أخطارها. السير لوراس... خطَّته هذه محفوفة بالمخاطر. مجرَّد الهجوم على أسوار (دراجونستون)...».

– «... شَجاعة بالغة».

– «... شَجاعة، نعم، ولكن...».

– «لستُ أشكُّ في أن فارس الزُّهور سيكون أول رجلٍ يَبلُغ الشُّرفات». وربما أول مَن يَسقُط. النَّغل المجدور الذي تركَه ستانيس للدِّفاع عن قلعته ليس بطل مبارياتٍ غريرًا وإنما قاتل مخضرم، وإن شاءَت الآلهة فسيُعطي السير لوراس النِّهاية المجيدة التي يبدو أنه يُريدها. بفرض أن الفتى لن يغرق في الطَّريق. ليلة البارحة هبَّت عاصفة أخرى عاتية، وانهمرَ المطر الأسود مدرارًا طيلة ساعات. أولن يكون ذلك محزنًا؟ الغرق نهاية تقليديَّة. السير لوراس يشتهي المجد كما يشتهي الرِّجال الحقيقيُّون النِّساء، وأقلُّ ما تستطيع الآلهة فِعله أن تمنحه ميتةً تليق بالأغاني.

لكن مهما حدثَ للفتى في (دراجونستون) فالملكة الفائزة. إذا أخذَ لوراس القلعة فتلك ضربة موجعة لستانيس ويستطيع أسطول ردواين الإبحار لمواجَهة الحديديِّين، وإذا أخفقَ فستحرص علىٰ أن يتحمَّل نصيب الأسد من اللَّوم. لا شيء يُفقِد البطل بريقه كالفشل. وإذا عادَ محمولًا على تُرسه مغطًّى بالدَّم والمجد فسيكون السير أوزني موجودًا لمواساة أخته في فجيعتها.

لم تَعُد سرسي قادرةً على كتمان الضَّحكة، ومن بين شفتيها تفجَّرت لتتردَّد على جُدران الرُّواق.

حدَّق المِايستر الأكبر پايسل إليها بفمٍ مرتخٍ، وسألَها: «جلالة الملكة، لماذا... لماذا تضحكين؟».

أجابَت مضطرَّةً: «كي لا أبكي. إن قلبي يتفجَّر حُبًّا للسير لوراس وإقدامه».

تركَت المِايستر الأكبر على السَّلالم الملتفَّة مفكِّرةً بحسم: لم يَعُد لهذا الرَّجل نفع البتَّة. يبدو أن پايسل لا يفعل شيئًا في الفترة الأخيرة إلَّا ابتلاءها بالتَّحذير والاعتراض، حتى إنه اعترضَ على التَّفاهُم الذي توصَّلت إليه مع السِّپتون الأعلى، محملقًا إليها بعينين منطفئتين دامعتين حين أمرَته بإعداد الأوراق الضَّروريَّة ومثرثرًا عن التَّاريخ السَّحيق، إلى أن بترَت سرسي كلامه قائلةً بحزم: «عهد الملك ميجور انتهى وكذلك مراسيمه. الآن عهد الملك تومن وعهدي». كان الأفضل لي أن أتركه يضمحلُّ في الزَّنازين السَّوداء.

قال اللورد كايبرن وهُم يَعبُرون فوق الخندق الجاف الذي يُطَوِّق (حصن ميجور): «إذا سقطَ السير لوراس فستحتاج صاحِبة الجلالة إلى فارسٍ آخَر جدير بالحَرس الملكي».

أيَّدته قائلةً: «يجب أن يكون أحدًا فائقًا، أحدًا شابًّا وسريعًا وقويًّا يُنسي تومن السير لوراس تمامًا. لا بأس بشيءٍ من البسالة، لكن يجب ألَّا يمتلئ عقله بالأفكار الحمقاء. هل تعرف رجلًا كهذا؟».

أجابَ كايبرن: «للأسف لا، لكنني أفكِّرُ في نصيرٍ من نوعٍ آخَر. ما يفتقر إليه من البسالة سيردُّه عشرة أضعاف بالإخلاص. سيحمي ابنكِ ويَقتُل أعداءكِ ويحفظ أسراركِ، وما من رجلٍ حي سيستطيع الصُّمود أمامه».

– «هذا ما تقوله أنت. الكلام هواء. في الوقت المناسب يُمكنك الإفصاح عن رجلك المثالي هذا وسنرى إن كان كما وعدت».

تلألَأ الاستمتاع في عينَي اللورد كايبرن وهو يقول: «سيُغَنُّون عنه، أقسمُ لك. هل لي أن أسأل عن الدِّرع؟».

– «طلبتُ ما أخبرتَني به. صانع السِّلاح يحسبني مجنونةً، يُؤَكِّد لي أن لا رجل بالقوَّة الكافية للحركة والقتال بكلِّ هذا المعدن الثَّقيل»، ورمقَت سرسي المِايستر منزوع السِّلسلة، وأردفَت: «حاوِل أن تخدعني وستموت صارخًا. لا بُدَّ أنك تعي ذلك».

– «دائمًا يا جلالة الملكة».

– «عظيم. لا تقل المزيد في هذا الصَّدد».

– «الملكة حكيمة. هذه الجُدران لها آذان».

- «صحيح». أحيانًا في اللَّيل تسمع سرسي أصواتًا خافتةً، حتى في مسكنها ذاته، فتقول لنفسها: إنها فئران داخل الجُدران لا أكثر.

إلى جوار فِراشها وجدَت شمعةً مشتعلةً، لكن نار المستوقَد انطفأَت ولا ضوء آخَر، ثم إن الغُرفة باردة أيضًا. خلعَت سرسي فُستانها تاركةً إياه يتكوَّم على الأرض ودخلَت تحت الأغطية، وعلى الجانب الآخَر من الفِراش تحرَّكت تاينا وغمغمَت بنعومة: «جلالة الملكة، ما السَّاعة؟».

- «ساعة البومة».

على الرغم من أن سرسي تنام غالبًا بمفردها فإنها لم تحبَّ هذا قَطُّ. أقدم ذكرياتها عن اقتسام الفِراش مع چايمي حين كان كلاهما صغيرًا للغاية ولا أحد يستطيع التَّمييز بينهما، ولاحقًا بَعد الفصل بينهما عرفَت سلسلةً من وصيفات الفِراش والرَّفيقات، أكثرهن فتيات من سِنِّها، بنات فُرسان بيت أبيها وحمَلة رايته، لكن ولا واحدة منهن أرضَتها، وقليلات بقين مدَّةً طويلةً. غادرات صغيرات جميعهن، مخلوقات باكية مضجرة لا تكفُّ عن حكاية القِصص ومحاوَلة الحيلولة بيني وبين چايمي. ومع ذلك مرَّت عليها ليالٍ في أعماق (الصَّخرة) السَّوداء كانت لتُرَحِّب فيها بدفئهن إلى جوارها. الفِراش الخالي فِراش بارد.

لا سيَّما هنا. هذه الغُرفة باردة، وزوجها الملوكي المأفون ماتَ تحت هذه المظلَّة تحديدًا. روبرت باراثيون الأول، عسى ألَّا يأتي ثانٍ أبدًا. رجل بليد سكِّير غاشم. فليتردَّ بُكاؤه في دركات الجحيم. تاينا تُدَفِّئ الفِراش أفضل من روبرت كثيرًا، ولا تُحاوِل أبدًا أن تفتح ساقَي سرسي بالإكراه، وفي الفترة الأخيرة تُشارِك الملكة فِراشها أكثر من زوجها اللورد ميريويذر، ولا يبدو أن أورتون يُمانِع... أو يُمانِع لكنه أعقل من أن يبوح بهذا.

- «قلقتُ حين استيقظتُ ولم أجدكِ»، غمغمَت الليدي ميريويذر وهي تعتدل جالسةً وتستند إلى الوسائد، وقد تشابكَت الأغطية حول خصرها. «هل من خطبٍ ما؟».

أجابَت سرسي: «لا، كلُّ شيءٍ على ما يُرام. غدًا سيُبحِر السير لوراس إلى (دراجونستون) ليظفر بالقلعة ويُطلِق أسطول ردواين ويُثبِت رجولته لنا جميعًا». حكَت للمايريَّة كلَّ ما جرى في ظِلِّ العرش الحديدي المتقلقل،

ثم قالت: «من دون أخيها الشُّجاع ملكتنا الصَّغيرة تكاد تكون عاريةً. إن معها حُرَّاسها بالتَّأكيد، لكني أرسلُ قائدهم هنا وهناك في أنحاء القلعة. إنه رجل ثرثار على سُترته الطَّويلة سنجاب، والسَّناجب تفرُّ من الأُسود. ليس باستطاعته تحدِّي العرش الحديدي».

قالت الليدي ميريويذر محذِّرةً: «مارچري حولها رجال مسلَّحون آخَرون. لقد كوَّنت صداقاتٍ كثيرة في البلاط، وهي وبنات عمومتها الصَّغيرات لهن معجبون جميعًا».

ردَّت سرسي: «لا يُقلِقني قليلون من خاطبي الوُد، أمَّا الجيش المعسكِر عند (ستورمز إند)...».

– «ماذا تنوين أن تفعلي يا جلالة الملكة؟».

وجدَت سرسي السُّؤال مباشرًا على نحوٍ لا يروقها، فقالت: «لماذا تسألين؟ آملُ أنكِ لا تُفَكِّرين في إطلاع ملكتنا الصَّغيرة المسكينة على تأمُّلاتي الفارغة».

– «مستحيل. أنا لستُ تلك الفتاة سينل».

لا ترغب سرسي في التَّفكير في سينل. لقد ردَّت فضلي بالخيانة. سانزا ستارك فعلَت المِثل، ومن قبلها ميلارا هيذرسپون وچاين فارمان السَّمينة في صِباهن. لم أكن لأدخل تلك الخيمة إطلاقًا لو لاهما، لم أكن لأسمح لماجي الضِّفدعة بتذوُّق غدي في قطرةٍ من الدَّم. «سأحزنُ كثيرًا إذا خُنتِ ثقتي يا تاينا. لن أجد خيارًا إلَّا إعطاء اللورد كايبرن إياكِ، لكني أعلمُ أنني سأبكي».

– «لن أعطيكِ سببًا للبُكاء أبدًا يا جلالة الملكة، وإذا فعلتُ فما عليكِ إلَّا أن تقولي وسأسلِّمُ نفسي إلى كايبرن. أريدُ فقط أن أكون قريبةً منكِ، أن أخدمكِ بأيِّ وسيلةٍ تَطلُبين».

– «وما المكافأة التي تتوقَّعينها لقاء هذه الخدمة؟».

قالت تاينا: «لا شيء. يُسعِدني فقط أن أسعِدكِ»، واعتدلَت على جانبها وبشرتها الزَّيتونيَّة تلتمع في ضوء الشَّمعة. ثدياها أكبر من ثديَي الملكة وتُكَلِّلهما حلمتان سوداوان كبيرتان. إنها أصغر مني، وثدياها لم يبدآ في الارتخاء بعدُ. تساءلَت سرسي كيف ستَشعُر إذا قبَّلت امرأةً أخرى، ليس بخفَّةٍ على الوجنة على سبيل الكياسة كما تفعل بنات الأعيان، وإنما على

الشَّفتين مباشرةً، وشفتا تاينا ممتلئتان للغاية. تساءلَت عن شعورها إذا مصَّت هاتين الحلمتين، إذا مدَّدت المايريَّة على ظَهرها وفتحَت ساقيها واستعملَتها استعمال الرَّجل للمرأة، استعمال روبرت لها حين كان يسكر دون أن تستطيع إزاحته من فوقها بيديها أو بفمها.

كانت تلك أسوأ اللَّيالي طرًّا، عندما تتمدَّد تحته عاجزةً بينما يقضي وطره منها وقد فاحَت منه رائحة النَّبيذ وراحَ يخور كالخنازير البرِّيَّة. عادةً كان يتدحرَج من فوقها ويغيب في النَّوم ما إن يَفرُغ ويتعالى غطيطه قبل أن تجفَّ نُطفته على فخذيها، وبَعدها كانت تَشعُر بالألم دائمًا، تتوجَّع بين ساقيها ويتوجَّع ثدياها من هرسه إياهما. المرَّة الوحيدة التي جعلَها تبتلُّ كانت ليلة زفافهما.

في بداية زواجهما كان روبرت وسيمًا كفايةً، طويل القامة قويًّا متين البنيان، لكن شَعره أسود غزير، كثيف على صدره وخشن حول عانته. أحيانًا عندما يلجها كانت الملكة تُفَكِّر: الرَّجل الخطأ عادَ من معركة (الثَّالوث). في السَّنوات القليلة الأولى، وقت أن اعتادَ أن يعتليها أكثر، كانت تُغلِق عينيها وتتظاهَر بأنه ريجار، إذ لم تستطِع التَّظاهُر بأنه چايمي لأنه كان مختلفًا للغاية وغير مألوف، وحتى رائحته ذاتها خطأ.

بالنِّسبة إلى روبرت لم تَحدُث تلك اللَّيالي قَطُّ. مع مجيء الصَّباح لم يكن يتذكَّر شيئًا، أو هكذا أرادَها أن تعتقد. ذات مرَّةٍ في عام زواجهما الأول أعربَت سرسي عن استيائها في الصَّباح التَّالي، وقالت شاكيةً: «لقد آلمتَني»، فلاحَ عليه الخجل، وبنبرةٍ عابسة واجمة قال: «لم يكن هذا أنا يا سيِّدتي، بل النَّبيذ. إنني أشربُ الكثير من النَّبيذ»، كأنه طفل ضُبِطَ يسرق كعكات التُّفَّاح من المطبخ. وليزدرد روبرت اعترافه مَدَّ يده إلى قرن المِزر، وإذ رفعَه إلى فمه حطَّمت قرنها هي على وجهه بقوَّةٍ كسرَت قطعةً من إحدى أسنانه، وبَعد سنواتٍ في أثناء مأدبة سمعَته يقول لخادمةٍ إنه كسرَ سِنَّه في التحامٍ جماعي، فقالت لنفسها: لم يكذب. زواجنا كان كالقتال في التحام جماعي.

على أن البقيَّة كلَّها أكاذيب. إنها مقتنعة بأنه كان يَذكُر ما يفعله بها ليلًا. كانت ترى هذا في عينيه، لكن الأسهل أن يدَّعي النِّسيان من أن يُواجِه خزيه. في أعماقه كان روبرت باراثيون جبانًا. مع الوقت قلَّت هجماته عليها، فخلال

العام الأول تعوَّد أن يأخذها مرَّةً كلَّ أسبوعين على الأقل، وقُرب النِّهاية لم يَعُد يأخذها ولو مرَّةً في العام، لكنه لم يتوقَّف تمامًا، وعاجلًا أم آجلًا كانت تأتي دائمًا ليلة يُسرِف فيها في الشُّرب ويرغب في ممارَسة حقوقه. ما كلَّله بالعار في نور النَّهار منحَه المُتعة تحت جُنح الظَّلام.

قالت تاينا ميريويذر: «جلالة الملكة، على وجهكِ نظرة غريبة. هل أنتِ بخير؟».

أجابَت شاعرةً بالجفاف في حَلقها: «كنتُ فقط... أتذكَّرُ. أنتِ صديقة طيِّبة يا تاينا. لم أحظَ بصديقةٍ طيِّبة منذ...».

قاطعَتها دقَّات قويَّة على الباب.

ثانيةً؟ جعلَها إلحاح الدَّقَّات ترتجف. هل هاجمَتنا ألف سفينة أخرى؟ ارتدَت معطف نوم وذهبَت ترى مَن الطَّارق، فوجدَته حارسًا قال لها: «اغفري لي إزعاجكِ يا جلالة الملكة، لكن الليدي ستوكوورث في الأسفل تَطلُب لقاءكِ».

قالت سرسي بحدَّة: «في هذه السَّاعة؟ هل فقدَت فاليس عقلها؟ قُل لها إنني خلدتُ إلى النَّوم، قُل لها إن أهل (التُّروس) يُذَبَّحون، قُل لها إنني أمضيتُ نِصف اللَّيل مستيقظةً. سأراها غدًا».

رَدَّ الحارس بتردُّد: «بَعد إذن جلالتكِ، إنها... إنها ليستِ في حالةٍ جيِّدة، إذا كنتِ تفهمين ما أعنيه».

عقدَت سرسي حاجبيها. لقد افترضَت أن فاليس هنا لتُخبِرها بأن برون ماتَ. قالت: «ليكن. عليَّ أن أرتدي ثيابي. خُذها إلى غُرفتي الشَّمسيَّة واجعلها تنتظر». عندما بدأت الليدي ميريويذر تنهض لتذهب معها منعَتها الملكة قائلةً: «لا، ابقي. على واحدةٍ منا على الأقل أن تظفر بالقليل من الرَّاحة. لن أتأخَّر».

وجدَت وجه الليدي فاليس مكدومًا متورِّمًا وعينيها محمرَّتين من الدُّموع، وشفتها السُّفلي مشقوقةً وثيابها متَّسخةً ممزَّقةً، فقالت سرسي إذ أشارَت لها بدخول غُرفتها الشَّمسيَّة وأغلقَت الباب: «بحَقِّ الآلهة، ماذا حدثَ لوجهكِ؟».

لم يبدُ على فاليس أنها سمعَت السُّؤال، وقالت بصوتٍ راجف: «قتلَه! رُحماكِ يا أمَّنا، لقد... لقد...»، وانهارَت باكية وجسدها كلُّه يرتعد.

صبَّت سرسي كأسًا من النَّبيذ وأخذَتها إلى المرأة الباكية قائلةً: «اشربي هذا، النَّبيذ سيُهَدِّئكِ. نعم، اشربي أكثر. كُفِّي عن البُكاء وأخبِريني ماذا تفعلين هنا».

تطلَّب الأمر بقيَّة الإبريق كي تستطيع سرسي أخيرًا استخلاص الحكاية الحزينة من الليدي فاليس، وبَعد أن عرفَتها لم تدرِ هل تضحك أم تثور. ردَّدت: «نزال فردي». أما من أحدٍ في (الممالك السَّبع) يُمكنني الاعتماد عليه؟ أأنا الوحيدة في (وستروس) التي تملك شيئًا من العقل؟ «تقولين لي إن السير بالمان تحدَّي برون في نزالٍ فردي؟!».

– «قال إن المسألة ستكون ببسيطةً، قال إن الرُّمح سلاح الفرسان، وإن ببرون ليس فارسًا حقيقيًّا. بالمان قال إنه سيُسقِطه من فوق حصانه ويُجهِز عليه وهو مذمذمذهول على الأرض».

برون ليس فارسًا حقيقيًّا، هذا صحيح. برون قاتِل عركَته المعارك. زوجك القميء كتبَ شهادة وفاته بنفسه. «خطَّة رائعة. هل لي أن أعلم كيف فشلَت؟».

– «ببرون غرسَ رُمحه في صدر حصان بالمان المسكين. بالمان... انسحقَت ساقاه عندما سقطَ الحصان فوقه. كان صُراخه يُثير الشَّفقة...».

كانت سرسي لتقول: المرتزِقة لا يعرفون الشَّفقة. «طلبتُ منكما أن تُرَتِّبا لحادثة صيد. سهم طائش، سقطة من فوق حصان، خنزير برِّي غاضب... الوسائل عدَّة لموت رجلٍ ما في الغابة، لكن ولا واحدة منها تتضمَّن الرِّماح!».

بدا على فاليس أنها لَن تسمعها إذ واصلَت: «لمَّا حاولتُ أن أهرع إلى بالمان ضربَني برون في... في... في وجهي! لقد جعلَ زوجي يعترف. بالمان كان يَصرُخ سائلًا المِايستر فرنكن أن يأتي ويُعالِجه، لكن المرتزِق... لقد... لقد... لقد...».

– «يعترف؟». لا تُعجِب سرسي هذه الكلمة. «مؤكَّد أن السير بالمان الشُّجاع صانَ لسانه».

– «برون غرسَ خنجرًا في عينه وقال لي إن عليَّ أن أغادر (ستوكوورث) قبل مغيب الشَّمس وإلَّا أصابَني المِثل، قال إنه سيُدَوِّرني على الحاحاحاحامية إذا أرادَني أيٌّ من رجاله. عندما أمرتُ بالقبض على برون قال أحد فُرسانه بوقاحةٍ

إن عليَّ أن أفعل ما يقوله اللورد ستوكوورث. دعاه باللورد ستوكوورث!»، وأطبقَت الليدي فاليس على يد الملكة متابعةً: «يجب أن تُعطيني فُرسانًا يا جلالة الملكة، مئة فارس! ورُماة أيضًا لاستعادة القلعة. (ستوكوورث) لي! إنهم لم يسمحوا لي بجمع ملابسي حتى! قال برون إنها ملابس زوجته الآن، كلُّ ملابسي الحـحرير والمخمل».

أسمالكِ أقلُّ مشكلاتكِ الآن. سحبَت الملكة أصابعها من قبضة المرأة الأخرى الرَّطبة، وقالت: «طلبتُ منكما أن تُخمِدا شمعةً للمساعَدة على حماية الملك، وبدلًا من هذا سكبتما عليها جرَّةً من النَّار الشَّعواء. هل ذكرَ الأحمق بالمان اسمي؟ قولي لي إنه لم يفعل».

لعقَت فاليس شفتيها قائلةً: «كان... كان يتألَّم، ساقاه انكسرَتا. برون قال إنه سيتعامَل معه برحمة، ولكن... ماذا سيَحدُث لأأأمي المسكينة؟».

أظنُّ أنها ستموت. «ماذا تحسبين؟». ربما ماتَت الليدي تاندا بالفعل، فبرون لا يبدو من الرِّجال الذين يبذلون جهدًا في رعاية امرأةٍ عجوز مكسورة الوَرك.

– «يجب أن تُساعِديني. أين أذهبُ؟ ماذا أفعلُ؟».

كادَت سرسي تقول: ربما يُمكنكِ أن تتزوَّجي فتى القمر، إنه أقرب في التَّهريج إلى زوجكِ الرَّاحل. لا تستطيع المجازَفة بحربٍ على أعتاب (كينجز لاندنج) الآن. هكذا قالت: «الأخوات الصَّامتات يُرَحِّبن بالأرامل دومًا. إن حياتهن حياة هادئة، حياة من الصَّلاة والتَّأمُّل والأعمال الصَّالحة، ويمنحن الأحياء المواساة والموتى السَّلام». ولا يتكلَّمن. لا يُمكنها أن تَترُك المرأة تجوب (الممالك السَّبع) ناشرةً الحكايات الخطرة.

إلَّا أن فاليس صمَّت أُذنيها عن كلمة العقل، وقالت: «كلُّ ما فعلناه فعلناه في خدمة جلالتكِ. نفخر بإخلاصنا. لقد قلتِ...».

قاطعَتها سرسي: «أذكرُ»، وأجبرَت نفسها على الابتسام مردفةً: «ستبقين هنا معنا يا سيِّدتي إلى أن يحين الوقت ونستطيع استرداد قلعتكِ. دعيني أصبُّ لكِ كأس نبيذٍ أخرى، سيُعينكِ على النَّوم. أنتِ متعَبة وسقيمة القلب، هذا واضح. عزيزتي المسكينة فاليس. نعم، اشربي».

بينما عملَت ضيفتها على الإبريق ذهبَت سرسي إلى الباب ونادَت

وصيفتيها. قالت لدوركاس أن تجد لها اللورد كايبرن وتأتي به في الحال، وأرسلَت چوسلين سويفت إلى المطابخ قائلةً: «أحضري خُبزًا وجُبنةً وفطيرة لحمٍ وبعض التُّفَّاح، ونبيذًا أيضًا. إننا ظمآنتان».

وصلَ كايبرن قبل الطَّعام، وكانت فاليس قد تجرَّعت ثلاث كؤوسٍ أخرى حينئذٍ وبدأ رأسها يميل على صدرها، وإن ظلَّت تنتبه من حينٍ إلى آخَر وتنتحب. انتحَت الملكة بكايبرن جانبًا وأخبرَته بحماقة بالمان، ثم إنها قالت: «لا يُمكنني أن أترك فاليس تَنشُر الحكايات في المدينة. لقد أفقدَها الحُزن صوابها. أما زلت محتاجًا إلى امرأةٍ من أجل... عملك؟».

– «نعم يا جلالة الملكة. محرِّكات الدُّمى استُنزِفن تمامًا».

– «خُذها إذن وافعل بها ما شئت، لكن ما إن تنزل إلى الزَّنازين السَّوداء... هل عليَّ أن أقول المزيد؟».

– «لا يا صاحِبة الجلالة، مفهوم».

ردَّت الملكة: «عظيم»، وعادَت ترسم الابتسامة على وجهها قائلةً: «عزيزتي فاليس، المِايستر كايبرن هنا. سيُساعِدكِ على الرَّاحة».

قالت فاليس بإبهام: «أوه، أوه، جيِّد».

حين انغلقَ الباب وراءهما صبَّت سرسي لنفسها كأسًا أخرى، وقالت: «إنني محاطة بالأعداء والبُله». لا تستطيع حتى الثِّقة بلحمها ودمها، ولا بچايمي الذي كان نِصفها الآخَر. كان يُفترَض أن يكون سيفي وتُرسي، ذراعي اليُمنى القويَّة. لماذا يصرُّ على مضايَقتي؟

برون ليس أكثر من مصدر إزعاجٍ محدود حقًّا. إنها لم تعتقد قَطُّ أنه يُؤوي العِفريت، ثم إن أخاها الصَّغير الشَّائه أذكى من أن يسمح للوليس بإطلاق اسمه على نغلها المأفون عالمًا أن ذلك سيجتلب عليها غضبة الملكة بكلِّ تأكيد. الليدي ميريويذر أشارَت إلى هذا وكانت محقَّةً. من شِبه الأكيد أن الإهانة من صُنع المرتزِق نفسه، وتستطيع سرسي أن تتخيَّله يُشاهِد ابن زوجته المتغضِّن المتورِّد يرضع من أحد ضرعَي لوليس الممتلئين وفي يده كأس من النَّبيذ وعلى وجهه ابتسامة صفيقة. ابتسم كما تشاء أيها السير برون، فقريبًا ستَصرُخ. استمتع بزوجتك البلهاء وقلعتك المسروقة بينما تستطيع. عندما يحين الوقت سأسحقك كأنك ذُبابة. ربما عليها أن تُرسِل لوراس تايرل

ليسحقه إذا عادَ بوسيلةٍ ما حيًّا من (دراجونستون). كم سيكون هذا لذيذًا. إذا شاءَت الآلهة سيقتُل كلاهما الآخَر على غرار السير آريك والسير إريك. وبالنِّسبة إلى (ستوكوورث)... لا، لقد سئمَت التَّفكير في (ستوكوورث).

كانت تاينا قد عادَت تغيب في النَّوم حين رجعَت الملكة إلى الغُرفة ورأسها يدور. نبيذ كثير جدًّا ونوم قليل جدًّا. ليس كلَّ ليلةٍ تستيقظ مرَّتين على أخبارٍ مزعجة كهذه. على الأقل إيقاظي ممكن. كان سُكر روبرت ليمنعه من النُّهوض، ناهيك بالحُكم، ولوقعَ على كاهل چون آرن أن يتعامَل مع كلِّ هذا. يسرُّها أن تعتقد أنها ملك أفضل من روبرت.

بدأت السَّماء خارج النَّافذة تُنير بالفعل، وجلسَت سرسي على الفِراش إلى جوار الليدي ميريويذر مصغيةً إلى أنفاسها الهادئة تُشاهِد ثدييها يرتفعان وينخفضان. هل تَحلُم بـ(مير)؟ أم بحبيبها ذي النُّدبة، الرَّجل الخطِر فاحم الشَّعر الذي لا يقبل الرَّفض؟ إنها واثقة تمامًا بأن تاينا لا تَحلُم باللورد أورتون.

وضعَت سرسي يدها على ثدي المرأة الأخرى، بنعومةٍ في البداية، تكاد لا تلمسه، تَشعُر بدفئه تحت كفِّها وبجِلده الأملس كالساتان، ثم إنها اعتصرَته برفقٍ ثم حرَّكت أنملة إبهامها بخفَّةٍ على الحلمة الدَّاكنة الكبيرة، جيئةً وذهابًا وجيئةً وذهابًا إلى أن شعرَت بها تنتصب، ولمَّا رفعَت عينيها وجدَت عينَي تاينا مفتوحتين، فسألَتها: «هل يُعجِبكِ هذا؟».

أجابَت الليدي ميريويذر: «نعم».

– «وهذا؟»، وقرصَت سرسي الحلمة جاذبةً إياها بشدَّةٍ ولاويةً إياها بين أصابعها.

أطلقَت المايريَّة شهقة ألم، وقالت: «إنكِ تُؤلِمينني».

قالت: «إنه النَّبيذ فحسب. شربتُ إبريقًا على العَشاء وآخَر مع الأرملة ستوكوورث. كان يجب أن أشرب لأهدِّئها»، ولوَت حلمة تاينا الأخرى وشدَّتها إلى أن شهقَت، فأضافَت: «أنا الملكة، وأريدُ أن أمارس حقوقي».

– «افعلي ما تشائين». شَعر تاينا أسود كشَعر روبرت، حتى بين ساقيها، وعندما مسَّتها هناك وجدَت الشَّعر مبلَّلًا تمامًا بينما كان شَعر روبرت خشنًا جافًّا. قالت المايريَّة: «أرجوكِ استمرِّي يا مولاتي، افعلي ما تشائين بي، أنا ملككِ».

ولكن ما فعلَته كان بلا جدوى. أيًّا كان ما شعرَ به روبرت في اللَّيالي التي أخذَها فيها لم تَشعُر به هي، لم تجد مُتعةً... أمَّا تاينا فوجدَت. حلمتاها ماستان سوداوان، وفَرجها زلق ساخن. كان روبرت ليحبِّكِ... لمدَّة ساعة. وضعَت الملكة إصبعًا في المستنقَع المايري، ثم آخَر، وحرَّكتهما إلى الدَّاخل والخارج متابعةً في سريرتها: لكن حالما يُفرِغ لذَّته في داخلِكِ كان ليتذكَّر اسمكِ بصعوبة.

أرادَت أن ترى إن كان الأمر سهلًا مع امرأةٍ مِثلما كان دومًا مع روبرت، وفكَّرت واضعةً إصبعًا ثالثًا في (ميرِ): عشرة آلاف من أطفالك ماتوا في كفِّي يا جلالة الملك. بينما تغطُّ في النَّوم كنتُ ألعقُ أطفالك من على وجهي وأصابعي واحدًا تلو الآخَر، كلَّ أولئك الأمراء الشَّاحبين اللَّزجين. أخذت حقوقك يا سيِّدي، لكن في الظَّلام كنتُ آكلُ ورثتك. ارتعدَت تاينا وشهقَت قائلةً شيئًا ما بلُغةٍ أجنبيَّة، ثم ارتعدَت ثانيةً وقوَّست ظَهرها وصرخَت، ففكَّرت الملكة: كأن أحدًا يُمزِّقها إربًا، وللحظةٍ تركَت نفسها تتخيَّل أن أصابعها أنياب خنزيرٍ برِّي تشقُّ جسد المايريَّة من الخصر إلى العُنق.

وبلا جدوى.

لم تَشعُر سرسي بأيِّ لذَّةٍ إلَّا مع چايمي.

حين حاولَت أن تسحب يدها أمسكَتها تاينا ولثمَت أصابعها قائلةً: «ملكتي الجميلة، كيف أمتِّعكِ؟»، وحرَّكت يدها على جانب سرسي ومسَّتها بين السَّاقين مضيفةً: «أخبِريني بما تُريدين مني يا حبيبتي».

أجابَت سرسي: «اتركيني»، وتدحرجَت مبتعدةً وسحبَت الأغطية على جسدها مرتجفةً. كان الفَجر يَبزُغ وقريبًا سيأتي الصَّباح ويُنسى كلُّ هذا.

كأن شيئًا لم يكن.

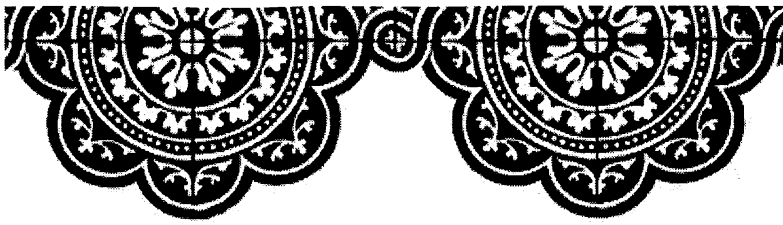

چايمي

أصدرَت الأبواق دويًّا نُحاسيًّا شَقَّ هواء الغسق الأزرق السَّاكن، فهَبَّ چوزمين پكلدون على قدميه بلا إبطاءٍ وهرعَ يلتقط حزام سيف سيِّده.

فكَّر چايمي: غريزة الصَّبي يقظة، وقال له: «الخارجون عن القانون لا يَنفُخون في الأبواق ليُعلِنوا عن مجيئهم. لن أحتاجُ إلى سيفي. هذا ابن خالي، حاكم الغرب».

كان الخيَّالة يترجَّلون عندما خرجَ من خيمته، نِصف دستةٍ من الفُرسان وأربعون من الجنود والرُّماة الرَّاكبين، ولمَّا رأى چايمي هدرَ رجل أشعث يرتدي الحلقات المعدنيَّة المذهَّبة ومعطفًا من فرو الثَّعالب: «چايمي! تبدو مهزولًا للغاية، وترتدي الأبيض! وأطلقت لحيتك أيضًا!».

– «هذه؟ مجرَّد زغبٍ مقارنةً بلبدتك يا ابن الخال». تلتحم لحية السير داڤن المنتفشة مع شاربه الكَثِّ على جانبَي وجهه بكثافة الأحراش، ومعًا يلتحمان بالدَّغل الأصفر المتشابك فوق رأسه، والذي ضغطَته الخوذة التي يخلعها. في مكانٍ ما وسط كلِّ هذا الشَّعر يَكمُن أنف أفطس وعينان جذِلتان بلون البندق. «هل سرقَ أحد الخارجين عن القانون موساك؟».

بالنِّسبة إلى رجلٍ أسديٍّ السِّحنة مِثله، فلداڤن لانستر نبرة مستكينة غريبة، وقد أجابَ: «أقسمتُ ألَّا أقصَّ شَعري حتى أثأر لأبي، لكن الذِّئب الصَّغير نالَ من كارستارك أولًا وسلبَني انتقامي»، وناولَ أحد المُرافقين خوذته ومرَّر أصابعه في شَعره الذي سوَّاه الفولاذ الثَّقيل، وتابعَ: «أحبُّ أن يكون شَعري طويلًا بعض الشَّيء. اللَّيل أصبحَ أشدَّ برودةً، والقليل من النُّمو على الوجه يُساعِد على تدفئته، أجل، ثم إن العمَّة جِنا اعتادَت أن تقول دومًا إن لي ذقنًا

كقالب القرميد»، وأمسكَ چايمي من ذراعيه قائلًا: «خفنا عليك بَعد (الغابة الهامسة). سمعنا أن ذئب ستارك الرَّهيب نهشَ عُنقك».

– «وهل ذرفت الدَّمع المرير من أجلي يا ابن الخال؟».

– «نِصف (لانسپورت) رثى لك، النِّصف الأنثوي»، وانتقلَت نظرة السير داڤن إلى جَدعة چايمي، فقال: «الأمر صحيح إذن، الأوغاد بتروا يد سيفك».

– «لديَّ واحدة جديدة من الذَّهب. ثمَّة إيجابيَّات كثيرة في كون المرء بيدٍ واحدة. الآن أشربُ أقلَّ خشية أن أسكب النَّبيذ، ونادرًا ما أنزعُ إلى حَكِّ مؤخِّرتي في البلاط».

– «نعم، صحيح. ربما عليَّ أن أجعلهم يقطعون يدي أيضًا»، وضحكَ ابن خاله، وتساءلَ: «أهي كاتلين ستارك من قطعَتها؟».

– «ڤارجو هوت». من أين تأتي هذه الحكايات؟

قال السير داڤن: «الكُوهوري؟»، وبصقَ مواصلًا: «هذه له ولكلِّ رفاقه الشُّجعان. قلتُ لأبيك إنني سأبحثُ له عن الإمدادات لكنه رفضَ وقال إن بعض المهام يليق بالأسود، أمَّا الإمدادات فالأفضل تركها للكباش والكلاب».

يعلم چايمي أن هذه كلمات اللورد تايوين تحديدًا، بل ويكاد يسمع صوت أبيه يقولها. «ادخُل يا ابن الخال. يجب أن نتكلَّم».

كان جاريت قد أشعلَ النَّار في المستوقَدات وبثَّت جمراتها المتوهِّجة بالأحمر الحرارة في خيمة چايمي. خلعَ السير داڤن معطفه وألقاه إلى ليو الصَّغير، وسألَه بخشونة: «أأنت من آل پايپر يا فتى؟ إن لك شكلًا أعجف».

– «أنا ليو پايپر، بَعد إذن سيِّدي».

– «لقد هزمتُ أخاك اللَّعين في التحام جماعي ذات مرَّة. الأحمق الأعجف شعرَ بالمهانة حين سألته إن كانت هذه أُخته التي تَرقُص عاريةً على تُرسه».

– «هذا رمز عائلتنا. ليست لنا أخت».

– «مؤسف. رمزكم له ثديان جميلان، لكن مَن الرَّجل الذي يختبئ وراء امرأةٍ عارية؟ كلَّما هويتُ بضربةٍ على تُرس أخيك شعرتُ بالخسَّة».

كانت پيا تُتبِّل لهما النَّبيذ وتُقلِّبه في قِدرٍ بملعقة، وقال چايمي لداڤن ضاحكًا: «كفى، دعه وشأنه. أريدُ أن ألمَّ بما سأجده في (ريڤررَن)».

هَزَّ ابن خاله كتفيه مجيبًا: «الحصار مستمرٌّ. السَّمكة السَّوداء جالس داخل القلعة ونحن جالسون خارجها في معسكَراتنا. مسألة مملَّة للغاية إذا أردت الحقيقة»، وجلسَ على كُرسي متابعًا: «ينبغي أن يشنَّ تَلي غارةً ليُذَكِّرنا جميعًا بأننا ما زلنا في حرب. سيكون لُطفًا منه أن يُخَلِّصنا من بعض أبناء فراي أيضًا. رايمان كبداية. إنه سكران أغلب الوقت. أوه، وإدوين. ليس بليدًا كأبيه لكنه مفعم بالكراهية كما يُفعِم البثورَ القيح. وكذا عزيزنا السير إمون... لا، اللورد إمون وليحمنا (السَّبعة)، يجب ألَّا ننسى لقبه الجديد... سيِّد (ريڤررَن) لا يفعل شيئًا إلَّا محاوَلة إخباري بكيفيَّة إدارة الحصار، يُريدني أن أستولي على القلعة دون أن أتلفها، بما أنها مقرُّ لورديَّته الجديد».

سألَ چايمي پيا: «هل سخنَ النَّبيذ؟».

أجابَت الفتاة مغطِّيةً فمها: «نعم يا سيِّدي».

قدَّم پِك النَّبيذ على صحفةٍ ذهبيَّة، وخلعَ السير داڤن قُفَّازه ثم تناولَ كأسًا قائلًا: «شُكرًا يا فتى. مَن أنت؟».

– «چوزمين پكلدون، بَعد إذن سيِّدي».

قال چايمي: «پِك من أبطال معركة (النَّهر الأسود)، قتلَ فارسيْن وأسرَ اثنين غيرهما».

– «لا بُدَّ أنك أخطر مما تبدو يا فتى. أهذه لحية أم أنك نسيت غسل وجهك من الوسخ؟ زوجة ستانيس باراثيون لها شارب أكثف من هذا. كم سِنُّك؟».

– «خمسة عشر عامًا أيها الفارس».

قال السير داڤن ساخرًا: «أتعرف أفضلَ ما في الأبطال يا چايمي؟ كلُّهم يموتون مبكِّرًا ويَترُكون لبقيَّتنا مزيدًا من النِّساء»، وألقى كأسه للمُرافق قائلًا له: «املأها ثانيةً وسأدعوك بالبطل أيضًا. إنني ظمآن».

رفعَ چايمي كأسه بيُسراه ورشفَ منها لينتشر الدِّفء في صدره، وقال: «كنت تتكلَّم عن أبناء فراي الذين تُريد موتهم؛ رايمان وإدوين وإمون...».

قال داڤن: «وابن العاهرة والدر ريڤرز. يكره أنه نغل ويكره كلَّ من ليسوا كذلك. لكن السير پروين يبدو رجلًا طيِّبًا، لا بأس بالإبقاء عليه، وعلى النِّساء أيضًا. سمعتُ أنني سأتزوَّجُ إحداهن. ربما كان حريًّا بأبيك أن يستشيرني بشأن هذه الزِّيجة بالمناسَبة. كان أبي يتَّفق مع پاكستر ردواين قبل (أوكسكروس)، هل تعلم هذا؟ ردواين له ابنة حسناء مَهرها غالٍ...».

رَدَّ چايمي ضاحكًا: «دسميرا؟ هل تحبُّ النَّمش؟».

- «إذا كان خياري بين بنات فراي والنَّمش... نِصف فتيات اللورد والدر يُشبِهن بنات عرس».

- «نِصفهن فقط؟ اشكُر بختك السَّعيد إذن. لقد رأيتُ عروس لانسل في (داري)».

- «آمي البوَّابة، لترحمنا الآلهة. لم أصدِّق أن لانسل اختارَها. ما خطب ذلك الصَّبي؟».

أجابَ چايمي: «أصبحَ متديِّنًا، لكن ليس هو من اختارَها. أُم الليدي آميري من عائلة داري، وارتأى عمُّنا أنها ستُساعِد لانسل على كسب رعايا (داري)».

- «كيف؟ بمضاجَعتهم؟ هل تعرف لماذا يُلَقِّبونها بآمي البوَّابة؟ لأنها ترفع شبكتها الحديديَّة لكلِّ فارسٍ يمرُّ بها. خيرٌ للانسل أن يجد صانع سلاحٍ يدقُّ له خوذةً بقرنين».

- «لن يكون ذلك ضروريًّا. ابن عمِّنا ذاهب إلى (كينجز لاندنج) ليحلف اليمين كأحد رجال السِّبتون الأعلى المسلَّحين».

ما كانت دهشة أكبر لتلوح على وجه السير داڤن لو أن چايمي قال له إن لانسل قرَّر أن يُصبِح قردًا، وقال: «حقًّا؟ أنت تُمازِحني. لا بُدَّ أن آمي البوَّابة أكثر شبهًا ببنات عرس مما سمعتُ ما دامَت قد دفعَت الصَّبي إلى هذا!».

حين استأذنَ چايمي في الانصراف من الليدي آميري كانت تبكي بهدوءٍ انفضاض زواجها بينما تسمح للسير لايل كراكهول بمواساتها، لكن دموعها لم تُزعِجه نِصف إزعاج النَّظرات القاسية على وجوه أقاربها الواقفين في السَّاحة. قال لداڤن: «آملُ أنك لا تنوي أن تحلف يمينًا بدورك يا ابن خالي. آل فراي حسَّاسون عندما يتعلَّق الأمر باتِّفاقات الزَّواج، وأكرهُ أن نُخَيِّب أملهم ثانيةً».

أطلقَ السير داڤن نخيرًا هازئًا، وقال: «سأتزوَّجُ بنت عرس وأضاجعها، لا تقلق، إنني أعلمُ ما جرى لروب ستارك. لكن مما أخبرَني به إدوين فالأفضل لي أن أختار واحدةً لم تُزهِر بعدُ، وإلَّا فغالبًا سأجدُ والدر الأسود قد سبقَني إليها. أراهنُ أنه افترشَ آمي البوَّابة، وأكثر من ثلاث مرَّات. ربما يُفَسِّر هذا تديُّن لانسل ومزاج أبيه».

- «رأيت السير كيڤان؟».

- «نعم. مَرَّ بنا هنا في طريقه إلى الغرب. سألته أن يُعيننا على الاستيلاء على القلعة، لكن كيڤان رفضَ تمامًا. طيلة الوقت الذي أمضاه هنا كان عابسًا، يتكلَّم بكياسةٍ كافية لكن باردة. أقسمتُ له أنني لم أطلب قَطُّ أن أكون حاكم الغرب، أن ذلك الشَّرف ينبغي أن يكون له، فأعلنَ أنه لا يكنُّ لي ضغينةً، وإن لم تقل نبرته هذا على الإطلاق. بقيَ ثلاثة أيام وبالكاد قال لي ثلاث كلمات. ليته ظَلَّ معنا. كنتُ محتاجًا إلى نصيحته، وما كان أصدقاؤنا أبناء فراي ليجرؤوا على إزعاج السير كيڤان كما يُزعِجونني».

قال چايمي: «أخبِرني».

- «أريدُ أن أفعل، لكن أين أبدأُ؟ بينما أبني المِدكَّات وأبراج الحصار نصبَ رايمان فراي مشنقةً، وكلَّ يومٍ عند الفَجر يأتي بإدميور تَلي ويضع أنشوطةً حول عُنقه ويُهَدِّد بشنقه ما لم تستسلم القلعة، لكن السَّمكة السَّوداء لا يُلقي بالًا لهذه المسرحيَّة، ومع حلول المساء يُنزِلون اللورد إدميور ثانيةً. هل تعلم أن زوجته حامل؟».

لم يكن چايمي يعلم هذا. «إدميور ضاجعَها بَعد الزِّفاف الأحمر؟».

- «بل كان يُضاجِعها في أثناء الزِّفاف الأحمر. روزلين صغيرة حسناء، لا تمتُّ بصِلةٍ لبنات عرس بتاتًا، والغريب أنها مولعة بإدميور. پروين قال لي إنها تُصَلِّي لإنجاب فتاة».

تأمَّل چايمي في هذا لحظةً، ثم قال: «ما إن يُولَد لإدميور ابن لن يعود اللورد والدر محتاجًا إلى إدميور نفسه».

- «هذا رأيي أيضًا. عمُّنا الكريم إمـ... آه، اللورد إمون بالأحرى... يُريد أن يُشنَق إدميور في الحال. وجود سيِّد من آل تَلي لـ(ريڤررَن) يكاد يُكَدِّره بقدر احتمال مولد واحدٍ آخَر. كلَّ يومٍ يُناشِدني أن أجعل السير رايمان يُعَلِّق تَلي من رقبته، ولا أدري كيف أقنعه. وفي تلك الأثناء يشدُّ اللورد جاون وسترلينج كُمِّي الآخَر. السيِّدة زوجته مع السَّمكة السَّوداء داخل القلعة، بالإضافة إلى ثلاثة من أولاده ذوي الأنوف السَّائلة، ويخشى حضرة اللورد أن يَقتُلهم تَلي إذا شنقَ آل فراي إدميور. إحداهم ملكة الذِّئب الصَّغير».

يظنُّ چايمي أنه التقى چاين وسترلينج من قبل، وإن كان لا يتذكَّر شكلها.

لا بُدَّ أنها رائعة الجَمال ما دامَت استحقَّت مملكةً كاملةً. قال لابن خاله مؤكِّدًا: «السير برايندن لن يَقتُل أطفالًا، إنه ليس سمكةً سوداء لتلك الدَّرجة». الآن بدأ يستوعب سبب عدم سقوط (ريڤررَن) بعدُ. «حدِّثني عن تجهيزاتك يا ابن الخال».

– «إننا نُطَوِّق القلعة. السير رايمان ورجال فراي معسكِرون شمال (الجُلمود)، وجنوب (الفرع الأحمر) يجلس اللورد إمون مع السير فورلي پرستر وفلول جيشك القديم، بالإضافة إلى لوردات النَّهر الذين انضمُّوا إلينا بَعد الزِّفاف الأحمر. ليس لديَّ ما يمنع أن أقول إنهم مجموعة كئيبة، صالحون للوجوم في خيامهم ولكن ليس أكثر من هذا. معسكَري أنا بين النَّهرين، قُبالة الخندق وبوَّابة (ريڤررَن) الرَّئيسة. لقد ألقينا سلسلةً عبر (الفرع الأحمر) في اتِّجاه المجرى. مانفريد ياو وراينارد روتيجر مسؤولان عن الدِّفاع عنها كي لا يهرب أحد بالقارب، وأعطيتهما شباكًا أيضًا للصَّيد، فهذا يُساعِد على إطعامنا».

– «هل نستطيع تجويع القلعة؟».

هَزَّ السير داڤن رأسه نفيًا، وأجابَ: «السَّمكة السَّوداء طردَ جميع الأفواه عديمة الجدوى من القلعة واقتلعَ كلَّ نبتةٍ تُؤكَل في الرِّيف المحيط. إن معه مؤنًا تكفي لإطعام الرِّجال والخيول طيلة عامين».

– «وبالنِّسبة إلى مؤننا نحن؟».

– «ما دامَت في النَّهرين أسماك فلن نجوع، وإن كنتُ لا أدري كيف سنُطعِم الخيول. آل فراي ينقلون الطَّعام والعلف من (التَّوأمتين)، لكن السير رايمان يدَّعي أن ما لديهم ليس كافيًا لاقتسامه معنا، ولذا فعلينا الحصول على إمداداتنا بأنفُسنا. نِصف الرِّجال الذين أُرسِلهم للعثور على طعام لا يرجعون. بعضهم يتهرَّب، وغيرهم نجدهم يتعفَّنون تحت الأشجار وحَول أعناقهم حبال».

– «صادَفنا بعضهم أول من أمس». وجدَهم كشَّافة أدام ماربراند مسودِّي الوجوه مشنوقين من شجرة تفَّاح، وقد جُرِّدَت الجُثث من ثيابها تمامًا ودُسَّت تفَّاحة في فم كلٍّ منها. لا أحد منهم كانت في جسده جروح، وواضح أنهم استسلَموا، وقد أشعلَ هذا غضبة العُفر القوي الذي أقسمَ على الانتقام الدَّامي من كلِّ مَن يُعَلِّق رجالًا مُحاربين هكذا ليموتوا كالخنازير.

قال السير داڤن عندما حكى له چايمي: «ربما فعلَها خارجون عن القانون وربما لا. ما زالَت هناك جماعات من الشَّماليِّين في هذه الأنحاء، وربما ركعَ لوردات (الثَّالوث) هؤلاء، لكنني أظنُّ أن قلوبهم لا تزال... ذئبيَّةً».

رمقَ چايمي مُرافقيْه الصَّغيرين اللذين يحومان قُرب المستوقَدات متظاهريْن بأنهما لا يسمعان. ليويس پايپر وجاريت پايچ كلاهما من أبناء لوردات النَّهر، وقد أمسى چايمي مولعًا بالاثنين ويكره أن يُعطي السير إلين إياهما. «الحبال تُوحي بأن هذا عمل دونداريون».

– «سيِّد البرق ليس الوحيد الذي يعرف كيف يعقد أنشوطةً. لا تجعلني أتكلَّمُ عن اللورد بريك. إنه هنا، إنه هناك، إنه في كلِّ مكان، لكن حين تُرسِل رجالًا لمطارَدته يتبخَّر كقطرات النَّدى. لوردات النَّهر يُساعِدونه، إياك أن تشكَّ في هذا، رغم أنه من لوردات (التُّخوم) الملاعين. في يوم تسمع أنه ماتَ، وفي التَّالي يقولون إنه لا يُقتَل»، ووضعَ السير داڤن كأسَه مواصلًا: «كشَّافتي يُبلِغونني بمشاهَدة نيرانٍ مشتعلة في البِقاع العالية ليلًا. يظنُّون أنها إشارات... كأن هناك حلقةً من المُراقبين في كلِّ مكانٍ حولنا. ثم إن هناك نيرانًا في القُرى أيضًا. إله جديد ما...».

لا، بل إله قديم. «ثوروس مع دونداريون، ذلك الرَّاهب المايري البدين الذي اعتادَ أن يشرب مع روبرت». كانت يده الذَّهبيَّة على الطَّاولة، فمسَّها چايمي وشاهدَ ذهبها يلتمع في ضوء المستوقَدات الخافت مردفًا: «سنتعامَل مع دونداريون إذا اضطررنا، لكن يجب أن يأتي السَّمكة السَّوداء أولًا. لا بُدَّ أنه يعلم أن قضيَّته خاسرة. هل حاولت التَّفاوُض معه؟».

– «السير رايمان حاولَ، ركبَ إلى القلعة شِبه سكران ورفعَ عقيرته ملقيًا التَّهديدات، فظهرَ السَّمكة السَّوداء في الشُّرفة فقط ليقول إنه لن يُبَدِّد كلامًا حسنًا على رجلٍ كريه، ثم غرسَ سهمًا في كفل حصان رايمان، فأسقطَه الحصان في الوحَل وضحكتُ بقوَّةٍ لدرجة أنني كدتُ أبلِّلُ سراويلي. لو كنتُ أنا داخل القلعة لصوَّبتُ السَّهم إلى حنجرة رايمان الكاذبة».

رَدَّ چايمي بابتسامةٍ خفيفة: «سأضعُ واقيًا على عُنقي عندما أتفاوَضُ معه. إنني أنوي أن أعرض عليه شروطًا سخيَّةً». إذا استطاعَ إنهاء هذا الحصار دون إراقة دماءٍ فلن يقول أحد إنه حملَ السِّلاح ضد عائلة تَلي.

– «هنيئًا لك بالمحاوَلة يا سيِّدي، وإن كنتُ أشكُّ في أن الكلام سيُجدي نفعًا. يجب أن نقتحم القلعة».

في وقتٍ ما ليس ببعيد كان چايمي ليحضَّ على التَّصرُّف نفسه بلا تردُّد. إنه يعلم أنه لا يستطيع البقاء هنا عامين كاملين حتى يُجَوِّع السَّمكة السَّوداء ويُرغِمه على الاستسلام. قال للسير داڤن: «أيًّا كان ما سنفعله فعلينا أن نتعجَّل. إن مكاني في (كينجز لاندنج) مع الملك».

قال ابن خاله: «أجل. مؤكَّد أن أختك محتاجة إليك. لماذا صرفَت كيڤان؟ حسبتها ستجعله يد الملك».

– «لقد رفضَ اليدويَّة». لم يكن أعمى مِثلما كنتُ.

– «المفترَض أن يكون كيڤان حاكم الغرب، أو أنت. لا أنكرُ أنني ممتنٌّ لهذا الشَّرف بالطَّبع، لكن عمَّنا في ضِعف سِنِّي وأكثر خبرةً بالقيادة. آملُ أنه يعلم أنني لم أطلب هذا إطلاقًا».

– «إنه يعلم».

– «وكيف حال سرسي؟ جميلة كالعادة؟».

– «متألِّقة». مخادعة. «ذهبيَّة». زائفة كالذَّهب القشرة. ليلة البارحة حلمَ بأنه ضبطَها تُضاجِع فتى القمر، فقتلَ المهرِّج وحطَّم أسنان أخته بيده الذَّهبيَّة كما فعلَ جريجور كليجاين بالمسكينة بيا. في أحلامه لچايمي دومًا يدان، إحداهما من ذهبٍ لكنها تعمل بكفاءة الثَّانية تمامًا. «كلَّما عجَّلنا بالفروغ من مسألة (ريڤررَن) عجَّلتُ بالعودة إلى سرسي».

أمَّا ماذا سيفعل حينها فلا يدري.

تكلَّم مع ابن خاله ساعةً أخرى قبل أن يستأذن حاكم الغرب في الانصراف، ولمَّا غادرَ ركَّب چايمي يده الذَّهبيَّة وارتدى معطفه البنِّي ليتمشَّى بين الخيام.

الحقيقة أنه يحبُّ هذه الحياة، ويَشعُر براحةٍ أكبر كثيرًا وسط الجنود في الميدان من البلاط، ورجاله يبدون مرتاحين معه أيضًا. عند واحدةٍ من بؤر النَّار عرضَ عليه ثلاثة من رُماة النُّشَّابيَّة نصيبًا من أرنبٍ برِّي اصطادوه، وعند أخرى طلبَ فارس شابٌّ نصيحته في أفضل وسيلةٍ للدِّفاع عن نفسه ضد مطرقةٍ حربيَّة، وعلى ضفَّة النَّهر شاهدَ غسَّالتيْن تتنازَلان في المياه الضَّحلة فوق أكتاف جنديَّيْن. كانت الفتاتان نِصف ثملتين نِصف عاريتين، تضحكان

وتضرب كلتاهما الأخرى بمعطفٍ مطويٍّ بينما تُشَجِّعهما دستة من الرِّجال. راهنَ چايمي بنجمةٍ نُحاسيَّة على الشَّقراء التي تركب راف المعسول، وخسرَها عندما سقطَ الاثنان وسط البوص.

على ضفَّة النَّهر الأخرى تعوي الذِّئاب، وتهبُّ الرِّيح متخلِّلةً مجموعةً من أشجار الصَّفصاف جاعلةً أغصانها تتلوَّى وتتهامَس. وجدَ چايمي السير إلين پاين يشحذ سيفه العظيم، فقال له: «هيَّا»، ونهضَ الفارس الصَّامت وعلى شفتيه ابتسامة رفيعة. إنه مستمتع بهذا، يطيب له أن يمتهنني كلَّ ليلة، بل وقد يسرُّه أكثر أن يَقتُلني. يحبُّ أن يعتقد أنه يتحسَّن، لكن التَّحسُّن بطيء وليس بلا ثَمن، فتحت الفولاذ والصُّوف والجِلد المقوَّى جسد چايمي لانستر لوحة من الجروح والنُّدوب والكدمات.

اعترضَ حارس طريقهما وهما يقودان حصانيهما إلى خارج المعسكَر، فربَّت چايمي على كتف الرَّجل بيده الذَّهبيَّة قائلًا: «ابقَ يقظًا. ثمَّة ذئاب في الجوار».

ركبا في الاتِّجاه المعاكس بمحاذاة (الفرع الأحمر) نحو أطلال قريةٍ محترقة مرَّا بها هذا الأصيل، وهناك رقصا رقصة منتصَف اللَّيل وسط الحجارة المسودَّة والجمرات القديمة الباردة. لفترةٍ قصيرة كان التَّفوُّق لچايمي، وسمحَ لنفسه بأن يحسب أن مهارته القديمة تعود إليه، وربما تكون اللَّيلة ليلة ذهاب پاين إلى فِراشه مكدومًا مُدمًى.

وكأن السير إلين سمعَ أفكاره. بحركةٍ كسول تفادى ضربة چايمي الأخيرة وكَرَّ عليه بهجمةٍ مضادَّة دفعَته دفعًا إلى النَّهر، حيث انزلقَ حذاؤه من تحته في الوحل، فانتهى به الأمر على رُكبتيه، سيف الفارس الصَّامت على حَلقه وسيفه هو ضائع وسط أعواد البوص. في نور القمر تبدو آثار الجُدري على وجه پاين كبيرةً كفوَّهات البراكين، وأصدرَ الرَّجل صوت الطَّقطقة إياه الذي ربما يكون ضحكةً، وحرَّك سيفه إلى أعلى على عُنق چايمي إلى أن استقرَّ رأسه بين شفتيه، وعندئذٍ فقط تراجعَ وأغمدَ فولاذه.

قال چايمي لنفسه وهو ينفض الطَّمي عن يده الذَّهبيَّة: كان خيرًا لي أن أتحدَّى راف المعسول وعلى ظَهري عاهرة. جزء منه يُريد انتزاع هذا الشَّيء والتَّطويح به في النَّهر. يده بلا جدوى، ويُسراه ليست أفضل كثيرًا. كان السير

إلين قد عادَ إلى الحصانين تاركًا إياه ينهض بنفسه. على الأقل لم تزل لي قدمان.

كان اليوم الأخير من رحلتهم باردًا عاصفًا، تُصَرصِر الرِّيح بين الفروع العارية في الغابة البنِّيَّة الجرداء وتُجبِر أعواد البوص على الانحناء بشدَّةٍ بطول (الفرع الأحمر)، وعلى الرغم من ارتدائه معطف الحَرس الملكي الشِّتوي الصُّوف شعرَ چايمي بأسنانها الحديديَّة تنهش جسده إذ ركبَ إلى جوار داڤن ابن خاله. في وقتٍ متأخِّر من الأصيل أبصَروا (ريڤررَن) ترتفع على الرَّأس الأرضي الضيِّق حيث يتلاقى (الجُلمود) و(الفرع الأحمر). تبدو قلعة آل تَلي كسفينةٍ حجريَّة عظيمة مقدِّمتها موجَّهة صوب المصب، وقد غمرَ الضَّوء الذَّهبي الأحمر أسوارها المبنيَّة بالحجر الرَّملي فبدَت أعلى وأغلظ مما يَذكُر چايمي، ففكَّر بكآبة: لن تتمَّ هذه المهمَّة بسهولة. إذا رفضَ السَّمكة السَّوداء الإصغاء فلن يجد خيارًا إلَّا الحنث في قَسمه لكاتلين ستارك، فقَسمه لملكه يأتي أولًا.

وجدَ السِّلسلة عبر النَّهر والمعسكَرات الثَّلاثة الكبيرة لجيش المحاصِرين كما وصفَ ابن خاله تمامًا. معسكَر السير رايمان فراي شمال (الجُلمود) هو الأوسع مساحةً والأقلُّ تنظيمًا، وفوق الخيام ترتفع مشنقة رماديَّة ضخمة بحجم المِقذاف، وعلى منصَّتها يقف شبح وحيد يُحيط بعُنقه حبل. إدميور تَلي. أحسَّ چايمي بطعنةٍ من الشَّفقة في قلبه. أن يجعلوه يقف هكذا يومًا وراء يوم بتلك الأنشوطة حول عُنقه... الأفضل أن يقطعوا رأسه ويَفرُغوا من الأمر.

وراء المشنقة تنتشر فوضى الخيام وبؤر النَّار. كان صغار لوردات وفُرسان آل فراي قد نصبوا سُرادقاتهم براحةٍ في اتِّجاه المنبع بعيدًا عن حُفر المراحيض، وفي اتِّجاه المصبِّ زرائب وعربات يد وعربات ثيران. قال السير داڤن: «السير رايمان لا يُريد أن يُصيب الملل فتيته، فيُعطيهم عاهرات ومصارَعة ديوك وصيد الخنازير البرِّيَّة، بل وحصلَ لنفسه على مغنٍّ! عمَّتنا جلبَت وات ذا الابتسامة البيضاء من (لانسپورت)، صدِّق أو لا تُصَدِّق، فكان على رايمان أن يكون له مغنِّيه الخاص أيضًا. ألا يُمكننا الاكتفاء بسَدِّ النَّهر وإغراقهم جميعًا يا ابن العمَّة؟».

رأى الرُّماة يتحرَّكون وراء الشُّرَّافات في شُرفات القلعة وفوقهم تخفق

رايات عائلة تَلي، سمكة الترويت الجريئة على خلفيَّتها المخطَّطة بالأحمر والأزرق. على أن أطول أبراج القلعة يعلوه علم مختلف، علم أبيض طويل يُزَيِّنه ذئب ستارك الرَّهيب. قال چايمي لابن خاله: «أول مرَّةٍ رأيتُ (ريڤررَن) كنتُ مُرافقًا أخضر كعُشب الصَّيف. أرسلَني العجوز سَمنر كراكهول لأوصِّل رسالةً أكَّد أنه لا يستطيع أن يأتمن عليها غُدافًا، فأبقاني اللورد هوستر أسبوعين بينما يُفَكِّر مليًّا في الرَّد، وأجلسَني إلى جوار ابنته لايسا عند كلِّ وجبة».

– «لا عجب أنك انضمَمت إلى الحَرس الملكي. كنتُ لأفعل المِثل».

– «أوه، لايسا لم تكن مخيفةً لهذه الدَّرجة». الحقيقة أنها كانت فتاةً حسناء رقيقةً لها غمَّازتان وشَعر كستنائي طويل. وإن كانت خانعةً، تميل إلى الصَّمت بلسانٍ معقود وبين الحين والآخَر القهقهة، ليس فيها لسان لهبٍ واحد من نار سرسي. بدَت أختها الكبيرة أكثر إثارةً للاهتمام، ولو أنها كانت موعودةً لصبيٍّ ما من الشَّمال هو وريث (وينترفل)... لكن في تلك السِّنِّ لم تكن أيُّ فتاةٍ لتُثير نِصف اهتمام چايمي بشقيق هوستر الشَّهير الذي نالَ المجد في أثناء قتاله ملوك البنسات التِّسعة في (الأعتاب). على المائدة تجاهلَ لايسا المسكينة وألحَّ على براندن تَلي أن يحكي له عن ميليز الوحش والأمير الأبنوسي. وقتها كان السير براندن أصغر مني الآن، وكنتُ أصغر من بِك.

تقع أقرب مخاضةٍ عبر (الفرع الأحمر) في اتِّجاه المنبع، وليَبلُغوا معسكَر السير داڤن كان عليهم أن يمرُّوا من معسكَر إمون فراي بسُرادقات لوردات النَّهر الذين ركعوا وقُبِلوا من جديدٍ في سلام الملك. لاحظَ چايمي رايات لايتشستر وڤانس وروت وجودبروك، وجوز بلُّوط آل سمولفورد وعذراء اللورد پاييِر الرَّاقصة، لكن الرَّايات التي لم يرَها هي ما أثارَت اهتمامه. لا أثر لنسر ماليستر الفضِّي، أو لحصان براكن الأحمر، أو صَفصافة رايجر، أو ثُعبانَي پايچ المضفوريْن معًا. جميع هؤلاء جدَّدوا ولاءهم للعرش الحديدي، إلَّا أن أحدًا منهم لم يأتِ للانضمام إلى الحصار. يعلم چايمي أن آل براكن يُقاتِلون آل بلاكوود، أمَّا الباقون...

أصدقاؤنا الجُدد ليسوا أصدقاءً على الإطلاق، إخلاصهم ضحل. لا بُدَّ من الظَّفر بـ(ريڤررَن)، وقريبًا. كلَّما طالَ الحصار تشجَّع متمرِّدون آخَرون على شاكلة تايتوس بلاكوود.

عند المخاضة أطلقَ السير كينوس الكايسي دفقةً من بوق هيروك. هذا كفيل بإخراج السَّمكة السَّوداء إلى الشُّرفات. قادَ السير هيوجو والسير درموت چايمي عبر النَّهر خائضيْن في المياه البنِّيَّة المحمرَّة الموحلة وقد رفعا راية الحَرس الملكي البيضاء وراية وعل وأسد تومن لتخفقا في الرِّيح، وتبعَتهم بقيَّة الرَّكب بلا إبطاء.

تردَّدت أصوات المطارق الخشبيَّة في معسكَر لانستر حيث يرتفع بُرج حصارٍ جديد، وقد وقفَ بُرجان آخَران مكتملَيْن وكلٌّ منهما نِصف مغطًّى بجِلد الخيل الخام، وبينهما يستقرُّ مِدَكٌّ دوَّار مصنوع من جذع شجرةٍ وله رأس مقوَّى بالنَّار ومعلَّق بالسَّلاسل تحت سقفٍ خشبي. يبدو أن ابن خالي لم يتوانَ في عمله.

سألَه پِك: «أين تُريد خيمتك يا سيِّدي؟».

– «هناك، فوق هذا المرتفَع»، وأشارَ بيده الذَّهبيَّة –مع أنها ليست مناسبةً لهذا– وأضافَ: «المؤن هناك، خطوط الخيول هناك. سنستخدم المراحيض التي تكرَّم ابن خالي بحفرها لنا. سير أدام، افحص محيطنا واحرص على ملاحَظة أيِّ نقاط ضَعف». لا يتوقَّع چايمي هجومًا، لكنه لم يتوقَّع (الغابة الهامسة) كذلك.

سألَه داڤن: «هل أستدعي بنات عرس لمجلس الحرب؟».

أجابَ چايمي: «ليس قبل أن أتكلَّم مع السَّمكة السَّوداء»، وأشارَ إلى چون بتلي الحليق قائلًا: «ارفع راية سلام واحمل رسالةً إلى القلعة. بلِّغ السير برايندن تَلي أنني أرغبُ في الحديث معه مع أول خيوط الضَّوء غدًا. سأذهبُ إلى حافة الخندق وأقابله على الجسر المتحرِّك».

لاحَ الانزعاج على پِك، وقال: «سيِّدي، الرُّماة يُمكنهم أن...».

ترجَّل چايمي قائلًا: «لن يفعلوا. انصُبوا خيمتي وارفعوا رايتَي». وسنرى من يأتي جريًا وبأيِّ سُرعة.

لم يتطلَّب الأمر طويلًا. كانت پيا تُحاوِل إشعال النَّار في فحم المستوقَد، فذهبَ پِك يُساعِدها. في الفترة الأخيرة كثيرًا ما يَخلُد چايمي إلى النَّوم على صوت جماعهما في رُكن الخيمة. بينما يحلُّ جاريت مشابك واقي ساقيه انفتحَت الخيمة، وقالت عمَّة چايمي بصوتٍ جهير: «وصلت أخيرًا؟». كانت

تحتلُّ الباب بالكامل، وقد حدَّق زوجها ابن فراي من ورائها. «تأخَّرت. ألن تُعانِق عمَّتك السَّمينة العجوز؟»، وفتحَت ذراعيها فلم تَترُك له خيارًا إلَّا عناقها.

في شبابها كانت چِنا لانستر امرأةً متناسقة الجسد يبدو نهداها دومًا على وشك الخروج من صدارها، أمَّا الآن فالشَّكل الوحيد الذي يتَّخذه جسدها هو المربَّع، ولها وجه عريض أملس وعُنق كعمودٍ وردي غليظ وثديان هائلان، وفي بدنها لحم يكفي لصُنع اثنين من زوجها. احتضنَها چايمي بطاعةٍ وانتظرَ أن تَقرُص أُذنه كما تعوَّدت أن تفعل طيلة حياته، لكنها أحجمَت عن ذلك اليوم، وبدلًا منه طبعَت قُبلةً ناعمةً مبتلَّةً على كلٍّ من وجنتيه، ثم قالت: «آسفةٌ لخسارتك».

رَدَّ: «لديَّ يد جديدة مصنوعة من الذَّهب»، وأراها إياها.

قالت الليدي چِنا بحدَّة: «جميل. هل سيصنعون لك أبًا من الذَّهب أيضًا؟ تايوين الخسارة التي قصدتها».

أعلنَ زوجها: «رجل كتايوين لانستر لا يأتي إلَّا مرَّةً كلَّ ألف عام». إمون فراي رجل عصبيٌّ الطِّباع له يدان متوتِّرتان، ولكان وزنه ثقيلًا لو ارتدى ثيابًا مبتلَّةً والحلقات المعدنيَّة، لكنه أشبه بعودٍ من البوص يرتدي الصُّوف وليس له ذقن يُذكَر، وهو عيب جعلَه بروز تفَّاحة حَلقه يبدو أكثر سخافةً. قبل بلوغه الثَّلاثين كان نِصف شَعره قد سقطَ، والآن وهو في الستِّين تبقَّت له شُعيرات محدودة.

قالت الليدي چِنا بَعد أن صرفَ چايمي پيا ومُرافقيه: «بلغَتنا حكايات عجيبة في الفترة الأخيرة. المرء يكاد لا يدري ماذا يُصَدِّق. أحقيقيٌّ أن تيريون قتلَ تايوين أم أن هذا افتراء أذاعَته أختك؟».

– «حقيقي». كان وزن يده الذَّهب قد بدأ يُضايِقه، فبدأ يحلُّ الأحزمة التي تُثبِّتها إلى معصمه.

قال السير إمون: «أن يرفع الابن يده ضد أبيه... عمل وحشي. هذه أيام سوداء في (وستروس). إنني أخشى علينا جميعًا بَعد رحيل اللورد تايوين».

ردَّت چِنا: «كنت تخشى علينا جميعًا وهو موجود»، وأراحَت عجيزتها الكبيرة على أحد الكراسي، فصَرَّ تحت وزنها على نحوٍ مزعج، واستطردَت: «حدِّثنا عن ابننا كليوس وطريقة موته يا ابن أخي».

حَلَّ چايمي آخِر الأحزمة ووضعَ يده جانبًا قائلًا: «هاجمَنا خارجون عن القانون وشتَّتهم السير كليوس، لكن هذا كلَّفه حياته». أتته الأكذوبة بسهولة، ورأى أنها سرَّتهما بالفعل.

– «كان فتى شُجاعًا، لطالما قلتُ هذا، الشَّجاعة في دمه». عندما يتكلَّم السير إمون تلتمع على شفتيه رغوة ورديَّة باهتة من جرَّاء التَّبغ المُرِّ الذي يحبُّ أن يَمضُغه.

أعلنَت الليدي چِنا: «المفترَض أن يُدفَن رُفاته تحت (الصَّخرة) في (قاعة الأبطال). أين قبره؟».

لا قبر له. الممثِّلون السَّفَّاحون جرَّدوا جثَّته من كلِّ شيءٍ وتركوا لحمه وليمةً لِغربان الجيف. أجابَ كاذبًا: «إلى جوار جدول. عندما تضع هذه الحرب أوزارها سأجدُ المكان وأرسله إلى الوطن». الرُّفات هو الرُّفات، وما أسهل العثور عليه هذه الأيام.

قال اللورد إمون: «هذه الحرب...»، وتنحنحَ لتتحرَّك تفَّاحة حَلقه إلى أعلى وأسفل، وتابعَ: «لا بُدَّ أنك رأيت آلات الحصار، المِدكَّات والمقاذيف والأبراج. لن يَصلُح هذا يا چايمي. داڤن يُريد هدم أسواري وتحطيم بوَّابتي، يتكلَّم عن القار المشتعل وإحراق القلعة، قلعتي!»، ودَسَّ يده في كُمِّه وأخرجَ رَقًّا رفعَه في وجه چايمي مواصلًا: «إن معي المرسوم الموقَّع من الملك، من تومن. انظُر، ها هو ذا الختم الملكي، الوعل والأسد. أنا سيِّد (ريڤررَن) الشَّرعي، ولن أسمح بتحويلها إلى أطلالٍ محترقة».

قالت زوجته محتدَّةً: «أوه، ضع هذا الشَّيء السَّخيف جانبًا. ما دامَ السَّمكة السَّوداء داخل (ريڤررَن) يُمكنك أن تمسح مؤخِّرتك بهذه الورقة التي لم تنفعنا بشيء». على الرغم من كونها من آل فراي طيلة خمسين عامًا تظلُّ الليدي چِنا إلى حَدٍّ كبير ابنة لانستر. ابنة لانستر كبيرة الحجم للغاية. «چايمي سيُسَلِّمك القلعة».

قال السير إمون: «بالتَّأكيد. سير چايمي، ثقة السيِّد والدك بي كانت في محلِّها، سترى. إنني أنوي أن أكون حازمًا لكن عادلًا مع أتباعي الجُدد. بلاكوود وبراكن وچيسون ماليستر وڤانس وپايپر، كلُّهم سيتعلَّمون أن إمون فراي مولى عادل... وأبي أيضًا، نعم. إنه سيِّد (المعبر)، لكنني أنا سيِّد

(ريڤررَن). صحيح أن واجب الابن أن يُطيع أباه، لكن على حامِل الرَّاية أن يُطيع مولاه».

أوه، بحَقِّ الآلهة. «أنت لست مولاه أيها الفارس. اقرأ الوثيقة. لقد مُنِحت (ريڤررَن) وأراضيها ودخولها لا أكثر، لكن پيتر بايلش هو سيِّد أراضي (الثَّالوث) الأعلى. (ريڤررَن) ستخضع لحُكم (هارنهال)».

لم يسرَّ ردُّه اللورد إمون، فقال محتجًّا: «(هارنهال) خراب، مسكونة وملعونة، وبايلش... إنه عدَّاد عُملة، ليس لورد حقيقيًّا، ميلاده...».

– «إذا لم تكن راضيًا عن هذه التَّرتيبات فاذهب إلى (كينجز لاندنج) واطرح الأمر على أختي الجميلة». لا شَكَّ لديه في أن سرسي ستلتهم إمون فراي حيًّا وتُسَلِّك أسنانها بعظامه. ما لم تكن مشغولةً بمضاجَعة أوزموند كِتبلاك.

أطلقَت الليدي چِنا نخيرًا ساخرًا، وقالت: «لا داعي لإزعاج جلالتها بهذا الهراء. إم، هلَّا خرجت تشمُّ الهواء؟».

– «أشمُّ الهواء؟».

– «أو تبوَّل إذا أردت. أنا وابن أخي لدينا أمور عائليَّة نتناقَش فيها».

احتقنَ وجه اللورد إمون، وقال: «نعم، المكان دافئ هنا. سأنتظرُ في الخارج يا سيِّدتي. أيها الفارس»، وطوى حضرة اللورد وثيقته وانحنى لچايمي وخرجَ من الخيمة.

ليس احتقار إمون فراي عسيرًا. لقد وصلَ إلى (كاسترلي روك) في سِنِّ الرَّابعة عشرة ليتزوَّج لبؤةً يكبَرها مرَّتين. اعتادَ تيريون أن يقول إن اللورد تايوين قلبَ معدته على سبيل هديَّة الزِّفاف. وچِنا لعبَت دورًا أيضًا. يَذكُر چايمي مآدب كثيرةً جلسَ خلالها إمون يعبث بطعامه بوجوم في حين تتبادَل زوجته المزاح البذيء مع أيِّ فارسٍ جالس إلى يسارها وتتخلَّل محادَثاتهما انفجارات الضَّحك المدوِّي. لكنها أنجبَت لفراي أربعة أبناء، أو على الأقل تقول إنهم أبناؤه. لا أحد في (كاسترلي روك) يملك شَجاعة التَّلميح إلى غير هذا، لا سيَّما السير إمون.

لم يكد الرَّجل يُغادِر حتى دوَّرت السيِّدة زوجته عينيها في محجريهما باستياءٍ قائلةً: «زوجي وسيِّدي. فيمَ كان أبوك يُفكِّر حين قلَّده سيادة (ريڤررَن)؟».

– «أظنُّ أنه كان يُفكِّر في أبنائكِ».

– «أنا أيضًا أفكِّرُ فيهم. إم سيكون لورد سيِّئًا للغاية. ربما يُبلي تاي بلاءً أحسن إذا كان عاقلًا وتعلَّم مني لا من أبيه»، وتلفَّتت عمَّته متسائلةً: «هل عندك نبيذ؟».

وجدَ چايمي إبريقًا وصَبَّ لها بيدٍ واحدة قائلًا: «ماذا تفعلين هنا يا سيِّدتي؟ كان عليكِ أن تبقي في (كاسترلي روك) حتى ينتهي القتال».

– «ما إن سمعَ إم بأنه أصبحَ من اللوردات أصرَّ على أن يأتي في الحال ويتسلَّم مقرَّه»، وجرعَت الليدي چِنا من نبيذها ومسحَت فمها بكُمِّها، ثم قالت: «كان على أبيك أن يمنحنا (داري). كليوس تزوَّج واحدةً من بنات الحارث كما تَذكُر، وأرملته الثَّكلى غاضبة لأن ابنيها لم يُمنَحا أراضي السيِّد والدها. آمي البوَّابة تنتمي إلى عائلة داري من جانب أمِّها فحسب، وچاين أرملة ابني خالتها، أخت الليدي ماريا الشَّقيقة».

ذكَّرها چايمي قائلًا: «أخت أصغر، ثم إن تاي سيحظى بـ(ريڤررَن)، غنيمة أعظم من (داري)».

– «غنيمة مسمومة. سُلالة الذُّكور في عائلة داري بادَت، أمَّا في عائلة تَلي فلا. ذلك الأبله السير رايمان يضع أنشوطةً حول عُنق إدميور لكنه يأبى أن يَشنُقه، وثمَّة سمكة ترويت تنمو في بطن روزلين فراي. لن يأمن أحفادي في (ريڤررَن) أبدًا ما دامَ وريث من آل تَلي حيًّا».

يعلم چايمي أنها ليست مخطئةً، فقال: «إذا أنجبَت روزلين فتاةً...».

– «... فيُمكنها أن تتزوَّج تاي، شريطة أن يقبل اللورد والدر. نعم، فكَّرتُ في هذا. إلَّا أن احتمال أن تلد صبيًّا قائم بالقدر نفسه، وسيُعَقِّد قضيبه الصَّغير الأمور. وإذا خرجَ السير برايندن حيًّا من هذا الحصار فربما تجده ميَّالًا إلى أخذ (ريڤررَن) باسمه... أو باسم روبرت آرن الصَّغير».

يَذكُر چايمي روبرت الصَّغير في (كينجز لاندنج)، لا يزال يرضع من ثديَي أمِّه في سِنِّ الرَّابعة. «آرن لن يعيش حتى يُنجِب، وما حاجة سيِّد (العُش) إلى (ريڤررَن)؟».

– «ما حاجة رجلٍ يملك جرَّةً من الذَّهب إلى أخرى؟ البَشر جشعون. كان على تايوين أن يمنح كيڤان (ريڤررَن) وإم (داري). كنتُ لأقول له هذا

لو كلَّف نفسه عناء سؤالي، لكن منذ متى يستشير أبوك أحدًا في شيءٍ إلَّا كيڤان؟»، وأطلقَت عمَّته تنهيدةً عميقةً، وأضافَت: «لا ألومُ كيڤان على رغبته في مقرٍّ أكثر أمنًا لابنه، إنني أعرفه جيِّدًا».

– «شتَّان بين ما يرغب فيه كيڤان وما يرغب فيه لانسل». أخبرَها بقرار لانسل أن يتخلَّى عن زوجته وأراضيه ولورديَّته من أجل القتال في سبيل العقيدة المقدَّسة، ثم قال: «إذا كنتِ لا تزالين راغبةً في (داري) فاكتُبي لسرسي واعرضي عليها الأمر».

لوَّحت الليدي چِنا بكأسها استهانةً، وقالت: «لا، فاتَ أوان هذا. إم يخال أنه سيَحكُم أراضي النَّهر، ولانسل... أظنُّ أنه كان علينا أن نتوقَّع هذا منذ زمن. الحياة لحماية السِّپتون الأعلى لا تختلف عن الحياة لحماية الملك رغم كلِّ شيء. أخشى أن كيڤان سيغضب كما غضبَ تايوين عندما وضعت في رأسك أن تخدم في الحَرس الملكي. على الأقل سيبقى مارتن وريثًا لكيڤان. يُمكنه أن يُزَوِّجه آمي البوَّابة بدلًا من لانسل، ليحمنا (السَّبعة) جميعًا»، وعادَت تتنهَّد ثم قالت: «وعلى ذِكر (السَّبعة)، لِمَ تسمح سرسي للعقيدة بحمل السِّلاح مجدَّدًا؟».

هَزَّ چايمي كتفيه مجيبًا: «أنا واثق بأن لديها أسبابًا».

ردَّدت الليدي چِنا: «أسبابًا؟»، وأطلقَت صوتًا بذيئًا، وأردفَت: «خيرٌ لنا أن تكون أسبابًا وجيهةً. السُّيوف والنُّجوم أزعَجوا آل تارجاريَن أنفُسهم. الفاتِح ذاته تعاملَ بحذرٍ مع العقيدة كي لا تُعارِضه، ولمَّا ماتَ إجون وتمرَّد اللوردات على ابنيه كانت كلتا الجماعتين في قلب هذا التَّمرُّد. اللوردات الأكثر تديُّنًا أيَّدوهم، وكثيرون من العوام، وأخيرًا اضطرَّ الملك ميجور إلى وضع مكافأةٍ على رؤوسهم، فدفعَ تنِّينًا مقابل رأس كلِّ واحدٍ من أبناء المُحارب لم يرجع عن تمرُّده، وأيلًا فضِّيًّا مقابل فروة رأس كلِّ صُعلوك، إذا كنتُ أذكرُ التَّاريخ الذي تعلَّمته. قُتِلَ آلاف، لكن آلاف غيرهم ظلُّوا يجوبون البلاد بتحدٍّ، إلى أن قتلَ العرش الحديدي ميجور ووافقَ الملك چهيرس على العفو عن كلِّ من يتخلَّى عن القتال».

قال معترفًا: «نسيتُ أغلب هذا».

ردَّت عمَّته: «أنت وأختك»، وأخذَت جرعةً أخرى من النَّبيذ، وسألَته: «أصحيحٌ أن أباك كان مبتسمًا فوق تابوته؟».

– «كان يتعفَّن فوق تابوته، وجعلَ هذا فمه يلتوي».

– «أهذا كلُّ ما هنالك؟». بدا إن الإجابة أحزنَتها. «يقول كثيرون إن تايوين لم يبتسم قَطُّ، لكنه ابتسمَ حين تزوَّج أمَّك، وحين جعلَه إيرس يده. ولمَّا انهارَ (بهو تاربك) على رأس تلك الحقيرة المتآمرة الليدي إيلين، قال تايج إنه ابتسمَ حينها أيضًا... وابتسمَ يوم مولدك يا چايمي، رأيتُ هذا بعينَي. أنت وسرسي كنتما متورِّديْن مثاليَّيْن ومتماثليْن... باستثناء بين السَّاقين طبعًا. يا لرئاتكما القويَّة!».

قال چايمي بابتسامةٍ واسعة: «اسمعوا زئيرنا. يَنقُص أن تقولي لي إنه أحبَّ الضَّحك كثيرًا أيضًا».

– «لا، تايوين لم يكن يثق بالضَّحك. لقد سمعَ كثيرين يضحكون من جدِّك»، وقطَّبت عمَّته جبينها مستطردةً: «أؤكِّدُ لك أن مهزلة الحصار هذه ما كانت لتسرَّه. كيف تنوي أن تضع حدًّا لها الآن وقد أصبحت هنا؟».

– «سأتفاوَضُ مع السَّمكة السَّوداء».

– «لن ينجح هذا».

– «أنوي أن أعرض عليه شروطًا جيِّدةً».

– «الشُّروط تتطلَّب الثِّقة. آل فراي اغتالوا ضيوفًا تحت سقفهم، وأنت... لا أقصدُ إساءةً يا حبيبي، لكنك قتلت ملكًا معيَّنًا أقسمت على حمايته».

– «وسأقتلُ السَّمكة السَّوداء إذا لم يستسلم». خرجَت نبرته أكثر خشونةً مما انتوى، لكنه ليس في مزاج يسمح بإلقاء إيرس تارجاريَن في وجهه.

سألَته بتهكُّم: «كيف؟ بلسانك؟ ربما أكونُ عجوزًا بدينةً، لكن ما في رأسي مُخ لا جُبنة يا چايمي، وكذا السَّمكة السَّوداء. التَّهديدات الفارغة لن تُثَبِّط همَّته».

– «وبِمَ تنصحين؟».

هزَّت كتفيها ببُطء، وقالت: «إم يُريد أن يُقطَع رأس إدميور، وربما يكون محقًّا على سبيل التَّغيير. السير رايمان جعلَنا أضحوكةً بمشنقته إياها. عليك أن تُري السير برايندن أن لتهديداتك أنيابًا».

– «ربما يُقَوِّي قتل إدميور عزيمة السير برايندن».

– «العزيمة شيء لم يفتقر إليه برايندن السَّمكة السَّوداء قَطُّ. كان بإمكان

هوستر تَلي أن يُخبِرك بهذا»، وأفرغَت الليدي جِنا ما تبقَّى من النَّبيذ في جوفها، وأردفَت: «طيِّب، لن أجرؤ أبدًا على إخبارك بكيفيَّة خوض الحروب، إنني أعرفُ منزلتي... على عكس أختك. أصحيحٌ أن سرسي أحرقَت (القلعة الحمراء)؟».

- «(بُرج اليد) فقط».

دوَّرت عمَّته عينيها، وقالت: «كان خيرًا لها أن تُبقي على البُرج وتُحرِق اليد. هاريس سويفت؟! إذا كان هناك رجل جديرًا برمزه فهو السير هاريس. وجايلز روزبي، ليحمنا (السَّبعة)، حسبته ماتَ منذ زمن. ميريويذر... أبوك تعوَّد دعوة جدِّه بالمُقهقه، أريدك أن تعلم. قال تايوين إن الشَّيء الوحيد الذي يَصلُح له ميريويذر هو القهقهة لدُعابات الملك. حضرة اللورد ظَلَّ يُقهقِه حتى نُفِيَ على ما أذكرُ. سرسي وضعَت نغلًا ما في المجلس أيضًا، ورجلًا وضيعًا في الحَرس الملكي، وسمحَت للعقيدة بالتَّسلُّح، والبراڤوسيُّون يُطالِبون بسداد ما لهم من ديون في جميع أنحاء (وستروس). ما كان شيء من هذا ليَحدُث لو أنها تحلَّت بالعقل وجعلَت عمَّك كيڤان اليد».

- «السير كيڤان رفضَ المنصب».

- «هذا ما قاله، لكنه لم يَذكُر السَّبب. أشياء كثيرة لم يقلها، رفضَ أن يقولها»، ورسمَت الليدي جِنا الامتعاض على ملامحها، وتابعَت: «لطالما فعلَ كيڤان ما يُطلَب منه، وليس من طباعه أن يُولي الواجب ظَهره. في الأمر شيء ما خطأ، باستطاعتي أن أشمَّه».

- «قال إنه متعَب». وقالت سرسي وهما واقفان عند نعش أبيهما إنه يعرف بأمرهما.

زمَّت عمَّته شفتيها قائلةً: «متعَب؟ أظنُّ أنه حقُّه. كان صعبًا على كيڤان أن يعيش حياته كلَّها في ظِلِّ تايوين، صعبًا على إخوتي جميعًا. الظِّلُّ الذي ألقاه تايوين كان طويلًا أسود، واضطرَّ كلٌّ منهم إلى المعاناة حتى يجد بصيصًا من الشَّمس لنفسه. تايجت حاولَ أن يستقلَّ بذاته، لكنه لم يستطِع قَطُّ أن يُضاهي أباك، وأفضى هذا إلى جعله أكثر غضبًا مع مرور السِّنين. أمَّا جيريون فاكتفى بالسُّخرية. كان أفضل له أن يسخر من اللُّعبة من أن يلعبها ويخسر. لكن كيڤان رأى طبائع الأمور مبكِّرًا، فصنعَ لنفسه مكانًا إلى جانب أبيك».

سألَها چايمي: «وأنتِ؟».

– «لم تكن لُعبةً للفتيات. كنتُ أميرة أبي الغالية... وأميرة تايوين أيضًا، إلى أن خيَّبت أمله، وأخي لم يتعلَّم أن يحبَّ مذاق خيبة الأمل إطلاقًا»، ونهضَت عمَّته مستطردةً: «لقد قلتُ ما جئتُ لأقوله ولن آخذ المزيد من وقتك. افعل ما كان تايوين ليفعله».

سمعَ چايمي نفسه يسألها: «هل أحببتِه؟».

حدجَته عمَّته بنظرةٍ غريبة، وقالت: «كنتُ في السَّابعة حينما أقنعَ والدر فراي السيِّد والدي بإعطاء إم يدي، ابنه الثَّاني وليس وريثه حتى. أبي نفسه كان ابنًا ثالثًا، والإخوة الصِّغار يشتهون رضا إخوتهم الأكبر. فراي استشعرَ نُقطة الضَّعف تلك فيه، ولم يقبل أبي لسببٍ أفضل من إرضائه. أُعلِنَت خطبتي في أثناء مأدبةٍ حضرَها نِصف الغرب، وضحكَت إيلين تاربك وخرجَ الأسد الأحمر غاضبًا من القاعة، أمَّا الآخَرون فانعقدَت ألسنتهم. وحده تايوين جرؤَ على الاعتراض على الزِّيجة. كان صبيًّا في العاشرة. شحبَ وجه أبي حتى أصبحَ كالحليب، وارتعشَ والدر فراي»، وابتسمَت مواصلةً: «كيف يُمكنني ألَّا أحبَّه بَعد هذا؟ لكن هذا لا يعني أنني وافقتُ على كلِّ ما فعلَه أو استمتعتُ كثيرًا بصُحبة الرَّجل الذي صارَه... لكن كلَّ فتاةٍ صغيرة تحتاج إلى أخٍ كبير يحميها، وتايوين كان كبيرًا حتى في صِغره»، وزفرَت متسائلةً: «مَن سيحمينا الآن؟».

قبَّلها چايمي على وجنتها، وقال: «لقد خلَّف ابنًا».

– «نعم، وهذا أخشى ما أخشاه في الحقيقة».

أدهشَه تعليقها الغريب، فسألَها: «وماذا تخشين؟».

قالت جاذبةً أُذنه: «چايمي يا عزيزي، أنا أعرفك منذ كنت ترضع من ثديَي چوانا. إنك تبتسم كجيريون وتُقاتِل كتايج، وفيك القليل من كيڤان أيضًا، وإلَّا ما كنت لترتدي هذا المعطف... لكن تيريون هو ابن تايوين لا أنت. قلتُ هذا ذات مرَّةٍ في وجه أبيك فقضى نِصف عام لا يُكَلِّمني. الرِّجال حمقى كبار صاخبون حقًّا، حتى مَن يجود بهم الدَّهر كلَّ ألف عامٍ».

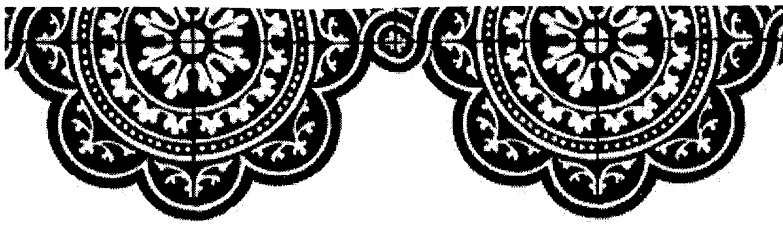

قطَّة القنوات

استيقظَت قبل شروق الشَّمس في الغُرفة الصَّغيرة تحت الإفريز، التي تتقاسَمها مع ابنتَي بروسكو.

كات أول من يصحو دومًا. تحت الأغطية مع تاليا وبريا دافئ مريح، وباستطاعتها أن تسمع أنفاسهما الهادئة المنتظمة، وحين تحرَّكت واعتدلَت جالسةً تبحث عن خُفَّيها تمتمَت بريا بشكوى ناعسة وانقلبَت على جانبها. اقشعرَّ جِلد كات من جرَّاء البرد المنبعث من الجُدران الحجر الرَّماديَّة، فأسرعَت ترتدي ثيابها في الظَّلام، وبينما تضع سُترتها على جسدها فتحَت تاليا عينيها، وقالت لها: «كات، كوني طيِّبةً واجلبي لي ثيابي». تاليا فتاة خرقاء، جسدها جِلد على عظم ومِرفقاها بارزان، ودائمًا تشتكي من البرد.

أحضرَت لها كات ملابسها فارتدَتها تحت الأغطية، ومعًا سحبَتا الأخت الكبيرة من الفِراش وقد راحَت بريا تُهَمهِم بالتَّهديدات النَّاعسة.

حين نزلَت ثلاثتهن السُّلَّم من الغُرفة الواقعة تحت الإفريز كان بروسكو وابناه قد خرجوا بالفعل إلى القارب في القناة الصَّغيرة وراء المنزل. زعقَ بروسكو في الفتيات أن يُسرِعن مِثلما يفعل كلَّ صباح، وساعدَ ابناه تاليا وبريا على ركوب القارب، أمَّا كات فمهمَّتها أن تحلَّ الحبل الذي يربطه بالدِّعامة، ثم تُلقي الحبل لبريا وتدفع القارب مبعدةً إياه عن المرسى بحذائها. بدأ كلا ابنَي بروسكو التَّجذيف بالعصا، وجرَت كات ووثبَت فوق الفجوة التي أخذَت تتَّسع بين المرسى والقارب.

بَعدها لم يَعُد هناك ما تفعله إلَّا الجلوس والتَّثاؤب لوقتٍ طويل بينما يمضي بهم بروسكو وابناه في عتمة ما قبل الفَجر عبر شبكةٍ من القنوات

الصَّغيرة. يبدو هذا النَّهار نادرًا، معتدل البرودة صافيًا ساطعًا، بينما المعتاد أن (براڤوس) لا تعرف إلَّا ثلاثة أنواع فقط من الطَّقس. الضَّباب سيِّئ، والمطر أسوأ، والمطر المتجمِّد الأسوأ، لكن كلَّ فترةٍ طويلة يأتي صباح يطلع فيه الفَجر ورديًّا وأزرق ويكون هواؤه منعشًا مالحًا، وتلك أكثر أيام تحبُّها كات.

حين بلغوا المجرى المائي العريض المستقيم المسمَّى (القناة الطَّويلة) انعطفوا جنوبًا نحو سوق الأسماك، وقد جلسَت كات مربِّعةً ساقيها تُقاوِم التَّثاؤب وتُحاوِل أن تتذكَّر تفاصيل حُلمها. مرَّةً أخرى أحلمُ بأنني ذئبة. أكثر ما تَذكُره الرَّوائح؛ الأشجار والتُّربة وإخوتها في القطيع والخيول والغزلان والبَشر، كلٌّ منها غير الأخرى، ورائحة الخوف القويَّة اللَّاذعة التي لا تختلف أبدًا. في بعض اللَّيالي تكون أحلام الذِّئاب شديدة الجلاء لدرجة أنها تظلُّ تسمع عُواء إخوتها حتى وهي تستيقظ، وفي مرَّةٍ زعمَت بريا أنها كانت تُزَمجِر في نومها وتتلوَّى تحت الأغطية، فحسبَتها كذبةً سخيفةً إلى أن قالت تاليا الكلام نفسه.

أخبرَت الفتاة نفسها: لا يَجدُر بي أن أحلم أحلام الذِّئاب. إنني الآن قطَّة لا ذئبة، قطَّة القنوات. أحلام الذِّئاب تنتمي إلى آريا سليلة عائلة ستارك، ولكن على الرغم من كلِّ محاوَلاتها ما زالَت لا تستطيع تخليص نفسها من آريا. لا فرق بين نومها تحت المعبد أو في الغُرفة الصَّغيرة تحت الإفريز مع ابنتَي بروسكو، فلم تزل أحلام الذِّئاب تُطارِدها ليلًا... وأحيانًا أحلام أخرى أيضًا.

أحلام الذِّئاب هي الجيِّدة، ففيها تكون سريعةً قويَّةً، تنقضُّ على فرائسها وفي أعقابها قطيعها. الحُلم الآخَر هو ما تكرهه، الحُلم الذي لها فيه ساقان بدلًا من أربع وتمشي متعثِّرةً في أرضٍ يباب ملأى بالأوحال والدِّماء والنِّيران. دائمًا تُمطِر السَّماء في ذلك الحُلم وتسمع صُراخ أمِّها، لكن وحشًا برأس كلبٍ يُعيقها عن الذَّهاب لإنقاذها. في ذلك الحُلم تبكي دومًا كأنها فتاة صغيرة مذعورة. القِطط لا تبكي أبدًا، ولا تبكي الذِّئاب. إنه مجرَّد حُلمٍ سخيف.

أخذَت (القناة الطَّويلة) قارب بروسكو إلى أسفل قباب (قصر الحقيقة) النُّحاسيَّة الخضراء وأبراج عائلتَي پرستاين وآنتاريون الطَّويلة المربَّعة، قبل أن يمرَّ من إحدى قناطر نهر المياه العذبة الرَّماديَّة الهائلة إلى المنطقة المعروفة

باسم (بلدة الغرين)، حيث المباني أصغر حجمًا وأقلُّ فخامةً. في وقتٍ لاحقٍ من النَّهار ستختنق القناة بالقوارب الأفعوانيَّة والصَّنادل، لكن الآن في ظُلمة ما قبل الفَجر لا يتحرَّك في المجرى المائي غيرهم تقريبًا. يحبُّ بروسكو أن يصل إلى سوق الأسماك قبل أن يهدر (المارد) معلنًا شروق الشَّمس ويتردَّد صوته المدوِّي عبر الهَور خافتًا بعيدًا ولكن مسموعًا بما فيه الكفاية لإيقاظ المدينة النَّائمة.

عندما ربطَ بروسكو وابناه القارب عند سوق الأسماك كان المكان يعجُّ بباعة الرِّنجة وأسماك القُد والمحار وأُم الخُلول، وبالوُكلاء والطُّهاة وبائعات الخُردة وبحَّارة القوادس، يُساوِم بعضهم بعضًا بأصواتٍ عالية بينما يفحصون صيد الصَّباح. سارَ بروسكو من قاربٍ إلى قاربٍ ملقيًا نظرةً على الأصداف بأنواعها، وبين الحين والآخَر يَنقُر على برميلٍ أو قفصٍ بعصاه، ويقول: «هذا، نعم». طَق طَق. «هذا». طَق طَق. «لا، ليس هذا. هذا». طَق. قلَّما يتكلَّم بروسكو، وتقول تاليا إن أباها يبخل بكلامه كما يبخل بنقوده. المحار وأُم الخُلول والسَّراطين وبلح البحر والحلزونات وأحيانًا القريدس... يشتري بروسكو كلَّ شيءٍ حسب ما يبدو الأفضل هذا اليوم، وعلى الآخَرين حمل الأقفاص والبراميل التي نقرَ عليها إلى القارب، فبروسكو يُعاني ألمًا في ظَهره ولا يستطيع أن يحمل شيئًا أثقل من دورقٍ من المِزر البنِّي.

دائمًا تفوح من كات رائحة السَّمك والملح لدى بدء رحلة عودتهم إلى البيت، لكنها اعتادَتها تمامًا حتى إنها لم تَعُد تشمُّها تقريبًا، كما أنها لا ترى ما يعيبها في هذا العمل، وعندما تُؤلِمها عضلاتها من الرَّفع أو يتوجَّع ظَهرها من وزن برميلٍ تقول لنفسها إن قوَّتها تزداد.

بمجرَّد تحميل جميع البراميل والأقفاص على القارب دفعَه بروسكو من جديدٍ وعادَ بهم ابناه إلى (القناة الطَّويلة)، في حين جلسَت بريا وتاليا عند المقدِّمة تتهامَسان. تعلم كات أنهما تتكلَّمان عن فتى بريا الذي تتسلَّق إلى سطح المنزل لتُقابله بَعد خلود أبيها إلى النَّوم.

حين أرسلَها إلى المدينة قال لها الرَّجل الطيِّب آمرًا: «تعلَّمي ثلاثة أشياء جديدة قبل أن تعودي إلينا»، وهذا ما تفعله دائمًا. أحيانًا لا يكون ما تتعلَّمه أكثر من ثلاث كلماتٍ جديدة من البراڤوسيَّة، وأحيانًا تعود بحكاياتٍ من

البحَّارة عن الأشياء الغريبة العجيبة الحادثة في العالم الواسع البليل حول (براڤوس)، عن الحروب وأمطار الضَّفادع والتَّنانين الوليدة. أحيانًا تتعلَّم ثلاث دُعاباتٍ جديدة أو ثلاث أحاجي جديدة أو حيل هذه التِّجارة أو غيرها، وكلَّ فترةً طويلة تعرف سِرًّا ما.

(براڤوس) مدينة من الأسرار، مدينة ضبابٍ وأقنعةٍ وهمسات، وجودها ذاته ظَلَّ سِرًّا طيلة قرنٍ كامل كما تعلَّمت الفتاة، وموقعها ظَلَّ خفيًّا ثلاثة أضعاف هذه المدَّة. قال لها الرَّجل الطيِّب: «المُدن التِّسع الحُرَّة بنات (ڤاليريا) التي كانت، لكن (براڤوس) طفلتها النَّغلة التي فرَّت من البيت. نحن شعب هجين، أولاد الرَّقيق والعاهرات واللُّصوص، وأتى أسلافنا من عشرات البلدان إلى هذا الملاذ ليهربوا من سادة التَّنانين الذين استعبَدوهم، ومعهم أتى عشرات الآلهة، لكن هناك إلهًا واحدًا يشتركون فيه جميعًا».

- «هو ذو الوجوه العديدة».

- «والأسماء العديدة. في (كوهور) هو الكبش الأسود، وفي (يي تي) أسد اللَّيل، وفي (وستروس) الغريب. كلُّ البَشر ينحنون له في النِّهاية، سواء أكانوا يَعبُدون الآلهة السَّبعة أم إله الضِّياء أم أُم القمر أم الإله الغريق أم الرَّاعي الأعظم. كلُّ البَشر ينتمون إليه... وإلَّا لكان في مكانٍ ما من العالم قوم يحيون إلى الأبد. هل تعرفين قومًا يحيون إلى الأبد؟».

فتُجيب الفتاة: «لا. كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت».

دومًا تجد كات الرَّجل الطيِّب في انتظارها حينما تعود إلى المعبد فوق الهضبة ليلة اسوداد القمر، ودومًا يسألها: «ما الذي تعلَّمتِه ولم تكوني تعلمينه لمَّا تركتِنا؟».

- «أعلمُ ما يضعه بِكو الضَّرير في الصَّلصة الحارَّة التي يستخدمها مع محاره. أعلمُ أن الممثِّلين في (القنديل الأزرق) سيعرضون (سيِّد الملامح الأليمة) وأن الممثِّلين في (السَّفينة) ينوون الرَّدَّ بـ(سبعة ملَّاحين سكارى). أعلمُ أن بائع الكُتب لوثو لورنل ينام في منزل الرُّبَّان التَّاجر موريدو پرستاين متى خرجَ الرُّبَّان التَّاجر النَّبيل إلى رحلةٍ في البحر، ومتى عادَت سفينته (الثَّعلبة) إلى الوطن غادرَ لوثو».

- «جيِّد أن تعلمي هذه الأشياء. ومَن أنتِ؟».

- «لا أحد».

- «تكذبين. أنتِ كات قطَّة القنوات، إنني أعرفكِ جيِّدًا. اذهبي ونامي أيتها الصَّغيرة، فغدًا عليكِ أن تخدمي».

- «كلُّ البَشر واجبهم الخدمة». وهذا ما تفعله ثلاثة أيام من كلِّ ثلاثين. عندما يسودُّ القمر لا تكون أحدًا، مجرَّد خادمةٍ للإله عديدِ الوجوه ترتدي الأبيض والأسود. تمشي إلى جوار الرَّجل الطيِّب في الظَّلام العطِر حاملةً مصباحها الحديد، وتُغَسِّل الموتى وتفرز ثيابهم وتُحصي مالهم، وأحيانًا تعود إلى مساعَدة أوما في المطبخ مقطِّعةً الفِطر الأبيض الكبير ونازعةً أشواك السَّمك... لكن فقط حين يسودُّ القمر، أمَّا بقيَّة الوقت فهي فتاة يتيمة تنتعل حذاءً ممزَّقًا أكبر من قدميها وترتدي معطفًا بنِّيًّا مهترئ الحاشية، وتصيح: «بلح بحر وحلزون وأُم الخُلول!» بينما تدور بعربتها في (ميناء راجمان).

تعلم أن القمر سيكون أسود اللَّيلة، فليلة أمس لم يكن أكثر من شظيةٍ صغيرة في السَّماء، وما إن يراها الرَّجل الطيِّب سيسألها: «ما الذي تعلَّمتِه ولم تكوني تعلمينه لمَّا تركتِنا؟». أعلمُ أن بريا ابنة بروسكو تلتقي فتًى على السَّطح عندما ينام أبوها. تاليا تقول إن بريا تَترُكه يتحسَّسها مع أنه مجرَّد جرذ سُطوح، والمفترَض أن جميع جرذان السُّطوح لصوص. على أن هذا شيء واحد، وستحتاج كات إلى شيئين آخَرين، لكنها ليست قلقةً، فعند السُّفن أشياء جديدة تتعلَّمها طيلة الوقت.

حين عادوا إلى المنزل ساعدَت كات ابنَي بروسكو على تفريغ القارب من البضائع، وقسَّم بروسكو وابنتاه الأصداف على ثلاث عرباتٍ ورصُّوها على طبقاتٍ من الطَّحالب البحريَّة، ثم قال بروسكو للفتيات كما يفعل كلَّ صباح: «عُدن عندما تبعن كلَّ شيء»، وخرجَت ثلاثتهن يُنادين على الصَّيد. ستذهب بريا بعربتها إلى (الميناء الأرجواني) لتبيع ما معها للبحَّارة البراڤوسيِّين الذين ترسو سُفنهم هناك، وتاليا إلى الأزقَّة المحيطة بـ(بِركة القمر) أو تدور بين المعابد على (جزيرة الآلهة)، في حين اتَّجهت كات إلى (ميناء راجمان) كما تفعل تسعة أيام من كلِّ عشرة.

وحدهم البَراڤوسيُّون من (البلدة الغارقة) و(قصر أمير البحر) مسموح لهم باستخدام (الميناء الأرجواني)، أمَّا السُّفن الآتية من المُدن الثَّمان أخوات

(براڤوس) فتستخدم (ميناء راجمان) الأكثر تواضُعًا واضطرابًا واتِّساخًا، كما أنه أعلى صخبًا أيضًا، إذ يزدحم البحَّارة والتُّجَّار من عشرات البلاد على أرصفته وفي أزقَّته مختلطين بمَن يخدمونهم ويحتالون عليهم. إنه أكثر مكانٍ تحبُّه كات في (براڤوس)، إذ تحلو لها الضَّوضاء والرَّوائح الغريبة ورؤية السُّفن التي وصلَت مساء أمس ومعرفة تلك التي أقلعَت. يروقها البحَّارة أيضًا؛ التايروشيُّون المجعجِعون بأصواتهم الجهوريَّة وشواربهم المصبوغة، واللايسينيُّون الشُّقر الذين يُحاوِلون دومًا بخس أسعارها، لكنها تُفَضِّل بني (جُزر الصَّيف) ببشرتهم الملساء القاتمة كخشب السَّاج، الذين يرتدون معاطف من الرِّيش الأحمر والأخضر والأصفر ويركبون سُفنًا بجعيَّةً رائعةً طويلة الصَّواري بيضاء القلوع.

وأحيانًا تُقابِل وستروسيِّين أيضًا، بحَّارةً وملَّاحين من قراقير (البلدة القديمة)، والقوادس التِّجاريَّة من (وادي الغسق) و(كينجز لاندنج) و(بلدة النَّوارس)، وأكواج النَّبيذ كبيرة البطون من (الكرمة). تعرف كات المُرادفات البراڤوسيَّة لبلح البحر والحلزون وأُم الخُلول، غير أنها تُنادي على بضاعتها في (ميناء راجمان) بلُغة التِّجارة، لُغة الأرصفة والمراسي وحانات البحَّارة، وهي فوضى خشنة من الكلمات والجُمل من لغاتٍ عدَّة تصحبها إشارات وإيماءات أكثرها مهين، وتلك أكثر ما يروق كات. أيُّ رجلٍ يُضايِقها من شأنه أن يرى التِّينة أو يسمع نفسه يُوصَف بقضيب الحمار أو فرج النَّاقة. «ربما لم أرَ ناقةً من قبل، لكنني أعرفُ فرج النَّاقة حين أشمُّه».

كلَّ فترةً طويلة يُغضِب قول كهذا أحدهم، لكنها تكون جاهزةً بسكِّينها الرَّفيع الذي تُحافِظ على حدَّته الشَّديدة وتعرف كيف تستخدمه أيضًا، كما أراها روجو الأحمر ذات أصيلٍ في (الميناء السَّعيد) بينما ينتظر فروغ لانا. علَّمها روجو كيف تُخَبِّئه في كُمِّها وتُخرِجه عندما تحتاج إليه، وكيف تشقُّ كيس نقودٍ بنعومةٍ وسُرعةٍ تُسقِطان منه العُملات كلَّها قبل أن يلحظ صاحِبها. مفيد أن تتعلَّم هذا -كما أكَّد الرَّجل الطيِّب نفسه- لا سيَّما ليلًا حين يَخرُج مُبارزو البراڤو وجرذان السُّطوح.

كوَّنت كات صداقاتٍ على الأرصفة، وأصدقاؤها عتَّالون وممثِّلون وصُنَّاع حبال ومُصلحو أشرعة وأصحاب حانات وخمَّارون وخبَّازون

وشحَّاذون وعاهرات. منها يشترون أُم الخُلول والحلزون، ولها يحكون قِصصًا حقيقيَّةً عن (براڤوس) وأكاذيب عن حيواتهم، ويضحكون من نُطقها عندما تُحاوِل أن تتكلَّم البراڤوسيَّة، لكنها لا تدع هذا يُزعِجها أبدًا، وبدلًا من ذلك تُريهم التِّينة وتقول لهم إنهم فروج نوق، وهو ما يجعل ضحكهم يُدَوِّي أكثر. علَّمها جايلورو دوثار أغاني بذيئة، وأخبرَها أخوه جايلينو بأفضل البقاع لصيد ثعابين الماء، وأراها ممثِّلو (السَّفينة) كيف يقف البطل ولقَّنوها خطاباتٍ من (أغنيَّة الروين) و(الفاتِح وزوجتاه) و(سيِّدة التَّاجر الشَّبقة)، وعرضَ عليها كويل -الرَّجل الصَّغير حزين العينين الذي يُؤَلِّف المسرحيَّات الهزليَّة البذيئة لـ(السَّفينة)- أن يُعَلِّمها كيف تُقَبِّل النِّساء، لكن تاجانارو لطمَه بسمكة قُد ووضعَ نهايةً لهذا، بينما علَّمها كوزومو الحاوي خفَّة اليد. يستطيع كوزومو أن يبتلع الفئران ويُخرِجها من أُذنيه قائلًا: «إنه السِّحر»، فتردُّ كات: «لا، الفأر كان في كُمِّك طوال الوقت. لقد رأيته يتحرَّك».

«محار وأُم الخُلول وحلزون» الكلمات السِّحريَّة، وككلِّ الكلمات السِّحريَّة الجيِّدة فمن شأنها أن تأخذها إلى أيِّ مكانٍ تقريبًا. لقد صعدَت إلى متون سُفنٍ من (لِيس) و(البلدة القديمة) و(ميناء إيبن) وباعَت محارها على سطوحها، وفي بعض الأيام تمرُّ بعربتها على بروج الأثرياء وتعرض أُم الخُلول المخبوزة على الحَرس الواقفين على الأبواب، وفي مرَّةٍ نادَت على بضاعتها على درجات (قصر الحقيقة)، ولمَّا حاولَ بائع متجوِّل آخَر أن يَطرُدها قلبَت عربته وبعثرَت محاره على الأرض. يشتري منها مأمورو الجمارك في (المرفأ المربَّع)، وكذا مجذِّفو (البلدة الغارقة) الذين تَبرُز قبابهم وأبراجهم المغمورة من مياه الهَور الخضراء، وفي مرَّةٍ عندما أرقدَ النَّزيف القمري بريا في فِراشها دفعَت كات عربتها إلى (الميناء الأرجواني) لبيع السَّراطين والقريدس لملَّاحي قارب نُزهة أمير البحر المغطَّى من أقصاه إلى أقصاه برسوم الوجوه الضَّاحكة، وفي أيامٍ أخرى تتَّبع نهر المياه العذبة إلى (بِركة القمر)، حيث تبيع لمُبارزي البراڤو المختالين في حريرهم المخطَّط وحمَلة المفاتيح والقُضاة الذين يرتدون المعاطف البنِّيَّة والرَّماديَّة الباهتة، لكنها دومًا تعود إلى (ميناء راجمان).

«محار وأُم الخلول وحلزون!»، صاحَت الفتاة دافعةً عربتها على الأرصفة.

«بلح بحر وقريدس وحلزون!». جاءَت قطَّة بُرتقاليَّة متَّسخة تمشي وراءها وقد اجتذبَها الصِّياح، وبَعد مسافةٍ ظهرَت قطَّة ثانية، واحدة رماديَّة حزينة ممرَّغة بالأوساخ ذيلها قصير. تحبُّ القِطط رائحة كات، وفي بعض الأيام تجد دستةً منها ماشيةً وراءها قبل مغيب الشَّمس. من حين إلى آخَر تُلقي لها كات محارةً وتُشاهِد لترى مَن يظفر بها، وقد لاحظَت أن أكبر القِططة حجمًا نادرًا ما يربح، وغالبًا تذهب الغنيمة إلى القِطط الأصغر الأسرع بنحولها وشراستها وجوعها. مِثلي. قِطُّها المفضَّل عجوز له أُذن مقضومة يُذَكِّرها بقِطٍّ آخَر اعتادَت مطارَدته ذات يومٍ في (القلعة الحمراء). لا، كانت تلك فتاةً ما أخرى ليست أنا.

رأت كات أن سفينتين من التي كانت هناك البارحة رحلَتا، لكن خمسًا جديدات جئن، هي قرقور صغير اسمه (القرد النُّحاسي)، وسفينة صيد حيتان إيبنيزيَّة تفوح منها روائح القطران والدَّم وزيت الحيتان، وكوجان باليان من (پنتوس)، وقادس أخضر رشيق من (ڤولانتيس القديمة). توقَّفت كات عند قدم كلِّ لوح عبورٍ تُنادي على أُم الخُلول والمحار، مرَّةً بلُغة التِّجارة ومرَّةً بعاميَّة (وستروس). سبَّها أحد أفراد الطَّاقم على سفينة صيد الحيتان بصوتٍ مدوٍّ أخافَ قِططها، وسألَها أحد الملَّاحين الپنتوشيِّين كم تُريد مقابل المحارة التي بين ساقيها، لكنها وجدَت حظًّا أفضل عند السُّفن الأخرى، والتهمَ مساعد رُبَّان على متن القادس الأخضر نِصف دستةٍ من المحار وحكى لها كيف قتلَ القراصنة اللايسينيُّون الرُّبَّان عندما حاوَلوا الاستيلاء على سفينتهم قُرب (الأعتاب)، وأضافَ: «كان ذلك الوغد سان ومعه (ابن الأُم العجوز) وسفينته الكبيرة (ڤاليريان). لقد فررنا منهم، ولكن بالكاد».

اتَّضح أن القرقور الصَّغير (القرد النُّحاسي) من (بلدة النَّوارس)، وقد سعدَ طاقمه الوستروسي للكلام مع أحدٍ باللُّغة العاميَّة. سألَها أحدهم عمَّا أفضى بفتاةٍ من (كينجز لاندنج) إلى بيع بلح البحر على أرصفة الموانئ في (براڤوس)، فقصَّت عليهم حكايتها، وقال لها واحد آخَر: «سنبقى هنا أربعة أيام وأربع ليالٍ طويلة. أين يجد المرء القليل من التَّسلية؟».

أخبرَتهم كات: «الممثِّلون في (السَّفينة) سيُقَدِّمون (سبعة ملَّاحين سكارى)، وهناك عراك ثعابين الماء في (القبو المرقَّط) عند بوَّابة (البلدة

الغارقة)، أو إذا أردتم فيُمكنكم الذَّهاب عند (بِركة القمر) حيث يتنازَل مُبارزو البراڤو ليلًا».

قال بحَّار آخَر: «نعم، لا بأس بهذا، لكن ما يُريده وات حقًّا هو امرأة».

- «أفضل العاهرات في (الميناء السَّعيد)، حيث ترسو (السَّفينة)»، وأشارَت في اتِّجاه المكان. بعض عاهرات أرصفة المواني متوحِّشات، وأحيانًا لا يدري البحَّارة الآتون لتوِّهم من البحر من منهن كذلك. سڤرون أسوأهن، ويقول الجميع إنها سرقَت وقتلَت دستةً من الرِّجال ودحرجَت جُثثهم إلى القنوات لتُطعِم ثعابين الماء، والابنة السِّكِّيرة ليِّنة العريكة عندما تكون مفيقةً فقط وليس حين تشرب، وچاين القُرحة في الحقيقة رجل. «اسألوا عن مِري. اسمها الحقيقة ميرالين، لكن الكلّ يدعوها بمِري، وهي مرحة حقًّا». تشتري مِري دستةً من المحار كلَّما ذهبَت كات إلى الماخور وتتقاسَمه مع فتياتها، ويتَّفق الجميع على طيبة قلبها، «ثم إن لي أكبر ثديين في (براڤوس) كلِّها»، كما يحلو لمِري نفسها أن تتباهى.

فتياتها أيضًا لطيفات؛ بِثاني الخجول وزوجة البحَّار، ويانا ذات العين الواحدة التي ترى مستقبَلك في قطرةٍ من الدَّم، ولانا الصَّغيرة الحسناء، وحتى آسادورا الإيبنيزيَّة ذات الشَّارب. ربما لا يكن جميلات حقًّا، لكنهن يترفَّقن بها. أكَّدت كات لرجال (القرد النُّحاسي) قائلةً: «كلُّ العتَّالين يذهبون إلى (الميناء السَّعيد). مِري تقول: الفتيان يُفرِغون أحمال السُّفن وفتياتي يُفرِغن أحمال من يُبحِرون بها».

- «وماذا عن العاهرات الممتازات اللاتي يُغَنُّون عنهن؟»، سألَها أصغر القِردة، صبيٌّ أحمر الشَّعر منمَّش الوجه لا يُمكن أن تزيد سِنُّه على السَّادسة عشرة. «أهن جميلات كما يقولون؟ أين أجدُ واحدةً منهن؟».

نظرَ إليه رفاقه البحَّارة وضحكوا، وقال أحدهم: «بحقِّ الجحائم السَّبع يا فتى، ربما يستطيع الرُّبَّان أن يَحصُل لنفسه على محظيَّة، لكن فقط إذا باعَ السَّفينة اللَّعينة. هذا النَّوع من الفروج للوردات وأمثالهم وليس لنا».

محظيَّات (براڤوس) شهيرات في جميع أنحاء العالم، يُغَنِّي عنهن المطربون، ويُغدِق عليهن الصَّاغة وصُنَّاع الجواهر بالهدايا، ويتوسَّل الحِرفيُّون شَرف أن يكن زبائنهم، ويدفع الأمراء التُّجَّار أسعارًا فلكيَّةً كي يتأبَّطن أذرعهم

في الحفلات والمآدب وعروض الممثِّلين، ويَقتُل بعض مُبارزي البراڤو بعضًا باسمهن. أحيانًا بينما تدفع عربتها بطول القنوات تلمح كات إحداهن مارَّةً في قاربٍ أو في طريقها إلى أمسيَّةٍ مع عشيقٍ ما. لكلِّ محظيَّةٍ صندلها الخاص وخدمها الذين يُبحِرون بها إلى مواعيدها. الشَّاعرة في يدها كتاب دومًا، وظِلُّ القمر لا ترتدي إلَّا الأبيض والفضِّي، وملكة البحار لا تُرى أبدًا من دون وصيفاتها عرائس البحر، أربع عذراوات في ريعان الإزهار يحملن ذيل فُستانها ويُصَفِّفن شَعرها. كلُّ محظيَّةٍ أروع جَمالًا من الأخرى، وحتى الليدي الملثَّمة جميلة، وإن كان من تتَّخذهم عُشَّاقًا فقط يرون وجهها.

قالت كات للبحَّارة: «بعتُ ثلاثة حلزونات لمحظيَّة. نادَتني وهي تنزل من صندلها». كان بروسكو قد شدَّد عليها ألَّا تُخاطِب أيَّ محظيَّةٍ ما لم تُبادِرها المحظيَّة بالكلام أولًا، لكن المرأة ابتسمَت لها ونقدَتها أجرها فضَّةً تفوق قيمة الحلزونات بعشرة أضعاف.

- «مَن هي؟ ملكة الحلزونات؟».

أجابَتهم: «اللُّؤلؤة السَّوداء». تدَّعي مِري أن اللُّؤلؤة السَّوداء أشهر المحظيَّات جميعًا، وقالت المرأة لكات: «إنها سليلة التَّنانين. اللُّؤلؤة السَّوداء الأولى كانت ملكةً قُرصانةً اتَّخذها أمير وستروسي عشيقةً وأنجبَ منها ابنةً كبرَت لتُصبِح محظيَّةً، ثم تبعَتها ابنتها وابنة ابنتها، وهكذا دواليك حتى اللُّؤلؤة السَّوداء الحاليَّة. ماذا قالت لكِ يا كات؟».

ردَّت الفتاة: «قالت: سآخذُ ثلاثة حلزونات، وسألَتني: هل معكِ صلصة حارَّة أيتها الصَّغيرة؟».

- «وماذا قلتِ؟».

- «قلتُ: لا يا سيِّدتي، ولا تُناديني بالصَّغيرة، إن اسمي كات. المفترَض أن تكون معي صلصة حارَّة. بِكو معه، ويبيع ثلاثة أضعاف ما يبيعه بروسكو من المحار».

حكَت كات عن اللُّؤلؤة السَّوداء للرَّجل الطيِّب أيضًا، وقالت له: «اسمها الحقيقي بيليجير أوثيريس». كان هذا واحدًا من الأشياء الثَّلاثة التي تعلَّمتها.

قال الكاهن برفق: «صحيح. أمُّها كانت بيلونارا، لكن اللُّؤلؤة السَّوداء الأولى كان اسمها بيليجير أيضًا».

على أن كات تعرف أن رجال (القرد النُّحاسي) لن يأبهوا لاسم أُمٍّ محظيَّة، وبدلًا من ذلك سألَتهم عن أخبار (الممالك السَّبع) والحرب.

أجابَ أحدهم ضاحكًا: «الحرب؟ أيُّ حرب؟ ليست هناك حرب».

وقال آخَر: «ليس في (بلدة النَّوارس) وليس في (الوادي). اللورد الصَّغير أبقانا بمنأى عنها مِثلما فعلَت أمُّه».

مِثلما فعلَت أمُّه. سيِّدة (الوادي) أخت أمِّها. «الليدي لايسا. هل...».

– «... ماتَت؟»، أنهى الفتى ذو النَّمش الممتلئ رأسه بالمحظيَّات سؤالها. «نعم، قتلَها مغنِّيها».

– «أوه». لا يعني الأمر لي شيئًا. قطَّة القنوات لم تكن لها خالة قَطُّ. رفعَت كات عربتها ودفعَتها بعيدًا عن (القرد النُّحاسي) لتهتزَّ على حجارة الرَّصف، ونادَت: «محار وأُم الخُلول وحلزون! محار وأُم الخُلول وحلزون!». باعَت أكثر ما معها من أُم الخُلول للعتَّالين الذين يُفرِغون حمولة كوج النَّبيذ الكبير الآتي من (الكرمة)، والبقيَّة للرِّجال الذين يُصلِحون قادسًا تجاريًّا من (مير) دكَّته العواصف.

على مسافةٍ أبعد على الرَّصيف وجدَت تاجانارو جالسًا مسندًا ظَهره إلى دعامةٍ إلى جوار كاسو ملك الفقمات، وابتاعَ منها الرَّجل بعض بلح البحر، ونبحَ كاسو وتركَها تهزُّ زعنفته. استحثَّها تاجانارو قائلًا وهو يمتصُّ بلح البحر من الصَّدف: «تعالي واعملي معي يا كات». إنه يبحث عن شريكٍ جديد منذ غرسَت الابنة السِّكِّيرة سكِّينها في يد ناربو الصَّغير. «سأنقدكِ أجرًا أكثر من بروسكو ولن تكون رائحتك كالسَّمك».

ردَّت: «كاسو يحبُّ رائحتي»، ونبحَ ملك الفقمات كأنه موافق. «ألم تتحسَّن يد ناربو؟».

قال تاجانارو متذمِّرًا بين بلحتين: «ثلاثة من أصابعه لا تنثني. ما فائدة نشَّالٍ لا يستطيع استخدام أصابعه؟ ناربو كان بارعًا في النَّشل وليس كذلك في اختيار العاهرات».

– «مِري تقول المِثل». شعرَت كات بالحُزن. لقد أحبَّت ناربو الصَّغير على الرغم من كونه لصًّا. «ماذا سيفعل؟».

– «يقول إنه سيعمل على مجذاف. يظنُّ أن إصبعين كافيان لهذا، وأمير

البحر يبحث دائمًا عن ملَّاحين جُدد. قلتُ له: لا يا ناربو، هذا البحر أبرد من عذراء وأقسى من عاهرة. أفضل لك أن تقطع يدك وتتسوَّل. كاسو يعرف أنني محقٌّ، أليس كذلك يا كاسو؟».

نبحَ كلب البحر وابتسمَت كات، وألقَت له حلزونًا آخَر قبل أن تذهب في حال سبيلها.

كان النَّهار قُرب آخِره عندما بلغَت كات (الميناء السَّعيد) قُبالة مرسى (السَّفينة)، وقد جلسَ عدد من الممثِّلين أعلى السَّفينة الضَّخمة المائلة يُمَرِّرون قِربة نبيذٍ من يدٍ إلى يد، لكن حين رأوا عربة كات نزلوا ليشتروا بعض المحار. سألَتهم عن أخبار عرض (سبعة ملَّاحين سكارى)، فهَزَّ چوس المكتئب رأسه مجيبًا: «كوينس ضبطَ آلاكو في الفِراش مع سلوي أخيرًا، وتبارزَ الاثنان بسيفَي ممثِّلين ثم تركانا. يبدو أننا سنكون خمسة ملَّاحين سكارى فقط اللَّيلة».

أعلنَ ميرملو: «سنَبذُل قصارى جهدنا لنُعَوِّض غياب الملَّاحيْن بالسُّكر. أنا عن نفسي قادر على هذا».

أخبرَتهم كات: «ناربو الصَّغير يُريد أن يكون ملَّاحًا. إذا حصلتهم عليه تُصبِحون ستَّةً».

قال لها چوس: «الأفضل أن تذهبي إلى مِري. تعلمين كيف تكون عندما لا تأكل المحار».

لكن حين دخلَت كات الماخور وجدَت مِري جالسةً بعينين مغمضَتين تُصغي إلى داريون الذي يعزف على قيثارته الخشبيَّة. كانت يانا موجودةً أيضًا، تُضَفِّر شَعر لانا الذَّهبي الطَّويل الجميل. أغنيَّة حُبٍّ سخيفة أخرى. دائمًا تتوسَّل لانا إلى المطرب أن يُغَنِّي لها أغاني الحُبِّ السَّخيفة. إنها أصغر العاهرات سِنًّا، في الرَّابعة عشرة فقط، وتعلم كات أن مِري تَطلُب مقابلها ثلاثة أضعاف ما تَطلُبه ثَمنًا للفتيات الأخريات.

أغضبَتها رؤية داريون الجالس هناك مختالًا، يرمي لانا بنظرات الشَّهوة بينما تتراقَص أصابعه على أوتار القيثارة. تُسَمِّيه العاهرات المغنِّي الأسود، مع أن السَّواد يكاد يغيب عنه تمامًا الآن، فبالمال الذي يجنيه من غنائه حوَّل الغُراب نفسه إلى طاووس. اليوم يرتدي معطفًا مترفًا من المخمل المبطَّن

بالفرو وسُترةً مخطَّطةً بالأبيض والأرجواني الفاتح وسراويل مُبارزي البراڤو المبرقشة، لكنه يملك معطفًا حريريًّا أيضًا، وواحدًا من المخمل الخمري المبطَّن بقُماش الذَّهب. الأسود الوحيد في ثيابه حذاؤه، وسمعَته كات يقول للانا إنه ألقى البقيَّة كلَّها في قناة، وأعلنَ: «لقد ضقتُ ذرعًا بالظَّلام».

بينما يُغَنِّي داريون عن ليدي سخيفة ألقَت نفسها من فوق بُرجٍ سخيف لأن أميرها السَّخيف ماتَ فكَّرت الفتاة: إنه رجل في حَرس اللَّيل. المفترَض أن تذهب الليدي وتَقتُل من قتَلوا أميرها وأن يكون المغنِّي على (الجِدار). مع بداية تردُّد داريون إلى (الميناء السَّعيد) كادَت آريا تسأله أن يأخذها معه وهو عائد إلى (القلعة الشَّرقيَّة)، ثم إنها سمعَته يُخبِر بِثاني بأنه لن يعود أبدًا، ويقول: «أسرَّة صُلبة وسَمك قُد مملَّح وحراسة بلا نهاية، هذا هو (الجِدار). ثم إن (القلعة الشَّرقيَّة) ليست فيها واحدة بنِصف جَمالكِ. كيف يُمكنني أن أتركِكِ؟». سمعَته كات يقول الكلام نفسه للانا، ولواحدةٍ من عاهرات (المَقطَطة)، بل وللعندليب ليلة غنَّى في (دار القناديل السَّبعة).

ليتني كنتُ هنا يوم ضربَه السَّمين. ما زالَت الحادثة تُضحِك عاهرات مِري، وتقول يانا إن الصَّبي السَّمين احمرَّ كالبنجر كلَّما لمسَته، لكن حين بدأ يُثير المتاعب جعلَتهم مِري يجرُّونه إلى الخارج ويُلقونه في القناة.

كانت كات تُفكِّر في الصَّبي السَّمين وتتذكَّر إنقاذها إياه من تيرو وأوربيلو عندما وجدَت زوجة البحَّار إلى جوارها تُغَمغِم بنعومةٍ بعاميَّة (وستروس): «يُغَنِّي أغاني جميلةً. لا بُدَّ أن الآلهة تحبُّه ما دامَت أنعمَت عليه بهذا الصَّوت وهذا الوجه الوسيم».

فكَّرت آريا: إنه وسيم الوجه وقبيح القلب، لكنها لم تقلها. في مرَّةٍ تزوَّج داريون زوجة البحَّار التي لا تُضاجِع إلَّا من يتزوَّجونها. أحيانًا يشهد (الميناء السَّعيد) ثلاثة أو أربعة زفافاتٍ في اللَّيلة، وغالبًا ما يُؤَدِّي الرَّاهب الأحمر البشوش السِّكِّير إزيلينو الطُّقوس، وإن لم يكن هو فإيوستس الذي كان في الماضي سِپتون في (سِپت ما وراء البحر)، وفي حال غياب الرَّاهب والسِّپتون تهرع إحدى العاهرات إلى (السَّفينة) لتأتي بأحد الممثِّلين. دائمًا تَزعُم مِري أن الممثِّلين رُهبان أفضل من الرُّهبان، خصوصًا ميرملو.

الزِّفافات صاخبة مرحة وتتدفَّق فيها أنهار النَّبيذ، وكلَّما تمرُّ كات في أثناء

أحدها بعربتها تصرُّ زوجة البحَّار على أن يبتاع زوجها الجديد بعض المحار لتقويته من أجل إتمام الزِّيجة. إنها فتاة طيِّبة ضحوك، وإن خطرَ لكات أن فيها شيئًا من الحُزن أيضًا.

تقول العاهرات الأخريات إن زوجة البحَّار تزور (جزيرة الآلهة) في أيام إيناع زهرتها وتعرف كلَّ الآلهة المقيمة هناك، بما فيها تلك التي نسيَتها (براڤوس). يقلن إنها تذهب للصَّلاة من أجل زوجها الأول، زوجها الحقيقي الذي ضاعَ في البحر حين كانت فتاةً في سِنِّ لانا، وقالت يانا العوراء التي تعرفها منذ فترةٍ أطول من الأخريات: «تظنُّ أنها إذا وجدَت الإله السَّليم فسيُرسِل الرِّيح لتدفع إليها بحبيبها القديم، لكنني أصلِّي ألَّا يَحدُث هذا أبدًا. لقد ماتَ حبيبها وتذوَّقتُ هذا في دمها. إذا عادَ إليها فسيعود جثَّةً».

كانت أغنيَّة داريون في نهايتها أخيرًا، وإذ تلاشَت النَّغمات الأخيرة في الهواء تنهَّدت لانا ووضعَ المغنِّي قيثارته جانبًا وجذبَ الفتاة إلى حِجره، وما إن بدأ يُدَغدِغها حتى رفعَت كات صوتها قائلةً: «معي محار إذا كان أحد يُريد»، فانفتحَت عينا مِري من فورها، وقالت: «عظيم. هاتيه أيتها الصَّغيرة. يانا، أحضِري الخُبز والخل».

حين خرجَت كات من (الميناء السَّعيد) ومعها صُرَّة ممتلئة بالنُّقود وعربة خالية إلَّا من الملح والطَّحالب كانت الشَّمس الحمراء المنتفخة عالقةً في السَّماء وراء صَفٍّ من الصَّواري. خرجَ معها داريون أيضًا، إذ كان قد وعدَ بالغناء في الخان المسمَّى (ثُعبان الماء الأخضر) هذا المساء، كما قال لها وهما يمشيان جنبًا إلى جنب، وأضافَ متباهيًا: «كلَّما غنَّيتُ هناك أعودُ بالفضَّة، وفي بعض اللَّيالي يحضر ربابنة ومُلَّاك». عبرا الجسر الصَّغير وشقَّا طريقهما في شارعٍ خلفي ملتوٍ وقد بدأت الظِّلال تستطيل، وواصلَ داريون: «قريبًا سأغنِّي في (الميناء الأرجواني)، وبَعده في (قصر أمير البحر)». كانت عربة كات تُقعقِع على حجارة الرَّصف مصدرةً موسيقاها الخاصَّة، والمغنِّي يُتابِع: «البارحة أكلتُ الرِّنجة مع العاهرات، لكن خلال عامٍ سآكلُ السَّراطين الإمبراطوريَّة مع المحظيَّات».

قالت كات: «ماذا حدثَ لأخيك؟ ذلك السَّمين، هل وجدَ سفينةً ذاهبةً إلى (البلدة القديمة)؟ قال إنه كان من المفترَض أن يُبحِر على متن (الليدي أوشانورا)».

- «كلُّنا كذلك. إنه أمر اللورد سنو. قلتُ لسام أن يَترُك العجوز، لكن الأحمق البدين لم يُصغِ»، والتمعَ ضوء الشَّمس الغاربة الأخير في شَعر داريون إذ أضافَ: «فاتَ أوان ذلك».

قالت كات إذ خطوَا إلى عتمة زُقاقٍ صغير ملتوٍ: «بالضَّبط».

لدى عودتها إلى منزل بروسكو كان ضباب المساء يحتشد فوق القناة الصَّغيرة. ركنَت عربتها ووجدَت بروسكو في حُجرته، وبقوَّةٍ وضعَت صُرَّة النُّقود على الطَّاولة أمامه، ثم إنها وضعَت الحذاء أيضًا.

ربَّت بروسكو على الصُّرَّة، ثم قال: «عظيم، لكن ما هذا؟».

- «حذاء».

قال بروسكو: «العثور على الأحذية الجيِّدة صعب، لكن هذا صغير للغاية على قدمَي»، ورفعَ فردةً وزَرَّ عينيه يتفحَّصها.

- «القمر سيكون أسود اللَّيلة».

رَدَّ بروسكو: «خيرٌ لكِ أن تذهبي للصَّلاة إذن»، وأزاحَ الحذاء جانبًا وصَبَّ العُملات ليُحصيها مضيفًا: «ڤالار دوهايرِس».

ڤالار مورجولِس.

ارتفعَ الضَّباب من كلِّ جهةٍ حولها بينما تقطع شوارع (براڤوس)، ولدى دخولها من مصراع باب (دار الأبيض والأسود) المنحوت من خشب الويرِوود كانت ترتجف بعض الشَّيء. شموع قليلة مشتعلة هذا المساء، يتذبذَب لهبها كالشُّهب، وفي الظَّلام كلُّ الآلهة غُرباء.

في الأقبية حلَّت معطف كات المهترئ وخلعَت سُترة كات البنِّيَّة ذفرة الرَّائحة وركلَت حذاء كات المبقَّع بالملح وتجرَّدت من ثياب كات الدَّاخليَّة، ثم استحمَّت بالماء واللَّيمون لتغسل عن جسدها رائحة قطَّة القنوات، وحين خرجَت وقد نظَّفت نفسها بالصَّابون وفركَت جِلدها حتى تورَّد والتصقَ شَعرها بوجنتيها لم تَعُد كات موجودةً. ارتدَت ثوبًا نظيفًا وانتعلَت خُفَّين ناعمين من القُماش، ثم ذهبَت إلى المطبخ لتَطلُب القليل من الطَّعام من أوما. كان الكهنة والمُعاونون قد أكلوا بالفعل، لكن الطَّاهية أبقَت لها قطعةً من سَمك القُد المحمَّر اللَّذيذ والقليل من اللِّفت الأصفر المهروس. التهمَت طعامها بنهم وغسلَت الطَّبق، ثم ذهبَت تُعاوِن اللَّقيطة على إعداد عقاقيرها.

أغلب دَورها إحضار ما تَطلُبه اللَّقيطة، فتصعد سُلَّمًا لتجد الأعشاب

وأوراق الأشجار. قالت لها اللَّقيطة وهي تطحن القليل منها في الهاون: «حُلو الكرى ألطف السُّموم. بضع حبَّات تجعل نبضات القلب السَّريعة تتباطأ وتُوقِف اليد عن الارتجاف وتجعل المرء يَشعُر بالهدوء والقوَّة. رشَّة واحدة تمنح المرء ليلةً من النَّوم العميق بلا أحلام، وثلاث رشَّات تجلب النَّوم الذي لا ينتهي أبدًا. الطَّعم حُلو للغاية، ولذا فمن الأفضل استخدامه في الكعك والفطائر والخمور المحلَّاة بالعسل. هاكِ، يُمكنكِ أن تشمِّي رائحته الحُلوة»، وتركَتها تتشمَّم ثم أرسلَتها تصعد السُّلَّم لتجد قارورةً زُجاجيَّةً حمراء. «هذا سُمٌّ أقسى، لكنه بلا طعم أو رائحة، ومن ثَمَّ إخفاؤه أسهل. يُسَمُّونه دموع لِيس، ويُذَوَّب في النَّبيذ أوَ الماء ليجعل أمعاء المرء ومعدته تتآكَل ويَقتُله كأنه مرض في هذه الأعضاء. تشمَّميه»، فتنشَّقت آريا ولم تشمَّ شيئًا. ثم إن اللَّقيطة وضعَت الدُّموع جانبًا وفتحَت جرَّةً حجريَّةً منتفخةً قائلةً: «هذا المعجون متبَّل بدماء البازيليسق، يُعطي اللَّحم المطبوخ رائحةً مشهِّيةً، لكن إذا أُكِلَ أفضى إلى جنونٍ عنيف في الإنسان والحيوان. ستجدين الفأر يُهاجِم الأسد إذا ذاقَ دماء البازيليسق».

مضغَت آريا شفتها متسائلةً: «هل يَصلُح مع الكلاب؟».

أجابَت اللَّقيطة: «مع كلِّ حيوان حار الدِّماء»، وصفعَتها.

رفعَت يدها إلى وجهها شاعرةً بالدَّهشة أكثر من الألم، وقالت: «لماذا فعلتِ هذا؟».

– «آريا سليلة عائلة ستارك هي مَن تَمضُغ شفتها متى فكَّرت. هل أنتِ آريا سليلة عائلة ستارك؟».

ردَّت غاضبةً: «أنا لا أحد. مَن أنتِ؟».

لم تتوقَّع أن تُجيبها اللَّقيطة، لكنها فعلَت. «وُلِدتُ طفلةً وحيدةً في عائلةٍ عريقة وكنتُ وريثة أبي النَّبيل. ماتَت أمِّي في صِغري ولا أذكرها، وحين كنتُ في السَّادسة تزوَّج أبي ثانيةً، وعاملَتني زوجته الجديدة بطيبةٍ إلى أن أنجبَت ابنةً من لحمها ودمها، وعندها أرادَتني أن أموت كي ترث ابنتها ثروة أبي. كانت لتسعى إلى عطيَّة الإله عديد الوجوه، ولكنها لم تتحمَّل التَّضحية التي كان ليَطلُبها منها، وبدلًا من ذلك خطرَ لها أن تُسَمِّمني بنفسها. تركَني السُّمُّ كما ترينني الآن لكنني لم أمُت، ولمَّا أخبرَ المُعالجون في (بيت الأيدي الحمراء) أبي بما فعلَته جاءَ هنا وقدَّم قُربانًا، عارضًا ثروته بأكملها ومعها أنا،

وأجابَ هو ذو الوجوه العديدة دُعاءه وجيءَ بي إلى المعبد لأخدم، وتلقَّت زوجة أبي الهديَّة».

تفرَّست آريا فيها بحذرٍ سائلةً: «أهذه حكاية حقيقيَّة؟».

- «فيها حقيقة».

- «وأكاذيب أيضًا؟».

- «هناك نقيض للحقيقة، وهناك مبالَغة».

كانت تُراقِب وجه اللَّقيطة طيلة الوقت وهي تحكي قِصَّتها، إلَّا أن أمارةً لم تظهر على وجه الفتاة الأخرى. قالت لها: «الإله عديد الوجوه أخذَ ثُلثَي ثروة أبيكِ وليس كلَّها».

- «بالضَّبط، هذه هي المبالَغة».

ارتسمَت على وجه آريا ابتسامة عريضة، ثم إنها أدركَت أنها تبتسم فقرصَت وجنتها، وقالت لنفسها: تحكَّمي في وجهكِ. ابتسامتي خادمتي، ويجب أن تأتي بأمري فقط. «وما الكذبة؟».

- «لا كذبة. لقد كذبتُ بشأن الكذب».

- «حقًّا؟ أم أنكِ تكذبين الآن؟».

لكن قبل أن تُجيبها اللَّقيطة دخلَ الرَّجل الطيِّب الحُجرة مبتسمًا، وقال: «عُدتِ إلينا».

- «القمر أسود».

- «نعم. ما الأشياء الثَّلاثة الجديدة التي تعلَّمتِها ولم تكوني تعلمينها لمَّا تركتِنا؟».

كادَت تقول: أعلمُ ثلاثين شيئًا جديدًا، وأجابَت: «ثلاثة من أصابع ناربو الصَّغير لا تنثني، ويُريد أن يُصبِح ملَّاحًا».

- «جيِّد أن تعلمي هذا. وماذا أيضًا؟».

استرجعَت أحداث يومها في رأسها، ثم قالت: «كوينس وآلاكو تشاجَرا وتركا (السَّفينة)، لكني أظنُّ أنهما سيعودان».

- «تظنِّين فقط أم تعلمين؟».

قالت مضطرَّةً على الرغم من يقينها: «أظنُّ فقط». الممثِّلون يحتاجون إلى كسب رزقهم كغيرهم، وكوينس وآلاكو لا يَصلُحان كفايةً لـ(القنديل الأزرق).

قال الرَّجل الطيِّب: «بالضَّبط. والشَّيء الثَّالث؟».

هذه المرَّة أجابَت بلا تردُّد: «داريون ماتَ، المغنِّي الأسود الذي ينام في (الميناء السَّعيد). كان متهرِّبًا من حَرس اللَّيل في الحقيقة. أحدهم ذبحَه وألقاه في القناة، لكنه احتفظَ بحذائه».

- «العثور على الأحذية الجيِّدة صعب».

قالت محاولةً الحفاظ على جمود ملامحها: «بالضَّبط».

- «تُرى من فعلَ هذا؟».

- «آريا سليلة عائلة ستارك». كانت تُراقِب عينيه وفمه وعضلات فكِّه.

- «تلك الفتاة؟ حسبتها غادرَت (براڤوس). مَن أنتِ؟».

- «لا أحد».

رَدَّ: «تكذبين»، والتفتَ إلى اللَّقيطة قائلًا: «حَلقي جاف. أسدي لي صنيعًا واجلبي لي كوبًا من النَّبيذ وحليبًا دافئًا لصديقتنا آريا التي رجعَت إلينا على غير توقُّع».

في طريقها عبر المدينة تساءلَت آريا عمَّا سيقوله الرَّجل الطيِّب عندما تُخبِره بأمر داريون. ربما يغضب منها، أو ربما يُسَرُّ لأنها أعطَت المغنِّي هديَّة الإله عديد الوجوه. عشرات المرَّات دوَّرت هذا الحديث في مخيِّلتها كممثِّلٍ في مسرحيَّة، لكن ما لم يَخطُر لها هو الحليب الدَّافئ!

حين وصلَ الحليب شربَته آريا، وكانت له رائحة محروقة بعض الشَّيء وخلَّف في فمها مذاقًا مُرًّا.

قال لها الرَّجل الطيِّب: «اذهبي إلى النَّوم الآن أيتها الصَّغيرة. غدًا واجبكِ أن تخدمي».

ليلتها حلمَت من جديدٍ بأنها ذئبة، لكن حُلمها هذا كان مختلفًا عن الأحلام الأخرى. في هذا الحُلم لم يكن لها قطيع، وراحَت تمضي وحيدةً، تجري فوق أسطُح المباني وتمشي بصمتٍ على ضفاف قناةٍ متربِّصةً بظلالٍ في الضَّباب.

ولمَّا استيقظَت في الصَّباح التَّالي وجدَت نفسها عمياء.

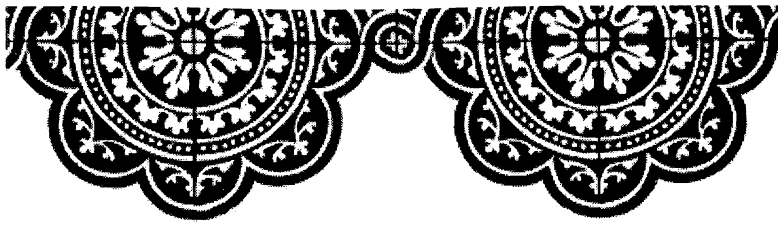

ساموِيل

(ريح القرفة) سفينة بجعيَّة من (بلدة الأشجار الطَّويلة) في (جُزر الصَّيف)، حيث الرِّجال سُود والنِّساء لعوبات والآلهة ذاتها غريبة، وليس على المتن سِيتون يقودهم في صلاة الجنازة، فوقعَت المهمَّة على عاتق ساموِيل تارلي في مكانٍ ما عند ساحل (دورن) الجنوبي المتلظِّي بالشَّمس.

ارتدى سام ثيابه السَّوداء الثَّقيلة من أجل التَّأبين، على الرغم من حرارة الأصيل ورطوبته وغياب نفحات الرِّيح إلَّا قليلًا. استهلَّ كلامه قائلًا: «كان رجلًا صالحًا»... لكن ما إن خرجَت الكلمات من فمه حتى علمَ أنها خطأ. «لا، بل كان رجلًا عظيمًا. كان مِايستر من (القلعة)، مسلسَلًا ومحلَّفًا، وأخًا في حَرس اللَّيل شيمته الإخلاص. حين وُلِدَ أطلَقوا عليه اسم بطلٍ ماتَ في ريعان الشَّباب، ومع أنه عاشَ طويلًا جدًّا فحياته لم تكن أقلَّ بطولةً. لم يكن هناك رجل أكثر منه حكمةً أو حنانًا أو طيبةً. لقد عرفَ (الجِدار) دستةً من القادة الذين أتوا وذهبوا خلال سنين خدمته، لكنه كان موجودًا دومًا ليُسديهم النَّصيحة، بل وكان ناصحًا لملوكٍ أيضًا. كان بإمكانه أن يكون هو نفسه ملكًا، لكن لمَّا عرضوا عليه التَّاج قال إن عليهم أن يُعطوه لأخيه الصَّغير. كم رجلًا يُمكنه أن يفعل شيئًا كهذا؟». أحسَّ سام بالعبرات تترقرَق في عينيه، فأدركَ أنه لا يقدر على الاستمرار طويلًا، وختمَ بقوله: «كان من دم التنِّين، لكن نيرانه همدَت. كان إيمون تارجاريَن، والآن انتهَت حراسته».

تمتمَت جيلي بَعده وهي تُهَزهِز الرَّضيع بين ذراعيها: «والآن انتهَت حراسته»، وردَّدت كوچا مو الكلمات بلُغة (وستروس) العاميَّة ثم كرَّرتها بلُغة الصَّيف لزوندو وأبيها وبقيَّة الطَّاقم المجتمِع. طأطأَ سام رأسه وانفجرَ

في البُكاء، نحيبه عالٍ عنيف لدرجةٍ هزَّت جسده كلَّه، فذهبَت جيلي إليه ووقفَت إلى جواره تاركةً إياه يبكي على كتفها، وقد اغرورقَت عيناها بالدُّموع أيضًا.

الهواء رطب دافئ ساكن تمامًا، و(ريح القرفة) طافية على صفحة بحرٍ أزرق عميق بعيدًا تمامًا عن اليابسة. قال زوندو: «سام الأسود قال كلمات جيِّدة. الآن نشرب لحياته»، وزعقَ بشيءٍ ما بلُغة الصَّيف، فجيءَ ببرميلٍ من الرَّم المتبَّل إلى مؤخِّرة السَّفينة، وفُتِحَ ليشرب الحاضرون كوبًا في ذكرى التنِّين العجوز الكفيف الذي لم يعرفه الطَّاقم إلَّا فترةً قصيرةً، لكن بني (جُزر الصَّيف) يُوَقِّرون المسنِّين ويحتفون بموتاهم.

لم يشرب سام الرَّم من قبل، ووجدَ الشَّراب غريبًا مسكِرًا، حُلوًا في البداية لكنه يترك على اللِّسان مذاقًا ناريًّا لسعَ فمه. كم هو متعَب. كلُّ عضلةٍ في جسده تُؤلِمه، وثمَّة آلام أخرى في مواضع لم يكن يعلم أن فيها عضلات، ورُكبتاه متخشِّبتان، ويداه تُغَطِّيهما قروح جديدة ورُقع لزجة رطبة من الجِلد حيث انفتحَت القروح القديمة، وإن كان يبدو أن الشَّراب والحُزن معًا يُزيحان ألمه. قال لجيلي بينما يرشفان من الرَّم فوق سلوقيَّة (ريح القرفة) العالية: «لو استطعنا فقط أن نأخذه إلى (البلدة القديمة) فلربما أنقذَه رؤساء المِايسترات. مُعالجو (القلعة) هُم الأفضل في (الممالك السَّبع) كلِّها. لفترةٍ حسبتُ... أملتُ...».

في (براڤوس) بدا تماثُل إيمون للشِّفاء ممكنًا، وخُيِّلَ إلى سام أن حديث زوندو عن التَّنانين يكاد يُعيد العجوز إلى طبيعته. ليلتها أكلَ كلَّ لُقمةٍ وضعَها سام أمامه، وقال: «لا أحد بحثَ عن فتاةٍ قَطُّ. كان الموعود أميرًا لا أميرة. اعتقدتُ أنه ريجار... الدُّخان كان من الحريق الذي التهمَ (قلعة الصَّيف) يوم مولده، والملح من دموع من بكوا الموتى. كان يُشارِكني اعتقادي في صِغره، وإن باتَ لاحقًا على قناعةٍ بأن النُّبوءة تتحقَّق في ابنه لا فيه هو، ذلك أن مذنَّبًا شُوهِدَ فوق (كينجز لاندنج) ليلة حبلَت إليا بإجون، وريجار كان واثقًا بأن النَّجم النَّازف ما هو إلَّا مذنَّب. كم كنا حمقى إذ خِلنا أنفُسنا آيةً في الحكمة! الخطأ ناجم عن التَّرجمة. التَّنانين ليست ذكورًا أو إناثًا، وقد رأى بارث حقيقة هذا، وإنما هكذا لحظةً وهكذا لحظةً، كاللَّهب دائمة التَّقلُّب. اللُّغة ضلَّلتنا

جميعًا طيلة ألف عام. دنيرس هي الموعودة المولودة وسط الملح والدُّخان، والتَّنانين تُثبِت هذا». بدا أن مجرَّد الكلام عنها يجعله أقوى. «يجب أن أذهب إليها، يجب! ليتني كنتُ أصغر عشرة أعوام فقط».

كان العجوز عاقد العزم حتى إنه صعدَ على لوح العبور إلى متن (ريح القرفة) على قدميه بَعد أن اتَّفق سام على رحلتهم. قبلها كان سام قد أعطى زوندو سيفه وغِمده بالفعل، تعويضًا لوكيل الرُّبَّان الكبير عن المعطف الرِّيش الذي تلفَ حين نجدَه من الغرق. الشَّيء الوحيد ذو القيمة الذي تبقَّى لهم بَعدها هو الكُتب التي أتوا بها من أقبية (القلعة السَّوداء)، وقد تخلَّى سام عنها بكآبة، ورَدَّ عندما سأَلَه زوندو عن سبب عبوسه: «كان المفترَض أن نأخذها إلى (القلعة)»، ولمَّا ترجمَ الوكيل ردَّه ضحكَ الرُّبَّان، ثم قال له زوندو مترجِمًا: «كَاهورو مو يقول إن الرِّجال الرَّماديِّين سيحصلون على هذه الكُتب، لكن الفرق أنهم سيشترونها الآن من كَاهورو مو. المِايسترات يدفعون فضَّةً جيِّدةً مقابل الكُتب التي ليست عندهم، وأحيانًا الذَّهب الأحمر والأصفر».

أرادَ الرُّبَّان سلسلة إيمون أيضًا، إلَّا أن سام رفضَ وشرحَ أنه عار عظيم أن يتخلَّى أيُّ مِايستر عن سلسلته، واضطرَّ زوندو إلى تكرار هذا الجزء ثلاث مرَّات حتى قبلَ كَاهورو مو، ولدى إبرام الاتِّفاق لم يَعُد سام يملك إلَّا حذاءه وثيابه السَّوداء وملابسه التَّحتيَّة والبوق المكسور الذي وجدَه چون عند (قبضة البَشر الأوائل). قال لنفسه: لم أملك الخيار. لم نكن نستطيع البقاء في (براڤوس)، وما لم نلجأ إلى السَّرقة أو الشِّحاذة فلم يكن هناك سبيل آخَر لدفع ثَمن الرِّحلة. كان ليعدَّ التَّكلفة رخيصةً حتى إذا دفعوا ثلاثة أضعاف لو أنهم فقط نجحوا في أخذ المِايستر إيمون بأمانٍ إلى (البلدة القديمة).

غير أن الرِّحلة إلى الجنوب كانت عاصفةً، وخصمَت كلُّ هبَّة ريح من قوَّة العجوز ومعنويَّاته. في (پنتوس) طلبَ أن يأخذه سام إلى السَّطح ليرسم له صورةً للمدينة بكلماته، لكنها كانت آخِر مرَّةٍ يبرح فيها فِراش الرُّبَّان، وسرعان بَعدها ما بدأ عقله يتوه من جديد، ولدى مرور (ريح القرفة) بـ(البُرج النَّازف) لتَدخُل ميناء (تايروش) كان إيمون قد كَفَّ عن الكلام عن محاوَلة العثور على سفينةٍ تحمله شرقًا، وبدلًا من ذلك تحوَّل كلامه إلى (البلدة القديمة) ورؤساء المِايسترات في (القلعة)، وقال: «يجب أن تُخبِرهم يا سام، يجب

أن تُخبِر رؤساء المِايسترات، يجب أن تجعلهم يفهمون. الرِّجال الذين كانوا في (القلعة) وقت وجودي هناك ماتوا منذ خمسين عامًا. أولئك الآخَرون لم يعرفوني قَطُّ. رسائلي... لا بُدَّ أنهم حسبوها في (البلدة القديمة) هذيان شيخٍ فقدَ عقله. يجب أن تُقنِعهم بما فشلتُ في إقناعهم به. أخبِرهم يا سام... أخبِرهم بالوضع على (الجِدار)... الجُثث الحيَّة والمُشاة البِيض والبرد الزَّاحف...».

وعدَه سام قائلًا: «سأفعلُ، سأضمُّ صوتي إلى صوتك أيها المِايستر. كلانا سيُخبِرهم، نحن الاثنان معًا».

رَدَّ العجوز: «لا، يجب أن تُخبِرهم أنت. أخبِرهم. النُّبوءة... حُلم أخي... الليدي مليساندرا أساءَت تفسير العلامات. ستانيس... ستانيس في عروقه القليل من دماء التنِّين، نعم، وأخواه أيضًا. رايل ابنة إج الصَّغيرة، ورثوها عن طريقها... أُم أبيهم... اعتادَت أن تُناديني بالعم المِايستر في طفولتها. تذكَّرتُ هذا فسمحتُ لنفسي بالأمل... ربما أردتُ أن... كلُّنا نخدع أنفُسنا عندما نُريد أن نُصَدِّق شيئًا، بالذَّات مليساندرا على ما أظنُّ. السَّيف ليس سليمًا، يجب أن تعلم هذا... ضوء بلا حرارة... سِحر فارغ... السَّيف ليس سليمًا، ولا يُمكن للضَّوء الزَّائف إلَّا أن يتوغَّل بنا في الظُّلمات أكثر يا سام. دنيرس أملنا. أخبِرهم بهذا في (القلعة)، اجعلهم يُصغون. يجب أن يُرسِلوا إليها مِايستر. لا بُدَّ من نُصح دنيرس وتعليمها وحمايتها. طيلة هذه الأعوام عشتُ وانتظرتُ وراقبتُ، ثم يأتي اليوم المنتظَر وقد طعنتُ في السِّن. إنني أحتضرُ يا سام». سالَت الدُّموع من عينَي إيمون البيضاوين مع هذا الاعتراف، وتابعَ: «لا يُفترَض أن يُخيف الموت عجوزًا مِثلي، لكنه يُخيفني. أليس هذا سخيفًا؟ إنني أعيش في ظلام دامس، فلِمَ أخشى الظَّلام؟ ورغم ذلك لا أستطيعُ إلَّا أن أتساءَل عمَّا سيأتي عندما يتسرَّب الدِّفء كلُّه من جسدي. هل سأحتفلُ إلى الأبد في بهو (الأب) الذَّهبي كما يقول السِّپتونات؟ هل سأتكلَّمُ مع إج ثانيةً وأجدُ داريون سليمًا سعيدًا وأسمعُ أختَي تُغَنِّيان لأطفالهما؟ ماذا لو كانت الحقيقة عند سادة الخيول؟ هل سأركبُ في سماء اللَّيل إلى الأبد على صهوة جوادٍ من لهب؟ أم سأعودُ ثانيةً إلى وادي الآلام هذا؟ مَن يدري حقًّا؟ مَن اجتازَ جِدار الموت ليرى؟ فقط الجُثث الحيَّة، ونحن نعلم ماهيتها، نحن نعلم».

لم يجد سام إلَّا القليل ليقوله ردًّا، لكنه واسى العجوز قدر المستطاع، ثم جاءَت جيلي بَعدها وغنَّت له أغنيَّةً بلا معنى تعلَّمتها من بعض زوجات كراستر الأخريات، لكنها جعلَت العجوز يبتسم وساعدَته على الخلود إلى النَّوم.

كان هذا واحدًا من آخِر أيامه الجيِّدة، وبَعدها قضى العجوز فتراتٍ أطول في النَّوم أكثر من اليقظة، وقد تمدَّد تحت كومةٍ من الأغطية الفرو في قمرة الرُّبَّان. أحيانًا كان يُتَمتِم في نومه، وحين يستيقظ يَطلُب سام قائلًا بإصرارٍ إن عليه أن يُخبِره بشيء، لكن في أغلب الأحيان كان ينسى ما أرادَ أن يقوله لدى وصول سام، وحتى حينما يتذكَّر كان كلامه مرتبكًا مشوَّشًا. تكلَّم عن أحلام لكنه لم يَذكُر الحالم، وتكلَّم عن شمعةٍ زُجاجيَّة غير قابلةٍ للإشعال وبيضاتٍ لا تفقس، وقال إن أبا الهول هو الأحجية لا صانِع الأحاجي (أيًّا كان ما يعنيه ذلك)، وطلبَ من سام أن يقرأ له من كتابٍ للسِّبتون بارث الذي أُحرِقَت كتاباته في عهد بيلور المبارَك، وفي مرَّةٍ استيقظَ باكيًا وولولَ: «لا بُدَّ أن تكون للتنِّين ثلاثة رؤوس، لكني أكثر هرَمًا ووهنًا من أن أكون أحدها. كان يجب أن أكون معها لأريها الطَّريق، لكن جسدي خانَني».

إذ شقَّت (ريح القرفة) طريقها عبر (الأعتاب) صارَ المِايستر إيمون ينسى اسم سام أكثر الوقت، وأحيانًا حسبَه أحد إخوته الموتى.

أعلى السَّلوقيَّة بَعد رشفةٍ أخرى من الرَّم قال لسام لجيلي: «كان أضعف من أن يحتمل رحلةً طويلةً كهذه. كان على چون أن يتوقَّع هذا. إيمون كان عُمره مئةً واثنين عام، وما كان يجب إرساله إلى البحر على الإطلاق. لو ظَلَّ في (القلعة السَّوداء) فلربما عاشَ عشرة أعوامٍ أخرى».

– «أو لكانت المرأة الحمراء قد أحرقَته». حتى هنا على بُعد ألف فرسخٍ من (الجِدار) تعرض جيلي عن لفظ اسم الليدي مليساندرا. «لقد أرادَت دمَ الملوك من أجل نيرانها. ڤال كانت تعلم هذا، وكذا اللورد سنو، ولذا جعلاني آخذُ ابن دالا وأتركُ ابني في مكانه. المِايستر إيمون نامَ ولم يصحُ ثانيةً، لكن لو مكثَ هناك لأحرقَته».

فكَّر سام ببؤس: ما زالَ سيحترق. الفرق أن عليَّ أنا أن أفعلها الآن. اعتادَ آل تارجاريَن دومًا إطعام النَّار بموتاهم، لكن كاهورو مو لم يسمح بإشعال

محرقة جنازة على متن (ريح القرفة)، فوُضِعَ جُثمان إيمون في برميلٍ من رَم التُّوت الأسود لحفظه حتى تَبلُغ السَّفينة (البلدة القديمة).

واصلَت جيلي: «في اللَّيلة السَّابقة لموته سألَني أن أتركه يحمل الصَّبي. خشيتُ أن يُسقِطه لكنه لم يفعل، بل هزهزَه ودندنَ له أغنيَّةً، ورفعَ ابن دالا يده ومَسَّ وجهه وشَدَّ شفته بطريقةٍ جعلتني أحسبه يُؤلِمه، لكن العجوز ضحكَ فقط»، وملَّست على يد سام مردفةً: «يُمكننا أن نُسَمِّي الصَّغير مِايستر إذا أردت، عندما يكبَر، ليس الآن، لكن يُمكننا هذا».

- «مِايستر ليس اسمًا، لكن يُمكننا أن نُسَمِّيه إيمون».

فكَّرت جيلي لحظةً، ثم قالت: «دالا ولدَته في أثناء المعركة بينما تُغَنِّي السُّيوف حولها. يجب أن يكون هذا اسمه، إيمون وليد المعركة، إيمون أغنيَّة الفولاذ».

اسم ربما يُعجِب أبي نفسه، اسم مُحارب. في النِّهاية الصَّبي ابن مانس رايدر وحفيد كراستر، وليس في عروقه قطرة من دماء سام الجبانة. «نعم، ليكن هذا اسمه».

وعدَته قائلةً: «عندما يَبلُغ الثَّانية وليس قبل هذا».

خطرَ لسام أن يسأل: «أين الصَّبي؟». بين الرَّم والأسى استغرقَ كلَّ هذه المدَّة حتى أدركَ أن الرَّضيع ليس مع جيلي.

- «مع كوچا. طلبتُ منها أن تأخذه قليلًا».

- «أوه». كوچا مو ابنة الرُّبَّان، أطول قامةً من سام وممشوقة القوام كالحربة ولها بشرة ملساء كالكهرمان الأسود المصقول. تقود الفتاة رُماة السَّفينة الحُمر أيضًا، وتحمل قوسًا مزدوج المنحنى من خشب القلب الذَّهبي بإمكانها أن تُطلِق منه السِّهام حتى مسافة أربعمئة ياردة، وحين هاجمَهم القراصنة في (الأعتاب) أردَت سهام كوچا دستةً منهم في حين سقطَت سهام سام في الماء. الشَّيء الوحيد الذي تحبُّه كوچا أكثر من قوسها هو هزهزَة ابن دالا على رُكبتها والغناء له بلُغة الصَّيف، وقد أصبحَ الأمير الهمجي محبوب جميع نساء الطَّاقم، ويبدو أن جيلي تأتمنهن عليه كما لم تأتمن أيَّ رجلٍ على الإطلاق.

قال سام: «هذا لُطف من كوچا».

- «كنتُ أخافها في البداية. إنها سوداء جدًّا وأسنانها كبيرة وبيضاء جدًّا، فخشيتُ أنها مسخ أو وحش ما، لكنها ليست كذلك. إنها طيِّبة وأحبُّها».

- «أعرفُ هذا». الرَّجل الوحيد الذي عرفَته جيلي معظم حياتها كان كراستر المخيف، أمَّا بقيَّة عالمها فإناث. الرِّجال يُخيفونها والنِّساء لا. إنه يفهم هذا. في (هورن هيل) كان سام يُفَضِّل صُحبة الفتيات أيضًا وعاملَته أخواته بطيبة، وعلى الرغم من أن الفتيات الأخريات كن يسخرن منه أحيانًا فتجاهُل الكلمات القاسية كان أسهل من الضَّربات واللَّطمات التي تلقَّاها من صِبية القلعة. حتى هنا والآن على متن (ريح القرفة) يَشعُر سام بالارتياح لكوچا مو أكثر من أبيها، ولو أن السَّبب ربما يكون أنها تتحدَّث العاميَّة ولا يتحدَّثها هو.

همسَت جيلي: «وأحبُّك أيضًا يا سام. وأحبُّ هذا الشَّراب، إن مذاقه كالنَّار».

نعم، شراب يليق بتنيِّن. فرغَ كوباهما فذهبَ سام إلى البرميل وملأَهما ثانيةً. رأى أن الشَّمس انخفضَت في الغرب وتضخَّمت إلى ثلاثة أضعاف حجمها، وقد جعلَ نورها الضَّارب إلى الحُمرة وجه جيلي يبدو مخضَّبًا بالأحمر. شربا كوبًا لكوچا مو وواحدًا لابن دالا وواحدًا لابن جيلي على (الجِدار)، وبَعدها لم يكن هناك مفرٌّ من أن يشربا كوبين لإيمون سليل عائلة تارجاريَن، ثم قال سام متنشِّقًا: «عسى (الأب) أن يَحكُم عليه بالعدل». كانت الشَّمس قد أوشكَت على الغياب تمامًا حين فرغا من المِايستر إيمون، ولم يتبقَّ إلَّا خَطٌّ أحمر رفيع يتوهَّج في الأُفق الغربي كشَقٍّ طويل في السَّماء. قالت جيلي إن الشَّراب يجعل السَّفينة تميد بها، فساعدَها سام على نزول السُّلَّم إلى مسكن النِّساء تحت المقدِّمة.

ثمَّة مصباح معلَّق داخل باب القمرة مباشرةً، وقد اصطدمَ رأسه به وهو يَدخُل، فقال: «آو!»، وقالت جيلي: «هل جُرِحت؟ دعني أري»، ومالَت عليه...

... وقبَّلته على فمه.

ووجدَ سام نفسه يُقَبِّلها أيضًا. قال لنفسه: لقد حلفتُ اليمين، لكن يديها كانتا تشدَّان معطفه الأسود وتحلَّان أربطة سراويله، فقطعَ القُبلة قائلًا: «لا

يُمكننا»، إلَّا أن جيلي ردَّت: «بل يُمكننا»، ومرَّةً أخرى غطَّت ثغره بثغرها. من حولهما دارَت (ريح القرفة)، وذاقَ سام طعم الرَّم على لسان جيلي، وإذا بثدييها عاريان ويتحسَّسهما. ثانيةً قال لنفسه: لقد حلفتُ اليمين، لكن إحدى حلمتيها وجدَت طريقها إلى ما بين شفتيه. كانت ورديَّة منتصبةً، وحين مصَّها ملأَ لبنها فمه ممتزجًا بمذاق الرَّم، ولم يتذوَّق سام في حياته كلِّها شيئًا بهذا الجَمال أو الحلاوة أو الرَّوعة. فكَّر: إذا فعلتُ هذا فلستُ أفضل من داريون، لكنه يَشعُر بمتعةٍ أعجزَته عن التَّوقُّف. وفجأةً كان ذَكره خارج سراويله منتصبًا كساريةٍ ورديَّة غليظة، يبدو سخيفًا للغاية حتى إن سام كان ليضحك، لكن جيلي دفعَته على ظَهره فوق سريرها القَش ورفعَت تنُّورتها حول فخذيها وأنزلَت نفسها عليه مطلقةً آهةً ناعمةً، وكان هذا أفضل وأفضل من حلمتيها، وقال سام لنفسه شاهقًا: إنها مبتلَّة للغاية. لم أعرف قَطُّ أن امرأةً يُمكن أن تبتلَّ هكذا هناك. همسَت منزلقةً إلى أعلى وأسفل: «أنا زوجتك الآن»، وتأوَّه سام وقال في أعماقه: لا، لا، لا يُمكنكِ أن تكوني زوجتي، لقد حلفتُ اليمين، حلفتُ اليمين، لكن الكلمة الوحيدة التي بدرَت منه هي «نعم».

بَعدها غابَت في النَّوم مطوِّقةً إياه بذراعيها ورأسها على صدره. يحتاج سام إلى النَّوم أيضًا، لكنه ثمل بالرَّم ولبن الأُم وجيلي. يعلم أن عليه أن يعود إلى سريره المعلَّق في قمرة الرِّجال، غير أنه شعور رائع أن تلتصق به هكذا، وبشكلٍ ما لا يقوى على الحركة.

دخلَ آخَرون القمرة، رجال ونساء، وسمعَهم يُقَبِّل بعضهم بعضًا ويضحكون ويتطارَحون الغرام. بنو (جُزر الصَّيف)، هكذا يُعلِنون الحِداد، يردُّون على الموت بالحياة. قرأ سام هذا في مكانٍ ما منذ فترةٍ طويلة، ويتساءَل إن كانت جيلي تعرفه، إن كانت كوچا مو قد أخبرَتها بما تفعله.

تنسَّم عبير شَعرها وحدَّق إلى المصباح المتأرجح بالأعلى مفكِّرًا: (العجوز) نفسها لا تستطيع أن تُخرِجني بأمانٍ من هذا المأزق. أفضل ما يستطيع أن يفعله الآن أن ينسلَّ مبتعدًا ويُلقي نفسه في البحر. إذا غرقتُ فلن يعلم أحد أبدًا أنني أخزيتُ نفسي وحنثتُ بقَسمي، وستجد جيلي لنفسها رجلًا أفضل ليس جبانًا بدينًا.

استيقظَ في اليوم التَّالي في سريره المعلَّق في قمرة الرِّجال على صوت

زوندو يجأر بشأن الرِّيح، وظَلَّ وكيل الرُّبَّان يزعق: «الرِّيح تهبُّ! الرِّيح تهبُّ! استيقِظ واعمل يا سام الأسود! الرِّيح تهبُّ!». ما يفتقر إليه زوندو من مفردات عاميَّة (وستروس) يُعَوِّضه بصوته الجهوري. نهضَ سام من سريره وشعرَ بالنَّدم في الحال. رأسه كأنه سينفلِق، وأحد القروح في كَفِّه انفتحَ ليلًا، ويحسُّ كأنه على وشك التَّقيُّؤ.

لكن زوندو بلا رحمة، ولم يستطِع سام إلَّا أن يرتدي ثيابه السَّوداء بصعوبة. وجدَها على الأرض تحت السَّرير المعلَّق في كومةٍ رطبة، وتشمَّمها ليرى مدى سوء رائحتها، فاستنشقَ روائح الملح والبحر والقطران والأشرعة المبتلَّة والعفَن الفِطري والفاكهة والأسماك ورَم التُّوت الأسود، وتوابل غريبةً وأخشابًا عجيبةً، وقدرًا وفيرًا من عَرق جسده الجاف، لكن في ملابسه رائحة جيلي أيضًا، رائحة شَعرها النَّظيفة ورائحة لبنها الحُلوة، ولذا ارتداها مسرورًا. كان ليدفع ثَمنًا كبيرًا مقابل جوربٍ جاف ثقيل، إذ بدأ نوع ما من الفِطر ينمو بين أصابع قدميه.

لم يكن صندوق الكُتب كافيًا على الإطلاق كثَمن رحلةٍ لأربعة من (براڤوس) إلى (البلدة القديمة)، على أن (ريح القرفة) تُعاني نقصًا في الأيدي العاملة، وهكذا وافقَ كاهورو مو على أن يأخذهم على المتن شريطة أن يعملوا في الطَّريق، ولمَّا احتجَّ سام قائلًا إن المِايستر إيمون ضعيف للغاية والصَّبي ما زالَ رضيعًا وجيلي مرعوبة من البحر، ضحكَ زوندو ورَدَّ: «سام الأسود رجل كبير بدين، سام الأسود سيعمل لأربعة».

الحقيقة أن سام أخرق لدرجة أنه يشكُّ في قيامه بعمل فردٍ واحد جيِّد، لكنه يُحاوِل رغم ذلك، فيُنَظِّف سطح السَّفينة ويحكُّه بالحجارة، ويسحب سلاسل الرَّسو، ويلفُّ الحبال، ويصطاد الجرذان، ويرتق القلوع الممزَّقة، ويسدُّ الثَّغرات في الخشب بالقطران المغلي، وينزع أشواك السَّمك ويُقَطِّع الفواكه للطَّاهي. وجيلي أيضًا تُحاوِل، كما أنها أبرع منه في لَفِّ حبال الأشرعة، وإن كان منظر المياه الخالية يجعلها تُغلِق عينيها من حينٍ إلى حين.

جيلي، ماذا أفعلُ مع جيلي؟

هذا النَّهار طويل لزج، وجعلَه رأس سام الذي لم يكفَّ عن الدَّقِّ أطول وأطول. شغلَ نفسه بالحبال والأشرعة والواجبات الأخرى التي كلَّفه بها

زوندو، وحاولَ ألَّا يَترُك عينيه تخونانه وتذهبان إلى برميل الرَّم الذي يحوي جثَّة المِايستر إيمون... أو إلى جيلي. لا يستطيع أن يُواجِه الفتاة الهمجيَّة الآن بَعد ما فعلاه ليلة البارحة. حين تصعد إلى السَّطح ينزل، حين تذهب إلى الأمام يذهب إلى الخلف، حين تبتسم له يُشيح بوجهه شاعرًا بالتَّعاسة. كان يَجدُر بي أن أثب في البحر وهي نائمة. لقد كنتُ جبانًا دومًا، لكني لم أكن حانثًا بالقَسم حتى الآن.

لو لم يَمُت المِايستر إيمون لسألَه سام ماذا يفعل. لو كان چون سنو على متن السَّفينة، أو حتى پيپ وجرِن، للجأَ إليهم، لكن بدلًا منهم هناك زوندو. لن يفهم زوندو ما أقوله، أو إذا فهمَ لقال لي أن أنكح الفتاة ثانيةً. «ينكح» هي أول كلمةٍ تعلَّمها زوندو من اللُّغة العاميَّة، ومغرم بقولها جدًّا.

من حُسن حَظِّه أن (ريح القرفة) سفينة كبيرة، أمَّا على متن (الطَّائر الأسود) فكانت جيلي لتلحق به وتُحاصِره في غضون لحظات. في (الممالك السَّبع) تُسَمَّى مراكب أهل (جُزر الصَّيف) السُّفن البجعيَّة، لقلوعها البيضاء المنتفخة وتماثيل مقدِّماتها التي يتَّخذ أكثرها أشكال طيور. على الرغم من كبر أحجامها تركب السُّفن البجعيَّة الأمواج برشاقةٍ تخصُّها وحدها من دون الفُلك، وما دامَت تدفعها ريح سريعة قويَّة تستطيع (ريح القرفة) أن تسبق أيَّ قادس، وإن كانت تعجز تمامًا عند سكون الأجواء... ثم إن على السَّفينة مواضع عدَّة يستطيع أن يختبئ فيها الجبان.

قُرب نهاية عمله حوصِرَ سام أخيرًا. كان ينزل سُلَّمًا عندما أطبقَ زوندو على ياقته قائلًا: «سام الأسود يأتي مع زوندو»، وجرَّه عبر سطح السَّفينة وألقاه عند قدمَي كوچا مو.

بعيدًا إلى الشَّمال يلوح سديم غامض منخفض في الأُفق، وقد أشارَت كوچا إليه قائلةً: «هذا ساحل (دورن). رمال وصخور وعقارب، ولا بُقعة صالحة للرَّسو بطول مئة فرسخ. يُمكنك أن تسبح إلى هناك إذا أردت ثم تمشي إلى (البلدة القديمة). عليك أن تقطع الصَّحراء الشَّاسعة وتتسلَّق بعض الجبال وتسبح في (التورنتين)، أو يُمكنك أن تذهب إلى جيلي».

– «لستِ تفهمين. ليلة أمس...».

– «... كرَّمتما ميتكما والآلهة التي خلقَتكما. زوندو فعلَ المِثل. كان

الطِّفل معي، ولولا هذا لكنت معه. أنتم معشر الوستروسيِّين تصمون الغرام بالعار. ليس في الغرام عار. إذا كان سپتوناتكم يقولون هذا فلا بُدَّ أن آلهتكم شياطين. في جُزرنا نفهم أكثر منكم. الآلهة وهبَت لنا سيقانًا نجري بها وأنوفًا نشمُّ بها وأيادي نتلمَّس ونتحسَّس بها. ما الإله المتوحِّش المجنون الذي يُعطي المرء عينين ويقول له إن عليه أن يُغلِقهما حتى يموت ولا يَنظُر أبدًا إلى ما في العالم من جَمال؟ إله وحش، شيطان من الظَّلام»، ووضعَت كوچا يدها بين ساقَي سام مضيفةً: «الآلهة وهبَت لك هذا لسببٍ أيضًا، من أجل... ما الكلمة الوستروسيَّة؟».

ساعدَها زوندو قائلًا: «النِّكاح!».

– «نعم، من أجل النِّكاح، للإمتاع وإنجاب الأطفال. لا عار في هذا».

قال سام متراجعًا: «لقد حلفتُ يمينًا. لن أتَّخذ لنفسي زوجةً أو أنجب أولادًا. قلتُ هذه الكلمات».

– «جيلي تعرف الكلمات التي قلتها. إنها طفلة في بعض النَّواحي، لكنها ليست عمياء، تعلم لِمَ ترتدي الأسود وسبب ذهابك إلى (البلدة القديمة)، وتعلم أنها لا تستطيع الاحتفاظ بك. إنها تُريدك فترةً قصيرةً لا أكثر. لقد فقدَت أباها وزوجها وأمَّها وأخواتها، فقدَت بيتها وعالمها. ليس عندها الآن إلَّاك والصَّغير، فاذهب إليها أو اسبح».

رمقَ سام السَّديم الذي يُعَلِّم السَّاحل البعيد بيأسٍ عالمًا أنه لا يستطيع أن يسبح هذه المسافة.

وهكذا ذهبَ إلى جيلي، وقال لها: «ما فعلناه... لو أنني أستطيعُ الزَّواج لفضَّلتكِ على أيِّ أميرةٍ أو ابنة أعيان، لكنني لا أستطيعُ. إنني ما زلتُ غُرابًا. لقد حلفتُ اليمين يا جيلي، ذهبتُ مع چون إلى الغابة وقلتُ الكلمات أمام شجرة قلوب».

قالت جيلي ماسحةً الدُّموع عن وجنتيه: «الأشجار تَحرُسنا، في الغابة ترى كلَّ شيء... لكن لا توجَد أشجار هنا. فقط الماء يا سام، فقط الماء».

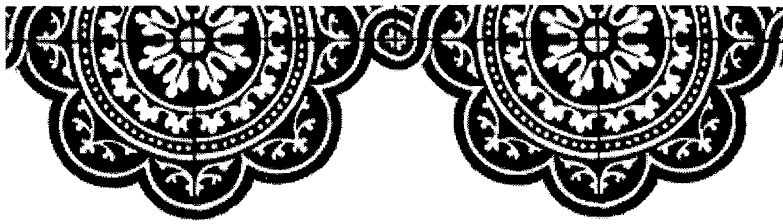

سرسي

النَّهار بارد غائم بليل. طيلة الصَّباح هطلَت الأمطار بلا انقطاع، وحتى عندما توقَّفت أخيرًا بَعد الظَّهيرة رفضَ السَّحاب أن ينقشِع ولم يروا الشَّمس مرَّةً. طقس رديء لهذه الدَّرجة تكفَّل بثبط الملكة الصَّغيرة نفسها عن الخروج، وبدلًا من ركوب الخيل مع دجاجاتها وحاشيتهن من الحَرس والمعجبين قضَت النَّهار كلَّه في (قفص العذراوات) مع الدَّجاجات في الاستماع إلى غناء الشَّاعر الأزرق.

لم يكن نهار سرسي أفضل كثيرًا، ثم حَلَّ المساء. إذ استحالَت السَّماء من الرَّمادي إلى الأسود أخبَروها بأن (الجميلة سرسي) عادَت محمولةً على تيَّار المساء، وبأن أوران ووترز في الخارج يَطلُب مقابلَتها.

سمحَت له الملكة بالدُّخول في الحال، وما كادَ يخطو إلى غُرفتها الشَّمسيَّة حتى علمَت أنه يحمل نبأً سارًّا، وبابتسامةٍ عريضة قال لها: «(دراجونستون) لكِ يا جلالة الملكة».

ردَّت: «رائع»، والتقطَت يديه ولثمَته على الخدَّين، ثم قالت: «أعرفُ أن تومن سيُسَرُّ أيضًا. معنى هذا أننا نستطيع إطلاق أسطول اللورد ردواين وطرد الحديديِّين من (التُّروس)». مع وصول كلِّ غُدافٍ جديد تبدو الأخبار الآتية من (المرعى) أكثر مدعاةً للقلق، فمن الواضح أن الحديديِّين ليسوا قانعين بصخورهم الجديدة، إذ شنُّوا غاراتٍ قويَّة على ضفاف (الماندر) وتمادوا إلى حَدِّ مهاجَمة (الكرمة) والجُزر الأصغر التي تُحيط بها. لم يكن آل ردواين قد أبقوا أكثر من دستةٍ من السُّفن الحربيَّة في مياههم، وكلُّها حُطِّمَ أو أُسِرَ أو أُغرِقَ، والآن ثمَّة تقارير تقول إن ذلك الرَّجل المجنون الذي يُسَمِّي نفسه

يورون عين الغُراب يُرسِل سُفنًا طويلةً عبر (النَّهر الهامس) نحو (البلدة القديمة) نفسها.

أخبرَها اللورد ووترز: «اللورد پاكستر كان يُحَمِّل المؤن من أجل رحلة العودة عندما أقلعَت (الجميلة سرسي)، وأتصوَّرُ أن أسطوله الأساسي في البحر بالفعل الآن».

قالت الملكة: «لنأمل أن يتمتَّعوا برحلةٍ سريعة وطقسٍ أفضل من اليوم»، وسحبَت ووترز ليجلس على مقعد النَّافذة إلى جوارها، وسألَته: «هل ندين بالشُّكر للسير لوراس على هذا النَّصر؟».

اختفَت ابتسامته، وأجابَ: «هذا ما سيقوله بعضهم يا صاحِبة الجلالة».

رمقَته بفضولٍ متسائلةً: «بعضهم ولكن ليس أنت؟».

قال ووترز: «لم أرَ فارسًا أشجع منه، لكنه حوَّل ما كان يُمكن أن يكون نصرًا بلا دماءٍ إلى مذبحة. لقد ماتَ ما يُقرُب من ألف رجل، أكثرهم من رجالنا، وليسوا جميعًا مجرَّد جنودٍ تقليديِّين يا جلالة الملكة، بل منهم فُرسان ولوردات صغار، الأفضل والأشجع».

– «والسير لوراس نفسه؟».

– «سيُصبِح الأول بَعد الألف. لقد حملوه إلى داخل القلعة بَعد المعركة، لكن إصاباته بليغة وفقدَ دماءً كثيرةً لدرجة أن المِايسترات يَرفُضون أن يُعَلِّقوا له العَلق».

– «أوه، هذا محزن. قلب تومن سينكسر. إنه معجب للغاية بفارس الزُّهور الباسل».

قال أميرالها: «والعامَّة أيضًا. في أنحاء البلاد كلِّها ستبكي الفتيات حين يموت لوراس».

تعلم الملكة أنه ليس مخطئًا. يوم أبحرَ السير لوراس احتشدَ ثلاثة آلاف من العامَّة عند (بوَّابة الطَّمي) لتوديعه، ولم يُفضِ المنظر إلَّا إلى إفعام نفسها بالازدراء. أرادَت أن تَصرُخ فيها قائلةً إنهم خراف، أن تُخبِرهم بأن كلَّ ما سينالونه منه لن يتجاوَز ابتسامةً ووردةً، وبدلًا من ذلك أعلنَته أشجع فارسٍ في (الممالك السَّبع) وابتسمَت فيما قدَّم له تومن سيفًا محلًّى بالجواهر يحمله في المعركة. عانقَه الملك أيضًا، وإن لم يكن هذا الجزء من ترتيب سرسي، لكنه لم يَعُد يهمُّ، وبإمكانها أن تكون كريمةً. لوراس تايرل يُحتضَر.

أمرَته سرسي قائلةً: «أخبِرني. أريدُ أن أعرف كلَّ ما حدث، من البداية إلى النِّهاية».

كانت الغُرفة قد أظلمَت لدى فروغه من الرِّواية، فأشعلَت الملكة بعض الشُّموع وأرسلَت دوركاس إلى المطابخ لتجلب لهما القليل من الخُبز والجُبنة مع اللَّحم البقري المسلوق بالفجل الحار، وبينما تناوَلا العَشاء طلبَت من أوران أن يحكي الحكاية ثانيةً كي تتذكَّرها بجميع تفاصيلها بشكلٍ سليم. «... فلستُ أريدُ أن تسمع غاليتنا مارچري هذا الخبر من غريب. سأخبرها بنفسي».

قال ووترز مبتسمًا: «جلالتكِ في غاية اللُّطف». ابتسامة خبيثة. الحقيقة أن أوران لا يُشبِه الأمير ريجار بالقدر الذي حسبَته في البداية. إن له شَعرًا أشبه به، ولكن كذا نصف العاهرات في (ليس) إذا صدقَت الحكايات. ريجار كان رجلًا، أمَّا هذا فصبيٌّ ماكر لا أكثر، غير أنه مفيد على طريقته.

وجدَت مارچري في (قفص العذراوات) تشرب النَّبيذ وتُحاوِل أن تفهم قواعد لُعبةٍ جديدة ما من (ڤولانتيس) مع بنات عمومتها الثَّلاث. على الرغم من تأخُّر السَّاعة أدخلَها الحُرَّاس في الحال، وخاطبَت مارچري قائلةً: «جلالة الملكة، الأفضل أن تسمعي الخبر مني. أوران عادَ من (دراجونستون). أخوكِ بطل».

– «لطالما عرفتُ هذا». لم تَلُح دهشة على مارچري. ولِمَ تندهش؟ لقد توقَّعت هذا منذ اللَّحظة التي توسَّل لوراس فيها القيادة. لكن لدى انتهاء سرسي من القصَّة كانت الدُّموع تلتمع على وجه الملكة الصَّغيرة. «ردواين جعلَ عُمَّال مناجم يَحفُرون نفقًا تحت سور القلعة، لكن فارس الزُّهور رأى تقدُّم العمل بطيئًا للغاية. لا ريب أنه كان يُفكِّر في معاناة قوم السيِّد والدكِ في (التُّروس). اللورد ووترز يقول إنه أمرَ بالهجوم خلال أقلِّ من نِصف يوم من تولِّيه القيادة، بَعد أن رفضَ أمين قلعة اللورد ستانيس عرضه تسوية الحصار بالنِّزال الفردي بينهما. كان لوراس أول من يَعبُر الثَّغرة عندما حطَّم المِدَكُّ بوَّابة القلعة، ويقولون إنه انطلقَ داخلًا فم التنِّين مباشرةً وقد ارتدى الأبيض ولوَّح بكُرته الشَّائكة حول رأسه مقتِّلًا ذات اليمين وذات اليسار».

عندئذٍ كانت مِجا تايرل تبكي جهرًا، وسألَت: «كيف ماتَ؟ مَن قتلَه؟».

أجابَت سرسي: «هذا الشَّرف ليس لرجلٍ واحد. السير لوراس أصيبَ بسهمٍ في الفخذ وآخَر في الكتف، لكنه واصلَ القتال ببسالةٍ على الرغم من الدَّم السَّائل منه. بَعدها أصيبَ بضربةٍ من هراوة كسرَت بعض ضلوعه، ثم... لا، أريدُ أن أعفيكِ من معرفة أسوأ ما حدثَ».

قالت مارچري: «أخبِريني، هذا أمر».

أمر؟ صمتَت سرسي وهلةً، ثم قرَّرت أن تتغاضى عن هذا، وقالت: «المُدافِعون تقهقَروا إلى الحصن الدَّاخلي ما إن سقطَ السُّور، وقادَ لوراس الهجوم هناك أيضًا. لقد غمَروه بالزَّيت المغلي».

امتقعَ وجه الليدي آلا حتى صارَ كالطَّباشير، وهرعَت تُغادِر الغُرفة.

واصلَت سرسي: «المِايسترات يفعلون كلَّ ما بالإمكان كما أكَّد لي اللورد ووترز، لكنني أخشى أن حروق أخيكِ فادحة»، وأخذَت مارچري بين ذراعيها تُواسيها مضيفةً: «لقد أنقذَ البلاد»، ولمَّا قبَّلت الملكة الصَّغيرة على وجنتها تذوَّقت ملوحة دموعها، ثم أردفَت: «سيُدرِج چايمي جميع مآثره في (الكتاب الأبيض)، وسيُغَنِّي المطربون عنه لألف عام».

تملَّصت مارچري من حضنها بعُنفٍ كادَ يُسقِط سرسي، وقالت: «الاحتضار ليس موتًا».

- «نعم، لكن المِايسترات يقولون...».
- «الاحتضار ليس موتًا!».
- «أردتُ فقط أن أعفيكِ من...».
- «أعرفُ ما تُريدين. اخرُجي».

الآن تعلمين بِمَ أحسَستُ ليلة ماتَ چوفري. حنَت سرسي رأسها ووجهها قناع من الكياسة الباردة، وقالت: «ابنتي العزيزة، إنني حزينة للغاية من أجلكِ. سأتركُكِ لحُزنكِ».

لم تظهر الليدي ميريويذر ليلتها، وجفا جنب سرسي عن الفِراش ولم تستطِع النَّوم، وبينما تغطُّ چوسلين سويفت إلى جوارها فكَّرت: لو رآني اللورد تايوين الآن لعرفَ أن له وريثًا، وريثًا جديرًا بـ(الصَّخرة). قريبًا ستذرف مارچري الدُّموع المريرة التي كان عليها أن تذرفها من أجل چوفري، وربما يبكي مايس تايرل أيضًا، لكنها لم تُعطِه سببًا لخصامها، فما الذي فعلَته على

كلِّ حالٍ أكثر من تشريف السير لوراس بثقتها؟ لقد طلبَ القيادة جاثيًا على رُكبته على مرأى من نِصف البلاط.

عندما يموت عليَّ أن أبني له تمثالًا في مكانٍ ما وأشيِّع له جنازةً لم تشهد لها (كينجز لاندنج) مثيلًا. سيروق هذا العوام، وتومن أيضًا. بل وربما يَشكُرني مايس أيضًا، ذلك المسكين. وبالنِّسبة إلى السيِّدة والدته فإذا شاءَت الآلهة سيقتُلها الخبر.

كان هذا أجمل شروقٍ رأته سرسي منذ سنوات، وسرعان ما ظهرَت تاينا واعترفَت بأنها أمضَت اللَّيل في مواساة مارچري ورفيقاتها وشاركَتهن الشُّرب والبُكاء وحكاية القِصص عن لوراس، وإذ ارتدَت الملكة ثيابها من أجل البلاط قالت لها: «مارچري ما زالَت مقتنعةً بأنه لن يموت. إنها تنوي إرسال مِايسترها الخاص للعناية به، وبنات عمومتها يُصَلِّين طلبًا لرحمة (الأُم)».

قالت سرسي: «أنا أيضًا سأصلِّي. غدًا تعالي معي إلى (سِپت بيلور) وسنُشعِل مئة شمعةٍ لفارس الزُّهور الباسل»، ثم التفتَت إلى وصيفتها قائلةً: «دوركاس، أحضِري لي تاجي، التَّاج الجديد إذا سمحتِ». إنه أخفُّ من القديم، مصنوع من الذَّهب المغزول الباهت المرصَّع بالزُّمرُّذ الذي يَبرُق حين تُدير رأسها.

قال السير أوزموند عندما أدخلَته چوسلين: «هناك أربعة أتوا بشأن العِفريت هذا الصَّباح».

- «أربعة؟». أدهشَ هذا الملكة على نحوٍ سار. ثمَّة سلسلة متواصلة من المُخبرين الذين يأتون إلى (القلعة الحمراء) زاعمين أن لديهم معلوماتٍ عن تيريون، لكن أربعةً في يومٍ واحد عدد غير معتاد.

أجابَ أوزموند: «أجلْ. أحدهم معه رأس لكِ».

- «سأراه أولًا. خُذه إلى غُرفتي الشَّمسيَّة». أرجو ألَّا يكون هناك خطأ هذه المرَّة، أرجو أن أنال ثأري أخيرًا ليَرقُد چوفري في سلام. يقول السِّپتونات إن الرَّقم 7 مقدَّس عند الآلهة، وربما يكون هذا الرَّأس السَّابع الدَّواء الذي تبتغيه روحها.

اتَّضح أن الرَّجل تايروشي قصير ممتلئ يُبَلِّل وجهه العَرق، وله ابتسامة

متملِّقة لزجة ذكَّرتها بثارس، ولحية مشعَّبة مصبوغة بالوردي والأخضر. لم يُعجِب الرَّجل سرسي بمجرَّد النَّظر، لكنها مستعدَّة للتَّغاضي عن عيوبه إذا كان رأس تيريون داخل هذا الصُّندوق الذي يحمله بالفعل. الصُّندوق من خشب الأَزر المزخرَف بنقشٍ من العاج يُصَوِّر نباتاتٍ متسلِّقةً وأزهارًا، وله مِفصلات وأقفال من الذَّهب الأبيض، منظره جميل حقًّا، لكن الملكة لا تكترث إلَّا لما قد يكون في داخله. إنه كبير كفايةً على الأقل. رأس تيريون كان كبيرًا على نحوٍ شاذ بالنِّسبة إلى شخصٍ صغير ناقص النُّمو.

انحنى التايروشي بشدَّةٍ مغمغمًا: «صاحِبة الجلالة، أرى أن ما يُحكى عن جَمالكِ صادق. حتى وراء (البحر الضيِّق) سمعنا عن براعة حُسنكِ والحُزن الذي يُمَزِّق قلبكِ المرهف. لا أحد يستطيع أن يُعيد إليكِ ابنكِ الشُّجاع، لكن أملي أن أقدِّم لكِ على الأقل بلسمًا لألمكِ»، ووضعَ يده على صُندوقه مضيفًا: «أتيتكِ بالعدالة، أتيتكِ برأس ڤالونكاركِ».

بعثَت الكلمة الڤاليريَّة القديمة رعدةً في جسدها، وإن استشعرَت وخز الأمل أيضًا، وأعلنَت: «العِفريت لم يَعُد أخي، إن كان كذلك من الأصل، ولن أنطق اسمه. لقد كان اسمًا ساميًا ذات يوم، قبل أن يُلَوِّثه».

– «في (تايروش) ندعوه بذي اليدين الحمراوين للدِّماء السَّائلة من بين أصابعه، دماء ملكٍ ودماء أب. يقول بعضهم إنه قتلَ أمَّه أيضًا ممزِّقًا رحمها بمخالبه ليَخرُج».

يا للهُراء. «صحيح. إذا كان رأس العِفريت في هذا الصُّندوق فسأرفعك إلى اللورديَّة وأهبُ لك أراضي خصبةً وقلاعًا». الألقاب أرخص من التُّراب، وأراضي النَّهر ملأى بالقلاع المتهدِّمة الواقفة في عُزلتها وسط حقولٍ مهجورة وقُرى محروقة. «إن بلاطي ينتظرني. افتح الصُّندوق ولنرَ».

فتحَ التايروشي الصُّندوق بحركةٍ مسرحيَّة وتراجعَ مبتسمًا، وفي الدَّاخل كان رأس قزمٍ مستقرًّا على طبقةٍ من المخمل الأزرق النَّاعم يَنظُر إليها.

ألقَت سرسي نظرةً طويلةً، ثم قالت وفي فمها مذاق مرير: «هذا ليس أخي». أظنُّ أنني بالغتُ في الأمل، خصوصًا بَعد لوراس. الآلهة ليست بذلك الكرم أبدًا. «هذا الرَّجل عيناه بنيَّتان. تيريون كانت له عين سوداء وعين خضراء».

- «العينان، بالضَّبط... جلالة الملكة، عينا أخيكِ... تعفَّنتا بعض الشَّيء، فسمحتُ لنفسي باستبدالهما بالزُّجاج... لكن لونه خطأ كما تقولين».

لم يُفلِح قوله إلَّا في زيادة حنقها، وردَّت: «ربما تكون عينا رأسك من الزُّجاج، أمَّا عيناي أنا فلا. في (دراجونستون) كَراجِل[1] أشبه بالعِفريت من هذا المخلوق. إنه أصلع وفي ضِعف سِنِّ أخي! ماذا حدثَ لأسنانه؟».

انكمشَ الرَّجل من الغضب في صوتها، وقال: «كان لديه طقم ممتاز من الأسنان الذَّهبيَّة يا جلالة الملكة، لكننا... يُؤسِفني...».

- «أوه، لم تأسف بعدُ، لكنك ستفعل». حريٌّ بي أن آمر بإعدامه خنقًا. فليُنازِع محاولًا التقاط أنفاسه بينما يسودُّ وجهه مِثل ابني الجميل. كانت الكلمات على شفتيها بالفعل.

- «خطأ غير مقصود. كلُّ الأقزام متشابهون، و... لا بُدَّ أن جلالتكِ لاحظتِ أنه بلا أنف...».

- «إنه بلا أنف لأنك قطعته!».

صاحَ: «لا!»، لكن جبهته المتصبِّبة عَرقًا وشَت بكذب إنكاره.

ردَّت سرسي: «نعم»، وتسلَّلت عذوبة سامَّة إلى نبرتها إذ أردفَت: «على الأقل فكَّرت في هذا. آخِر أحمق جاءَني حاولَ إقناعي بأن ساحرًا متجوِّلًا أنبتَه من جديد. على كلِّ حالٍ يبدو لي أنك مدين لهذا القزم بأنف. عائلة لانستر تُسَدِّد ديونها، وكذا ستفعل أنت. سير مرين، خُذ هذا المحتال إلى كايرن».

أخذَ السير مرين ترانت التايروشي من يده وسحبَه وهو لا يزال يصيح محتجًّا، وحين خرجا التفتَت سرسي إلى أوزموند كِتلبلاك قائلةً: «سير أوزموند، أبعِد هذا الشَّيء عن نظري وأدخِل الثَّلاثة الآخَرين الذين يدَّعون معرفتهم بمكان العِفريت».

- «حاضر يا جلالة الملكة».

لكن للأسف اتَّضح أن ثلاثة المدَّعين ليسوا ذوي جدوى أكثر من التايروشي. قال أحدهم إن العِفريت مختبئ في ماخور بـ(البلدة القديمة)

---

(1) الكَراجِل مخلوقات أسطوريَّة ذات مظهر مشوَّه مخيف مصوَّرة في منحوتاتٍ عدَّة، وبالأخص على الجُدران الخارجيَّة لعددٍ من كنائس العصور الوُسطى، حيث تتَّخذ شكل ميزاب ناتئ. (المترجم).

ويخدم الرِّجال بفمه، وهي صورة طريفة لكن سرسي لم تُصَدِّقها لحظةً. الثَّاني زعمَ أنه رأى القزم في عرض ممثِّلين في (براڤوس)، والثَّالث أكَّد أن تيريون أصبحَ ناسكًا في أراضي النَّهر ويعيش فوق تَلٍّ مسكون ما. أجابَت الملكة كلًّا منهم بالوعد نفسه: «إذا تفضَّلت بقيادة مجموعةٍ من فُرساني الشُّجعان إلى هذا القزم فستتلقَّى مكافأةً سخيَّةً، شريطة أن يكون العِفريت حقًّا... وإن لم يكن هو... إن فُرساني لا صبر لهم على الخداع أو الحمقى الذين يُرسِلونهم لمطارَدة الأشباح. قد تفقد لسانك»، وبهذه السُّرعة فقدَ الثَّلاثة ثقتهم فجأةً وقال كلٌّ منهم إنه ربما رأى قزمًا آخَر ما.

لم تكن سرسي تُدرِك أن هناك أقزامًا كثيرين هكذا، وقالت متذمِّرةً مع خروج آخِر المُخبرين: «هل اجتاحَ هؤلاء الوحوش المشوَّهون العالم؟ كم يُمكن أن يكون عددهم؟».

قالت الليدي ميريويذر: «أقل مما كان. هل لي بشَرف اصطحاب جلالتكِ إلى البلاط؟».

– «إذا كان يُمكنكِ احتمال الملل. روبرت كان أحمق في معظم الأشياء، لكنه أصابَ في شأنٍ واحد. حُكم المملكة عمل متعِب».

– «يُحزِنني أن أرى جلالتكِ مثقلةً بالهموم. رأيي أن تَهرُبي وتلعبي وتَترُكي سماع الالتماسات المتعِبة ليد الملك. يُمكننا أن نتنكَّر في هيئة خادمتين ونقضي اليوم وسط العامَّة ونسمع ما يقولونه عن سقوط (دراجونستون). إنني أعرفُ الخان الذي يُغَنِّي فيه الشَّاعر الأزرق حين لا يكون في حضور الملكة الصَّغيرة، وأعرفُ قبوًا معيَّنًا يُحوِّل فيه ساحر الرَّصاص إلى ذهب والماء إلى نبيذ والفتيات إلى فِتية. ربما يُلقي تعاويذه علينا. هل يُسَلِّي جلالتكِ أن تكوني رجلًا ليلةً؟».

لو كنتُ رجلًا لأردت أن أكون چايمي، لو كنتُ رجلًا لحكمت هذه البلاد باسمي بدلًا من اسم تومن. قالت عالمةً ما تُريد تاينا أن تسمعه: «بشرط أن تبقي امرأةً. أنتِ شرِّيرة لإغرائي هكذا، لكن أيُّ ملكةٍ أنا إذا تركتُ مملكتي بين يدَي هاريس سويفت الرَّاجفتين؟».

مطَّت تاينا شفتيها قائلةً: «جلالتكِ دءوب للغاية».

ردَّت سرسي: «نعم، ومع نهاية اليوم سأندمُ على هذا»، وتأبَّطت ذراع الليدي ميريويذر مضيفةٍ: «هلمِّي».

كان چالابار شو أول الملتمسين يومها كما يليق بمقامه كأميرٍ منفي، لكن على الرغم من مظهره الفاخر في معطفه الرِّيش الزَّاهي لم يأتِ الرَّجل إلَّا ليشحذ. تركَته سرسي كعادته يلتمس الرِّجال والسِّلاح لاسترداد (وادي الزَّهرة الزَّرقاء)، ثم قالت: «جلالته يخوض حربًا بالفعل أيها الأمير چالابار، وليس عنده رجال يستغني عنهم لحربك الآن. ربما العام المقبل». هكذا أجابَه روبرت دومًا. العام المقبل ستقول له: «لن يَحدُث»، لكن ليس اليوم. إن (دراجونستون) لها.

جاءَ اللورد هالاين من رابطة الخيميائيِّين ليَطلُب الإذن لپايرومانسراته في محاوَلة إفقاس أيِّ بيضات تنانين تظهر في (دراجونستون) ما دامَت الجزيرة قد عادَت آمنةً إلى الأيدي الملكيَّة، فقالت له الملكة: «لو كانت بيضات كهذه تبقَّت لباعها ستانيس ليُنفِق على تمرُّده»، وإن أحجمَت عن إضافة أنها خطَّة جنونيَّة. منذ نفقَ آخِر تنانين آل تارجاريَن انتهَت كلُّ المحاوَلات المشابهة بالموت أو المصائب أو المهانة.

مثلَت أمامها مجموعة من التُّجَّار الذين توسَّلوا إلى العرش أن يتوسَّط لهم عند مصرف (براڤوس) الحديدي، فالبراڤوسيُّون يُطالِبون بسداد الدُّيون واجبة الدَّفع ويَرفُضون منح أيِّ قروضٍ جديدة. قالت سرسي لنفسها: نحن محتاجون إلى مصرفنا الخاص، مصرف (لانسپورت) الذَّهبي. ربما تستطيع أن تفعل ذلك عندما تُؤَمِّن عرش تومن، أمَّا في الوقت الرَّاهن فليس بإمكانها إلَّا أن تقول للتُّجَّار أن يردُّوا لمُرابيِّي (براڤوس) مالهم.

وصلَ وفد العقيدة بقيادة صديقها القديم السِّپتون رايناردِ، وقد رافقَه ستَّة من أبناء المُحارب عبر المدينة. معًا يصنعون سبعةً، وهو رقم مقدَّس مبشِّر بالخير، وهكذا يفعل السِّپتون الأعلى -أو العُصفور الأعلى كما لقَّبه فتى القمر- كلَّ شيءٍ بالسَّبعات. يتمنطق الفُرسان بأحزمة سيوفٍ مخطَّطة بألوان العقيدة السَّبعة، ويُزَيِّن البلَّور قبائع سيوفهم الطَّويلة وريشات خوذاتهم العظيمة، ويحملون تُروسًا لوزيَّة الشَّكل من طرازٍ لم يَعُد شائعًا منذ غزوة إجون عليها شعار لم يُرَ في (الممالك السَّبع) منذ قرون؛ سيف بألوان قوس قزح يلتمع على خلفيَّةٍ مظلمة. ما يَقرُب من مئة فارسٍ أتوا بالفعل ليتعهَّدوا بحيواتهم وسيوفهم لأبناء المُحارب طِبقًا لتقارير كايبرن، ومزيد منهم يجيء

كلَّ يوم. أسكرَتهم الآلهة جميعًا. من كان ليتخيَّل أن في البلاد كلَّ هذه الأعداد؟

أكثرهم فُرسان حراسة وفُرسان متجوِّلون، لكن منهم كريمي المحتد كذلك، من أبناء أصغر ولوردات صغار ومسنِّين يبتغون التَّوبة عن خطايا قديمة... ثم إن هناك لانسل أيضًا. لقد حسبَت أن كايبرن يمزح عندما أخبرَها بأن المغفَّل ابن عمِّها تخلَّى عن قلعته وأراضيه وزوجته وعادَ إلى المدينة لينضمَّ إلى جماعة أبناء المُحارب النَّبيلة العظيمة، لكن ها هو ذا مع الحمقى المتديِّنين بالفعل.

لا يروق سرسي هذا على الإطلاق، ولا يسرُّها استمرار تشدُّد العُصفور الأعلى ونُكرانه على الإطلاق. سألَت السِّپتون رايناردِ: «أين السِّپتون الأعلى؟ لقد استدعيته هو».

انتحلَ السِّپتون رايناردِ نبرةً آسفةً مجيبًا: «صاحِب القداسة الأعلى أرسلَني بدلًا منه وطلبَ مني أن أخبرِ جلالتكِ بأن الآلهة أرسلَته يُكافِح الشُّرور».

– «كيف. بالتَّبشير بالعفَّة في (شارع الحرير)؟ هل يظنُّ أن الصَّلاة على العاهرات ستُعيد إليهن عذريَّتهن؟».

رَدَّ رايناردِ: «أجسادنا شكَّلها أبونا وأمُّنا الإلهان كي يتزاوَج الذَّكر والأنثى لإنجاب أولادٍ شرعيِّين. من الرَّذيلة والإثم أن تبيع النِّساء أعضاءهن المقدَّسة بالمال».

لربما كان هذا الرَّأي المحمَّل بالتَّقوى أكثر إقناعًا لو أن الملكة لا تعلم أن للسِّپتون رايناردِ صديقاتٍ معيَّنات في كلِّ ماخورٍ بـ(شارع الحرير). لا شَكَّ أنه قرَّر أن ترديده تغريد العُصفور الأعلى أفضل من تنظيف الأرضيَّات. قالت له: «لا تُحاوِل أن تعظني. أصحاب المواخير يشتكون، ولهم الحَق».

– «إذا تكلَّم الآثمون فلِمَ يُصغي إليهم الصَّالحون؟».

ردَّت الملكة بلا موارَبة: «هؤلاء الآثمون يُغَذُّون الخزانة الملكيَّة، ببنساتهم ندفع أجور ذوي المعاطف الذَّهبيَّة ونبني القوادس للدِّفاع عن سواحلنا. ويجب وضع التِّجارة في الاعتبار أيضًا. إذا خلَت (كينجز لاندنج) من المواخير فستذهب السُّفن إلى (وادي الغسق) أو (بلدة النَّوارس). صاحِب القداسة الأعلى وعدَني بالسَّلام في شوارعي، والعِهر يُساعِد على

حِفظ السَّلام. العامَّة المحرومون من العاهرات يجنحون إلى الاغتصاب. فليلتزم صاحِب القداسة الأعلى من الآن فصاعدًا بالصَّلاة في السِّپت حيث ينتمي».

توقَّعت الملكة أن تسمع من اللورد جايلز أيضًا، لكن بدلًا منه ظهرَ المِايستر الأكبر پايسل بوجهٍ مربد ونبرةٍ اعتذاريَّة يُخبِرها بأن روزبي أوهى من أن يبرح فِراشه، وأضافَ: «يُحزِنني أن أقول إن اللورد جايلز سيلحق بأسلافه النُّبلاء قريبًا. عسى (الأب) أن يَحكُم عليه بالعدل».

إذا ماتَ روزبي فسيُحاوِل مايس تايرل والملكة الصَّغيرة فرض جارث السَّمين عليَّ مجدَّدًا. قالت بتبرُّم: «اللورد جايلز مصاب بهذا السُّعال منذ سنين ولم يَقتُله. لقد ظَلَّ يَسعُل خلال نِصف حُكم روبرت وطيلة حُكم چوفري. إذا كان يُحتضَر الآن فالسبب الوحيد أن أحدًا يُريد موته».

حملقَ المِايستر الأكبر پايسل إليها مذهولًا، وقال: «جلالة الملكة، ممن قد يُريد موت اللورد جايلز؟».

- «وريثه ربما». أو الملكة الصَّغيرة. «امرأة ما نبذَها في الماضي». مارچري ومايس وملكة الأشواك، لِمَ لا؟ جايلز في طريقهم. «عدوٌّ قديم، عدوٌّ جديد، أنت».

امتقعَ وجه العجوز، وتلعثمَ قائلًا: «جـجلالة الملكة تمزح. لقد... لقد سقيتُ حضرة اللورد مسهِّلًا للبطن وعلَّقتُ له العَلق وعالجته بالكمَّادات والأنقعة... الزَّاذ يُريحه بعض الشَّيء، وحُلو الكرى يُخَفِّف عُنف سُعاله، لكنني أخشى أن قِطعًا من الرِّئتين تَخرُج مع الدَّم الآن».

- «بغَضِّ النَّظر عن هذا، ستعود إلى اللورد جايلز وتُبلِغه بأني لا أسمحُ له بالموت».

انحنى پايسل بجمودٍ قائلًا: «كما تأمر صاحِبة الجلالة».

جاءَ المزيد منهم، والمزيد، والمزيد، كلٌّ ملتمسٍ أكثر إثارةً للملل من سابِقه. ليلتها، بَعد أن رحلَ جميعهم أخيرًا وجلسَت تتناوَل عَشاءً بسيطًا مع ابنها قالت له: «تومن، عندما تُصَلِّي قبل النَّوم اشكُر (الأُم) و(الأب) لأنك ما زلت طفلًا. المُلك عمل شاق، وأؤكِّدُ لك أنك لن تحبَّه. إنهم يَنقُرونك كسربٍ من الغِربان، كلٌّ منهم يرغب في قطعةٍ من لحمك».

قال تومن بنبرةٍ حزينة: «حاضر يا أمَّاه». كان قد بلغَها أن الملكة الصَّغيرة أخبرَته بما جرى للسير لوراس، وقال السير أوزموند إن الصَّبي بكى. إنه صغير. حين يَبلُغ سِنَّ چوف سيكون قد نسيَ شكل لوراس. واصلَ ابنها: «لكني لا أمانعُ أن يَنقُروني. المفترَض أن أذهب معكِ إلى البلاط كلَّ يومٍ لأنصت. مارچري تقول...».

بحدَّةٍ قاطعَته سرسي: «... أكثر من اللَّازم. مقابل نِصف جروت سيسرُّني أن أقطع لسانها».

صاحَ تومن فجأةً وقد احتقنَ وجهه المستدير الصَّغير: «إياكِ أن تقولي هذا! دعي لسانها وشأنه، إياكِ أن تلمسيها. أنا الملك لا أنتِ».

حدَّقت إليه مشدوهةً، وقالت: «ماذا قلت؟».

- «أنا الملك، أنا من آمرُ بقطع الألسنة لا أنتِ. لن أسمح لكِ بإيذاء مارچري، لن أسمح. أحرِّجُ عليكِ أن تفعلي ذلك».

أمسكَته سرسي من أُذنه وجرَّته صارخًا إلى الباب حيث يقف السير بوروس بلاونت حراسةً، وقالت: «سير بوروس، جلالة الملك نسيَ نفسه. من فضلك خُذه إلى مسكنه وائتِ بپايت. أريدُ أن يجلد تومن الصَّبي بنفسه هذه المرَّة، وأن يستمرَّ حتى تنزف فلقتا مؤخِّرته. إذا رفضَ جلالته أو اعترضَ بكلمةٍ واحدة فاستدعَ كايبرن وقُل له أن يقطع لسان پايت ليتعلَّم جلالته ثَمن قلَّة الأدب».

نفخَ السير بوروس رامقًا الملك بارتباك، وقال: «كما تأمرين. تعالَ معي يا جلالة الملك إذا سمحت».

مع حلول اللَّيل على (القلعة الحمراء) أوقدَت چوسلين نارًا في مستوقَد الملكة بينما أشعلَت دوركاس الشُّموع إلى جوار الفِراش. فتحَت سرسي النَّافذة طلبًا لنسمة هواء، فرأت أن السُّحب عادَت تحتشد مواريةً النُّجوم، وتمتمَت دوركاس: «ليلة مظلمة يا جلالة الملكة».

فكَّرت: نعم، لكن ليست بظُلمة (قفص العذراوات) أو (دراجونستون) حيث ينطرِح لوراس تايرل محروقًا ينزف، أو في الزَّنازين السَّوداء تحت القلعة. لا تدري الملكة لِمَ خطرَ لها هذا بَعد أن عزمَت على عدم التَّفكير في فاليس ثانيةً. نزال فردي. كان على فاليس أن تكون أعقل من أن تتزوَّج

مهرِّجًا مِثله. الأخبار من (ستوكوورث) أن الليدي تاندا ماتَت ببردٍ في الصَّدر أفضى إليه وَركها المكسور، وأُعلِنَت لوليس البلهاء سيِّدةً على (ستوكوورث) والسير برون سيِّدها. تاندا ماتَت وجايلز يموت. جيِّد أن فتى القمر لم يزل معنا وإلَّا حُرِمَ البلاطُ المهرِّجين بالكامل. ابتسمَت الملكة إذ أراحَت رأسها على الوسادة، وقالت لنفسها: حين لثمتُ وجنتها تذوَّقتُ الملح في دموعها.

رأت حُلمًا قديمًا فيه ثلاث فتياتٍ يرتدين المعاطف البنِّيَّة وحيزبون لها لُغد وخيمة تعبق برائحة الموت.

كانت خيمة الحيزبون قاتمةً ذات سقفٍ مدبَّب طويل، ولم تُرِد سرسي أن تَدخُلها مِثلما لم تُرِد وهي في العاشرة، لكن الفتاتين الأخريَيْن كانتا تُراقِبانها ولم تستطِع التَّراجُع. في الحُلم كن ثلاثًا كما كن في الواقع. تخلَّفت چاين فارمان السَّمينة عن رفيقتيها كما فعلَت دومًا، وإنها لأعجوبة أن الفتاة قطعَت كلَّ هذا الشَّوط معهما من الأصل، أمَّا ميلارا هيذرسپون فكانت أكبر سِنًّا وأجرأ وتتحلَّى بنوعٍ منمَّش من الحُسن. بَعد أن تسلَّلن من أسرَّتهن وارتدين معاطف من الخيش ورفعن قلنسواتها عبرَت الفتيات الثَّلاث مضمار النِّزال وسعين إلى العرَّافة. كانت ميلارا قد سمعَت الخادمات يتهامَسن عن قُدرتها على إلقاء اللَّعنات على المرء أو جعله يقع في الحُبِّ واستدعاء الشَّياطين والتَّنبُّؤ بالمستقبَل.

في الواقع كانت الفتيات مبهوراتٍ طائشات، يمضين متبادلاتٍ الهمس شاعراتٍ بحماسةٍ تُكافِئ خوفهن، لكن الحُلم كان مختلفًا. في الحُلم كانت السُّرادقات مظلمةً، والفُرسان والخدم الذين مرَرن بهم من ضباب. جالَت الفتيات فترةً طويلةً قبل أن يجدن خيمة الحيزبون، وحين بلغنَها كانت المشاعل كلُّها تتذبذَب توطئةً للانطفاء. شاهدَت سرسي ثلاثتهن متلاصقاتٍ يتهامَسن، فحاولَت أن تقول لهن: عُدن، ارحلن، لا شيء لكن هنا، إلَّا أن صوتًا لم يَخرُج منها رغم أن فاها تحرَّك.

سبقَت ابنة اللورد تايوين رفيقتيها إلى الدُّخول من سديلة الخيمة، تتبعها ميلارا وراءها مباشرةً، وفي النِّهاية چاين فارمان التي حاولَت الاختباء وراء الأخريَيْن كعادتها الدَّائمة. في الدَّاخل أفعمَت هواء الخيمة الرَّوائح؛ القرفة وجوز الطِّيب، والفلفل أحمره وأبيضه وأسوده، وحليب اللَّوز والبصل،

والقرنفل وحشيشة اللَّيمون والزَّعفران الثَّمين، وتوابل أخرى أغرب وأندر. الضَّوء الوحيد كان ينبعث من مستوقَدٍ حديدي على شكل رأس بازيليسق، ضوء أخضر خافت جعلَ حوائط الخيمة تبدو باردةً ميتةً تتعفَّن. هل كانت تبدو هكذا في الواقع أيضًا؟ لم تستطِع سرسي أن تتذكَّر.

في الحُلم كانت المشعوذة نائمةً كما وجدنها في الواقع، وأرادَت الملكة أن تصيح: دَعنها وشأنها. أيتها الحمقاوات الصَّغيرات، إياكن وإيقاظ مشعوذةٍ نائمة، لكن بلا لسانٍ لم يكن بمقدورها إلَّا أن تُشاهِد الفتاة تنتزع معطف العرَّافة وتَركُل فِراشها قائلةً: «استيقظي، نُريد قراءة طالعنا».

حين فتحَت ماجي الضِّفدعة عينيها أطلقَت چاين فارمان صريرًا مرعوبًا وفرَّت من الخيمة مندفعةً إلى اللَّيل في الخارج من جديد. چاين الصَّغيرة البدينة الحمقاء الجبانة، شاحبة الوجه مكتنزة خائفة من كلِّ ظِل. لكنها كانت الحكيمة بيننا. ما زالَت چاين تعيش على (الجزيرة القصيَّة)، وقد تزوَّجت أحد حمَلة راية أخيها اللورد وأنجبَت دستةً من الأطفال.

كانت عينا المرأة صفراويْن وتُحيط بهما قشرة شيءٍ كريه. في (لانسپورت) أشيعَ أنها كانت شابَّةً جميلةً عندما عادَ بها زوجها من الشَّرق مع شحنةٍ من التَّوابل، لكن الزَّمن والشَّرَّ تركا آثارهما عليها. كانت قصيرةً ممتلئةً، في وجهها ثآليل ولها لُغد متغضِّن مخضَر، وقد سقطَت أسنانها جميعًا وتدلَّى ثدياها حتى رُكبتيها. إذا وقفت قريبًا منها فبإمكانك أن تشمَّ رائحة المرض، لكن حين فتحَت فمها كانت لأنفاسها رائحة غريبة قويَّة كريهة، وبهمسةٍ مبحوحة قالت للفتاتين: «ارحَلا».

قالت لها سرسي الصَّغيرة: «جئنا لأجل قراءة طالعنا».

نعبَت العجوز ثانيةً: «ارحَلا».

قالت ميلارا: «سمعنا أنكِ ترين الغَد. نُريد فقط أن نعرف الرَّجلين اللذين سنتزوَّجهما».

ومرَّةً ثالثةً نعبَت ماجي: «ارحَلا».

ولو كان للملكة لسان لصرخَت: أصغِيا إليها. ما زالَت فُرصة الهرب سانحةً. اهرُبا أيتها الحمقاوان!

وضعَت الفتاة ذات الخُصلات الذَّهبيَّة يديها على وَركيها قائلةً: «اقرئي طالعنا وإلَّا ذهبتُ إلى السيِّد والدي وجعلته يأمر بجَلدكِ لوقاحتكِ».

وأضافَت ميلارا متوسِّلةً: «أرجوكِ، أخبرينا بمستقبلنا فقط ثم سنرحل».

تمتمَت ماجي بصوتها العميق الرَّهيب: «بعض مَن هنا بلا مستقبَل»، ثم إنها سحبَت معطفها حول كتفيها وأشارَت إلى الفتاتين بالاقتراب، وقالت: «أقبِلا إذن ما دُمتما لن ترحَلا. أنتما حمقاوان. نعم، أقبِلا، يجب أن أذوق دمكما».

شحبَ وجه ميلارا لكن سرسي حافظَت على رباطة جأشها، فاللبؤة لا تخاف الضِّفدعة مهما كانت عجوزًا قبيحةً. كان عليها أن ترحل، كان عليها أن تُصغي، كان عليها أن تفرَّ، وبدلًا من ذلك أخذَت الخنجر الذي ناولَتها ماجي إياه ومرَّرت النَّصل الحديدي الملتوي على أنملة إبهامها، ثم فعلَت المِثل مع ميلارا.

في الخيمة الخضراء المعتمة بدا الدَّم أقرب إلى الأسود من الأحمر، وقد ارتعشَ فم ماجي الخالي من الأسنان لمرآه، وهمسَت: «ناوِليني يدكِ»، فلمَّا فعلَت سرسي امتصَّت العرَّافة الدَّم من إصبعها بلثةٍ ليِّنة كلثة طفلٍ حديث الولادة، ولا تزال الملكة تَذكُر كم كان فمها غريبًا باردًا.

ما إن شربَت الحيزبون حتى قالت: «لكِ ثلاثة أسئلة. لن تُعجِبكِ إجاباتي. سَلي أو ارحلي».

فكَّرت الملكة الحالمة: ارحلي، الزمي الصَّمت واهرُبي، لكن الفتاة كانت أقلَّ عقلًا من أن تخاف.

سألَت: «متى سأتزوَّجُ الأمير؟».

- «لن تتزوَّجيه أبدًا، ستتزوَّجين الملك».

تحت خُصلاتها الذَّهبيَّة التوَت ملامحها حيرةً، وطيلة سنواتٍ بَعدها فسَّرت الكلام بأنها لن تتزوَّج ريجار إلَّا بَعد موت أبيه إيرس.

سألَت سرسي الصَّغيرة: «لكنني سأكونُ الملكة؟».

التمعَ الحقد في عينَي ماجي الصَّفراوين إذ أجابَت: «ملكةً ستكونين، إلى أن تأتي أخرى أصغر منكِ وأجمل، لتُطيح بكِ وتسلبكِ كلَّ ما تعدِّينه عزيزًا».

ومضَ الغضب على وجه الفتاة، وقالت: «إذا حاولَت سأجعلُ أخي يَقتُلها». حتى في ذلك الحين لم تتوقَّف تلك الطِّفلة العنيدة، فما زالَ لها سؤال أخير، لمحة أخرى من حياتها الآتية، وهكذا سألَت: «هل سأنجبُ والملك أطفالًا؟».

- «أوه، أجل. ستَّة عشر له وثلاثة لكِ».

وجدَت سرسي الجواب بلا معنى. كان إبهامها يُؤلِمها حيث جرحَته ودمها يَقطُر على البساط. أرادَت أن تَطلُب تفسيرًا، لكنها فرغَت من أسئلتها.

على أن العجوز لم تَفرُغ منها، وتابعَت: «ذهبيَّةً ستكون تيجانهم وذهبيَّةً أكفانهم، وحين تُغرِقكِ دموعك سيُطَوِّق القالونكار جيدكِ الأبيض الشَّاحب بيديه ويَخنُقكِ حتى الموت».

قالت الفتاة الذَّهبيَّة التي لم تفهم النُّبؤة: «ما هو القالونكار؟ وحش ما؟ أنتِ كذَّابة وضفدعة مغطَّاة بالثَّآليل وهمجيَّة عجوز كريهة الرَّائحة، ولا أصدِّقُ كلمةً مما تقولين. هيا بنا يا ميلارا، إنها لا تستحقُّ أن نسمعها».

ردَّت صديقتها بإصرار: «إن لي ثلاثة أسئلة أيضًا»، ولمَّا شدَّتها سرسي من ذراعها تملَّصت وعادَت تلتفت إلى الشَّمطاء سائلةً باندفاع: «هل سأتزوَّجُ چايمي؟».

فكَّرت الملكة شاعرةً بالغضب منها حتى الآن: أيتها البلهاء، چايمي لا يدري أن لكِ وجودًا أصلًا. آنذاك كان أخوها يعيش فقط للسُّيوف والكلاب والخيول... ومن أجلها، توأمته.

أجابَت ماجي: «ليس چايمي ولا أيَّ رجلٍ غيره. بِكارتكِ سيفضُّها الدُّود. إن موتكِ هنا اللَّيلة أيتها الصَّغيرة. هل تشمِّينَ أنفاسها؟ إنها دانية للغاية».

قالت سرسي: «الأنفاس الوحيدة التي نشمُّها أنفاسكِ». على الطَّاولة قُرب مِرفقها كان برطمان فيه عقَّار ثخين ما، فاختطفَته وألقَته في عينَي العجوز. في عالم الواقع صرخَت الحيزبون فيهما بلُغةٍ أجنبيَّة غريبة ما وصبَّت عليهما لعناتها إذ فرَّتا من الخيمة، لكن في الحُلم تبدَّد وجهها وذابَ مستحيلًا إلى خيوطٍ من الضَّباب الرَّمادي، ثم لم يتبقَّ منه إلَّا عينان صفراوان ضيِّقتان، عينا الموت.

سمعَت الملكة مَن يقول: سيُطَوِّق القالونكار جيدكِ بيديه، لكنه لم يكن صوت العجوز، وبرزَت اليدان من غيوم حُلمها والتفَّتا حول عُنقها، يدان غليظتان قويَّتان يطفو فوقهما وجهه النَّاظر إليها شزرًا بعينيه غير المتماثلتين. حاولَت الملكة أن تصيح: لا، لكن يدَي القزم انغرسَتا أكثر في لحم رقبتها خانقتيْن مقاوَمتها، وراحَت تَركُل وتَصرُخ بلا طائل، وسرعان ما صارَت

تُصدِر الصَّوت ذاته الذي خرجَ من ابنها، صوت الامتصاص الرَّفيع الشَّنيع الذي صاحبَ آخِر أنفاسٍ يلفظها چوف في دُنياه.

استيقظَت شاهقةً في الظَّلام لتجد دثارها معقودًا حول عُنقها، فانتزعَته سرسي بعُنفٍ مزَّقه واعتدلَت جالسةً تلهث، وقالت لنفسها: حُلم، حُلم قديم ودثار معقود، هذا كلُّ ما هنالك.

هذه اللَّيلة أيضًا تقضيها تاينا مع الملكة الصَّغيرة، وبدلًا منها تنام إلى جوارها دوركاس. هزَّتها سرسي من كتفها بخشونةٍ قائلةً: «استيقِظي واعثُري على پايسل. أظنُّه سيكون مع اللورد جايلز. أحضِريه في الحال»، فنهضَت دوركاس شِبه نائمةٍ ونزلَت من الفِراش لتقطع الغُرفة مترنِّحةً وتبحث عن ثيابها، وقد احتكَّت قدماها الحافيتان بالحصائر.

بَعد عصورٍ دخلَ المِايستر الأكبر پايسل يجرُّ قدميه ووقفَ أمامها برأسٍ محني، يطرف بعينيه ثقيلتَي الجفنين ويُقاوِم التَّثاؤب، ويبدو كأن وزن سلسلة المِايستر الضَّخمة حول عُنقه المتهدِّل يسحبه سحبًا إلى الأرض. كان پايسل عجوزًا طيلة معرفة سرسي به، ولكنه شهدَ زمنًا تمتَّع فيه بالبهاء أيضًا، إذ تعوَّد ارتداء الأقمشة الفاخرة وأحاطَ به طابع من الجلال وميَّزته كياسة منقطعة النَّظير، ومنحَته لحيته البيضاء الهائلة سمت الحكمة... إلَّا أن تيريون حلقَ لحيته، وما نبتَ منها من جديدٍ يُثير الشَّفقة، مجرَّد رُقع قليلة من الشَّعر الهَشِّ لا تُخفي إلَّا القليل من الجِلد الوردي الرَّخو تحت ذقنه المتدلِّي. ليس هذا رجلًا وإنما أطلال رجل. الزَّنازين السَّوداء سلبتَه ما فيه من قوَّة، هي وموسى القزم.

بادرَته سرسي سائلةً: «كم سِنُّك؟».

- «أربعة وثمانون عامًا، بَعد إذن صاحِبة الجلالة».

- «كنتُ أفضِّلُ رجلًا أصغر».

لعقَ شفتيه قائلًا: «كنتُ في الثَّانية والأربعين فقط عندما استدعاني مجمع المِايسترات. كايث كان في الثَّمانين حين اختاروه، وإليندور كان في التَّاسعة والثَّمانين. كلاهما سحقَته أعباء المنصب وماتَ في غضون عامٍ من ترقيته، وخلفَهما ميريون في سِنِّ السَّادسة والستِّين، لكنه ماتَ بالبرد في طريقه إلى (كينجز لاندنج)، وبَعدها طلبَ الملك إجون من (القلعة) أن تُرسِل رجلًا أصغر، فكان أول ملكٍ خدمته».

وتومن سيكون الأخير. «أحتاجُ إلى عقَّارٍ منك، شيء يُساعِدني على النَّوم».

– «كأس من النَّبيذ قبل النَّوم غالبًا ما...».

– «إنني أشربُ النَّبيذ أيها الأبله القميء. أريدُ شيئًا أقوى، شيئًا لا يجعلني أحلمُ».

– «صاحِبة... صاحِبة الجلالة لا تُريد أن تَحلُم؟».

– «ماذا قلتُ لتوِّي؟ هل وهنَت أُذناك كقضيبك؟ أيُمكنك أن تصنع لي عقَّارًا كهذا أم أن عليَّ أن آمر كايبرن بتصحيح فشلٍ آخَر لك؟».

– «لا، ليس هناك داعٍ لتدخُّل هذا الـ... لتدخُّل كايبرن. نوم بلا أحلام. ستَحصُلين على عقَّاركِ».

قالت: «عظيم. يُمكنك أن تذهب»، لكن إذ التفتَ نحو الباب استوقفَته متسائلةً: «شيء آخَر. ما الذي تُدَرِّسه (القلعة) بخصوص التَّنبُّؤ؟ هل التَّكهُّن بالغد ممكن؟».

تردَّد العجوز، وتحسَّست يده صدره بحركةٍ عفويَّة كأنها أرادَت التَّمليس على اللِّحية التي زالَت، وبتؤدةٍ ردَّد: «هل التَّكهُّن بالغد ممكن؟»، ثم إنه قال: «ربما. ثمَّة تعاويذ معيَّنة في الكُتب القديمة... لكن ربما على جلالتكِ أن تسألي: هل ينبغي التَّكهُّن بالغد؟ وعلى هذا أردُّ بلا. خيرٌ للإنسان أن يظلَّ بعض الأبواب مغلقًا».

– «احرِص على إغلاق بابي عندما تَخرُج». كان يَجدُر بها أن تعلم أن إجابته ستكون عديمة الفائدة مِثله.

في الصَّباح التَّالي تناولَت إفطارها مع تومن، وقد بدا الصَّبي خاضعًا للغاية. واضح إذن أن جَلده پايت آتى أُكله. أكلا البيض المقليَّ والخُبز المحمَّر واللَّحم المقدَّد والقليل من البُرتقال الدَّموي الذي وصلَ حديثًا على سفينةٍ من (دورن). صاحبَت ابنها هُريراته، وإذ توثَّبت ولعبَت حول قدميه أحسَّت سرسي بشيءٍ من التَّحسُّن. لا أذى سيمسُّ تومن ما دمتُ حيَّةً. ستَقتُل نِصف لوردات (وستروس) وعامَّتها كافَّةً إذا كان ذلك ما يتطلَّبه الحفاظ على سلامته. بَعد الأكل قالت للصَّبي: «اذهب مع چوسلين»، ثم إنها أرسلَت تستدعي كايبرن، ولمَّا جاءَ سألَته: «أما زالَت الليدي فاليس حيَّةً؟».

- «حيَّة، نعم، لكن ربما لا تكون... مستريحةً».

غمغمَت سرسي: «مفهوم»، وفكَّرت بُرهةً قبل أن تُردِف: «هذا الرَّجل برون... لا أستطيعُ أن أقول إن فكرة وجود عدوٍّ بهذا القُرب تُعجِبني. إن قوَّته كلَّها مستمدَّة من لوليس، فإذا كشفنا عن أختها الكبيرة...».

قال كايبرن: «للأسف أخشى أن الليدي فاليس لم تَعُد قادرةً على حُكم (ستوكوورث)، أو على إطعام نفسها حتى. يسرُّني أن أقول إنني تعلَّمتُ الكثير منها، لكن الدُّروس لم تكن بلا مقابل. آملُ أنني لم أتجاوَز تعليمات جلالتكِ».

- «نعم». أيًّا كان ما انتوَته فقد فاتَ أوانه، ولا جدوى من إطالة التَّفكير فيه. الأفضل أن تموت، فليست تُريد أن تُواصِل الحياة من دون زوجها. على الرغم من سذاجته بدَت الحمقاء مغرمةً به. «ثمَّة مسألة أخرى. ليلة أمس رأيتُ حُلمًا مخيفًا».

- «شيء يُصيب البَشر كلَّهم من حينٍ إلى آخَر».

- «الحُلم يخصُّ ساحرةً زُرتها في طفولتي».

- «ساحرة غابات؟ أكثرهن غير مؤذيات، يعرفن القليل من العلاج بالأعشاب والقبالة، لكن فيما عدا هذا...».

- «كانت أكثر من ذلك. نِصف أهل (لانسپورت) اعتادوا الذَّهاب إليها من أجل التَّمائم والعقاقير. كانت أُمَّ أحد اللوردات الصِّغار، تاجر ثري رقَّاه جدِّي، وقد وجدَها أبو هذا اللورد بينما يُتاجِر في الشَّرق. قال بعضهم إنها ألقَت عليه تعويذةً، مع أن الأرجح أن التَّعويذة الوحيدة التي احتاجَت إليها كانت بين فخذيها. لم تكن بشعة الخلقةِ دائمًا، أو هكذا قالوا. لا أذكرُ اسمها. كان اسمًا شرقيًّا طويلًا غريبًا، لكن العامَّة تعوَّدوا دعوتها بماجي».

- «مايجي؟».

- «أهكذا يُنطَق؟ كانت المرأة تمتصُّ قطرة دمٍ من إصبعك وتُخبِرك بما يُخَبِّئه مستقبَلك».

- «السِّحر الدَّموي أكثر أنواع الشَّعوذة سوادًا، ويقول بعضهم إنه الأقوى كذلك».

قالت سرسي التي لا تُريد أن تسمع هذا: «هذه المايجي تنبَّأت بأشياء معيَّنة.

في البدء ضحكتُ منها، لكنها... تنبَّأت بموت واحدةٍ من رفيقات فِراشي. وقت النُّبوءة كانت الفتاة في الحادية عشرة، في صحَّةٍ ممتازة كمُهرة وآمنةً في (الصَّخرة)، لكنها سقطَت بَعد فترةٍ قصيرة في بئرٍ وغرقَت». توسَّلت ميلارا إليها ألَّا تتكلَّما أبدًا عمَّا سمعتاه تلك اللَّيلة في خيمة المايجي. إذا لم نتكلَّم عمَّا حدثَ فسرعان ما سننساه، وعندها سيكون مجرَّد حُلم سيِّئ رأيناه. الأحلام السيِّئة لا تتحقَّق أبدًا. كانت كلتاهما صغيرةً، فبدا الكلامُ أقرب إلى الحكمة.

سألَها كايبرن: «أما زلتِ حزينةً على صديقة طفولتكِ؟ أهذا ما يُزعِجكِ يا جلالة الملكة؟».

- «ميلارا؟ لا. إنني أذكرُ شكلها بالكاد. غير أن... المايجي علمَت كم طفلًا سأنجبُ، وعلمَت بأمر نغول روبرت، قبل سنواتٍ من إنجابه أولهم علمَت. لقد وعدَتني بأنني سأصيرُ ملكةً، لكنها قالت إن ملكةً أخرى ستأتي...». أصغر وأجمل. «... ملكةً أخرى ستسلبني كلَّ ما أحبُّ».

- «وترغبين في تحاشي تحقُّق هذه النُّبوءة؟».

أكثر من أيِّ شيء. «أهذا ممكن؟».

- «أوه، نعم. لا تشكِّي في هذا أبدًا».

- «كيف؟».

- «أظنُّ أن جلالتكِ تعرف الجواب».

وهي تعرفه بالفعل. كنتُ أعرفه طيلة الوقت، حتى في الخيمة. «إذا حاولَت سأجعلُ أخي يَقتُلها».

إلَّا أن معرفة ما عليها أن تفعله شيء ومعرفة كيف تفعله شيء آخَر. إنها لا تستطيع الاعتماد على چايمي. أفضل الحلول أن يفتك بها مرض مفاجئ، لكن الآلهة نادرًا ما تكون بذلك الكرم. كيف إذن؟ سكِّين؟ وسادة؟ كوب من آفة القلوب؟ كلُّ هذه الخيارات يتضمَّن مشكلات. حين يموت رجل مسنٌّ في نومه لا يُفكِّر أحد في الأمر مرَّتين، لكن العثور على فتاةٍ في السَّادسة عشرة ميتةً في فِراشها سيُفضي بكلِّ تأكيدٍ إلى أسئلةٍ تتعذَّر إجابتها، ثم إن مارچري لا تنام بمفردها أبدًا، وحتى مع احتضار السير لوراس ما زالَ الحَرس المسلَّحون حولها ليل نهار.

لكن لكلِّ سيفٍ حدَّان. الرِّجال أنفُسهم الذين يَحرُسونها يُمكن استغلالهم

في الإطاحة بها. يجب أن يكون الدَّليل دامغًا لدرجة ألَّا يجد السيِّد والد مارچري ذاته خيارًا غير الموافَقة على إعدامها، ولن يكون ذلك سهلًا. ليس واردًا أن يعترف عُشَّاقها عالمين أن معنى هذا قطع رؤوسهم مع رأسها، ما لم...

في اليوم التَّالي وجدَت الملكة أوزموند كِتلبلاك يُبارِز أحد التَّوأمين ردواين في السَّاحة. لا تدري أيُّهما، إذ لم تتمكَّن قَطُّ من التَّمييز بينهما. شاهدَت المبارَزة فترةً، ثم نادَت السير أوزموند، وقالت له: «تمشَّ معي واصدِقني القول. لا أريدُ زهوًا فارغًا أو كلامًا عن أن أيَّ ابن لكِتلبلاك أفضل ثلاث مرَّاتٍ من أيِّ فارسٍ آخَر. الكثير يعتمد على إجابتك. أخوك أوزني، ما مدى براعته في استخدام السَّيف؟».

– «إنه بارِع. لقد رأيتِه. ليس قويًّا مِثلي أو مِثل أوزفريد، لكنه سريع القتل».

– «إذا دعَت الحاجة، فهل يستطيع أن يهزم السير بوروس بلاونت؟».

أطلقَ السير أوزموند ضحكةً مكتومةً، وقال: «بوروس الكِرش؟ كم سِنُّه؟ أربعون عامًا؟ خمسون؟ إنه نِصف ثمل نِصف الوقت، وبدين حتى وهو مفيق. إذا كان يستسيغ القتال من قبل فلم يَعُد يفعل. أجل يا جلالة الملكة، إذا كان قتل السير بوروس مطلوبًا فأوزني كفيل بهذا بسهولة. لماذا؟ هل ارتكبَ بوروس خيانةً ما؟».

أجابَت: «لا»، لكن أوزني ارتكبَها.

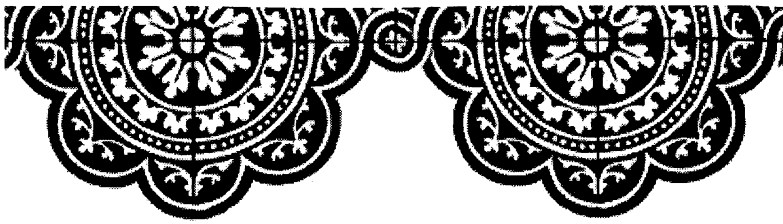

بِريان

صادَفوا أولى الجُثث على بُعد ميلٍ من مفترَق الطُّرق.

كان الرَّجل يتأرجَح من فرع شجرةٍ ميتة ما زالَ جذعها المتفحِّم يحمل ندوب صاعقة البرق التي قتلَتها، وقد أدَّت الغِربان عملها في وجهه، والتهمَت الذِّئاب وليمةً من لحم ساقيه حيث تتدلَّيان قُرب الأرض، فلم يتبقَّ أسفل الرُّكبتين إلَّا العظم والأسمال... بالإضافة إلى فردة حذاءٍ ممضوغة تمامًا ويكاد يُغَطِّيها الطَّمي والعفَن.

سألَ پودريك: «ما هذا الذي في فمه؟».

اضطرَّت بِريان إلى استجماع أطراف شَجاعتها لتُلقي نظرةً. وجه الرَّجل رمادي وأخضر وفظيع، وفمه مفتوح منتفخ إذ دَسَّ أحدهم صخرةً بيضاء محزَّزةً بين أسنانه، صخرةً أو...

قال السِّپتون ميريبولد: «إنه ملح».

بَعد خمسين ياردةً أبصَروا الجثَّة الثَّانية. كان آكلو الجيف قد سحبوها أرضًا، وما تبقَّى منها مبعثَر على الأرض تحت حبلٍ بالٍ مربوط حول فرع شجرة دَردار. كانت بِريان لتمرَّ بها دون أن تلحظ، لولاً أن كلب التقطَ رائحتها ووثبَ بين الحشائش ليتشمَّمها من كثب.

سألَ السير هايل: «ماذا وجدت يا كلب؟»، وترجَّل ولحقَ بالكلب، ثم عادَ بخوذةٍ قصيرة لا تزال تحوي جمجمة الميت بالإضافة إلى القليل من الدِّيدان والخنافس، وأعلن: «فولاذ جيِّد، ليس منبجعًا لهذه الدَّرجة، ولو أن الأسد فقدَ رأسه. پود، هل تُريد خوذةً؟».

– «ليس هذه، إن فيها دودًا».

- «يُمكنك أن تغسلها من الدُّود يا فتى. إنك شديد الحساسيَّة كالبنات».
قالت له بِريان عابسةً: «إنها كبيرة عليه للغاية».
- «سيَكبُر حتى تُناسِبه».

قال پودريك: «لا أريدها»، فهَزَّ السير هايل كتفيه وألقى الخوذة ذات ريشة الأسد المكسورة وسط الحشائش، ونبحَ كلب وذهبَ يرفع ساقه على الشَّجرة.

بَعد ذلك لم تكد مئة ياردة تمرُّ بلا جُثثٍ مدلَّاة من أشجار المُران وجار الماء والزَّان والبَتولة والأَرز والدَّردار، ومن أشجار الصَّفصاف العجوز الزَّغِبة وأشجار الكستناء المهيبة. كلُّ رجلٍ حول رقبته أنشوطة معلَّقة من حبلٍ من القِنَّب، وكلُّ رجلٍ فمه محشوٌّ بالملح. يرتدي بعضهم معاطف رماديَّة أو زرقاء أو قرمزيَّة، وإن أبهتَتها الشَّمس والأمطار لدرجةٍ تُصَعِّب التَّمييز بين لونٍ وآخَر، وعلى صدور بعضهم شارات مخيطة، ورأت بِريان فؤوسًا وسهامًا وعدَّة أسماك سلمون وشجرة صَنوبر وورقة سَنديان وخنافس وديوكًا ورأس خنزيرٍ برِّي ونِصف دستةٍ من الرِّماح الثُّلاثيَّة. رجال مكسورون، فلول عشرة جيوشٍ أو أكثر، فُضالة اللوردات.

بعض الموتى أصلع وبعضهم ملتحٍ، وبعضهم شاب وبعضهم عجوز، وبعضهم قصير وبعضهم طويل، وبعضهم بدين وبعضهم نحيل، لكن مع انتفاخ الجُثث وتآكُل الوجوه وتعفُّنها يتشابَه الجميع. على مشانق الأشجار كلُّ البَشَر إخوة. قرأت بِريان هذه المقولة في كتابٍ ما، وإن نسيَت اسمه.

هايل هَنت هو من أعربَ عمَّا أدرَكوه جميعًا إذ قال: «هؤلاء هُم الرِّجال الذين أغاروا على (الملَّاحات)».

قال ميريبولد الذي كان صديق سِپتون البلدة الشَّيخ: «عسى (الأب) أن يَحكُم عليهم بالعذاب».

لا تهمُّ هُوِيَّاتهم بِريان بقدر ما يهمُّها مَن شنقَهم. يُقال إن الأنشوطة وسيلة الإعدام المثاليَّة عند بريك دونداريون وجماعته من الخارجين عن القانون، وإذا كان مَن يُسَمَّى سيِّد البرق شانقهم حقًّا فربما يكون قريبًا.

نبحَ كلب، فتلفَّت السِّپتون ميريبولد حوله بتجهُّم، وقال: «هلَّا حثثنا الخُطى؟ الشَّمس موشكة على الغروب، والجُثث صُحبة رديئة ليلًا. هؤلاء

كانوا رجالًا قُساةً خطرين في حياتهم، وأشكُّ أن الموت جعلَهم ألطف معشرًا».

علَّق السير هايل: «أخالِفك الرَّأي. إنهم بالضَّبط النَّوع الذي يُحَسِّن الموت طباعه كثيرًا»، على أنه همزَ حصانه وتحرَّك بسُرعةٍ أكبر.

على مسافةٍ أبعد بدأت الأشجار تقلُّ، ولكن ليس الجُثث. أفسحَت الغابة الطَّريق للحقول الموحلة وفروع الشَّجر للمشانق، وحلَّقت سحابات من الغِربان صارخةً مع دنوِّ المُسافرين ثم عادَت تستقرُّ على الجُثث ما إن مرُّوا. ذكَّرت بريان نفسها قائلةً: كانوا رجالًا أشرارًا، وعلى الرغم من هذا أحزنَها المشهد. أرغمَت نفسها على النَّظر إلى كلِّ رجلٍ بدوره باحثةً عن وجوهٍ تألفها، وخطرَ لها أنها تعرَّفت بعض مَن رأتهم في (هارنهال)، إلَّا أن حالتهم جعلَت التَّيقُّن عسيرًا. لا أحد من المشنوقين يعتمر خوذةً على شكل رأس كلب، لكن قلَّةً منهم تعتمر خوذاتٍ من شتَّى الأنواع، وإن جُرِّدَ أكثرهم من الأسلحة والدُّروع والأحذية قبل إعدامهم.

عندما سألَ پودريك عن اسم الخان الذي يأملون قضاء اللَّيل فيه، انتهزَ السِّپتون ميريبولد الفُرصة بحماسةٍ -ربما ليصرف تفكيرهم عن الحُرَّاس المريعين على جانب الطَّريق- وقال: «يُسَمِّيه بعضهم (الخان القديم). ثمَّة خان كان قائمًا هناك عدَّة مئاتٍ من السِّنين، ولو أن الخان الموجود حاليًّا بُنِيَ في عهد چهيرس الأول، الملك الذي شَقَّ (طريق الملوك)، ويُقال إن چهيرس وملكته اعتادا النَّوم هناك خلال رحلاتهما، وهكذا ظَلَّ المكان معروفًا فترةً باسم (خان التَّاجيْن) تكريمًا لهما، إلى أن شيَّد أحد أصحابه بُرج جرسٍ وغيَّر الاسم إلى (خان قارع الجرس). بَعدها انتقلَ المكان إلى فارسٍ مُعاق اسمه چون هدِل الفارع اشتغلَ في الحدادة حين تقدَّمت به السِّنُّ ولم يَعُد يقوى على القتال، فصنعَ لافتةً جديدةً للسَّاحة، تنِّينًا ثُلاثي الرُّؤوس من الحديد الأسود علَّقه من ساريةٍ خشبيَّة. كان التنِّين كبير الحجم لدرجة أنه تكوَّن من عدَّة قطعٍ رُبِطَت معًا بالحبال والأسلاك، وحين تهبُّ الرِّيح كان يُصَلصِل ويرنُّ، فاشتهرَ الخان في كلِّ مكانٍ باسم (التنِّين الرنَّان)».

سألَ پودريك: «أما زالَت لافتة التنِّين موجودةً؟».

أجابَ السِّپتون ميريبولد: «لا. عندما تقدَّم ابن الحدَّاد في السِّنِّ بدوره تمرَّد

ابن نغل لإجون الرَّابع على أخيه الشَّرعي واتَّخذ لرمزه تنِّينًا أسود. وقتها كانت هذه الأراضي تنتمي إلى اللورد داري، وكان حضرة اللورد مخلصًا للملك لأقصى درجة، فأغضبَه منظر التنِّين الأسود وقطعَ السَّارية الخشب وحطَّم اللَّافتة وألقاها في النَّهر. بَعدها بسنواتٍ كثيرة جرفَت المياه أحد رؤوس التنِّين إلى (جزيرة الهدوء)، ولو أن حُمرة الصَّدأ كانت قد صبغَته عندئذٍ. لم يُعَلِّق صاحِب الخان لافتةً أخرى، ونسيَ النَّاس التنِّين وأصبحوا يدعون المكان بـ(خان النَّهر). آنذاك كان (الثَّالوث) يتدفَّق أسفل الباب الخلفي، ونِصف الغُرف كان مبنيًّا فوق المياه مباشرةً. يقولون إن الضُّيوف كان بإمكانهم صيد أسماك الترويت من نوافذ غُرفهم بالصَّنانير. كان هناك مرسى عبَّارة أيضًا، ليستطيع الضُّيوف العبور إلى (بلدة اللورد هاروواي) و(الأسوار البيضاء)».

قالت بِريان: «لقد تركنا (الثَّالوث) في الجنوب وركبنا شمالًا وغربًا... ليس نحو النَّهر بل بعيدًا عنه».

– «أجل يا سيِّدتي. مجري النَّهر تبدَّل. كان هذا منذ سبعين عامًا، أم أنها ثمانين؟ وقتها كان جَدُّ العجوز ماشا هِدِل يملك المكان، وهي مَن حكَت لي تاريخه كلَّه. امرأة طيِّبة ماشا، مولعة بالتَّبغ المُرِّ وكعك العسل. عندما لا تكون عندها غُرفة شاغرة لي كانت تَترُكني أنام إلى جوار المستوقَد، ولم تُوَدِّعني قَطُّ دون أن تُعطيني خُبزًا وجُبنةً وبعض الكعكات البائتة».

سألَه پودريك: «أهي صاحِبة الخان الآن؟».

– «لا. لقد شنقَها الأسود. سمعتُ أن بَعد رحيلهم حاولَ أحد أبناء إخوتها إعادة فتح الخان من جديد، لكن الحروب جعلَت سفر العامَّة على الطُّرق محفوفًا بالأخطار، فلم يأتِ زبائن كثيرون. جلبَ الرَّجل عاهرات، لكن حتى هذا لم ينفعه. سمعتُ أن أحد اللوردات قتلَه أيضًا».

رسمَ السير هايل تعبيرًا ساخرًا على وجهه، وقال: «لم أتخيَّل قَطُّ أن امتلاك خانٍ من شأنه أن يكون خطرًا مميتًا هكذا».

رَدَّ السِّيتون ميريبولد: «الخطر أن تكون من أولاد العامَّة وقت أن يلعب اللوردات لُعبة العروش، أليس كذلك يا كلب؟»، فنبحَ الكلب مؤيِّدًا.

سألَ پودريك: «إذن هل للخان اسم الآن؟».

– «العامَّة يُسَمُّونه خان مفترَق الطُّرق. الأخ الكبير أخبرَني بأن اثنتين

من بنات إخوة ماشا هدِل أعادَتا فتح المكان للزَّبائن»، ورفعَ السِّپتون نبُّوته مضيفًا: «بمشيئة الآلهة سيكون الدُّخان المرتفع من وراء المشنوقين من مداخن الخان».

قال السير هايل: «يُمكنهم أن يُسَمُّوا المكان خان المشانق!».

بأيِّ اسمٍ الخان كبير، يرتفع ثلاثة طوابق فوق الطُّرق الموحلة، وجُدرانه وشُرفاته ومَداخنه من حجرٍ أبيض ناعم يلتمع بشحوبٍ شبحي تحت السَّماء الرَّماديَّة. الجناح الجنوبي مشيَّد فوق دعائم خشبيَّة ثقيلة أعلى مساحةٍ غائصة مشقَّقة من الحشائش والعُشب البنِّي الميت، وثمَّة إسطبل بسقفٍ من القَشِّ وبُرج جرس ملحقان بالجانب الشَّمالي، والمكان كلُّه محاط بسورٍ واطئ من حجارةٍ بيضاء مكسَّرة تنمو عليها الطَّحالب بكثافة.

على الأقل لم يُحرِقه أحد. في (الملَّاحات) لم يجدوا إلَّا الموت والدَّمار. لدى وصول بِريان ورفاقها بالعبَّارة من (جزيرة الهدوء) كان النَّاجون قد هربوا والموتى وُوروا التُّراب، لكن جثَّة البلدة نفسها تبقى متفحِّمةً لم تُدفَن، ما زالَت في الهواء رائحة الدُّخان، ويكاد صياح النَّوارس المحلِّقة بالأعلى يكون بَشريًّا كأنه نواح أطفالٍ ضاعوا من أهاليهم. حتى القلعة بدَت كئيبةً مهجورةً. رماديَّة هي كرماد البلدة المحيطة بها، وتتكوَّن من حصنٍ مربَّع محاط بسورٍ ومشيَّد بحيث يطلُّ على الميناء. وجدَت بِريان والآخَرون المكان مغلقًا بإحكام إذ قادوا دوابَّهم من العبَّارة، ولا شيء يتحرَّك في الشُّرفات إلَّا الرَّايات، واستغرَقَ الأمر رُبع ساعةٍ من نباح كلب وطرْق السِّپتون ميريبولد البوَّابة الأماميَّة بنبُّوته قبل أن تظهر امرأة من فوقهم لتسألهم عمَّا يُريدون.

عندئذٍ كانت العبَّارة قد رحلَت وبدأت السَّماء تُمطِر، ورفعَ ميريبولد صوته مجيبًا: «أنا سِپتون من العقيدة يا سيِّدتي الكريمة، وهؤلاء مُسافرون شُرفاء. نسألكم المأوى من المطر ومكانًا إلى جوار النَّار اللَّيلة».

على أن مناشَدته لم تُؤَثِّر في المرأة، وردَّت: «أقرب خان عند مفترَق الطُّرق إلى الغرب. لا نُريد أغرابًا هنا، ارحلوا»، وما إن غابَت لم تُفلِح صلوات ميريبولد أو نباح كلب أو سباب السيل هايل في إعادتها، وفي النِّهاية أمضوا اللَّيل في الغابة تحت سقفٍ صنعوه من الغصون المجدولة.

لكن في خان مفترَق الطُّرق حياة. حتى قبل بلوغهم البوَّابة سمعَت بِريان صوت الدَّقِّ خافتًا لكن ثابتًا وله رنين فولاذي.

قال السير هايل: «ورشة. إمَّا أن عندهم حدَّادًا وإمَّا أن شبح صاحِب الخان القديم يصنع تنِّينًا حديديًّا آخَر»، وهمزَ حصانه مضيفًا: «آملُ أن عندهم طبَّاخًا شبحًا أيضًا. دجاجة مشويَّة ناضجة كفيلة بجعل كلِّ شيءٍ على ما يُرام».

ساحة الخان بحر من الأوحال البنِّيَّة التي مصَّت حوافر خيولهم. رنين الفولاذ أعلى هنا، ورأت بِريان وهج الورشة الأحمر عند طرف الاسطبل القصيِّ وراء عربة ثيرانٍ لها عجلة مكسورة. رأت أحصنةً في الاسطبل أيضًا، وصبيًّا صغيرًا يتأرجَح على سلسلة المشنقة البالية الصَّدئة التي ترتفع فوق السَّاحة، وقد وقفَت أربع فتياتٍ في شُرفة الخان الأماميَّة يُشاهِدنه. أصغرهن العارية لا تتجاوَز العامين، وأكبرهن -التي تَبلُغ التَّاسعة أو العاشرة- تقف ضامَّةً الصَّغيرة بذراعيها حمايةً.

ناداهن السير هايل قائلًا: «أيتها الفتيات، أسرِعن ونادين أُمَّكن».

وثبَ الصَّبي من السِّلسلة وهرعَ إلى الاسطبل، في حين وقفَت الفتيات الأربع متململات، وبَعد وهلةٍ قالت إحداهن: «ليست لنا أمَّهات»، وأضافَت أخرى: «كانت لي واحدة لكنهم قتَلوها»، ثم تقدَّمت أكبر الأربعة دافعةً الصَّغيرة وراءها، وسألَت: «مَن أنتم؟».

- «مُسافرون شُرفاء نبحث عن مأوى. اسمي بِريان، وهذا هو السِّپتون ميريبولد المعروف في أراضي النَّهر، والصَّبي هو مُرافقي پودريك پاين، والفارس هو السير هايل هَنت».

توقَّفت الدَّقَّات فجأةً، وتطلَّعت إليهم الفتاة الواقفة في الشُّرفة بحذرٍ لا تتحلَّى به إلَّا طفلة في العاشرة، ثم قالت: «أنا ويلو. هل تُريدون أسرَّةً؟».

ترجَّل السير هايل مجيبًا: «أسرَّةً ومِزرًا وطعامًا ساخنًا. هل أنتِ صاحِبة الخان؟».

هزَّت رأسها نفيًا، وقالت: «إنها أختي چاين، لكنها ليست هنا. ليس عندنا ما نأكله إلَّا لحم الخيل، ولا توجَد عاهرات إذا كنتم قد جئتم من أجلهن، أختي طردَتهن. لكن عندنا أسرَّةً، بعضها محشو بالرِّيش لكن أغلبها بالقَش».

قال السير هايل: «وكلُّها تَسكُنه البراغيث لا شَك».

- «هل معكم مال تدفعون به؟ فضَّة؟».

ضحكَ السير هايل، وقال: «فضَّة؟ للمبيت ليلةً وفخذ حصان؟ هل تُحاوِلين سرقتنا أيتها الصَّغيرة؟».

- «ستدفعون بالفضَّة، أو يُمكنكم النَّوم في الغابة مع الموتى»، ورمقَت ويلو الحمار وما على ظَهره من براميل وحُزَم متسائلةً: «أهذا طعام؟ أين حصلتهم عليه؟».

أجابَ ميريبولد: «(بِركة العذارى)»، ونبحَ كلب.

سألَ السير هايل: «أتستجوبون ضيوفكم جميعًا بهذه الطَّريقة؟».

- «لا يأتينا ضيوف كثيرون منذ بدأت الحرب. أكثر مَن على الطَّريق هذه الأيام عصافير أو أسوأ».

ردَّت بِريان: «أسوأ؟».

قال صوت صبيٍّ من الاسطبل: «لصوص وقُطَّاع طُرق».

والتفتَت بِريان فرأت شبحًا.

رنلي. لا ضربة من مطرقةٍ كانت لتُرديها بهذه القوَّة. شهقَت: «سيِّدي؟».

أزاحَ الصَّبي خُصلةً نافرةً من الشَّعر الأسود عن عينيه قائلًا: «سيِّدكِ؟ إنني مجرَّد حدَّاد».

تبيَّنت بِريان أنه ليس رنلي حقًّا. رنلي ميت، رنلي ماتَ بين ذراعَي رجلًا في الحادية والعشرين. هذا مجرَّد صبي. صبيٌّ يُشبِه رنلي عندما زارَ (تارث) أول مرَّة. لا، أصغر. فكُّه مربَّع أكثر وحاجباه أكثف. رنلي كان نحيلًا ممشوقًا، أمَّا هذا الصَّبي فله الكتفان الثَّقيلتان والذِّراع اليُمنى مفتولة العضلات التي كثيرًا ما تُرى في الحدَّادين. يرتدي مئزرًا جِلديًّا طويلًا لكن صدره عارٍ تحته، ويُغَطِّي زغب داكن وجنتيه وذقنه، وشَعره كُتلة سوداء غزيرة تنمو متجاوزةً أُذنيه. شَعر الملك رنلي كان أسود فاحمًا كهذا، لكنه حرصَ دومًا على غسله وتمشيطه وتصفيفه. أحيانًا كان يُقَصِّره وأحيانًا يَترُكه ينسدل على كتفيه أو يربطه وراء رأسه بشريطٍ ذهبي، لكنه لم يكن قَطُّ ملبَّدًا أو مبلَّلًا بالعَرق. وعلى الرغم من أن لون عينيه كان هذا الأزرق العميق نفسه، فإنهما كانتا دائمًا دافئتين مرحِّبتين ضاحكتين، في حين تنضح عينا الصَّبي بالغضب والارتياب.

رأى السِّپتون ميريبولد هذا أيضًا، فقال: «لا نقصد أذًى يا فتى. وقت امتلاك ماشا هدِل هذا الخان كانت تُطعِمني كعك العسل دومًا، وأحيانًا تُعطيني فِراشًا إذا لم يكن المكان ممتلئًا».

رَدَّ الصَّبي: «لقد ماتَت، الأُسود شنَقوها».

قال السير هايل هَنت: «يبدو أن الشَّنق الرِّياضة المفضَّلة هذه الأيام. ليتني أملكُ أرضًا في هذه الأنحاء. كنتُ لأزرع القِنَّب وأبيع الحبال وأجني ثروةً».

سألَت بِريان الفتاة ويلو: «هؤلاء الأطفال، أهُم... إخوتكِ وأخواتكِ؟ أقاربكِ وأولاد عمومتكِ؟».

قالت ويلو محدِّقةً إليها بنظرةٍ تحفظها عن ظَهر قلب: «لا، إنهم فقط... لا أدري... أحيانًا يأتي بهم العصافير، وهناك آخَرون يأتون من تلقاء أنفُسهم. ما دمتِ امرأةً فلِمَ ترتدين ثياب الرِّجال؟».

أجابَها السِّپتون ميريبولد: «الليدي بِريان فتاة مُحاربة في مهمَّة، لكنها تحتاج الآن إلى فِراشٍ جاف ونارٍ تتدفَّأ بها، ونحن أيضًا. عظامي العجوز تُنبِئني بأن المطر سيُعاوِد السُّقوط قريبًا. هل عندكم غُرف لنا؟».

قال الصَّبي الحدَّاد: «لا»، وقالت الفتاة ويلو: «نعم».

تبادلَ الاثنان نظرةً، ثم دبدبَت ويلو بقدمها قائلةً: «إن معهم طعامًا يا جندري. الصِّغار جائعون»، وأطلقَت صفيرًا فخرجَ مزيد من الأطفال كأنما بفعل السِّحر. زحفَ صِبيان شُعث الشَّعر يرتدون الأسمال خارجين من تحت الشُّرفة، وظهرَت صبايا كامنات في النَّوافذ المطلَّة على السَّاحة، قد حملَ بعضهم نُشَّابيَّات ملقَّمة جاهزة للإطلاق.

قال السير هايل: «يُمكنهم تسميته خان النُّشَّابيَّة».

فكَّرت بِريان: خان اليتامى اسم أجدر.

قالت ويلو: «وات، ساعِدهم على ربط الخيول. ويل، ضَع هذه الصَّخرة، إنهم لم يأتوا لأذيَّتنا. تانسي، پايت، أسرِعا بإحضار حطب للنَّار. چون پني، ساعِد السِّپتون على إنزال الحمولة. سآخُذهم إلى غُرفهم».

في النِّهاية أخذوا ثلاث غُرفٍ متجاورة في كلٍّ منها فِراش بحشيَّةٍ من الرِّيش ووعاء فضلات ونافذة، وفي غُرفة بِريان مستوقَد أيضًا، فدفعَت بضعة بنسات إضافيَّة من أجل الحطب. بينما تفتح النَّافذة سألَها پودريك: «هل سأنامُ في غُرفتكِ أم غُرفة السير هايل؟»، فأجابَته: «لسنا في (جزيرة الهدوء). يُمكنك أن تنام معي». في اليوم التَّالي تنوي أن يتحرَّك الاثنان وحدهما. السِّپتون ميريبولد سيتَّجه إلى (نوتن) و(ريڤربند) و(بلدة اللورد هاروواي)، لكن بِريان لا ترى جدوى من أن تتبعه فترةً أطول. إن معه كلب رفيقًا، والأخ

الكبير أقنعَها بأنها لن تجد سانزا ستارك على ضفاف (الثَّالوث). «أنوي أن أستيقظ قبل شروق الشَّمس والسير هايل لا يزال نائمًا». لم تُسامِحه بِريان على (هايجاردن)... وكما قال هَنت بنفسه، إنه لم يُقسِم على شيءٍ بخصوص سانزا.

- «أين سنذهب أيتها الفارس؟ أعني يا سيِّدتي؟».

لا تملك بِريان إجابةً جاهزةً. إنهما عند مفترَق الطُّرق حرفيًّا، المكان الذي يتقاطَع فيه (طريق الملوك) و(الطَّريق العالي) وطريق النَّهر معًا. (الطَّريق العالي) يأخذهما شرقًا عبر الجبال إلى (وادي آرن)، حيث كانت خالة سانزا تَحكُم حتى موتها، وإلى الغرب طريق النَّهر الذي يمضي بمحاذاة (الفرع الأحمر) إلى (ريڤررَن) وعمِّ أمِّ سانزا المحاصَر وإن كان حيًّا، أو يُمكنهما أن يَسلُكا (طريق الملوك) إلى الشَّمال ويمرَّا بـ(التَّوأمتين) إلى منطقة (العُنق) بمستنقعاتها ومياهها الآسنة، وإذا استطاعَت أن تجد وسيلةً لاجتياز (خندق كايلن) ومَن يُسَيطِر عليها الآن فسيأخذهما (طريق الملوك) حتى (وينترفل) نفسها.

أو يُمكنني أن أسلك (طريق الملوك) إلى الجنوب، أن أعود خلسةً إلى (كينجز لاندنج) وأعترف بفشلي للسير چايمي وأعيد إليه سيفه، ثم أجد سفينةً تحملني إلى (تارث) كما أوعزَ إليَّ الأخ الكبير. فكرة مريرة، لكن جزءًا منها يحنُّ إلى (بهو المساء) وأبيها، وثمَّة جزء آخَر يتساءَل إن كان چايمي سيُواسيها إذا بكَت على كتفه. هذا ما يُريده الرِّجال، أليس كذلك؟ نساءً رقيقات الحاشية مهيضات الجناح يحتجن إلى حمايتهم؟

- «أيتها الفارس، سيِّدتي، سألتكِ أين سنذهب».

- «إلى القاعة العامَّة لنتناوَل العَشاء».

كانت القاعة العامَّة تعجُّ بالأطفال. حاولَت بِريان أن تُحصيهم، لكنهم لا يقفون ثابتين ولو لحظةً، فعدَّت بعضهم مرَّتين أو ثلاثًا وبعضهم لم تعدَّه على الإطلاق، وفي النِّهاية استسلمَت. كانوا قد دفعوا الموائد معًا مكوِّنين ثلاثة صفوفٍ طويلة، والصِّبية الأكبر سِنًّا يجرُّون الدِّكك بصعوبةٍ من المؤخِّرة. «الأكبر سِنًّا» معناها أنهم في العاشرة أو الثَّانية عشرة. جندري أقربهم إلى الرُّجولة، لكن ويلو هي مَن تصيح بالأوامر كأنها ملكة في قلعتها والأطفال الآخَرون خدمها فحسب.

لو أنها رفيعة النَّسب لكانت القيادة من صفاتها الطَّبيعيَّة والإذعان من طباع البقيَّة. تساءلَت بِريان إن كانت ويلو أكثر مما تبدو. الفتاة أصغر سِنًّا وملامحها أكثر تقليديَّةً من أن تكون سانزا ستارك، لكنها في السِّنِّ المناسبة لأن تكون الأخت الصَّغيرة، وحتى الليدي كاتلين نفسها قالت إن آريا تفتقر إلى جَمال أختها. شَعرها بنِّي، عيناها بنيَّتَان، نحيلة... أيُمكن أن تكون هي؟ تَذكُر بِريان أن شَعر آريا ستارك بنِّي، لكنها ليست متأكِّدةً من لون عينيها. بنِّي وبنِّي، أليس كذلك؟ أيُمكن أن يتَّضح أنها لم تَمُت في (الملَّاحات)؟

في الخارج يتلاشى ضوء النَّهار، وفي الدَّاخل جعلَتهم ويلو يُشعِلون أربع شمعاتٍ من الشَّحم وقالت للفتيات أن يُحافِظن على تأجُّج نار المستوقَد. ساعدَ الصِّبية پودريك پاين على إنزال حمولة الحمار ودخلوا حاملين سَمك القُد المملَّح والضَّأن والخضراوات والمكسَّرات وقوالب الجُبنة، في حين ذهبَ السِّپتون ميريبولد إلى المطبخ ليتولَّى إعداد الثَّريد، وقال لأحد الصِّبية الصِّغار: «للأسف نفدَ بُرتقالي، وأخشى أنني لن أرى بُرتقالةً أخرى قبل الرَّبيع. هل أكلت البُرتقال من قبل يا بُنَي؟ هل اعتصَرت واحدةً وامتصَصت عصيرها؟»، فلمَّا هَزَّ الطِّفل رأسه نفيًا نفشَ السِّپتون شَعره قائلًا: «سأجلبُ لك واحدةً إذن عندما يأتي الرَّبيع إذا كنت صبيًّا طيِّبًا وساعدتني على تقليب الثَّريد».

خلعَ السير هايل حذاءه ليُدَفِّئ قدميه عند النَّار، وحين جلسَت بِريان إلى جواره أشارَ برأسه إلى طرف القاعة القصيِّ قائلًا: «ثمَّة بُقع دم هناك على الأرض حيث يتشمَّم كلب. لقد نُظِّفَت لكن الدَّم تخلَّل الخشب ولا يُمكن الخلاص منه».

ذكَّرته قائلةً: «هذا هو الخان الذي قتلَ فيه ساندور كليجاين ثلاثةً من رجال أخيه».

– «صحيح، ولكن مَن يدري إن كانوا أول مَن ماتوا هنا... أو آخِرهم؟».

– «أأنت خائف من أطفال قلائل؟».

– «أربعة قلائل، عشرة كثرة، وهؤلاء حشد. المفترَض أن يُلَفَّ الأطفال بالقِماط ويُعَلَّقوا على الحائط إلى أن تنبت للفتيات أثداء ويبدأ الفِتية حلاقة ذقونهم».

- «أشعرُ بالأسف من أجلهم. كلُّهم فقدوا أمَّهاتهم وآباءهم، وبعضهم رآهم يُقتَلون».

دوَّر هَنت عينيه في محجريهما باستخفافٍ قائلًا: «نسيتُ أنني أكلِّمُ امرأةً. إن لكِ قلبًا ليِّنًا كثريد السِّيتون. أيُمكن أن في مكانٍ ما في أعماق مُبارِزتنا أُم تتوق إلى إنجاب الأطفال؟ ما ترغبين فيه حقًّا هو رضيع جميل متورِّد يرضع من ثدييكِ»، وابتسمَ السير هايل ابتسامةً عريضةً مضيفًا: «سمعتُ أنكِ تحتاجين إلى رجلٍ لأجل هذا، ويُفَضَّل أن يكون زوجًا. لِمَ لا يكون أنا؟».

- «إذا كنت ما زلت تأمل أن تفوز برهانك...».

- «ما أريدُ الفوز به أنتِ، ابنة اللورد سلوين الحيَّة الوحيدة. لقد عرفتُ رجالًا تزوَّجوا البلهاوات والرَّضيعات في سبيلِ غنائم بعُشر مساحة (تارث). لستُ رنلي باراثيون، أعترفُ بهذا، لكنني أتمتَّعُ بفضيلة وجودي على قيد الحياة. ربما يقول بعضهم إنها فضيلتي الوحيدة. الزَّواج سينفع كلينا، الأراضي لي وقلعة ملأى بهؤلاء لكِ»، ولوَّح هَنت بيده نحو الأطفال مردفًا: «أؤكِّدُ لكِ أنني قادر. لقد أنجبتُ نغلةً واحدةً على الأقل على حَدِّ علمي. لا تقلقي، لن أبتليكِ بها. آخِر مرَّةٍ ذهبتُ لزيارتها سكبَت أمُّها عليَّ مرجلًا من الحَساء».

قالت والأحمر يزحف على عُنقها: «أبي في الرَّابعة والخمسين فقط، ليس أكبر من الزَّواج ثانيةً وإنجاب ابنٍ من زوجته الجديدة».

- «هذه مخاطَرة... إذا تزوَّج أبوكِ ثانيةً، وإذا كانت زوجته خصيبةً، وإذا أنجبَت ابنًا. لقد راهنتُ على ما هو أسوأ».

- «وخسرت الرَّهان. مارِس ألعابك مع واحدةٍ غيري أيها الفارس».

- «تقول هذا الفتاة التي لم تلعب مع أحدٍ قَطُّ. حالما تفعلين سيتغيَّر رأيك. في الظَّلام ستكونين جميلةً كأيِّ امرأةٍ أخرى. إن شفتيكِ مخلوقتان للقُبلات».

- «إنهما شفتان. الشِّفاه كلُّها واحدة».

قال هَنت بمرح: «وكلُّ الشِّفاه مخلوقة للقُبلات. لا تُنزِلي مزلاج باب غُرفتكِ اللَّيلة وسأنسلُّ إلى فِراشكِ وأثبتُ لكِ حقيقة ما أقوله».

ردَّت بِريان: «وإذا فعلت فستُغادِر مخصيًّا»، ونهضَت مبتعدةً عنه.

متجاهلًا الفتاة الصَّغيرة التي تحبو عاريةً على المائدة، سألَ السِّيتون ميريبولد إن كان يُمكنه أن يقود الأطفال في صلاة، فأجابَت ويلو بالإيجاب رافعةً الصَّغيرة قبل أن تَبلُغ الثَّريد، وهكذا حنوا رؤوسهم معًا وشكروا (الأب) و(الأُم) على نعمتهما... جميعهم باستثناء الصَّبي الحدَّاد فاحم الشَّعر، الذي جلسَ عاقدًا ذراعيه على صدره يُحَدِّق إليهم عابسًا فيما يُصَلُّون. ليست بِريان الوحيدة التي لاحظَت، وبَعد الصَّلاة تطلَّع السِّيتون ميريبولد عبر المائدة متسائلًا: «ألا تحبُّ الآلهة يا بُنَي؟».

قال جندري: «ليس آلهتكم»، ونهضَ فجأةً مستطردًا: «عندي عمل»، وخرجَ دون لُقمة طعام.

سألَ هايل هَنت: «هل يحبُّ إلهًا آخَر؟».

بصوتٍ رفيع أجاب صبيٌّ هزيل في السَّادسة أو نحوها: «إله الضِّياء».

ضربَته ويلو بملعقة، وقالت: «بن ذو الفم الكبير، هناك طعام، عليك أن تأكله لا أن تُزعِج ضيوفنا بكلامك».

انقضَّ الأطفال على العَشاء كما تنقضُّ الذِّئاب على غزالةٍ جريحة، يتشاجَرون على سَمك القُد ويُمَزِّقون خُبز الشَّعير ويَنثُرون الثَّريد في كلِّ مكان، وحتى قالب الجُبنة الضَّخم لم ينجُ منهم طويلًا. قنعَت بِريان بالسَّمك والخُبز والجزر، بينما أطعمَ السِّيتون ميريبولد كلب لُقمتين مقابل كلِّ لُقمةٍ لنفسه. في الخارج بدأ المطر يَسقُط، وفي الدَّاخل طقطقَت النَّار وملأَت القاعة العامَّة أصوات المضغ وضرب ويلو الأطفال بملعقتها. علَّق السير هايل قائلًا: «ذات يومٍ ستُصبِح هذه الفتاة زوجةً مخيفةً لرجلٍ ما، صبيٍّ الحدَّاد المسكين على الأرجح».

- «المفترَض أن يأخذ إليه أحدهم القليل من الطَّعام قبل أن ينفد».

- «أنتِ أحدهم».

لفَّت شريحةً من الجُبنة ورغيفًا من الخُبز وتفَّاحةً مجفَّفةً وقطعتين من سَمك القُد المقلي بمنديلٍ مربَّع، ولمَّا نهضَ پودريك ليتبعها إلى الخارج قالت له أن يجلس ويأكل، وأضافَت: «لن أتأخَّر».

كان المطر ينهمر بغزارةٍ على السَّاحة، فغطَّت بِريان الطَّعام بطيَّةٍ من معطفها، وإذ مرَّت بالاسطبل صهلَ بعض الخيول، فقالت لنفسها: هي أيضًا جائعة.

وجدَت جندري في ورشته عاري الجذع تحت مئزره الجِلد، يهوي بالمطرقة على سيفٍ كأنه يتمنَّى لو أنه عدوٌّ، وقد سقطَ شَعره المبلَّل عن آخِره بالعَرق على جبهته. راقبَته فترةً مفكِّرةً: إن له عينَي رنلي وشَعره ولكن ليس بنيانه. اللورد رنلي كان أقرب إلى الرَّشاقة من انفتال العضلات... على عكس أخيه روبرت صاحِب القوَّة الشَّهيرة.

لم يرَها جندري واقفةً هناك حتى توقَّف يمسح جبهته، فسألَها: «ماذا تُريدين؟».

أجابَت: «أحضرتُ لك عَشاءك»، وفتحَت المنديل ليرى.

– «لو أردتُ طعامًا لأكلت».

– «على الحدَّاد أن يأكل ليُحافِظ على قوَّته».

– «أأنتِ أمِّي؟».

قالت واضعةً الطَّعام: «لا. مَن أمُّك؟».

– «ولِمَ تُريدين أن تعرفي؟».

– «أنت مولود في (كينجز لاندنج)». لكنته تجعلها واثقةً بهذا.

قال: «أنا وكثيرون غيري»، وغمسَ السَّيف في حوضٍ من ماء الأمطار ليُطفئ ناره، فهسهسَ الفولاذ السَّاخن غاضبًا.

سألَته بريان: «كم سِنُّك؟ أما زالَت أمُّك حيَّةً؟ وأبوك، مَن كان؟».

رَدَّ: «تُلقين أسئلةً كثيرةً»، ووضعَ سيفه مضيفًا: «أمِّي ماتَت وأبي لم أعرفه قَطُّ».

– «أنت نغل إذن».

اعتبرَ كلامها إهانةً، وقال حانقًا: «أنا فارس. هذا السَّيف سيكون لي ما إن أفرغ منه».

لماذا يعمل فارس في ورشة حدادة؟ «إن لك شَعرًا أسود وعينين زرقاوين، ووُلِدت في ظِلِّ (القلعة الحمراء). ألم يُعَلِّق أحد على وجهك من قبل؟».

– «وما عيب وجهي؟ إنه ليس قبيحًا كوجهكِ».

– «لا بُدَّ أنك رأيت الملك روبرت في (كينجز لاندنج)».

هَزَّ كتفيه قائلًا: «أحيانًا، في المباريات من بعيد، ومرَّةً في (سِپت بيلور). ذوو المعاطف الذَّهبيَّة دفعونا لنُفسِح له الطَّريق. في مرَّةٍ أخرى كنتُ ألعبُ

قُرب (بوَّابة الطَّمي) وهو عائد من الصَّيد. كان سكران تمامًا وكادَ يدعسني بحصانه. كان سكِّيرًا بدينًا، لكن ملكًا أفضل من ابنيه».

ليسا ابنيه. ستانيس قال الحقيقة يوم التقى رنلي. جوفري وتومن لم يكونا ابنَي روبرت قَطُّ، أمَّا هذا الصَّبي... بدأت بِريان تتكلَّم قائلةً: «اسمعني...»، إلَّا أنها سمعَت كلب ينبح بصوتٍ عالٍ هائج، فقالت: «أحدهم قادم».

قال جندري بلا مبالاة: «أصدقاء».

سألَته بِريان: «أصدقاء من أيِّ نوع؟»، وذهبَت إلى باب الورشة تُلقي نظرةً عبر المطر.

هَزَّ كتفيه مجيبًا: «ستلتقينهم قريبًا».

فكَّرت بِريان إذ دخلَ أول الخيَّالة السَّاحة خائضًا في بِرك الوحل: ربما لا أريدُ أن ألتقيهم. تحت طقطقة المطر ونباح الكلب سمعَت الصَّلصلة الخافتة الصَّادرة من سيوفهم وقمصانهم المعدنيَّة أسفل معاطفهم المهترئة، وعدَّتهم واحدًا تلو الآخَر. 2، 4، 6، 7. وشَت الطَّريقة التي يركب بها بعضهم بكونهم جرحى، ثم جاءَ آخِرهم الضَّخم الذي يُعادِل اثنين من الآخَرين معًا في الحجم، حصانه منهَك دامٍ ويترنَّح تحت ثِقل راكِبه. كان الخيَّالة جميعهم يرفعون قلنسواتهم لتقيهم من جلدات المطر، جميعهم باستثنائه هو، فلاحَ وجهه العريض الحليق الشَّاحب كالدِّيدان ووجنتاه المستديرتان اللتان تُغَطِّيهما القروح المفتوحة.

حبسَت بِريان أنفاسها واستلَّت (حافِظ العهد)، وفكَّرت جافلةً خوفًا: كثيرون للغاية، عددهم كبير جدًّا، ثم إنها قالت بصوتٍ خفيض: «جندري، ستحتاج إلى سيفٍ ودِرع. هؤلاء ليسوا أصدقاءً، ليسوا أصدقاء أحد».

قال الصَّبي: «عمَّ تتكلَّمين؟»، وجاءَ يقف إلى جوارها حاملًا مطرقته.

سطعَ البرق في الجنوب بينما يترجَّل الخيَّالة، ولِنِصف لحظةٍ استحالَ الظَّلام إلى نهار، لتلتمع فأس بالأزرق الفضِّي ويتوهَّج الضَّوء على القمصان المعدنيَّة والدُّروع، وتحت قلنسوة الخيَّال القائد القاتمة لمحَت بِريان خطمًا حديديًّا وصفَّين من الأسنان الفولاذ، فم كلبٍ يُزَمجِر.

رأى جندري أيضًا الخوذة، فقال: «هو».

– «ليس هو، بل خوذته». حاولَت بِريان أن تمنع الخوف من التَّسلُّل إلى

صوتها، لكنها وجدَت فمها جافًّا كالتُّراب. إن لديها تخمينًا لا بأس به على الإطلاق بخصوص من يعتمر خوذة كلب الصَّيد. فكَّرت: الأطفال.

انفتحَ باب الخان بقوَّةٍ وخرجَت ويلو إلى المطر رافعةً نُشَّابيَّةً، وصاحَت الفتاة في الوافدين لكن الرَّعد هزمَ في السَّاحة طاغيًا على كلامها، وإذ خفتَ سمعَت بريان مَن يعتمر خوذة كلب الصَّيد يقول: «أطلِقي عليَّ سهمًا وسأدسُّ هذه النُّشَّابيَّة في كسِّكِ وأنكحكِ بها، ثم سأقتلعُ عينيكِ وأجعلكِ تأكلينهما».

دفعَ الغضب في صوت الرَّجل ويلو إلى التَّراجُع خُطوةً مرتجفةً، وثانيةً فكَّرت بريان بيأس: سبعة. تعلم أن لا فُرصة لها في التَّغلُّب على سبعة. لا فُرصة ولا خيار.

خرجَت إلى المطر حاملةً (حافِظ العهد)، وقالت: «دعوها وشأنها. إذا أردتم أن تغتصبوا أحدًا فجرِّبوني».

التفتَ إليها الخارجون عن القانون في آنٍ واحد. ضحكَ أحدهم، وقال آخَر شيئًا بلُغةٍ تجهلها بريان، وصدرَ من الضَّخم ذي الوجه الأبيض العريض هسيسسسسسسسسسس محمَّل بالغِل، ثم انفجرَ الرَّجل الذي يعتمر خوذة كلب الصَّيد ضاحكًا، وقال: «إنكِ أقبح مما أذكرُ. أوثرُ أن أغتصب حصانكِ».

قال أحد الجرحى: «الأحصنة، هذا ما نُريد، أحصنة جديدة والقليل من الطَّعام. هناك خارجون عن القانون يُطارِدوننا. أعطونا أحصنتكم وسنذهب، لن نُؤذيكم».

اختطفَ المجرم معتمر خوذة كلب الصَّيد فأسًا حربيَّةً من سَرجه قائلًا: «تبًّا لهذا. أريدُ أن أقطع ساقيها اللَّعينتين. سأضعها على جَدعتيهما لتُشاهِدني أغتصبُ فتاة النُّشَّابيَّة».

قالت بريان باستهزاء: «بماذا؟ شاجويل قال إنهم بتروا ذَكرك مع أنفك».

أرادَت أن تستفزَّه، ونجحَت.

جائرًا بالشَّتائم انقضَّ عليها، تَنثُر قدماه ماء البِرك الأسود إذ ركضَ نحوها، في حين ظَلَّ الآخَرون في أماكنهم ليتفرَّجوا على العرض كما أملَت أن يفعلوا. وقفَت بريان ثابتةً كالحجر تنتظر. السَّاحة مظلمة، والوحل زلِق تحت الأقدام. الأفضل أن أتركه يُهاجِمني. بمشيئة الآلهة سيزلُّ ويَسقُط.

ولم تشأ الآلهة، لكن سيفها كان جاهزًا. خمس خُطوات، أربع خُطوات،

الآن، وفلقَ (حافِظ العهد) الهواء مرتفعًا يصدُّ انقضاضته، وارتطمَ الفولاذ بالفولاذ إذ شَقَّ نصلها أسماله وقميصه المعدني في اللَّحظة نفسها التي هوَت فيها فأسه، فالتوَت إلى الجانب وسدَّدت ضربةً أخرى إلى صدره بينما تتراجَع.

وتبعَها متعثِّرًا ينزف ويهدر ثائرًا: «عاهرة! مسخ! حقيرة! سأعطي كلبي إياكِ لينكحكِ أيتها الحقيرة!». دارَت فأسه في أقواسٍ قاتلة، ظِلٌّ أسود غاشم يصطبغ بالفضِّي كلَّما ومضَ البرق. لا تحمل بِريان تُرسًا تصدُّ به الضَّربات، ولا تستطيع إلَّا التَّملُّص منه مندفعةٍ في هذا الاتِّجاه أو ذاك لتتفادى رأس الفأس الهاوي عليها. مرَّةً انزلقَ كعبها في الوحل وكادَت تَسقُط، لكنها استعادَت توازُنها بوسيلةٍ ما، ولو أن الفأس كشطَت كتفها اليُسرى مخلِّفةً حريقًا من الألم. صاحَ أحد الآخَرين: «أصبت الحقيرة!»، وقال آخَر: «لنرَ كيف ستَرقُص الآن».

ورقصَت بِريان شاعرةً بالرَّاحة لاكتفائهم بالمشاهَدة. أفضل لها أن يُشاهِدوا من أن يتدخَّلوا، فليس بمقدورها أن تُقاتِل سبعةً بمفردها على الرغم من إصابات واحدٍ أو اثنين منهم. السير جودوين العجوز في قبره منذ سنين، لكنها سمعَته يهمس في أُذنها: سيبخس الرِّجال قدركِ دومًا، وستجعلهم كبرياؤهم يرغبون في هزيمتكِ سريعًا خشية أن يُقال إن امرأةً أرهقَتهم ودوَّختهم. اترُكيهم يستهلكون طاقتهم في الهجمات الضَّارية بينما تدَّخرين طاقتكِ. انتظري وراقبي يا فتاة، انتظري وراقبي. وانتظرَت بِريان، وشاهدَت، تتحرَّك إلى الجانب، ثم إلى الخلف، ثم إلى الجانب ثانيةً، تُسَدِّد ضربةً إلى وجهه، إلى ساقيه، إلى ذراعيه، والآن صارَت ضرباته أبطأ إذ ثقلَت فأسه، ودفعَته بِريان إلى الدَّوران ليكون المطر في عينيه ثم أسرعَت تتراجَع خُطوتين، ورفعَ فأسه مرَّةً أخرى لاعنًا وكَرَّ عليها، وانزلقَت قدمه في الوحل...

... ووثبَت تُقابِله وكلتا يديها على مقبض سيفها. وضعَته انقضاضته المباشرة عند رأس السَّيف بالضَّبط، وانغرسَ (حافِظ العهد) في القُماش والمعدن والجِلد والمزيد من القُماش، وغاصَ في أحشائه وانبثَقَ من ظَهره مصدرًا صوتًا خشنًا إذ احتكَّ بعموده الفقري. سقطَت فأسه من أصابع ارتخَت، وتصادمَ الاثنان ليضرب وجه بِريان خوذة رأس الكلب وتَشعُر ببرودة المعدن المبتل على وجنتها. سالَ المطر على الفولاذ أنهارًا، وحين سطعَ البرق من

جديدٍ لمحَت الألم والخوف والذُّهول الخالص عبر فتحتَي الرُّؤية. همسَت له: «صفِّير»، ودوَّرت نصلها بقسوةٍ أرسلَت في جسده الرَّعدة، وتراخى وزنه الثَّقيل عليها، ودُفعةً واحدةً أصبحَ ما تحتضنه هناك تحت المطر الأسود جثَّةً. تراجعَت وتركَته يَسقُط...

... وارتطمَ بها العضَّاض صارخًا.

سقطَ عليها كتَيْهورٍ من الصُّوف المبتلِّ واللَّحم الأبيض كالحليب، يرفعها في الهواء ثم يرميها على الأرض بمنتهى العُنف لتحطَّ في بِركةٍ ويتناثَر الماء داخلًا أنفها وعينيها. أفرغَت الصَّدمة كلَّ ما في صدرها من هواء، وضربَ رأسها حجرًا شِبه مدفون بصوتٍ حاد، ولم تجد وقتًا إلَّا لتقول: «لا»، قبل أن يَسقُط فوقها ليغوص بها وزنه أكثر في الوحل. امتدَّت إحدى يديه إلى شَعرها تسحب رأسها إلى الخلف، والأخرى إلى عُنقها. لم تجد (حافِظ العهد) معها إذ أفلتَته قبضتها، ولا تملك إلَّا يديها تصدُّه بهما، لكن حين لكمَته في وجهه فكأنها لكمَت كُرةً من العجين الأبيض المبتل، وأجابَ لكمتها مهسهسًا في وجهها.

ضربَته مرَّةً أخرى وأخرى وأخرى بكعب يدها في عينه، فبدا كأنه لا يَشعُر بضرباتها. خمشَت معصميه، لكنه أحكمَ قبضته عليها مع أن الدِّماء سالَت من الجروح التي خلَّفتها أظفارها. إنه يسحقها، يَخنُقها. دفعَت كتفيه، لكنه ثقيل كالحصان، زحزحته مستحيلة. عندما حاولَت أن تضربه برُكبتها بين ساقيه لم تنجح إلَّا في إصابة بطنه، وأطلقَ العضَّاض صوتًا كقباع الخنازير ومزَّق خُصلةً من شَعرها.

خنجري. تشبَّثت بِريان بالخاطر بيأس. دسَّت يدها بينهما وراحَت أصابعها تَحفُر تحت لحمه الخانق الكريه، تبحث وتبحث إلى أن وجدَت المقبض أخيرًا. أغلقَ العضَّاض كلتا يديه على عُنقها وبدأ يضرب رأسها بالأرض. ومضَ البرق مجدَّدًا، هذه المرة داخل جمجمتها، لكن أصابعها انقبضَت بوسيلةٍ ما وجذبَت الخنجر من غِمده. اعتلاؤه إياها هكذا يحول دون أن ترفع النَّصل وتطعنه به، فسحبَته بقوَّةٍ على بطنه بالعرض، وتفجَّر شيء دافئ بليل بين أصابعها. هسهسَ العضَّاض ثانيةً بصوتٍ أعلى، وتخلَّى عن رقبتها فقط ليَلكُمها في وجهها، وسمعَت بِريان عظامًا تتهشَّم وأعماها الألم

لحظةً. عندما حاولَت أن تشقَّ لحمه بخنجرها ثانيةً انتزعَه من يدها وهوى برُكبته على ساعِدها كاسرًا إياه، ثم عادَ يُطبِق على عُنقها ويُحاوِل اجتثاثه من كتفيها.

سمعَت بِريان كلب ينبح والرِّجال يصيحون حولها، وبين قصفات الرَّعد سمعَت الفولاذ يُقارِع الفولاذ، ففكَّرت: السير هايل، السير هايل انضمَّ إلى القتال، لكن كلَّ هذا بدا بعيدًا لا يهمُّ. عالمها الآن يقتصر على اليدين اللتين تُطَوِّقان عُنقها والوجه الذي فوقها. سالَ المطر على قلنسوته إذ مالَ عليها أكثر، تفوح من أنفاسه رائحة بغيضة كالجُبنة العفِنة.

كان صدر بِريان مشتعلًا نارًا والعاصفة وراء عينيها تُعميها والعظام يطحن بعضها بعضًا في داخلها. فغرَ العضَّاض فاه باتِّساعٍ مستحيل، ورأت أسنانه الصَّفراء المعوجَّة المدبَّبة، ولمَّا انغلقَت على لحمٍ وجنتها اللَّدن شعرَت بها بالكاد، وأحسَّت بدوَّامةٍ تحملها غائصةً في الظَّلام. لا يُمكن أن أموت الآن، ما زالَ هناك شيء عليَّ أن أفعله.

انتزعَ العضَّاض فمه المليء بالدِّماء واللَّحم، وبصقَ وابتسمَ ابتسامةً عريضةً ثم عادَ يغرس أسنانه المدبَّبة في لحمها، وهذه المرَّة مضغَه وابتلعَه. قالت لنفسها مدركةً ما يفعله: إنه يأكلني، إلَّا أن طاقةً لم تتبقَّ فيها لتُقاوِمه. شعرَت كأنها طافية فوق نفسها، تُشاهِد هذا الرُّعب كأنه يَحدُث لامرأةٍ أخرى، لفتاةٍ حمقاء حسبَت نفسها فارسًا. سينتهي الأمر قريبًا، وعندها لن يهمَّ إذا أكلَني. ألقى العضَّاض رأسه إلى الوراء فاتحًا فمه ليعوي، ثم أخرجَ لسانه، لسانًا مدبَّبًا يَقطُر منه الدَّم، أطول من أيِّ لسانٍ طبيعي، وقد راحَ ينزلق خارجًا من فمه أحمر مبتلًّا لامعًا، منظره قبيح شنيع، وقُبيل أن يطويها الظَّلام فكَّرت بِريان: لسانه طوله قدم كامل، يكاد يُشبِه السَّيف.

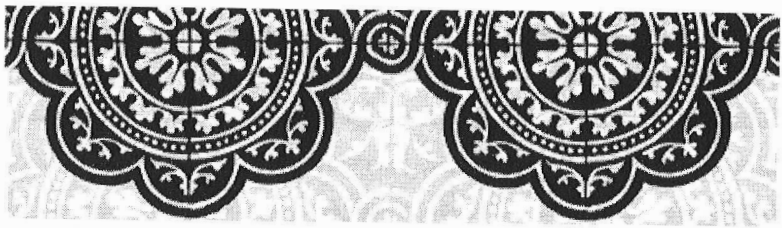

چايمي

للدَّبُّوس الذي يُثَبِّت معطف السير برايندن تَلي شكل سمكةٍ سوداء من السَّبج والذَّهب، وقميصه المعدني رماديٌّ كئيب، ومعه يرتدي قُفَّازين وصفائح تقي ساقيه ورُكبتيه وعُنقه وكتفيه، جميعها من الفولاذ الأسود، وليس منها ما هو حالك كالنَّظرة على وجهه إذ انتظرَ چايمي لانستر عند طرف الجسر المتحرِّك، وحده على صهوة جوادٍ كستنائي يكسوه الأحمر والأزرق.

هذا الرَّجل لا يحبُّني. لتَلي وجه صخري عميق التَّجاعيد لوَّحته الرِّيح تحت شَعره الشَّائب اليابس، لكن چايمي ما زالَ يرى الفارس العظيم الذي فتنَ مُرافقًا صغيرًا بحكاياتٍ عن ملوك البنسات التِّسع ذات يوم. طقطقَت حوافر أونَر على ألواح الجسر المتحرِّك، وعلى متنه چايمي الذي فكَّر مليًّا في ارتداء دِرعه الذَّهبيَّة أم البيضاء في هذا اللِّقاء، وفي النِّهاية اختار سُترةً من الجِلد ومعطفًا قرمزيًّا.

توقَّف على بُعد ياردة من السير برايندن وحنى رأسه للعجوز، فقال تَلي: «قاتِل الملك».

اختياره أن يكون هذا اللَّقب أول ما يَخرُج من فمه يقول الكثير، غير أن چايمي عزمَ على تمالُك أعصابه، وأجابَ: «السَّمكة السَّوداء، أشكرك لمجيئك».

قال السير برايندن: «أفترضُ أنك أتيت لتفي بقَسمك لابنة أخي. أذكرُ أنك وعدت كاتلين بإعادة ابنتيها مقابل حرِّيَّتك»، وتقلَّص فمه مضيفًا: «لكنني لا أرى الفتاتين. أين هما؟».

أيجب أن يجعلني أقولها؟ «ليستا معي».

- «مؤسف. هل ترغب في استئناف حبسك إذن؟ ما زالَت زنزانتك القديمة متاحةً، وفرشنا حصائر جديدةً على الأرض».

ووضعتم دلوًا جديدًا أتبرَّزُ فيه أيضًا لا شَك. «أشكر لك مراعاتك أيها الفارس، لكن أخشى أن عليَّ أن أرفض. أفضِّلُ راحة سُرادقي».

- «بينما تستمتع كاتلين براحة قبرها؟».

كان ليقول: لم تكن لي يد في موت الليدي كاتلين، وابنتاها اختفتَا قبل أن أصل إلى (كينجز لاندنج)، وكان على لسانه أن يَذكُر بِريان والسَّيف الذي أعطاها إياه، لكن السَّمكة السَّوداء كان يرميه بالنَّظرة عينها التي رماه بها إدارد ستارك لحظة أن رآه على العرش الحديدي ودماء الملك المجنون على سيفه. «أتيتُ أتكلَّمُ عن الأحياء لا الموتى، عمَّن لا داعي لموتهم لكنهم سيموتون...».

- «... ما لم أسلِّمكم (ريڤررَن). هل ستُهَدِّد بشنق إدميور الآن؟». تحت حاجبيه الكثيفين كانت عينا تَلي حجرًا وهو يقول: «ابن أخي محكوم عليه بالموت مهما فعلتُ، فاشنُقوه وافرُغوا من الأمر. أظنُّ أن إدميور سئمَ من الوقوف على هذه المشنقة كما سئمتُ من رؤيته عليها».

رايمان فراي أحمق كبير. واضح تمامًا أن تمثيليَّته مع إدميور والمشنقة نجحَت فقط في جعل السَّمكة السَّوداء يتعنَّت أكثر. «إنك تحتجز الليدي سيبل وسترلينج وثلاثةً من أولادها. سأعيدُ ابن أخيك مقابلهم».

- «كما أعدت ابنتَي الليدي كاتلين؟».

لم يسمح چايمي لنفسه بأن يُستفَزَّ، وقال: «امرأة عجوز وثلاثة أطفال لقاء سيِّدك، هذه صفقة أفضل من أيِّ شيءٍ كنت تأمله».

ابتسمَ السير برايندن بقسوةٍ قائلًا: «لست تفتقر إلى الجرأة يا قاتِل الملك، لكن إبرام الصَّفقات مع الحانثين في أيمانهم كالبناء على الرِّمال المتحرِّكة. كان على كات أن تكون أعقل من أن تثق بأمثالك».

كادَ چايمي يقول: لقد وثقَت بتيريون. العِفريت أيضًا خدعَها، لكنه رَدَّ: «وعودي لليدي كاتلين كانت تحت تهديد السَّيف».

- «وقَسمك لإيرس؟».

أجابَ شاعرًا بأصابعه الشَّبحيَّة تختلِج: «لا صِلة لإيرس بهذا. هل ستُبادِل أولاد وسترلينج بإدميور؟».

- «لا. مليكي ائتمنَني على ملكته وأقسمتُ على الحفاظ على سلامتها. لن أسلِّمها إلى آل فراي ليَشنُقوها».

- «الفتاة نالَت عفوًا. لن يمسَّها سوء، لك كلمتي».

قال السير برايندن: «كلمة شَرف؟»، ورفعَ حاجبه مضيفًا: «هل تعرف ما الشَّرف أصلًا؟».

حصان. «سأقسمُ لك على ما تشاء».

- «اعفِني يا قاتِل الملك».

- «هذا ما أريدُ أن أفعله. أنزِل راياتك وافتح بوَّابتك وسأمنحُ رجالك حياتهم. مَن يرغب منهم في البقاء في (ريڤررَن) وخدمة اللورد إمون فليفعل، وللباقين أن يذهبوا حيث يُريدون، وإن كنتُ أطلبُ أن يُسَلِّموا أسلحتهم ودروعهم».

- «تُرى ما المسافة التي سيقطعونها وهُم عُزَّل قبل أن يُهاجِمهم «الخارجون عن القانون»؟ إنك لن تجرؤ على السَّماح لهم بالانضمام إلى اللورد بريك، وكلانا يعلم هذا. هل ستستعرضونني في (كينجز لاندنج) لأموت مِثل إدارد ستارك؟».

- «سأسمحُ لك بالالتحاق بحَرس اللَّيل. نغل ند ستارك القائد على (الجِدار) الآن».

ضيَّق السَّمكة السَّوداء عينيه قائلًا: «أهذا أيضًا من ترتيب أبيك؟ أذكرُ أن كاتلين لم تثق بهذا الصَّبي قَطُّ كما لم تثق بثيون جرايجوي، ويبدو أنها كانت محقَّةً بشأن الاثنين. لا أيها الفارس، لا أظنُّ. سأموتُ دافئًا بَعد إذنك وفي يدي سيف تسيل عليه دماء الأُسود الحمراء».

- «دماء تَلي حمراء أيضًا. إذا لم تُسَلِّم القلعة فعليَّ أن أقتحمها. سيموت مئات».

- «مئات من رجالي وآلاف من رجالك».

- «ستهلك الحامية عن آخِرها».

- «أعرفُ هذه الأغنيَّة. هل تُغَنِّيها على لحن (أمطار كاستامير)؟ رجالي يُؤثِرون الموت واقفين يُقاتِلون على أن يموتوا راكعين بفأس الجلَّاد».

الحوار لا يمضي على ما يُرام إطلاقًا. «لا جدوى من هذا التَّحدِّي أيها الفارس. الحرب انتهَت وماتَ ذئبكم الصَّغير».

- «اغتيلَ في انتهاكٍ لجميع شرائع الضِّيافة».
- «هذا عمل فراي لا عملي».
- «سمِّه كما تشاء، لكن رائحة تايوين لانستر تفوح منه».
لم يستطِع چايمي أن يُنكِر هذا، وقال: «أبي أيضًا ماتَ».
- «عسى (الأب) أن يَحكُم عليه بالعدل».
يا لها من فكرةٍ مريعة. «لو استطعتُ بلوغ روب ستارك في (الغابة الهامسة) لقتلته، لكن بعض الحمقى اعترَضوا طريقي. هل يهمُّ كيف ماتَ الصَّبي؟ إنه ما زالَ ميتًا، ومعه ماتَت مملكته».
- «لا بُدَّ أنك أعمى علاوةً على عاهتك أيها الفارس. ارفع عينيك وسترى أن الذِّئب الرَّهيب لا يزال يخفق فوق جُدراننا».
- «لقد رأيته، يبدو وحيدًا. (هارنهال) سقطَت، وكذا (سيجارد) و(بِركة العذارى)، وآل براكن ركعوا ويُحاصِرون تايتوس بلاكوود في (شجرة الغِدفان). پايپر، ڤانس، موتون، جميع حمَلة رايتكم استسلَموا ولم يبقَ إلَّا (ريڤررَن). إن معنا عشرين ضِعف أعدادكم».
- «عشرون ضِعفًا من الرِّجال تعني عشرين ضِعفًا من الطَّعام. ما أخبار مؤنكم يا سيِّدي؟».
- «تكفي لأن نبقى هنا حتى نهاية الزَّمن إذا لزمَ الأمر، بينما تتضوَّرون أنتم جوعًا وراء أسواركم». نطقَ چايمي الكذبة بكلِّ ما استطاعَ من جراءةٍ متمنِّيًا ألَّا تخونه ملامحه.
على أنها لم تنطلِ على السَّمكة السَّوداء الذي قال: «حتى نهاية زمنكم ربما. مؤننا وفيرة، ولو أنني أخشى أننا لم نَترُك الكثير في الحقول للزَّائرين».
- «نستطيع الإتيان بالطَّعام من (التَّوأمتين)، أو عبر التِّلال من الغرب إذا دعَت الحاجة».
- «كما تقول. مُحال أن أشكِّك في كلمة فارسٍ شريف مِثلك».
أغضبَ التَّهكُّم في نبرته چايمي، فقال: «هناك طريقة أسرع لتسوية المسألة. نزال فردي، نصيري ضد نصيرك».
قال السير برايندن ضاحكًا: «كنتُ أتساءلُ متى ستَبلُغ هذه النُّقطة. مَن سيكون؟ العُفر؟ أدام ماربراند؟ والدر فراي الأسود؟»، ومالَ إلى الأمام مضيفًا: «ولِمَ لا يكون النِّزال بيننا نحن أيها الفارس؟».

لكان ذلك قتالًا رائعًا في الماضي، حكايةً يُغَنِّي عنها المغنُّون. «عندما أطلقَت الليدي كاتلين سراحي جعلَتني أقسمُ على عدم حمل السِّلاح ضد آل ستارك أو تَلي ثانيةً».

- «قَسم ملائم للغاية أيها الفارس».

اربدَّ وجهه، وسألَ: «هل تنعتني بالجُبن؟».

أجابَ السَّمكة السَّوداء: «لا، أنعتك بالعجز»، وأشارَ برأسه إلى يد چايمي الذَّهبيَّة مردفًا: «كلانا يعلم أنك لا تستطيع القتال بهذه».

رَدَّ: «إن لي يدين»، وهمسَ صوت في داخله: هل تُفَرِّط في حياتك من أجل الكبرياء؟ «ربما يقول بعضهم إن معاقًا وعجوزًا ندَّين مثاليَّيْن. حلَّني من قَسمي لليدي كاتلين وسأواجهك سيفًا بسيف. إذا فزتُ فـ(ريڤررَن) لنا، وإذا قتلتني فسنرفع الحصار».

عادَ السير برايندن يضحك، وقال: «على الرغم من ترحيبي بفُرصة أخذ سيفك الذَّهبي منك واقتلاع قلبك الأسود به، فوعودك بلا قيمة. لن أجني شيئًا من موتك إلَّا متعة قتلك، ولن أخاطر بحياتي في سبيل ذلك... مع أنها مخاطَرة محدودة».

من حُسن حَظِّ چايمي أنه لا يحمل سيفًا، وإلَّا لكان استلَّه، ولو لم يقتله السير برايندن لأرداه الرُّماة على الأسوار بكلِّ تأكيد. «هل من أيِّ شروطٍ يُمكن أن تقبلها؟».

قال السير برايندن: «منك؟»، وهَزَّ كتفيه مجيبًا: «لا».

- «لماذا خرجتَ تتكلَّم معي إذن؟».

- «الحصار مملٌّ لدرجةٍ مميتة. أردتُ أن أرى جَدعتك هذه وأسمع ما لديك من ذرائع تُبرِّر بها أحدث جرائمك، لكنها أوهى مما أملتُ. دائمًا تُخَيِّب الأمل يا قاتِل الملك»، ودارَ السَّمكة السَّوداء بحصانه وخَبَّ عائدًا إلى (ريڤررَن)، ونزلَت الشَّبكة الحديديَّة بَعد دخوله بسُرعةٍ وانغرسَت أطرافها المدبَّبة بعُمقٍ في الأرض الموحلة.

دوَّر چايمي رأس أونَر استعدادًا لرحلة العودة الطَّويلة إلى خطوط حصار جيش لانستر وقد شعرَ بالأعيُن المسلَّطة عليه، أعيُن رجال تَلي في الشُّرفات وأعيُن رجال فراي عبر النَّهر. إن لم يكونوا عُميًا فلا بُدَّ أنهم رأوه يُلقي عرضي

في وجهي. لا مناص من اقتحام القلعة. طيِّب، ما أسهل أن يحنث قاتِل الملك في يمينٍ أخرى. مزيد من الخراء في الدَّلو. قرَّر چايمي أن يكون أول رجلٍ يتسلَّق إلى الشُّرفات. ويبدي الذَّهبيَّة هذه سأكونُ أول من يموت على الأرجح.

في المعسكَر أمسكَ ليو الصَّغير لجام حصانه فيما ساعدَه بِك على النُّزول، فسألَ نفسه: أيحسبونني عاجزًا لدرجة احتياجي إلى مَن يُعينني على التَّرجُّل؟

سألَه السير داڤن ابن خاله: «كيف أبليت يا سيِّدي؟».

– «لا أحد أصابَ كفل حصاني بسهم، لكن فيما عدا هذا لم يُميِّزني الكثير عن السير رايمان»، وتجهَّم چايمي مضيفًا: «والآن لا مفرَّ من أن يزداد (الفرع الأحمر) حُمرةً». لُم نفسك على هذا أيها السَّمكة السَّوداء. لم تَترُك لي خياراتٍ كثيرة. «اجمع مجلس الحرب. السير أدام والعُفر وفورلي پرستر، ولوردات النَّهر أيضًا... والأصدقاء أولاد فراي، السير رايمان واللورد إمون وأيًّا كان من يُريدون حضوره».

اجتمعوا سريعًا. جاءَ اللورد پايپر وكلا اللوردين ڤانس للكلام نيابةً عن لوردات (الثَّالوث) الثَّائبين الذين سيُختبَر ولاؤهم خلال فترةٍ قصيرة، في حين مثَّل الغرب كلٌّ من السير داڤن والعُفر القوي وأدام ماربراند وفورلي پرستر، وانضمَّ إليهم اللورد إمون فراي وزوجته، وقد اتَّخذت الليدي جِنا كُرسيَّها بنظرةٍ تتحدَّى أيَّ رجلٍ هناك أن يحتجَّ على وجودها، فلم يفعل أحد. أرسلَ آل فراي والدر ريڤرز المسمَّى والدر النَّغل، ومعه إدوين أكبر أبناء السير رايمان، وهو رجل شاحب ناحل له أنف مضغوط وشَعر داكن هزيل. تحت معطفٍ أزرق من صوف الحِملان يرتدي إدوين سُترةً ممتازة التَّفصيل من جِلد العجول الرَّمادي مزيَّنة بزخارف لولبيَّة منمَّقة، وقد أعلنَ: «سأتحدَّثُ نيابةً عن عائلة فراي. أبي متوعِّك هذا الصَّباح».

أطلقَ السير داڤن نخيرًا ساخرًا، وقال: «أهو سكران أم يَشعُر بالغثيان فحسب من نبيذ ليلة البارحة؟».

قال إدوين الذي له فم البُخلاء القاسي الخبيث: «لورد چايمي، أيجب أن أتحمَّل هذه الجلافة؟».

سألَه چايمي: «أهذا صحيح؟ هل أبوك سكران؟».

زَمَّ فراي شفتيه ورمقَ السير إلين پاين الواقف عند سديلة الخيمة بقميصه

المعدني الصَّدئ وسيفه البارز من وراء كتفه النَّحيلة، ثم قال: «إنه... أبي معتلُّ البطن يا سيِّدي. النَّبيذ يُساعِده على الهضم».

علَّق السير داڤن: «لا بُدَّ أن ما يهضمه ماموث لعين إذن»، فضحكَ العُفر وقهقهَت الليدي چِنا.

قال چايمي: «كفى. هناك قلعة علينا أن نظفر بها». أوقات اجتماع أبيه بمجلسه كان يَترُك قادته يتكلَّمون أولًا، وقد انتوى أن يحذو حذوه، فسألَهم: «كيف نتصرَّف؟».

أجابَ اللورد إمون فراي بإلحاح: «نَشنُق إدميور تَلي كبداية. سيُعَلِّم هذا السير برايندن أننا نعني ما نقول. إذا أرسلنا رأس السير إدميور إلى عمِّه فربما يدفعه هذا إلى الاستسلام».

– «برايندن السَّمكة السَّوداء لا يُدفَع إلى شيءٍ بهذه البساطة»، قال كاريل ڤانس سيِّد (استراحة عابري السَّبيل) ذو الملامح الكئيبة، الذي تُغَطِّي وحمة قانية نِصف عُنقه وجانب وجهه. «أخوه نفسه لم يستطِع أن يدفعه إلى فِراش الزَّوجيَّة».

هَزَّ السير داڤن رأسه الأشعث قائلًا: «يجب أن نقتحم الأسوار كما أقولُ من البداية. أبراج حصار، سلالم، مِدَكٌّ نخترق به البوَّابة، هذا ما نحتاج إليه».

قال العُفر: «سأقودُ الهجوم. نجعل السَّمكة يذوق الفولاذ والنَّار، هذا رأيي».

رَدَّ اللورد إمون باستهجان: «هذه أسواري، وهذه بوَّابتي التي تُريدون اختراقها»، وأخرجَ وثيقته من كُمِّه مضيفًا: «الملك تومن نفسه منحَني...».

قاطعَه إدوين فراي بحدَّة: «كلُّنا رأينا ورقتك يا عمِّي. لِمَ لا تُري السَّمكة السَّوداء إياها على سبيل التَّغيير؟».

قال أدام ماربراند: «اقتحام الأسوار سيكون عملًا داميًا. أقترحُ أن ننتظر ليلةً يغيب فيها القمر ونُرسِل دستةً من رجالنا المنتقين عبر النَّهر بقاربٍ مكتوم المجاذيف. يُمكنهم أن يتسلَّقوا الأسوار بالحبال والخطاطيف ويفتحوا البوَّابة من الدَّاخل. سأقودهم بنفسي إذا أرادَ المجلس».

أعلنَ النَّغل والدر ريڤرز: «حماقة. السير برايندن ليس بالرَّجل الذي تنطلي عليه تلك الحيل».

أيَّده إدوين فراي قائلًا: «السَّمكة السَّوداء هو العقبة. إن ريشة خوذته سمكة سوداء تجعل تمييزه من بعيدٍ سهلًا. أقترحُ أن نُقَرِّب أبراج الحصار من القلعة ونملأها بالرُّماة ونتظاهَر بالهجوم على البوَّابة، وسيدفع هذا السير برايندن إلى الشُّرفات بخوذته. فليُلَوِّث كلُّ رامٍ سهامه بالفضلات ويجعل تلك الخوذة هدفه. ما إن يموت السير برايندن حتى تُصبِح (ريڤررَن) لنا».

رَدَّ اللورد إمون بنبرةٍ حادَّة: «لي، (ريڤررَن) لي!».

ازدادَت وحمة اللورد كاريل قتامةً، وقال: «هل ستكون الفضلات مساهَمتك يا إدوين؟ لا أشكُّ في كونها سُمًّا قاتلًا».

قال العُفر: «السَّمكة السَّوداء يستحقُّ ميتةً أنبل، وأنا من سيُعطيه إياها»، ودَقَّ الطَّاولة بقبضته مردفًا: «سأتحدَّاه في نزالٍ فردي. ليكن بالهراوة الشَّائكة أو الفأس أو السَّيف الطَّويل، لا فرق، سأفتكُ بالعجوز».

خاطبَه السير فورلي پرستر قائلًا: «ولِمَ يتنازَل ويقبل التَّحدِّي أيها الفارس؟ ماذا سيجني من قتالٍ كهذا؟ هل سنرفع الحصار إذا فازَ؟ لا أصدِّقُ ذلك، ولن يُصَدِّقه هو. النِّزال الفردي لن يُثمِر شيئًا».

قال نوربرت ڤانس سيِّد (أترانتا): «إنني أعرفُ برايندن تَلي منذ كنا مُرافقيْن معًا في خدمة اللورد داري. بَعد إذنكم أيها السَّادة، دعوني أذهبُ وأتحدَّثُ معه وأحاولُ أن أجعله يفهم موقفه اليائس».

رَدَّ اللورد پايپر: «إنه يفهمه جيِّدًا». للرَّجل قامة قصيرة وجسد ممتلئ وساقان مقوَّستان وشَعر أحمر ثائر، وهو أبو أحد مُرافقي چايمي كما يشي الشَّبه الجليُّ بينهما. «الرَّجل ليس غبيًّا يا نوربرت. إن له عينين... وعقلًا أكبر من أن يستسلم لأمثال هذين»، ولوَّح بيده بفظاظةٍ نحو إدوين فراي ووالدر ريڤرز.

غاضبًا قال إدوين: «إذا كان اللورد پايپر يُلَمِّح إلى...».

– «لستُ ألمِّحُ يا فراي، بل أقولُ ما أعني مباشرةً كرجلٍ صادق، لكن ماذا تعرف أنت عن الصَّادقين؟ إنك ابن عرس خائن كذَّاب كجميع ذويك. أحبِّذُ أن أشرب كوبًا من البول على الثِّقة بكلمة أيِّ فراي»، ومالَ پايپر عبر المائدة متابعًا: «أين مارك؟ أجِبني. ماذا فعلتم بابني؟ لقد كان ضيفًا في زفافكم اللَّعين».

قال إدوين: «وسيظلُّ ضيفنا المكرَّم إلى أن تُثبِت ولاءك لجلالة الملك تومن».

- «خمسة فُرسان وعشرون جُنديًّا ذهبوا مع مارك إلى (التَّوأمتين). أهُم ضيوفكم أيضًا يا فراي؟».

- «بعض الفُرسان ربما. الآخَرون نالوا ما استحقُّوا. خيرٌ لك أن تصون لسانك الخائن يا پايپر، ما لم تكن تُريد أن يرجع إليك وريثك قِطعًا».

فكَّر چايمي: لم يَحدُث هذا في مجلس أبي قَطُّ، وهَبَّ پايپر بجسده الصَّغير مزمجرًا: «قُل هذا مجدَّدًا بسيفٍ في يدك يا فراي، أم أنك تُقاتِل بالفضلات فقط؟».

شحبَ وجه إدوين الممصوص، وإلى جواره نهضَ والدر ريڤرز قائلًا: «إدوين ليس رجل قتال... لكنني كذلك يا پايپر. إذا كان لديك المزيد من التَّعليقات فاخرُج معي وألقِها».

قال چايمي: «هذا مجلس حرب وليس حربًا. فليجلس كلاكما»، ولمَّا لم يتحرَّك أحدهما صاحَ: «الآن!».

جلسَ والدر ريڤرز، أمَّا اللورد پايپر فلم يخَف بهذه السُّهولة، وهمهمَ بشتيمةٍ ما ثم خرجَ من الخيمة بخُطواتٍ واسعة، فسألَ السير داڤن چايمي: «هل أرسلُ وراءه رجالًا يجرُّونه ويعودون به يا سيِّدي؟».

قال إدوين فراي: «أرسِل السير إلين. لسنا محتاجين إلَّا إلى رأسه».

التفتَ كاريل ڤانس إلى چايمي قائلًا: «اللورد پايپر تكلَّم بدافع الحُزن. مارك ابنه البِكر، والفُرسان الذين ذهبوا معه إلى (التَّوأمتين) أبناء إخوة وعمومة جميعًا».

علَّق إدوين فراي: «تعني أنهم خونة ومتمرِّدون».

حدجَه چايمي بنظرةٍ باردة، وقال «(التَّوأمتان) انضمَّتا إلى قضيَّة الذِّئب الصَّغير أيضًا، ثم خُنتموه، وهو ما يجعل خيانتكم أفدح من خيانة پايپر مرَّتين». استمتعَ بمرأى ابتسامة إدوين الرَّفيعة تَذبُل وتموت، وقال لنفسه: احتملتُ ما يكفي من النَّصائح اليوم، ثم أعلنَ: «انتهينا. راجِعوا استعداداتكم أيها السَّادة. سنَهجُم مع أول خيوط الضَّوء».

كانت الرِّياح تهبُّ من الشَّمال عندما غادرَ القادة الخيمة. حتى هنا تتناهى

إلى أنف چايمي رائحة معسكَر فراي النَّتنة على ضفَّة (الجُلمود) الأخرى، وعبر الماء يقف إدميور تَلي بسحنةٍ مكفهرَّة فوق المشنقة الرَّماديَّة الطَّويلة وحول رقبته حبل.

كانت عمَّته آخِر المغادرين، وفي أعقابها زوجها إمون الذي قال معترضًا: «سيِّدي، هذا الهجوم على مقرِّي... يجب ألَّا تُنَفِّذه»، وازدردَ لُعابه لتتحرَّك تفَّاحة حَلقه إلى أعلى وأسفل، وتابعَ: «يجب ألَّا تفعلها. إنني... إنني أمنعك». كان يَمضُغ التَّبغ المُرَّ ثانيةً كما تنمُّ الرَّغوة الورديَّة الملتمعة على شفتيه. «القلعة ملكي. إن معي الوثيقة الموقَّعة من الملك، من تومن الصَّغير. أنا سيِّد (ريڤررَن) الشَّرعي و...».

قاطعَته الليدي چِنا: «لست كذلك ما دامَ إدميور تَلي حيًّا. إنه ضعيف القلب والعقل، أعلمُ هذا، لكنه حَيٌّ ولا يزال يُشَكِّل خطرًا. ماذا تنوي أن تفعل يا چايمي؟».

السَّمكة السَّوداء الخطر لا إدميور. «اترُكي إدميور لي. سير لايل، سير إلين، تعاليا معي من فضلكما. حانَ الوقت لأن أزور تلك المشنقة».

(الجُلمود) أعمق وأسرع جريانًا من (الفرع الأحمر)، وأقرب مخاضةٍ تَبعُد عدَّة فراسخ في اتِّجاه المنبع. كانت العبَّارة قد تحرَّكت حاملةً والدر ريڤرز وإدوين فراي لتوِّها عندما وصلَ چايمي ورفيقاه إلى النَّهر، وإذ انتظروا عودتها أخبرَهم چايمي بما يُريد، وبصقَ السير إلين في الماء.

حين نزلَ ثلاثتهم من العبَّارة على الضِّفَّة الشَّماليَّة عرضَت تابعة معسكَرات سكرانة على العُفر أن تُمَتِّعه بفمها، فقال السير لايل دافعًا إياها نحو السير إلين: «متِّعي صديقي»، وضاحكةً أخذَت المرأة خُطوةً لتُقَبِّل پاين على فمه، ثم إنها رأت عينيه وانسحبَت منكمشةً على نفسها.

الممرَّات بين بؤر النَّار من الطَّمي البنِّي الخام المختلط بروث الخيل، وتحمل آثار الحوافر والأحذية على حَدٍّ سواء، وفي كلِّ صوبٍ رأى چايمي بُرجَي عائلة فراي التَّوأمين على الرَّايات والتُّروس، أزرق على رمادي، ومعهما رموز عائلاتٍ أدنى شأنًا مقسِمة على الولاء لـ(المعبر)، كبَلَشون[1]

(1) البَلَشون طائر طويل السَّاقين شهير بصوته العذب، ويُعرَف أيضًا باسم مالك الحزين. (المترجم).

عائلة إرينفورد ومذراة عائلة هاي وغُصينات نبتة الدِّبق الثَّلاث رمز عائلة كارلتون. لم يمرَّ وصول قاتِل الملك مرور الكرام، إذ توقَّفت عجوز تبيع الخنازير الصَّغيرة من سلَّةٍ تُحَدِّق إليه، وجثا فارس له وجه شِبه مألوف على رُكبته، واستدارَ جُنديَّان يتبوَّلان في حُفرةٍ يَنظُران فبلَّل كلاهما الآخَر، وناداه أحدهم: «سير چايمي»، لكنه واصلَ طريقه دون أن يلتفت. حوله لمحَ وجوه رجالٍ بذل أقصى جهده ليَقتُلهم في (الغابة الهامسة) حيث قاتلَ آل فراي تحت راية ذئب روب ستارك الرَّهيب، وشعرَ بيده الذَّهبيَّة المعلَّقة إلى جانبه ثقيلةً.

سُرادق رايمان فراي المستطيل هو الأكبر والأوسع في المعسكَر، وتتَّخذ جُدرانه الرَّماديَّة المصنوعة من قُماش القنَّب شكل مربَّعاتٍ مخيطة معًا لتُشبِه الأحجار، بينما تُحاكي قمَّتاه (التَّوأمتين). أبعد ما يكون التَّوغُّك، كان السير رايمان يستمتع بوقته، إذ سُمِعَت من داخل الخيمة ضحكات امرأةٍ ثملة ممتزجةً بأنغام أوتار قيثارةٍ خشبيَّة وصوت مغنٍّ. سأتعاملُ معك لاحقًا أيها الفارس. كان والدر ريڤرز واقفًا أمام خيمته المتواضعة يتكلَّم مع جُنديَّين، يحمل تُرسه رمز عائلة فراي بألوانٍ معكوسة، وثمَّة شريط أحمر مائل إلى اليسار على البُرجين. عبسَ النَّغل حين رأى چايمي، فقال لنفسه: يا لها من نظرةٍ باردة شكَّاكة. هذا الرَّجل أخطر من أيٍّ من إخوته الشَّرعيِّين.

ترتفع المشنقة عشرة أقدام عن الأرض، وقد وقفَ اثنان من حاملي الحِراب عند قاعدة سلالمها، وقال أحدهما لچايمي: «لا تستطيع أن تصعد دون إذن السير رايمان».

ربَّت چايمي على مقبض سيفه قائلًا: «هذا يقول إنني أستطيعُ. السُّؤال الآن، هل عليَّ أن أخطو فوق جثَّتك؟».

وانزاحَ الرَّجلان.

فوق المشنقة يقف سيِّد (ريڤررَن) رامقًا الكُوَّة الأفقيَّة تحته، قدماه سوداوان مغلَّفتان بالطَّمي وساقاه عاريتان، ويرتدي صُدرةً حريريَّةً متَّسخةً يلوح عليها أحمر وأزرق عائلة تَلي، وتُحيط بعُنقه أنشوطة من القنَّب. لدى سماع خُطوات چايمي رفعَ إدميور رأسه ولعقَ شفتيه الجافَّتين المشقَّقتين، وغمغمَ بدهشة: «قاتِل الملك؟»، ولمَّا رأى السير إلين اتَّسعت عيناه، وقال: «السَّيف أفضل من الحبل. افعلها يا پاين».

قال چايمي: «كما سمعت اللورد تَلي يا سير إلين، افعلها».

بكلتا يديه سحبَ الفارس الصَّامت سيفه العظيم، سيفه الطَّويل الثَّقيل المتناهي في الحدَّة بقدر ما يسمح الفولاذ التَّقليدي. تحرَّكت شفتا إدميور المشقَّقتان بلا صوت، وإذ رفعَ السير إلين النَّصل أغلقَ عينيه، ووضعَ پاين ثِقله كلَّه وراء الضَّربة.

سمعوا من يصيح: «لا! توقَّف! لا!»، وظهرَ إدوين فراي لاهثًا يقول: «أبي قادم بأقصى سُرعة. چايمي، يجب...».

– «يُناسِبني أكثر أن تُخاطِبني بـ«سيِّدي» يا فراي، وخيرٌ لك أن تتجنَّب استخدام «يجب» في أيِّ كلام تُوَجِّهه إليَّ».

صعدَ السير رايمان سلالم المشنقة بخُطواتٍ ثقيلة وفي صُحبته بغيٌّ شَعرها بلون القَشِّ سكرانة مِثله، أربطة فُستانها من الأمام لكن أحدهم حلَّها حتى السُّرَّة، فتدلَّى نهداها الكبيران الثَّقيلان وظهرَت حلمتاها البنِّيَّتان الكبيرتان، وقد استقرَّت على رأسها بانحرافٍ دائرة رفيعة من البرونز المطرَّق منقوشة عليها حروف بأبجديَّةٍ قديمة وتَبرُز منها سيوف سوداء صغيرة. حين رأت المرأة چايمي ضحكَت، وقالت: «مَن هذا بحَقِّ الجحائم السَّبع؟».

رَدَّ چايمي بكياسةٍ باردة: «حضرة قائد الحَرس الملكي. السُّؤال نفسه لكِ يا سيِّدتي».

– «سيِّدتك؟ لستُ سيِّدةً، أنا الملكة».

– «سيُدهِش أختي أن تسمع هذا».

قالت: «اللورد رايمان توَّجني بنفسه»، وهزَّت وَركيها الكبيرين مضيفةً: «أنا ملكة العاهرات».

لا، أختي الجميلة تحمل هذا اللَّقب أيضًا.

أخيرًا استطاعَ السير رايمان أن يتكلَّم، فقال: «اخرسي أيتها القذرة، اللورد چايمي لا يُريد أن يسمع هُراء مومس». ابن فراي هذا رجل غليظ البنية عريض الوجه صغير العينين وذقنه طريٌّ لحيم، ومن أنفاسه تفوح رائحة النَّبيذ والبصل.

سألَه چايمي بهدوء: «هل تصنع الملكات يا سير رايمان؟ غباء، غباء لا يقلُّ عمَّا تفعله باللورد إدميور».

- «لقد حذَّرتُ السَّمكة السَّوداء، قلتُ له إن إدميور سيموت ما لم تستسلم القلعة، وأمرتُ ببناء هذه المشنقة لأريهم أن السير رايمان فراي لا يُلقي تهديداتٍ فارغة. في (سيجارد) فعلَ ابني المِثل مع باتريك ماليستر واستسلمَ اللورد چيسون، ولكن... السَّمكة السَّوداء رجل بارد. لقد رفضَ، فـ...».

- «... فشنقت اللورد إدميور؟».

احتقنَ وجه الرَّجل، وقال: «السيِّد جدِّي... إذا شنقناه فسنخسر رهينتنا أيها الفارس. هل فكَّرت في هذا؟».

- «فقط الأحمق يُلقي تهديداتٍ ليس مستعدًّا لتنفيذها. هَب أنني هدَّدتك بالضَّرب ما لم تخرس ثم تكلَّمتَ، فماذا تحسبني سأفعلُ؟».

- «أيها الفارس، أنت لا تفـ...».

وضربَه چايمي. كانت الضَّربة بظَهر يده الذَّهبيَّة، لكنها دفعَت السير رايمان إلى التَّعثُّر إلى الوراء ساقطًا بين ذراعَي عاهرته، ثم قال چايمي: «إن لك رأسًا سمينًا يا سير رايمان، وعُنقًا غليظًا أيضًا. سير إلين، بكم ضربة يُمكنك أن تقطع هذا العُنق؟».

رفعَ السير إلين يده واضعًا إصبعًا واحدًا على أنفه.

ضحكَ چايمي، وقال: «خيلاء فارغة. أقولُ إنها ثلاث ضربات».

خَرَّ رايمان فراي على رُكبتيه قائلًا: «لم أفعل شيئًا...».

- «... إلَّا الشُّرب ونكاح العاهرات، أعرفُ».

- «أنا وريث (التَّوأمتين). لا يُمكنك...».

قاطعَه چايمي: «لقد حذَّرتك من الكلام»، وشاهدَ وجه الرَّجل يمتقِع مفكِّرًا: سكِّير وأبله وجبان. خيرٌ لآل فراي أن يموت هذا قبل اللورد والدر وإلَّا انتهى أمرهم. «يُمكنك الانصراف أيها الفارس».

- «الانصراف؟».

- «كما سمعتني، ارحل».

- «ولكن... أين أذهبُ؟».

- «إلى الجحيم أو إلى الوطن، كما تُفَضِّل. احرِص على عدم وجودك في المعسكَر عند شروق الشَّمس. يُمكنك أن تأخذ ملكة العاهرات معك، ولكن ليس تاجها هذا»، ثم التفتَ چايمي عن السير رايمان إلى ابنه قائلًا: «إدوين، إنني أسلِّمك قيادة أبيك. حاوِل ألَّا تكون غبيًّا مِثله».

- «لن يكون هذا عسيرًا يا سيِّدي».

- «أرسِل خبرًا إلى اللورد والدر. التَّاج يَطلُب جميع سُجنائه»، ولوَّح چايمي بيده الذَّهبيَّة مستطردًا: «سير لايل، اجلبه».

كان إدميور تَلي قد تهاوى على وجهه فوق المشنقة حينما قطعَ سيف السير إلين الحبل، الذي ظلَّت قطعة منه طولها قدم مدلَّاة من الأنشوطة المحيطة برقبته، فشدَّها العُفر ليُوقِفه على قدميه، ثم قال ضاحكًا بسخرية: «سمكة بمِقوَد، منظر لم أرَه من قبل قَطُّ».

أفسحَ لهم رجال فراي الطَّريق، وكانت مجموعة من الآخَرين قد ازدحمَت عند قاعدة المشنقة، منها دستة من تابعات المعسكَرات على درجاتٍ مختلفة من الفوضى، ولاحظَ چايمي رجلًا يحمل قيثارةً خشبيَّةً، فقال له: «أنت، أيها المغنِّي، تعالَ معي».

رفعَ الرَّجل قبَّعته قائلًا: «أمر سيِّدي».

لم يلفظ أحد كلمةً فيما ساروا إلى العبَّارة وفي أثرهم مغنِّي السير رايمان، لكن إذ تحرَّكوا مبتعدين عن ضفَّة (الجُلمود) نحو الجانب الجنوبي أطبقَ إدميور تَلي على ذراع چايمي متسائلًا: «لماذا؟!».

اللانستر يُسَدِّد ديونه، ولم تتبقَّ لي عُملة إلَّاك. «اعتبِرها هديَّة زفاف».

رمقَه إدميور بعينين حذرتين، وردَّد: «هديَّة... زفاف؟».

- «قيلَ لي إن زوجتك حسناء. لا بُدَّ أن تكون كذلك كي تُضاجِعها في أثناء اغتيال أختك وملكك».

لعقَ إدميور شفتيه، وقال: «لم أعرف. كان خارج الغُرفة عازفو كمنجة...».

- «والليدي روزلين كانت تُلهيك».

- «إنها... لقد جعلوها تفعلها، اللورد والدر والآخَرون. روزلين لم تُرِد أن... لقد بكَت، لكنني حسبتُ السَّبب...».

- «منظر ذَكرك الهائل؟ نعم، إنني واثق بأن شيئًا كهذا سيجعل أيَّ امرأةٍ تبكي».

- «إنها تحمل طفلي».

لا، بل إن ما ينمو في بطنها موتك.

في سُرادقه صرفَ چايمي السير لايل والسير إلين، لكنه أبقى على المغنِّي

قائلًا: «ربما أحتاجُ إليك بَعد قليل. ليو، سخِّن ماءً لحمَّام ضيفي. پيا، جِدي له ثيابًا نظيفةً، لا شيء عليه أسد إذا سمحتِ. بِك، نبيذ للورد تَلي. أأنت جائع يا سيِّدي؟».

أومأ إدميور برأسه إيجابًا، لكن الشَّكَّ لم يبرح عينيه.

استقرَّ چايمي على كُرسيٍّ بينما استحمَّ تَلي الذي زالَت القذارة عن جسده في سحاباتٍ سوداء، وقال له: «بَعد أن تأكل سيصحبك رجالي إلى (ريڤررَن)، وما يَحدُث عندئذٍ يتوقَّف عليك».

– «ماذا تعني؟».

– «عمُّك رجل عجوز. شُجاع، نعم، لكن أفضل سنين حيَاته انقضى. خير ما يأمله السَّمكة السَّوداء الآن ميتة مشرِّفة... أمَّا أنت فما زالَت أمامك سنوات يا إدميور. أنت سيِّد عائلة تَلي الشَّرعي لا هو، والمفترَض أن يُطيعك عمُّك. مصير (ريڤررَن) بين يديك».

حملقَ إليه إدميور مردِّدًا: «مصير (ريڤررَن)...».

– «سلِّم القلعة ولن يموت أحد. يستطيع رعاياك الرَّحيل في سلام أو البقاء لخدمة اللورد إمون، وسيُسمَح للسير براينذن بالالتحاق بحَرس اللَّيل مع كلِّ رجلٍ من الحامية يختار الانضمام إليه. أنت أيضًا إذا كان (الجِدار) يستهويك، أو يُمكنك الذَّهاب إلى (كاسترلي روك) باعتبارك أسيري وتستمتع بكلِّ سُبل الرَّاحة التي تليق برهينةٍ بمنزلتك. سأرسلُ زوجتك إليك إذا أردت، وإذا أنجبَت صبيًّا فسيخدم عائلة لانستر كوصيف ومُرافق، وعندما ينال الفُروسيَّة سنهب له بعض الأراضي. وإذا أنجبَت روزلين بنتًا فسأحرصُ على أن يكون مَهرها لائقًا عندما تَبلُغ سِنَّ الزَّواج. أنت نفسك من الممكن أن تنال إطلاق سراحٍ مشروط ما إن تنتهي الحرب، وما عليك إلَّا تسليم القلعة».

رفَعَ إدميور يديه من الحوض وشاهدَ الماء يجري بين أصابعه متسائلًا: «وإذا لم أسلِّمها؟».

أيجب أن تجعلني أقولها؟ كانت پيا واقفةً عند سديلة الخيمة حاملةً ثيابًا، وكان مُرافِقوه والمغنِّي يُصغون أيضًا. فليسمعوا، فليسمع العالم كلُّه، لا يهمُّ. أرغمَ چايمي نفسه على الابتسام، وقال: «لقد رأيت أعدادنا يا إدميور، رأيت السَّلالم والأبراج والمقاذيف والمدكَّات. إذا ألقيتُ الأمر فسيُلقي ابن خالي

جسرًا على خندقكم ويُحَطِّم بوَّابتكم. مئات سيموتون، أكثرهم من رجالكم. موجة الهجوم الأولى ستتكوَّن من حمَلة رايتكم السَّابقين، وهكذا سيبدأ يومكم بقتل آباء وإخوة الرِّجال الذين ماتوا في سبيلكم في (التَّوأمتين). الموجة الثَّانية ستكون من رجال فراي، فلستُ أعاني نقصًا فيهم، وسيتبعهم جنودي الغربيُّون عندما تنفد سهام رُماتكم ويصير فُرسانكم عاجزين عن رفع سيوفهم من فرط الإنهاك. ثم لمَّا تَسقُط القلعة سيُقتَل كلُّ مَن فيها، ستُذبَح حيواناتكم وتُدَمَّر أيكة آلهتكم وتحترق حصونكم وأبراجكم. سأهدمُ أسواركم وأحوِّلُ مجرى (الجُلمود) ليغمر الأطلال، وحين أفرغُ لن يعرف أحد أن قلعةً كانت قائمةً هناك ذات يوم»، ونهضَ چايمي مضيفًا: «قد تضع زوجتك مولودها قبل ذلك. أتوقَّعُ أنك ستُريد طفلك، وسأرسله إليك حين يُولَد... بالمنجنيق».

تلا الصَّمت كلامه. جلسَ إدميور في حوضه، وضمَّت پيا الملابس إلى صدرها، وشَدَّ المغنِّي وترًا في قيثارته، وفرَّغ ليو الصَّغير رغيفًا من الخُبز البائت ليصنع طبقًا متظاهرًا بأنه لم يسمع. بالمنجنيق. لو أن عمَّته هنا الآن فهل كانت لتصرَّ على أن تيريون هو ابن تايوين؟

أخيرًا عثرَ إدميور تَلي على صوته، وقال: «يُمكنني أن أخرج من هذا الحوض وأقتلك حيث تقف يا قاتِل الملك».

رَدَّ چايمي: «يُمكنك أن تُحاوِل»، فلمَّا لم يتحرَّك إدميور قال: «سأتركك تستمتع بطعامك. أيها المغنِّي، سَلِّ ضيفنا بينما يأكل. مؤكَّد أنك تعرف الأغنيَّة».

– «أغنيَّة الأمطار إياها؟ أجل يا سيِّدي، أعرفها».

بدا أن إدميور رأى الرَّجل للمرَّة الأولى، وقال: «لا، ليس هو. أبعِده عني».

قال چايمي: «إنها مجرَّد أغنيَّة، ولا يُمكن أن يكون صوته بهذا السُّوء».

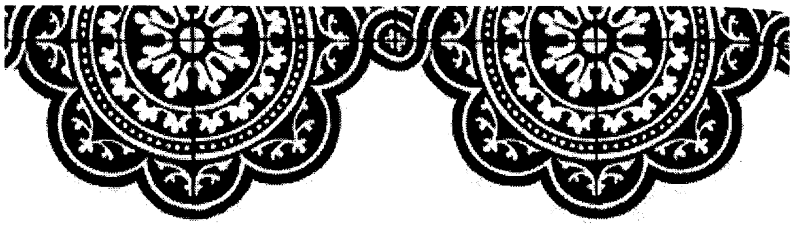

سرسي

كان المِايستر الأكبر پايسل عجوزًا منذ عرفَته، وإن يبدو كأنه شاخَ مئة عام أخرى خلال اللَّيالي الثَّلاث الماضية. استغرقَ الرَّجل أبديَّةً ليركع ثانيًا رُكبتيهِ المتيبِّستين أمامها، ولمَّا فعلَ لم يستطِع النُّهوض من جديدٍ إلى أن سحبَه السير أوزموند بقوَّةٍ ووقَّفه.

تمعَّنت فيه سرسي باستياءٍ قائلةً: «اللورد كايبرن أبلغَني بأن اللورد جايلز لفظَ سُعلاته الأخيرة».

– «نعم يا جلالة الملكة. لقد بذلتُ أفضل ما في وسعي لأخفِّف عنه سَكرات الموت».

قالت الملكة: «حقًّا؟»، والتفتَت إلى الليدي ميريويذر تسألها: «ألم أقل إنني أريدُ روزبي حيًّا؟».

– «بلى يا جلالة الملكة».

– «سير أوزموند، ماذا تَذكُر عن تلك المحادَثة؟».

– «أنكِ أمرتِ المِايستر الأكبر پايسل بإنقاذ الرَّجل يا صاحِبة الجلالة، كلُّنا سمعنا».

انفتحَ فم پايسل وانغلقَ، ثم قال: «يجب أن تعلم مولاتي أنني فعلتُ كلَّ ما في الإمكان لإنقاذ الرَّجل المسكين».

– «كما فعلت مع چوفري؟ ومع أبيه زوجي الحبيب؟ روبرت كان من أقوى الرِّجال في (الممالك السَّبع)، ومع ذلك فقدته بسبب خنزيرٍ برِّي. أوه، ودعنا لا ننسى چون آرن. لا شَكَّ أنك كنت لتَقتُل ند ستارك أيضًا لو تركته

لك فترةً أطول. أخبِرني أيها المِايستر، هل تعلَّمت في (القلعة) أن تتنصَّل من مسؤوليَّاتك وتختلق الحُجج؟».

رَدَّ الرَّجل الهرِم وقد أجفلَته نبرتها: «لا أحد كان يستطيع أن يفعل المزيد يا جلالة الملكة. لقد... لقد خدمتُ دومًا بإخلاص».

– «عندما أشَرت على الملك إيرس أن يفتح بوَّاباته عند اقتراب جيش أبي، أكانت تلك فكرتك عن الخدمة بإخلاص؟».

– «هذا... لقد أسأتُ التَّقدير...».

– «أكانت تلك نصيحةً سديدةً؟».

– «مؤكَّد أن صاحِبة الجلالة تعلم...».

– «ما أعلمه أنك كنت أقلَّ نفعًا من فتى القمر عندما سُمِّمَ ابني، ما أعلمه أن التَّاج في حاجةٍ ماسَّة إلى الذَّهب واللورد الخازِن ماتَ».

انتهزَ الأحمق المسنُّ الجزء الأخير من ردِّها قائلًا: «سـ... سأصنعُ قائمةً بالرِّجال الصَّالحين لشغل مكان اللورد جايلز في المجلس».

قالت سرسي التي وجدَت اقتراحه طريفًا: «قائمة. يُمكنني أن أتخيَّل نوع القائمة التي ستمدُّني بها، قائمة بالشُّيوخ والحمقى الجشعين وجارث السَّمين»، وزمَّت شفتيها مضيفةً: «إنك تقضي أوقاتًا طويلةً في صُحبة الليدي مارچري في الفترة الأخيرة».

– «نعم، نعم، إنني... الملكة مارچري مضطربة للغاية بسبب السير لوراس، وأزوِّدُ جلالتها بعقاقير النَّوم و... أنواع أخرى من الأدوية».

– «لا ريب. أخبِرني، هل ملكتنا الصَّغيرة هي من أمرَتك بقتل اللورد جايلز؟».

اتَّسعت عينا المِايستر الأكبر پايسل حتى صارَتا كبيضتين مسلوقتين، وقال: «قـتل؟ لا يُعقَل أن جلالتكِ تعتقدين... لقد ماتَ بالسُّعال، أقسمُ بكلِّ الآلهة أنني... جلالتها لا يُمكن أن... إنها لم تكنَّ ضغينةً للورد جايلز. لماذا ترغب الملكة مارچري في...».

– «... موته؟ لتزرع وردةً أخرى في مجلس تومن بالتَّأكيد. أأنت أعمى أم مرتشٍ؟ روزبي كان يعترض طريقها فوضعَته في قبره... وأنت تستَّرت عليها».

رَدَّ الرَّجل بفم يرتعش: «جلالة الملكة، أقسمُ لكِ أن اللورد جايلز ماتَ بالسُّعال. لطالما كان إخلاصي للتَّاج والبلاد... وعـائلة لانستر».

بهذا التَّرتيب؟ كان خوف پايسل صريحًا ملموسًا. لقد نضجَ بما فيه الكفاية. حان الوقت لاعتصار الثَّمرة وتذوُّق عصيرها. «إذا كنت مخلصًا كما تدَّعي فلماذا تكذب عليَّ؟ لا تُحاوِل الإنكار. لقد بدأت تتراقَص حول العذراء مارچري قبل ذهاب السير لوراس إلى (دراجونستون)، فاعفِني من المزيد من حكاياتك الخياليَّة عن رغبتك في مواساة زوجة ابننا في حُزنها. لماذا تتردَّد إلى (قفص العذراوات) بهذه الكثرة؟ مؤكَّد أن السَّبب ليس أحاديث مارچري المضجِرة. هل تَخطُب وُدَّ سِپتتها ذات الوجه المجدور إياها؟ تُداعِب الليدي بولوار الصَّغيرة؟ هل تلعب لحسابها دور الجاسوس وتُخبِرها بما أفعله لتستغلَّه في مكايدها؟».

– «إنني... إنني أطيعُ. المِايستر يُقسِم على الخدمة...».

– «المِايستر الأكبر يُقسِم على خدمة البلاد».

– «يا صاحِبة الجلالة، إنها... إنها الملكة...».

– «أنا الملكة».

– «أعني... أنها زوجة الملك، و...».

– «أعرفُ مَن هي. ما أريدُ أن أعرفه هو سبب حاجتها إليك. هل زوجة ابننا مريضة؟».

ردَّد: «مريضة؟»، وشَدَّ العجوز الشَّيء الذي يُسَمِّيه لحيةً، رُقع الشَّعر الأبيض الخفيف النَّابت من اللُّغد الوردي المتهدِّل تحت ذقنه، وقال: «لـليست مريضةً يا جلالة الملكة، ليس بالضَّبط. إن قَسمي يمنعني من الإفصاح...».

– «قَسمك لن يكون مصدر عزاءٍ كبير في الزَّنازين السَّوداء. سأسمعُ منك الحقيقة أو أكبِّلك بالسَّلاسل».

خَرَّ پايسل على رُكبتيه قائلًا بضراعة: «أتوسَّلُ إليكِ... لقد كنتُ رجل السيِّد والدكِ، وصديقًا لكِ في مسألة اللورد آرن. لن أحتمل البقاء في الزَّنازين، ليس ثانيةً...».

– «لماذا تستدعيك مارچري؟».

- «إنها ترغب في... إنها... إنها...».
- «قُلها!».

جفلَ هامسًا: «شاي القمر، شاي القمر من أجل...».

- «أعرفُ فيمَ يُستخدَم شاي القمر». هكذا إذن. «ليكن. انهض على هاتين القدمين الواهنتين وحاوِل أن تتذكَّر كيف تكون رجلًا». حاولَ پايسل النُّهوض بعُسرٍ لكنه استغرقَ وقتًا طالَ حتى أمرَت السير أوزموند مضطرَّةً بأن يسحبه ثانيةً، ثم قالت: «بالنِّسبة إلى اللورد جايلز فلا ريب أن (الأب في الأعالي) سيَحكُم عليه بالعدل. ألم يَترُك أولادًا؟».

- «لا أولاد من صُلبه، لكن هناك ربيبًا...».

- «... ليس من دمه»، ولوَّحت سرسي بيدها متجاهلةً هذا، وأردفَت: «جايلز كان يعرف بحاجتنا الملحَّة إلى الذَّهب. لا شَكَّ أنه أخبرَك برغبته في ترك كلِّ أراضيه وثروته لتومن». سيُساعِد ذهب روزبي على إنعاش خزائنهم، ويُمكنها أن تهب قلعة (روزبي) وأراضيها لأحد رجالها مكافأةً على خدمته الوفيَّة. اللورد ووترز ربما. منذ فترةٍ وأوران يُلَمِّح إلى حاجته إلى مقر، فدون مقرٍّ ليست لورديَّته إلَّا لقبًا فارغًا. تعلم سرسي أن عينه على (دراجونستون)، لكن طموحه أكبر من اللَّازم هنا، أمَّا (روزبي) فأنسب لمولده ومنزلته.

كان پايسل يقول: «اللورد جايلز أحبَّ جلالة الملك حُبًّا جمًّا، ولكن... ربيبه...».

- «... سيتفهَّم بالتَّأكيد ما إن يسمعك تتكلَّم عن أمنيَّة اللورد جايلز الأخيرة. اذهب ونفِّذ هذا».

قال المِايستر الأكبر پايسل: «كما تأمر جلالة الملكة»، وكادَ يتعثَّر في ثوبه مع استعجاله الخروج.

أغلقَت الليدي ميريويذر الباب وراءه، ثم التفتَت إلى الملكة قائلةً: «شاي القمر. يا لحماقتها. لماذا تفعل شيئًا كهذا وتُخاطِر بنفسها؟».

- «الملكة الصَّغيرة لها رغبات تومن أصغر من أن يُشبِعها». هذا الخطر قائم دومًا عندما تتزوَّج امرأة بالغة طفلًا. وقائم أكثر إذا كانت أرملةً. ربما تَزعُم أن رنلي لم يمسَّها قَطُّ، لكني أرفضُ أن أصدِّق هذا. النِّساء لا يشربن شاي القمر إلَّا لسببٍ واحد، أمَّا العذراوات فلا يحتجن إليه على الإطلاق.

«مارچري خانَت ابني. إن لها عشيقًا. هذه خيانة عُظمى عقوبتها الموت». أملها الآن أن تعيش أُم مايس تايرل الشَّمطاء المتغضِّنة لتشهد المحاكَمة. بإصرارها على زواج تومن ومارچري في الحال حكمَت الليدي أولينا على وردتها الغالية بسيف الجلَّاد. «چايمي أخذَ السير إلين پاين معه. أظنُّ أن عليَّ أن أجد عدالة ملكٍ جديدًا يقطع رأسها».

اقترحَ أوزموند كِتلبلاك بابتسامةٍ واسعة تلقائيَّة: «سأفعلها أنا. مارچري لها عُنق جميل، صالح لأن يَبتُره سيف حاد بسهولة».

قالت تاينا: «نعم، لكن لتايرل جيشًا عند (ستورمز إند) وآخَر في (بِركة العذارى). هُم أيضًا يحملون سيوفًا حادَّةً».

أنا محاصَرة بالورود. وهذا مزعج حقًّا. إنها لم تزل محتاجةً إلى مايس تايرل وإن لم يكن إلى ابنته. حتى هزيمة ستانيس على الأقل، ثم لن أحتاج إلى أحدٍ منهم. لكن كيف تُخَلِّص نفسها من الابنة دون أن تفقد الأب؟ قالت: «الخيانة هي الخيانة، لكن يجب أن نُبرهِن عليها، وأن يكون البُرهان ملموسًا أكثر من شاي القمر. إذا ثبتَت خيانتها فعلى السيِّد والدها نفسه أن يُدينها وإلَّا أصبحَ عارها عاره».

مضغَ كِتلبلاك طرف شاربه قائلًا: «يجب أن نضبطهما متلبِّسيْن بفعلتهما».

– «كيف؟ إنها نُصب أعيُن كايبرن ليل نهار، وخدمها يأخذون مالي ولا يأتوننا بغير التَّفاهات، لكن أحدًا لم يرَ عشيقها هذا. الآذان خارج بابها تسمع غناءً وضحكًا ونميمةً، لا شيء مفيدًا».

قالت الليدي ميريويذر: «مارچري أمكر من أن تُضبَط بهذه السُّهولة. إن نساءها أسوار قلعتها، ينَمن معها ويُلبِسنها ثيابها ويُصَلِّين معها ويقرأن معها ويَخِطن معها، وعندما لا تَخرُج لركوب الخيل أو الصَّيد بالصُّقور تلعب (تعالَ إلى قلعتي) مع أليسين بولوار الصَّغيرة، وفي حضور الرِّجال تكون معها سِبتتها أو بنات عمومتها».

قالت الملكة بإصرار: «لا بُدَّ أنها تُخَلِّص نفسها من دجاجاتها أحيانًا»، ثم إن فكرةً خطرَت لها بغتةً، فأضافَت: «ما لم تكن رفيقاتها جزءًا من الأمر أيضًا... ليس جميعهن ربما ولكن بعضهن».

قالت تاينا بريبة: «بنات العمومة؟ ثلاثتهن أصغر من الملكة وأكثر براءةً».

- «فاجرات متنكِّرات في عفَّة العذارى، وهو ما يجعل خطاياهن صادمةً أكثر. سيُكَلِّل أسماءهن العار». فجأةً تكاد الملكة تتذوَّق ملامح الخطَّة. «تاينا، السيِّد زوجكِ كبير قُضاتي. يجب أن يتناوَل كلاكما العَشاء معي اللَّيلة تحديدًا». عليها أن تُسارِع بالتَّنفيذ قبل أن يعنَّ لمارچري أن تعود إلى (هايجاردن) أو تُبحِر إلى (دراجونستون) لتقف مع أخيها الجريح على باب الموت. «سآمرُ الطُّهاة بشواء خنزيرٍ برِّي لنا، وبالطَّبع يجب أن نستمع إلى الموسيقى لتُساعِدنا على الهضم».

لم تتوانَ تاينا عن إدراك التَّلميح، فقالت: «موسيقى، بالتَّأكيد».

- «اذهبي وأخبِري السيِّد زوجكِ ورتِّبي مجيء المغنِّي. سير أوزموند، لا تذهب، هناك تفاصيل كثيرة نتكلَّم عنها. سأحتاجُ إلى كايبرن أيضًا».

للأسف اتَّضح أن المطابخ تفتقر إلى الخنازير البرِّيَّة في الوقت الحالي، ولا وقت يكفي لإرسال صيَّادين إلى الغابة، فبدلًا من ذلك ذبحَ الطُّهاة إحدى خنزيرات القلعة وقدَّموا لهم لحمها متبَّلًا بالقرنفل ومسقًّى بالعسل والكرز المجفَّف. ليست الوجبة التي أرادَتها سرسي، لكنها تدبَّرت أمرها بها، وبَعدها أكلوا التُّفَّاح المخبوز مع الجُبنة البيضاء اللَّاذعة. تلذَّذت الليدي تاينا بكلِّ قضمة، على عكس أورتون ميريويذر الذي ظَلَّ وجهه المستدير شاحبًا مبقَّعًا بالبثور من طبق المرق إلى طبق الجُبنة، وأفرطَ في الشَّراب وظَلَّ يختلس النَّظرات إلى المغنِّي.

أخيرًا قالت سرسي: «مؤسف للغاية رحيل اللورد جايلز، ولو أنني أظنُّ أن أحدًا منا لن يفتقد سُعاله».

- «نعم، نعم، أظنُّ هذا».

- «سنحتاج إلى خازِنٍ جديد. لو لم تكن الأوضاع مضطربةً في (الوادي) لأرسلتُ أستدعي پيتر بايلش، ولكن... أفكِّرُ في تجربة السير هاريس في المنصب. لا يُمكن أن يُبلي بلاءً أسوأ من جايلز، وعلى الأقل لا يَسعُل».

قالت تاينا: «السير هاريس يد الملك».

السير هاريس رهينة، وحتى هذا ليس فعَّالًا فيه. «آن أوان أن يكون لتومن يد أقوى».

رفعَ اللورد أورتون عينيه عن كأسه قائلًا: «أقوى، بالتَّأكيد»، وتردَّد لحظةً قبل أن يسأل: «مَن...».

- «أنت يا سيِّدي. إن اليدويَّة في دمك. جدُّك حَلَّ محلَّ أبي نفسه كيد إيرس». لا شَكَّ أن استبدال تايوين لانسترِ بأوين ميريويذر كان أشبه باستبدال جوادٍ حربي بحمار، لكن أوين كان رجلًا في شتاء العُمر عندما رقَّاه إيرس، وديعًا لم يأتِ بالنَّتائج المنشودة، أمَّا حفيده فأصغر، و... وله زوجة قويَّة. مؤسف أن تاينا لا يُمكن أن تشغل منصب يد الملك. إنها تفوق زوجها رجولةً ثلاث مرَّات، ثم إنها مصدر تسليةٍ أفضل كثيرًا، لكنها مولودة في (ميرِ)، علاوةً على كونها أنثى، ولذا فلا مفرَّ من الاكتفاء بأورتون. «لا شَكَّ لديَّ في أنك أقدر من السير هاريس». محتويات وعاء فضلاتي أقدر من السير هاريس. «هل تُوافِق على الخدمة؟».

- «أنا... نعم، بالطَّبع. جلالتكِ تُسبِغين عليَّ شَرفًا عظيمًا».

شَرفًا أعظم مما تستأهِل. قالت: «لقد خدمتني باقتدارٍ في منصب كبير القُضاة يا سيِّدي، وستستمرُّ في فِعلِ هذا خلال... الأوقات العصيبة التي تنتظرنا»، ولمَّا رأت أن ميريويذر أدركَ ما تُنَوِّه به التفتَت الملكة تبتسم للمغنِّي قائلةً: «وأنت أيضًا يجب أن تُكافَأ على الأغاني الجميلة التي غنَّيتها لنا بينما نأكل. لقد أنعمَت عليك الآلهة بموهبةٍ رائعة».

انحنى المغنِّي مجيبًا: «لُطف من جلالتكِ أن تقولي هذا».

قالت سرسي: «ليس لُطفًا بل مجرَّد شهادةٍ بالحقيقة. تاينا قالت لي إنك تُسَمَّى الشَّاعر الأزرق».

- «نعم يا صاحِبة الجلالة». حذاء المطرب من جِلد العجول اللَّيِّن، وسراويله من الصُّوف الأزرق النَّاعم، والسُّترة التي يرتديها من الحرير الأزرق الباهت المشرَّط بالساتان الأزرق اللَّامع، بل ويَصبُغ شَعره بالأزرق أيضًا على غرار أهل (تايروش)، وشَعره هذا طويل مجعَّد ينسدل على كتفيه وتفوح منه رائحة تشي بأنه مغسول بماء الورد. ماء وردٍ أزرق لا ريب. على الأقل له أسنان بيضاء. أسنانه نضيدة وليس فيها اعوجاج على الإطلاق.

- «أليس لك اسم آخَر؟».

اصطبغَت وجنتاه بشيءٍ من الوردي إذ أجابَ: «في صِغري كان اسمي وات. اسم لا بأس به لصبيٍّ من الأرياف، لكنه أقلُّ جدارةً بمغنٍّ».

لعينَي الشَّاعر الأزرق لون عينَي روبرت ذاته، ولهذا السَّبب وحده كرهَته. «من السَّهل أن أرى سبب كونك مغنِّي الليدي مارچري الأثير».

- «جلالة الملكة لطيفة، تقول إنني أمتِّعها».
- «أوه، إنني واثقة. هل لي أن أرى عودك؟».
- «كما تأمر صاحِبة الجلالة». تحت كياسته كانت لمحة خافتة من التَّوتُّر، وإن ناولَها عوده على الرغم من هذا، فلا أحد يَرفُض للملكة طلبًا.

داعبَت سرسي وترًا وابتسمَت للنَّغمة، ثم قالت: «صوت جميل وحزين كالحُب. أخبِرني يا وات... أول مرَّةٍ أخذت مارچري إلى الفِراش، أكان هذا قبل زواجها بابني أم بَعده؟».

للحظةٍ لم يبدُ أنه فهمَ، ولمَّا فعلَ اتَّسعت عيناه، وقال: «معلومات جلالتكِ مغلوطة. أقسمُ لك أنني لم...».

صاحَت سرسي: «كاذب!»، وضربَت المغنِّي في وجهه بالعود بقوَّةٍ فجَّرت الخشب إلى شظايا، ثم قالت: «لورد أورتون، استدعِ حَرسي وخُذ هذا المخلوق إلى الزَّنازين».

قال أورتون ميريويذر بوجهٍ بلَّله عَرق الخوف: «هذه الـ... أوه، المخزاة... كيف جرؤَ على إغواء الملكة؟».

- «أخشى أن العكس حدثَ، لكنه يظلُّ خائنًا. فليُغَنِّ للورد كايبرن».

امتقعَ وجه الشَّاعر الأزرق، وقال والدَّم يَقطُر من شفته حيث مزَّقها العود: «لا، إنني لم... »، ولمَّا أطبقَ ميريويذر على ذراعه صرخَ: «رُحماكِ يا أمَّنا، لا!».

قالت له سرسي: «لستُ أُمَّك».

حتى في الزَّنازين السَّوداء لم تنَل منه إلَّا الإنكار والتَّضرُّع والاسترحام، ولم يمضِ وقت طويل حتى سالَت الدِّماء على ذقنه من أسنانه المحطَّمة وبلَّل سراويله الزَّرقاء الدَّاكنة ثلاث مرَّات، وعلى الرغم من كلِّ هذا أصرَّ الرَّجل على أكاذيبه.

سألَت سرسي: «أيُمكن أنه المغنِّي الخطأ؟».

- «كلُّ شيءٍ ممكن يا جلالة الملكة. لا تخافي، سيعترف الرَّجل قبل أن تنتهي اللَّيلة». هنا في الزَّنازين يرتدي كايبرن الصُّوف الخشن ومئزر حدَّادٍ جِلديًّا، وقد خاطبَ الشَّاعر الأزرق قائلًا بنبرةٍ رفيقة مهمومة: «أعتذرُ إذا عاملَك الحُرَّاس بخشونة. إنهم يفتقرون إلى الكياسة للأسف. لسنا نُريد منك إلَّا الحقيقة».

قال المغنِّي منتحبًا والقيود الحديديَّة تُثَبِّته إلى الجِدار الحجري البارد بقوَّة: «لقد قلتُ الحقيقة».

– «ونحن نعرف أنك لم تقلها». كان كايبرن يُمسِك بيده موسًى تلتمع حافتها بخفوتٍ في ضوء المشاعل، وبها قطَّع ثياب الشَّاعر الأزرق إلى أن صارَ عاريًا إلَّا من حذائه الأزرق طويل العُنق، ووجدَت سرسي مرأى الشَّعر البنِّي بين ساقيه طريفًا. قالت آمرةً: «أخبِرنا كيف كنت تُرَفِّه عن الملكة الصَّغيرة».

– «لم... لقد غنَّيتُ، هذا كلُّ شيء، غنَّيتُ وعزفتُ. ستُخبِرك رفيقاتها. إنهن معها طوال الوقت، بنات عمومتها».

– «وكم منهن واقَعت؟».

– «ولا واحدة. إنني مجرَّد مغنٍّ. أرجوكِ».

قال كايبرن: «جلالة الملكة، ربما غنَّى هذا المسكين فقط لمارچري بينما تستضيف عُشَّاقًا آخَرين».

– «لا، أرجوك. إنها لم... لقد غنَّيتُ، غنَّيتُ فقط...».

مرَّر اللورد كايبرن يده على صدر المغنِّي قائلًا: «هل تأخذ حلمتيك في فمها عندما تتطارَحان الغرام؟»، والتقطَ واحدةً بسبَّابته وإبهامه ولواها متابعًا: «بعض الرِّجال يستمتع بهذا، حلماتهم حسَّاسة كالنِّساء»، وومضَت الموسى وصرخَ المغنِّي، وعلى صدره ذرفَت عين حمراء مبتلَّة الدَّم.

شعرَت سرسي بالغثيان، وأرادَ جزء منها أن تُغلِق عينيه، أن تُشيح بوجهها، أن تضع حدًّا لهذا، لكنها الملكة وهذه خيانة. ما كان اللورد تايوين ليُشيح بوجهه.

في النِّهاية حكى الشَّاعر الأزرق قصَّة حياته كلَّها منذ يوم ميلاده الأول. كان أبوه متعهِّد تموين سُفن ونشأ وات على هذه الحِرفة، لكنه اكتشفَ في صِباه أنه أكثر مهارةً في صُنع الأعواد من البراميل، ولمَّا بلغَ الثَّانية عشرة هربَ لينضمَّ إلى فرقةٍ من الموسيقيِّين سمعَ أداءهم في مهرجان، وجابَ نِصف أنحاء (المرعى) قبل مجيئه (كينجز لاندنج) على أمل أن يجد حظوةً في البلاط.

قهقهَ كايبرن قائلًا: «حظوة؟ أهكذا تُسَمِّيها النِّساء الآن؟ أخشى أنك

وجدت قدرًا كبيرًا للغاية منها يا صديقي... ومن الملكة الخطأ. الملكة الحقيقيَّة تقف أمامك».

نعم. تلوم سرسي مارچري تايرل على هذا. لولاها فلربما عاشَ وات حياةً طويلةً مثمرةً، يُرَدِّد أغانيه ويُضاجِع راعيات الخنازير وبنات المُزارعين. تآمُرها أرغمَني على هذا. لقد لوَّثتني بخيانتها.

قبل مطلع الفَجر كانت الدِّماء تملأ حذاء المغنِّي الأزرق طويل العُنق، وأخبرَهما كيف تُداعِب مارچري نفسها بينما تُشاهِد بنات عُمومتها يُمَتِّعنه بأفواههن، وفي أوقاتٍ أخرى يُغَنِّي لها فيما تُشبِع شهواتها مع عُشَّاقٍ آخَرين. سألَت الملكة: «مَن هُم؟»، فذكرَ المأفون وات أسماء السير تالاد الطَّويل ولامبرت تِرنبري وچالابار شو والتَّوأمين ردواين وأوزني كِتلبلاك وهيو كليفتون... وفارس الزُّهور.

أثارَ هذا استياءها. إنها لا تجرؤ على تلويث اسم بطل معركة (دراجونستون)، ثم إن لا أحد يعرف السير لوراس سيُصَدِّق هذا. كذلك، لا يُمكن أن يكون التَّوأمان ردواين جزءًا من الأمر، فدون (الكرمة) وأسطولها لا أمل للبلاد في الخلاص من يورون عين الغُراب ورجاله الحديديِّين الملاعين. «لست تلفظ إلَّا أسماء رجالٍ رأيتهم في مسكنها. نُريد الحقيقة!».

- «الحقيقة». نظرَ إليها وات بالعين الزَّرقاء الواحدة التي تركَها له كايبرن، وبقبقَت الدِّماء من الفتحات التي كانت أسنانه تحتلُّها، وقال: «ربما... أسأتُ التَّذكُّر».

- «لم يكن لهوراس وهوبر دور في الأمر، أليس كذلك؟».

- «بلى، ليس هما».

- «وبالنِّسبة إلى السير لوراس فأنا واثقة بأن مارچري تُجَشِّم نفسها عناءً كبيرًا لإخفاء ما تفعله عن أخيها».

- «نعم، الآن أذكرُ. في مرَّةٍ اختبأتُ تحت الفِراش حين أتى السير لوراس لزيارتها. قالت لي: يجب ألَّا يعرف أبدًا».

- «أفضِّلُ هذه الأغنيَّة على الأخرى». فلتَترُك اللوردات الكبار خارج الأمر، هذا أفضل. أمَّا الآخَرون... السير تالاد كان فارسًا متجوِّلًا من قبل، وچالابار شو شحَّاذ منفيٌّ، وكليفتون الوحيد المذكور من حَرس الملكة

الصَّغيرة. وأوزني أساس المسألة كلِّها. «أعرفُ أنك مرتاح أكثر الآن وقد قلت الحقيقة. عليك أن تتذكَّرها عندما تَمثُل مارچري للمحاكَمة. إذا بدأت تكذب ثانيةً...».

- «لن أفعل، سأقولُ الحقيقة، وبَعدها...».

- «سيُسمَح لك بالانضمام إلى حَرس اللَّيل، لك كلمتي»، والتفتَت سرسي إلى كايبرن قائلةً: «احرِص على تنظيف جروحه وتضميدها، واسقِه حليب الخشخاش لتخفيف الأَلم».

رَدَّ كايبرن: «جلالتكِ شديدة اللُّطف»، وأسقطَ الموسى الدَّامية في دلوٍ من الخل، وقال: «ربما تتساءَل مارچري أين ذهبَ شاعرها».

- «المغنُّون يروحون ويأتون، إنهم شهيرون بهذا».

صعدَت سرسي درجات الزَّنازين السَّوداء الحجريَّة القاتمة لاهثةً، وقالت لنفسها: يجب أن أستريح. الحصول على الحقيقة عمل مضنٍ، كما أنها تخشى الخُطوة التَّالية. لا بُدَّ أن أكون قويَّةً. لا أفعلُ ما أفعله إلَّا في سبيل تومن والبلاد. مؤسف أن ماجي الضِّفدعة ماتَت. بولٌ على نبوءتِك أيتها العجوز. ربما أكبرُ الملكة الصَّغيرة سِنًّا، لكنها لم تكن أجمل مني قَطُّ، وقريبًا ستموت.

كانت الليدي ميريويذر منتظرةً في غُرفة نومها. ما زالَ اللَّيل حالكًا، أقرب إلى الفَجر من الغسق، وچوسلين ودوركاس كلتاهما نائمة، ولكن ليس تاينا التي سألَتها: «أكان الأمر شنيعًا؟».

- «لن تتصوَّري. أحتاجُ إلى النَّوم لكن أخشى أن أحلم».

ملَّست تاينا على شَعرها قائلةً: «كلُّ هذا من أجل تومن».

ردَّت سرسي: «أعلمُ، أعلمُ أنه كذلك»، وارتجفَت مردفةً: «حَلقي جاف. كوني حُلوةً وصُبِّي لي قليلًا من النَّبيذ».

- «إذا كانت هذه مشيئتكِ. لا أبغي إلَّا أن ألبِّيها».

كاذبة. إنها تعلم ما تبغيه تاينا. ليكن إذن. ما دامَت المرأة مفتونةً بها فسيُساعِدها افتتانها على ضمان إخلاصها وزوجها، وفي عالم زاخر بالخيانة يستحقُّ هذا بضع قُبلات. ليست أسوأ من أكثر الرِّجال. على الأقل خطر الحمل منها غير وارد.

ساعدَها النَّبيذ ولكن ليس كفايةً، وإذ وقفَت الملكة في النَّافذة حاملةً كأسها قالت متذمِّرةً: «أشعرُ بأنني ملوَّثة».

قالت الليدي ميريويذر: «الاستحمام كفيل بعلاج هذا يا جميلتي»، وأيقظَت دوركاس وچوسلين وأرسلَتهما تجلبان ماءً ساخنًا، وبينما ملأَتا الحوض ساعدَت الملكة على خلع ثيابها، فحلَّت أربطة فُستانها بأصابع رشيقة وأنزلَته عن كتفيها برفق، ثم إنها خلعَت فُستانها بدورها وتركَته يتكوَّم على الأرض.

نزلَت الاثنتان في الحوض معًا، وتمدَّدت سرسي على ظَهرها بين ذراعَي تاينا، وقالت للمايريَّة: «لا بُدَّ من إعفاء تومن من معرفة أسوأ التَّفاصيل. ما زالَت مارچري تأخذه كلَّ يوم إلى السِّپت ليَطلُبا من الآلهة أن تشفي أخاها». لا يزال السير لوراس متشبِّثًا بالحياة على نحوٍ مزعج. «إنه مغرم ببنات عمومتها أيضًا. سيشقُّ عليه أن يفقدهن جميعًا».

اقترحَت الليدي ميريويذر قائلةً: «ربما لا تكون ثلاثتهن مذنبات، ربما لم تشترك واحدة منهن مع الأخريات. إذا أخزاها وأغثاها ما رأته...».

– «... فربما يُمكن إقناعها بالشَّهادة على البقيَّة. نعم، ممتاز، لكن أيُّهن البريئة؟».

– «آلا».

– «الخجول؟».

– «هكذا تبدو، لكن فيها خُبثًا أكثر من الخجل. اترُكيها لي يا جميلتي».

– «بكلِّ سرور». اعتراف الشَّاعر الأزرق وحده لن يكفي أبدًا، إذ إن دأب المغنِّين أن يكسبوا رزقهم بالكذب، لكن آلا تايرل ستُساعِدها كثيرًا إذا استطاعَت تاينا أن تجعلها تعترف. «السير أوزني أيضًا سيعترف، ويجب إفهام الآخَرين أن من خلال الاعتراف وحده يُمكنهم أن ينالوا عفو الملك والذَّهاب إلى (الجِدار)». سيجد چالابار شو الحقيقة جذَّابةً، ولو أنها أقلُّ ثقةً بالآخَرين، وإن كان كايبرن يُجيد الإقناع...

كان الفَجر يَبزُغ على (كينجز لاندنج) عندما خرجَتا من الحوض وقد ابيضَّت بشرة الملكة وتجعَّدت من انغمارها الطَّويل في الماء. قالت لتاينا: «ابقي معي، لا أريدُ أن أنام وحدي»، ثم إنها ردَّدت دُعاءً قبل أن تَدخُل تحت الأغطية، تُناشِد (الأُم) الأحلام الطيِّبة.

على أن دُعاءها كان مضيعةً لأنفاسها، فكالمعتاد صمَّت الآلهة آذانها. حلمَت سرسي بأنها في الزَّنازين السَّوداء من جديد، لكن الفرق هذه المرَّة أنها

هي المقيَّدة بالسَّلاسل إلى الجِدار بدلًا من المغنِّي. كانت عاريةً والدَّم يَقطُر من طرفَي ثدييها حيث مزَّق العِفريت حلمتيها بأسنانه، وقالت له متوسِّلةً: «أرجوك، أرجوك، ليس أطفالي، لا تُؤذي أطفالي»، لكن تيريون اكتفى بالنَّظر إليها شزرًا. هو أيضًا كان عاريًا، يُغَطِّي جسده شَعر خشن يجعله يبدو أقرب إلى قردٍ من إنسان، وقال لها: «سترينهم يُتَوَّجون وسترينهم يموتون»، ثم أخذَ ثديها النَّازف في فمه وبدأ يمصُّ، وسرى الألم فيها كسكِّينٍ ساخن.

استيقظَت مرتعدةً بين ذراعَي تاينا، وقالت: «حُلم سيِّئ. هل صرختُ؟ آسفة».

– «في نور النَّهار تتحوَّل الأحلام إلى تُراب. أهو القزم مرَّةً أخرى؟ لماذا يُخيفك ذلك الرَّجل الصَّغير السَّخيف هكذا؟».

– «سيَقتُلني. إنها نبوءة منذ كنتُ في العاشرة. أردتُ أن أعرف مَن سأتزوَّجُ، لكنها قالت...».

– «مَن قالت؟».

– «المايجي». تدفَّقت منها الحكاية وهي لا تزال تسمع ميلارا هيذرسپون تقول مصرَّةً إن امتناعهما عن الكلام عن النُّبوءة سيحول دون تحقُّقها. لكنها لم تَصمُت في البئر، بل صاحَت وصرخَت. «تيريون هو القالونكار. هل تستخدمون هذه الكلمة في (مير)؟ إنها ڤاليريَّة فُصحى، تعني الأخ الصَّغير». كانت قد سألَت السِّپتة سارانيلا عن الكلمة بَعد غرق ميلارا.

التقطَت تاينا يدها وملَّست عليها قائلةً: «كانت امرأةً مفعمةً بالكُره، عجوزًا مريضةً قبيحةً، وكنتِ أنتِ صغيرةً جميلةً مفعمةً بالحياة والكبرياء. قلتِ إنها عاشَت في (لانسپورت)، أي أنها سمعَت بالتَّأكيد بمولد القزم وكيف قتلَ أمَّكِ. تلك المخلوقة لم تَجسُر على ضربكِ بيدها نظرًا لمقامكِ، فسعَت إلى جرحكِ بلسان الحيَّة».

أهذا ممكن؟ كم تُريد سرسي أن تُصَدِّق هذا. «لكن ميلارا ماتَت كما قالت النُّبوءة، ولم أتزوَّج الأمير ريجار، وچوفري... القزم قتلَ ابني أمام عينَي».

قالت الليدي ميريويذر: «ابن واحد، لكن لكِ آخَر جميلًا قويًّا، ولا أذى سيمسُّه أبدًا».

– «مستحيل ما دمتُ على قيد الحياة». مجرَّد القول جعلَها تُصَدِّق. في نور النَّهار تتحوَّل الأحلام إلى تُراب، نعم. في الخارج تسطع شمس الصَّباح متخلِّلةً

سديمًا من السَّحاب، وخرجَت سرسي من تحت الأغطية قائلةً: «سأفطرُ مع الملك هذا الصَّباح. أريدُ أن أرى ابني». لا أفعلُ ما أفعله إلَّا في سبيله.

ساعدَها تومن على استعادة رباطة جأشها. لم تحسَّ به غاليًا نفيسًا من قبل كهذا الصَّباح إذ راحَ يُثَرثِر عن هُريراته وهو يصبُّ العسل على قطعةٍ من الخُبز الأسمر السَّاخن، وقال لها: «السير پاونس اصطادَ فأرًا، لكن الليدي ويسكرز سرقَته منه».

لم أكن قَطُّ بهذه العذوبة أو البراءة. كيف يأمل أن يقوى على حُكم هذه البلاد القاسية؟ تُريد الأُم في داخلها أن تحميه، والملكة في داخلها تعلم أن عليه أن يصير أقوى وإلَّا التهمَه العرش الحديدي لا محالة. قالت له: «على السير پاونس أن يتعلَّم أن يُدافِع عن حقوقه. في هذا العالم يقع الضُّعفاء ضحايا للأقوياء طوال الوقت».

فكَّر الملك في قولها وهو يلعق العسل من على أصابعه، ثم قال: «لمَّا يعود السير لوراس سأتعلَّمُ القتال بالرُّمح والسَّيف والكُرة الشَّائكة مِثله».

قالت الملكة: «ستتعلَّم القتال ولكن ليس من السير لوراس. إنه لن يعود يا تومن».

– «مارچري تقول إنه سيعود. نحن نُصَلِّي من أجله، نسأل (الأُم) أن ترحمه و(المُحارب) أن يُعطيه القوَّة. إلينور تقول إن هذه أصعب معارك السير لوراس».

ملَّست على شَعره، على الخُصل الذَّهبيَّة التي تُذَكِّرها كثيرًا بچوف، وسألَته: «هل ستقضي بَعد الظُّهر مع زوجتك وبنات عمومتها؟».

– «ليس اليوم. قالت إن عليها أن تصوم وتُطَهِّر نفسها».

تصوم وتُطَهِّر نفسها... أوه، من أجل عيد (العذراء). لقد مرَّت سنوات منذ كان على سرسي الاحتفال بهذا العيد الدِّيني تحديدًا. تزوَّجت ثلاث مرَّات ولا تزال تُريدنا أن نعتقد أنها بكر. سترتدي الملكة الصَّغيرة ثيابًا بيضاء محتشمةً وتقود دجاجاتها إلى (سِپت بيلور) لتُضيء الشُّموع البيضاء الطَّويلة عند قدمَي (العذراء) وتُعَلِّق أكاليل من الزَّقوق حول عُنقها المقدَّس. بعض دجاجاتها على الأقل. في عيد (العذراء) تُمنَع الأمَّهات والأرامل والعاهرات على حَدٍّ سواء من دخول السِّپتات، وكذا الرِّجال، خشية تدنيس ترانيم البراءة المقدَّسة. وحدهن العذراوات مسموح لهن...

- «هل قلتُ شيئًا خطأً يا أمِّي؟».

قبَّلت سرسي جبهة ابنها، وقالت: «بل قلت شيئًا في غاية الحكمة يا عزيزي. والآن اذهب والعب مع قِططك».

بَعدها استدعَت السير أوزني كِتلبلاك إلى غُرفتها الشَّمسيَّة، فجاءَ متبخترًا يتصبَّب عَرقًا من التَّدريب في السَّاحة، وبينما جثا أمامها جرَّدها من ملابسها بنظراته كما يفعل دومًا.

- «انهض أيها الفارس وتعالَ اجلس إلى جواري. لقد أسديتَني صنيعًا شُجاعًا من قبل، لكن الآن لديَّ مهمَّة لك تتطلَّب صلابةً أكثر».

- «نعم، وأنا لديَّ شيء صُلب لكِ».

ردَّت: «يجب أن نُرجئ ذلك»، ومرَّرت أناملها بخفَّةٍ على ندوب وجهه متابعةً: «أتَذكُر العاهرة التي أصابَتك بهذه النُّدوب؟ سأعطيك إياها عندما تعود من (الجِدار). هل تحبُّ هذا؟».

- «أريدكِ أنتِ».

كانت إجابته الصَّحيحة، فقالت: «أولًا عليك أن تعترف بخيانتك. من شأن ترك خطايا المرء تتعفَّن في داخله أن يُسَمِّم روحه. أعرفُ أن الحياة مع ما اقترفت صعبة عليك، وحانَ الوقت لأن تُخَلِّص نفسك من عارك».

بدا أوزني حائرًا إذ قال: «عاري؟ لقد قلتُ لأوزني إن مارچري تُعابِثني فقط، ولا تَترُكني أفعلُ أكثر من...».

بترَت سرسي عبارته: «شهامة منك أن تحميها، لكنك فارس أنبل من أن تُواصِل الحياة مع جريمتك. لا، يجب أن تأخذ نفسك إلى (سِپت بيلور الكبير) اللَّيلة تحديدًا وتتكلَّم مع السِّپتون الأعلى. حين تكون ذنوب المرء بهذا السَّواد لا يستطيع إلَّا صاحِب القداسة الأعلى نفسه إنقاذه من عذاب الجحيم. أخبِره كيف كنت تُضاجِع مارچري وبنات عمومتها».

حملقَ إليها سائلًا: «ماذا؟ بنات عمومتها أيضًا؟».

أجابَت وقد حزمَت أمرها: «مِجا وإلينور فقط وليس آلا». هذه التَّفصيلة الصَّغيرة ستجعل القصَّة أكثر قابليَّةً للتَّصديق. «آلا اعتادَت الجلوس باكيةً تتوسَّل إلى الأخريات أن يتوقَّفن عن المعصية».

- «مِجا وإلينور فقط أم مارچري أيضًا؟».

- «مارچري أيضًا بكلِّ تأكيد. إنها وراء الأمر برُمَّته».

أخبرَته بكلِّ ما تُفَكِّر فيه، وإذ أنصتَ أوزني زحفَ الفهم بتؤدةٍ على وجهه، ولمَّا فرغَت قال: «بَعد أن تقطعي رأسها أريدُ أن أنال تلك القُبلة التي لم تمنحني إياها».

– «لك أن تنال كلَّ ما ترغب من قُبل».

– «ثم (الجِدار)؟».

– «لفترةٍ قصيرة. تومن ملك غفور».

حَكَّ أوزني وجنته النَّديبة قائلًا: «عادةً عندما أكذبُ بخصوص امرأةٍ أقولُ أنا إنني لم أضاجعها وتصرُّ هي على العكس. هذا... إنني لم أكذب على سِبتون أعلى من قبل! أظنُّ أن المرء يذهب إلى جحيمٍ ما لهذا، إلى واحدةٍ من الجحائم السيِّئة».

اندهشَت الملكة. آخِر ما توقَّعته من أحد الإخوة كِتلبلاك هو التَّقوى. «هل تَرفُض أن تُطيعني؟».

قال أوزني متحسِّسًا شَعرها الذَّهبي: «لا. المسألة أن أفضل الأكاذيب يحوي شيئًا من الحقيقة... إنها تُعطيها نكهةً إن جازَ التَّعبير، وأنتِ تُريدينني أن أعترف بأنني ضاجعتُ ملكةً...».

كادَت تصفعه على وجهه... كادَت، لكنها قطعَت شوطًا طويلًا بالفعل وهناك الكثير على المحك. لا أفعلُ ما أفعله إلَّا في سبيل تومن. دوَّرت رأسها والتقطَت يدَي السير أوزني ولثمَت أصابعه الصُّلبة الخشنة من حمل السُّيوف. روبرت كانت يداه كهاتين.

طوَّقت سرسي عُنقه بذراعيها، وبصوتٍ مبحوحٍ همسَت: «لا أريدُ أن يُقال إنني جعلتك تكذب. أعطِني ساعةً ثم قابِلني في غُرفة نومي».

قال أوزني: «انتظَرنا بما فيه الكفاية»، ودَسَّ أصابعه في صدر فُستانها وشَدَّه ممزِّقًا الحرير بصوتٍ مرتفع حتى إن سرسي خشيَت أن نِصف قاطني (القلعة الحمراء) سمعوه، ثم إنه أضافَ: «اخلعي البقيَّة قبل أن أمزِّقها أيضًا، لكن يُمكنكِ الاحتفاظ بالتَّاج. إنني أحبُّكِ بالتَّاج».

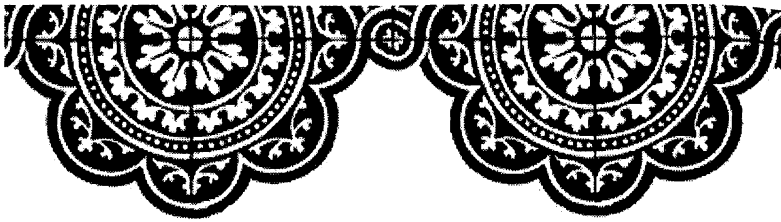

الأميرة في البُرج

سجنها سجنٌ مترف.

وجدَت آريان في هذا سُلوانًا، فلِمَ يُجَشِّم أبوها نفسه كلَّ هذا العناء ويُوَفِّر لها جميع وسائل الرَّاحة في محبسها لو أنه حكمَ عليها بالموت ميتة الخونة؟ مئة مرَّةٍ قالت لنفسها: لا يُمكن أنه ينوي أن يَقتُلني. القسوة ليست من طباعه. أنا دمه ونسله، وريثته، ابنته الوحيدة. إذا لزمَ الأمر ستُلقي نفسها على عجلتَي مقعده المتحرِّك وتعترف بغلطتها وتتوسَّل غُفرانه، وستبكي أيضًا، وحين يرى الدُّموع تسيل على وجهها سيُسامِحها.

لكنها لا تحسُّ بالثِّقة نفسها بقُدرتها على أن تُسامِح نفسها.

خلال الرِّحلة الطَّويلة الجافَّة من (الدَّم الأخضر) إلى (صنسپير) استجدَت آسِرها قائلةً: «آريو، لم أُرِد قَطُّ أن يُصيب الفتاة أذى، صدِّقني»، فلم يردَّ هوتا إلَّا بزمجرة، وشعرَت آريان بغضبه. لقد فلتَ منه النَّجم المظلم، العضو الأخطر على الإطلاق في مجموعتها الصَّغيرة من المتآمرين، ضلَّل مُطارديه جميعًا واختفى في الصَّحراء العميقة والدِّماء تُلَوِّث سيفه.

قالت آريان والفراسخ تمرُّ: «أنت تعرفني أيها القائد، تعرفني منذ صِغري، ودائمًا حميتني كما حميت السيِّدة والدتي منذ جئت معها من (نورڤوس الكُبرى) لتكون حارسها في هذا البلد الغريب. إنني محتاجة إلى مساعَدتك. لم تكن نيَّتي أن...».

قاطعَها آريو هوتا بملامح من حجر: «نيَّتكِ لا تهمُّ يا أميرتي الصَّغيرة، فقط ما فعلتِ. آسفٌ، لكن لأميري الأمر وعلى هوتا الطَّاعة».

توقَّعت آريان أن يأخذها إلى مقعد أبيها العالي تحت القُبَّة الزُّجاج المطليَّة

بالرَّصاص في (بُرج الشَّمس)، لكن بدلًا من ذلك أخذَها هوتا إلى (بُرج الحربة)، ووضعَها تحت وصاية ريكاسو قهرمان أبيها والسير مانفري مارتل أمين القلعة. قال لها الأول: «أرجو أن تُسامِحي عجوزًا أعمى مِثلي على عدم الصُّعود معكِ أيتها الأميرة. هاتان السَّاقان لا تَصلُحان لتسلُّق الدَّرجات الكثيرة. ثمَّة غُرفة مجهَّزة لكِ سيصحبكِ إليها السير مانفري لتنتظري استدعاء الأمير».

– «تعني غضبة الأمير. هل سيُحبَس أصدقائي هنا أيضًا؟». افترقَت آريان عن جارين ودراي والبقيَّة بَعد القبض عليهم، ورفضَ هوتا أن يُخبِرها بما سيَحدُث لهم، ولم يقل بخصوص هذه المسألة إلَّا: «القرار للأمير». على أن السير مانفري كان أكثر تعاوُنًا، فأجابَها: «لقد أُخِذوا إلى (بلدة الأخشاب) وسيُنقَلون بالسَّفينة إلى (جاستون جراي) إلى أن يُقَرِّر الأمير دوران مصيرهم».

(جاستون جراي) قلعة قديمة متهدِّمة قابعة على صخرةٍ في (بحر دورن)، معتقَل كئيب مخيف لا يُرسَل إليه إلَّا أسوأ المجرمين ليتعفَّنوا ويموتوا. قالت آريان مشدوهةً: «هل ينوي أبي أن يَقتُلهم؟! إنهم لم يفعلوا ما فعلوه إلَّا محبَّةً لي. إذا كان أبي يُريد الدَّم فليكن دمي».

– «كما تقولين أيتها الأميرة».

– «أريدُ أن أتكلَّم معه».

قال السير مانفري: «هكذا حسبَ»، وأخذَها من ذراعها وساقَها صاعدًا السَّلالم، إلى أعلى وأعلى حتى تقطَّعت أنفاسها. يرتفع (بُرج الحربة) مئةً وخمسين قدمًا، وتقع زنزانتها قُرب القمَّة. رمقَت آريان كلَّ بابٍ مرَّا به متسائلةً إن كانت إحدى أفاعي الرِّمال حبيسةً في الدَّاخل.

بَعد أن أُغلِقَ بابها وأُوصِدَ استكشفَت آريان بيتها الجديد. الغُرفة واسعة جيِّدة التَّهوية، ولا تفتقر إلى سُبل الرَّاحة، فعلى الأرض بُسط مايريَّة، وثمَّة نبيذ أحمر تشربه وكُتب تقرأها، وفي أحد الأركان تستقرُّ طاولة سايڤاس منمَّقة بقِطع منحوتة من العاج والجزْع –ولو أن لا أحد هنالك يلعب معها إذا أرادَت أن تلعب– وهناك أيضًا فِراش بحشيَّةٍ من الرِّيش، ومرحاض بمقعدٍ من الرُّخام تُعَطِّره سلَّة ملأى بالأعشاب، كما أن المناظر من هنا خلَّابة، إذ تطلُّ على الشَّرق نافذة ترى منها الشَّمس تُشرِق من وراء البحر، وتُتيح لها أخرى

أن تَنظُر إلى (بُرج الشَّمس) بالأسفل، بالإضافة إلى الأسوار الملتفَّة و(البوَّابة الثُّلاثيَّة).

استغرقَ الاستكشاف وقتًا أقلَّ مما كانت لتقضيه في عقد أربطة صندلها، لكنه نجحَ على الأقل في الحيلولة دون انهمار دموعها فترةً. وجدَت آريان حوضًا وإبريقًا من الماء الفاتر وغسلَت يديها ووجهها، لكن مهما فركَت نفسها فلن يُمكنها تنظيفها من الحُزن. آريس، فارسي الأبيض. ملأَت الدُّموع عينيها، وفجأةً انفجرَت في البُكاء ورَجَّ النَّحيب جسدها كلَّه رَجًّا. تذكَّرت كيف شقَّت فأس هوتا الثَّقيلة لحمه وعظمه، وكيف طارَ رأسه ودارَ في الهواء. لماذا فعلتها؟ لماذا فرَّطت في حياتك؟ لم أقل لك أن تفعلها، لم أرغب في هذا، أردتُ فقط... أردتُ... أردتُ...

ليلتها بكَت حتى النَّوم... للمرَّة الأولى وإن لم تكن الأخيرة. حتى في أحلامها لم تجد سلامًا. حلمَت بآريس أوكهارت يُمَسِّد جسدها، يبتسم لها، يقول لها إنه يحبُّها... لكن طيلة الوقت كانت السِّهام منغرسةً فيه وتبكي جروحه دمًا محيلةً أبيضه إلى أحمر. جزء منها كان يُدرِك أن هذا كابوس حتى في أثنائه، وأخبرَت الأميرة نفسها: كلُّ هذا سيختفي حين يطلع الصُّبح، لكن الصُّبح طلعَ وهي لا تزال في زنزانتها، ولا يزال السير آريس ميتًا، ومارسلا... لم أُرِد هذا قَطُّ، لم أُرده. لم تكن نيَّتي أن يمسَّ الفتاة سوء، لم أُرِد لها إلَّا أن تكون ملكةً. لو لم نتعرَّض للخيانة...

قال هوتا إن أحدهم وشى، ولم تزَل الذِّكرى تُغضِبها، ولقد تشبَّثت آريان بهذا الغضب وأزكَت به النَّار في قلبها. الغضب أفضل من الدُّموع، أفضل من الأسى، أفضل من النَّدم. أحدهم وشى، أحد وثقَت به، ومن جرَّاء هذا ماتَ آريس أوكهارت، قتلَته همسة الخائن كما قتلَته فأس قائد الحَرس، والدَّم الذي سالَ على وجه مارسلا من صُنع الخائن أيضًا. أحدهم وشى، أحد أحبَّته، وهذا أبلغ الجروح قاطبةً.

وجدَت صندوقًا من خشب الأَرز مليئًا بثيابها عند قدم الفِراش، فخلعَت ملابسها التي وسَّخها السَّفر ونامَت بها ثم ارتدَت أكثر غِلالةٍ كاشفة وجدَتها، خيوطًا من الحرير تُغَطِّي كلَّ شيءٍ ولا تُخفي شيئًا. ربما يُعامِلها الأمير دوران كأنها طفلة، إلَّا أنها تأبى أن تلبس ثياب طفلة، وتعلم أن ما ترتديه سيُزعِج

أباها حين يأتي يُوَبِّخها على الهرب بمارسلا، بل وتعتمد على هذا. إذا كان عليَّ أن أزحف وأبكي فليتزعج هو أيضًا.

توقَّعت أن يأتيها اليوم، لكن حين انفتحَ الباب أخيرًا لم يظهر إلَّا خدمها بوجبة منتصَف النَّهار. سألَتهم: «متى أرى أبي؟»، لكن أحدًا لم يُجِبها. قدَّموا لها جديًا مشويًّا باللَّيمون والعسل، ومعه ورق عنب محشوًّا بخليطٍ من الزَّبيب والبصل وعيش الغُراب وفلفل التنِّين الحرِّيف. في طريقهم إلى (جاستون جراي) يأكل أصدقاء آريان بسكويت السُّفن واللَّحم البقري المملَّح، فقالت: «لستُ جائعةً. خُذوا هذا وائتوني بالأمير دوران»، لكنهم تركوا الطَّعام ولم يأتِ أبوها، وبَعد مدَّةٍ أضعفَ الجوع تصميمها، فجلسَت وأكلَت.

ما إن أكلَت آريان لم تجد ما تفعله. دارَت في بُرجها مرَّةً وثلاثًا وتسعًا، وجلسَت إلى طاولة السايڤاس وحرَّكت فيلًا بفتور، واستراحَت على المقعد المجاور للنَّافذة وحاولَت أن تقرأ كتابًا إلى أن تشوَّشت الكلمات وأدركَت أنها تبكي مجدَّدًا. آريس أيها العزيز، فارسي الأبيض، لماذا فعلتها؟ كان يجب أن تستسلم. حاولتُ أن أقول لك لكن الكلام احتبسَ في فمي. أيها الأحمق الشُّجاع، لم تكن نيَّتي أن تموت، أو لمارسلا أن... أوه، بحَقِّ الآلهة، تلك الصَّغيرة...

في النِّهاية عادَت إلى فِراشها. كان العالم قد أظلمَ، ولا شيء تفعله إلَّا النَّوم. أحدهم وشى، أحدهم وشى. جارين ودراي وسيلڤا الرَّقطاء أصدقاء طفولتها، أعزَّاء عندها كابنة عمِّها تايين، ولا تُصَدِّق أن أحدهم قد يشي بها... لكن هكذا لا يتبقَّى إلَّا النَّجم المظلم فقط، وإذا كان هو الخائن فلِمَ انقلبَ بسيفه على المسكينة مارسلا؟ أرادَ أن نَقتُلها بدلًا من أن نُتَوِّجها. هذا ما قاله في (شانديستون)، قال إنني هكذا سأنالُ الحرب التي أريدها. لكن لا يُعقَل أن داين الخائن. إذا كان السير چيرولد السُّمَّ في العسل حقًّا، فلِمَ انقلبَ بسيفه على مارسلا؟

أحدهم وشى. أيُمكن أنه السير آريس؟ هل تغلَّب إحساس الفارس الأبيض بالذَّنب على شهوته؟ هل أحبَّ مارسلا أكثر منها وخانَ أميرته الجديدة تكفيرًا عن خيانته أميرته القديمة؟ هل أحسَّ بالعار مما فعلَه لدرجة أنه فضَّل التَّفريط في حياته على ضفاف (الدَّم الأخضر) على العيش ومواجَهة الخزي؟

أحدهم وشي. حين يأتي أبوها يراها ستعرف مَن. على أن الأمير دوران لم يأتِ في اليوم التَّالي ولا التَّالي، وتُرِكَت الأميرة وحدها تذرع الغُرفة وتبكي وتلعق جراحها. في ساعات النَّهار تُحاوِل أن تقرأ، لكن الكُتب التي تركوها لها مملَّة حَدَّ الموت؛ كُتب تاريخ قديمة ثقيلة، وكُتب جغرافيا وخرائط مزوَّدة بحواشٍ، ودراسة جافَّة كالتُّراب عن قوانين (دورن)، ونُسخة من (النَّجمة السُّباعيَّة) و(سِيَر السِّپتونات العُلا)، ومجلَّد ضخم عن التَّانين جعلَها بوسيلةٍ ما أقلَّ تشويقًا من سَمندل الماء. كانت آريان لتدفع ثَمنًا باهظًا لقاء نُسخةٍ من (عشرة آلاف سفينة) أو (أحباب الملكة نايميريا)، لقاء أيِّ شيءٍ يشغل بالها ويجعلها تَهرُب من بُرجها ساعةً أو ساعتين، لكنهم حرموها تلك التَّسلية.

عليها فقط أن تَنظُر من نافذتها لترى القُبَّة العظيمة المبنيَّة بالذَّهب والزُّجاج الملوَّن بالأسفل حيث يجلس أبوها قلِقًا. قريبًا سيستدعيني.

الزُّوَّار الوحيدون المسموح بدخولهم عليها خدمها؛ بورس بشَعر فكِّه القصير الخشن، وتيموث الطَّويل الذي يشعُّ اعتدادًا، والأختان مورا وميلي، وسِدرا الصَّغيرة الحسناء، وبيلاندرا العجوز التي كانت رفيقة فِراش أمِّها. يأتونها بالوجبات، ويُبَدِّلون أغطية سريرها، ويُفرِغون وعاء الفضلات تحت مرحاضها، لكن لا أحد منهم يُخاطِبها. عندما تَطلُب مزيدًا من النَّبيذ يذهب تيموث ويجلبه، وإذا رغبَت في أكلةٍ مفضَّلة -التِّين أو الزَّيتون أو الفلفل المحشو بالجُبنة- فما عليها إلَّا أن تُخبِر بيلاندرا فتُلَبِّي طلبها. تأخذ مورا وميلي ملابسها المتَّسخة وتعودان بها نظيفةً طيِّبة الرَّائحة، وكلَّ يومين يأتونها بحوض استحمامٍ وتغسل سِدرا الصَّغيرة الخجول ظَهرها بالصَّابون وتُمَشِّط شَعرها.

إلَّا أن أحدًا منهم لا ينبس لها ببنت شفة، ولا يتعطَّفون عليها حتى بإخبارها بما يجري في العالم خارج قفصها المبني بالحجر الرَّملي. في يومٍ سألَت بورس: «هل قبضوا على النَّجم المظلم؟ أما زالوا يُطارِدونه؟»، لكنَّ الرَّجل أولاها ظَهره وابتعدَ، فصاحَت فيه آريان بحدَّة: «هل أصابَك الصَّمم؟ ارجع وأجِبني، هذا أمر»، لكن جوابه الوحيد كان صوت بابٍ ينغلِق.

في يومٍ آخَر حاولَت ثانيةً قائلةً: «تيموث، ماذا حدثَ للأميرة مارسلا؟ لم أقصد قَطُّ أن يُصيبها الأذى». آخِر مرَّةٍ رأت الأميرة الأخرى كانت في طريق

العودة إلى (صنسپير). كانت مارسلا أضعف من أن تركب حصانًا فوضعوها في هودج، وقد ضُمِّدَ رأسها بالحرير حيث جرحَها النَّجم المظلم واتَّقدت عيناها الخضراوان بالحُمَّى. «قُل لي إنها لم تَمُت، أتوسَّلُ إليك. ما الضَّرر من معرفتي؟ أخبِرني كيف حالها»، غير أن تيموث امتنعَ عن الإجابة.

وبَعد بضعة أيام قالت آريان: «بيلاندرا، إذا أحببتِ أمِّي يومًا فأشفِقي على ابنتها المسكينة وأَخبِريني متى ينوي أبي أن يأتي ويراني، أرجوكِ، أرجوكِ»، لكن بيلاندرا أيضًا فقدَت لسانها.

أهذه فكرة أبي عن التَّعذيب؟ ليس الحديد السَّاخن أو المِخلعة وإنما -ببساطة- الصَّمت؟ لم يُدهِشها أن ينحو دوران مارتل هذا النَّحو حتى إنها ضحكَت رغمًا عنها. يظنُّ نفسه فطِنًا بينما يتصرَّف بضَعفٍ لا أكثر. قرَّرت أن تستمتع بالهدوء، أن تستغلَّ الوقت في التَّعافي وشَدِّ أزر نفسها استعدادًا لما سيأتي.

تعلم أن لا جدوى من الإسهاب في التَّفكير في السير آريس، وبدلًا من ذلك جعلَت نفسها تُفَكِّر في أفاعي الرِّمال، بالذَّات تايين. تحبُّ آريان بنات عمِّها النَّغلات جميعهن، من أوبارا العنيفة صعبة المراس إلى لوريزا أصغرهن التي تَبلُغ السَّادسة فحسب، ولكنها أحبَّت تايين أكثر من الأخريات دومًا، الأخت الجميلة التي لم تحظَ بها قَطُّ. لم تكن الأميرة قريبةً من أخويها، بما إن كوينتن غائب في (يرونوود) منذ سنين وتريستان صغير للغاية. لا، لطالما كانت هي وتايين، ومعهما جارين ودراي وسيلڤا الرَّقطاء. أحيانًا كانت نيم تنضمُّ إليهم في لعبهم، وتُحاوِل ساريلا دومًا أن تُقحِم نفسها حيث لا تنتمي، لكن أغلب الوقت كانت صُحبتهم من خمسة. في مسابح ونوافير (الحدائق المائيَّة) لعبوا، وتعلَّمت هي وتايين القراءة معًا، وركوب الخيل معًا، والرَّقص معًا، ولمَّا كانتا في العاشرة سرقَت آريان إبريق نبيذ وسكرَت الاثنتان معًا. كانتا تتقاسَمان الطَّعام والسَّرير والحُلِيَّ، وكان يُمكن أن تتقاسَما رجلهما الأول أيضًا لولا أن هياج دراي جعلَه يقذف على أصابع تايين لحظة أن سحبَت ذَكره من سراويله. يداها خطرتان. جعلَتها الذِّكرى تبتسم.

كلَّما فكَّرت الأميرة في بنات عمِّها افتقدَتهن أكثر. على حَدِّ علمي ربما يكن تحتي مباشرةً. ليلتها جرَّبت آريان الدَّقَّ على الأرضيَّة بكعب صندلها،

وحين لم يُجِبها أحد مالَت من النَّافذة ونظرَت إلى أسفل، فرأت نوافذ أخرى أصغر من نافذتها، بعضها ليس أوسع من فتحة رماية. نادَت: «تايين! تايين، هل أنتِ هنا؟ أوبارا؟ نيم؟ هل تسمعنني؟ إلاريا؟ هل من أحد؟ **تايين؟**». قضَت الأميرة نِصف اللَّيل مطلَّةً من النَّافذة تُنادي حتى بُحَّ صوتها، لكن لا أحد أجابَها، وأخافَها هذا لأقصى حَد. لو كانت أفاعي الرِّمال مسجوناتٍ في (بُرج الحربة) لسمعنَها بالتَّأكيد، فلِمَ لم يُجِبن؟ إذا آذاهن أبي فلن أسامحه أبدًا أبدًا.

بَعد مضيِّ أسبوعين على هذا المنوال شارفَ صبرها على النَّفاد، وقالت لبورس بأقوى نبرةٍ آمرة لديها: «سأتكلَّمُ مع أبي الآن. ستأخذني إليه»، فلم يأخذها إليه، وقالت لتيموث: «أنا مستعدَّة لرؤية الأمير»، لكنه التفتَ عنها كأنه لم يسمع. في الصَّباح التَّالي كانت آريان منتظرةً إلى جوار الباب عندما انفتحَ، واندفعَت متجاوزةً بيلاندرا ليتحطَّم طبق البيض المتبَّل الذي تحمله على الجِدار، لكن الحَرس أمسَكوها قبل أن تبتعد ثلاث ياردات. هُم أيضًا تعرفهم، لكنهم صمُّوا آذانهم عن توسُّلاتها وجرُّوها إلى زنزانتها راكلةً محاولةً التَّملُّص.

قرَّرت آريان أن عليها أن تكون أكثر مكرًا. أفضل آمالها سِدرا، فالفتاة صغيرة غريرة ساذجة، وتَذكُر الأميرة أن جارين تباهى بمضاجَعتها مرَّةً. هكذا، وقت حمَّامها التَّالي، وبينما تغسل سِدرا ظَهرها بالصَّابون، بدأت تتكلَّم عن كلِّ شيءٍ ولا شيء، وقالت: «أعلمُ أنكِ مأمورة بعدم الكلام معي، لكن لا أحد أمرَني بعدم الكلام معكِ». تكلَّمَت عن حَرِّ النَّهار وما تناولَته اللَّيلة السَّابقة على العَشاء وكيف أصبحَت بيلاندرا المسكينة بطيئةً متخشِّبة الحركة. لقد سلَّح الأمير أوبرين كلًّا من بناته كي لا يكن عزلاوات أبدًا، لكن سلاح آريان مارتل الوحيد مكرها، ولذا ابتسمَت وتودَّدت ولم تَطلُب من سِدرا شيئًا في المقابل، لا كلمة ولا إيماءة.

في اليوم التَّالي على العَشاء عادَت تُثَرثِر فيما قدَّمت الفتاة الطَّعام، وهذه المرَّة دبَّرت ذريعةً للكلام عن جارين، ولدى سماع اسمه رفعَت سِدرا عينيها بخجلٍ وكادَت تَسكُب النَّبيذ الذي تصبُّه. هكذا إذن؟

خلَال حمَّامها التَّالي تكلَّمت عن أصدقائها المسجونين، خصوصًا جارين،

وقالت للخادمة: «هو أكثر مَن أخشى عليه. الأيتام أحرار بالسَّليقة، يعيشون للتَّجوال. جارين يحتاج إلى ضوء الشَّمس والهواء الطَّلق. إذا حبسوه في زنزانةٍ حجريَّة رطبة فكيف يعيش؟ لن يحتمل عامًا في (جاستون جراي)». لم تردَّ سِدرا، لكن آريان رأت شحوب وجهها عندما نهضَت من الحوض، وكانت الفتاة تعتصر الإسفنجة بقوَّةٍ جعلَت الصَّابون يسيل على البساط المايري.

وعلى الرغم من هذا مرَّت أربعة أيام أخرى وحمَّامان إضافيَّان قبل أن تصير الفتاة لها. بَعد أن رسمَت آريان صورةً حيَّةً لجارين يُلقي نفسه من نافذة زنزانته ليذوق الحرِّيَّة مرَّةً أخيرةً قبل أن يموت—بَعدها همسَت سِدرا أخيرًا: «أرجوكِ، يجب أن تُساعِديه، أرجوكِ لا تَترُكيه يموت».

ردَّت هامسةً: «لا يُمكنني أن أفعل شيئًا ما دمتُ حبيسةً هنا. أبي يَرفُض أن يراني. أنتِ الوحيدة التي تستطيع إنقاذ جارين. هل تحبِّينه؟».

همسَت سِدرا بخجل: «نعم. لكن كيف أساعدكِ؟».

قالت الأميرة: «يُمكنكِ أن تُهَرِّبي رسالةً مني. هلَّا فعلتِ هذا؟ هلَّا خاطرتِ... من أجل جارين؟».

اتَّسعت عينا سِدرا وأومأَت برأسها إيجابًا.

فكَّرت آريان بظفر: الآن عندي غُداف، لكن إلى مَن أُرسِله؟ الوحيد من رفاقها في المؤامرة الذي فَرَّ من شباك أبيها هو النَّجم المظلم، لكن من الوارد بشدَّة أن السير چيرولد قد سقطَ بالفعل، وإن لم يكن فمؤكَّد أنه هربَ من (دورن). بَعده خطرَت لها أُم جارين وأيتام (الدَّم الأخضر). ليس هُم، لا. يجب أن يكون أحدًا ذا سُلطةٍ حقيقيَّة، أحدًا لم يلعب دورًا في مؤامرتنا ولكن ربما يكون لديه سبب للتَّعاطُف معنا. فكَّرت في مناشَدة أمِّها، لكن الليدي ميلاريو بعيدة في (نورڤوس)، ثم إن الأمير دوران لم يُصغِ إلى السيِّدة زوجته منذ سنوات. ولا هي أصغَت إليه. إنني محتاجة إلى لورد، إلى واحدٍ عظيم بما يكفي لإرغام أبي على إطلاق سراحي.

أقوى لوردات (دورن) آندرز يرونوود، صاحِب الدَّم الملكي وسيِّد (يرونوود) وحاكم (الطَّريق الحجري)، لكن آريان أعقل من أن تَطلُب العون من الرَّجل الذي ربَّى أخاها كوينتن. لا. السير ديزيل دالت أخو دراي تطلَّع في الماضي إلى الزَّواج بها، لكنه أوفى من أن يُعارِض أميره، كما أن قُدرة

فارس (غابة اللَّيمون) على تخويف لورد صغير لا تعني أنه يملك قوَّة التَّأثير على أمير (دورن). لا. والشَّيء نفسه ينطبق على أبي سيلڤا الرَّقطاء. لا. قرَّرت آريان أخيرًا أن لها أملين حقيقيَّين اثنين؛ هارمن أولر سيِّد (هضبة الجحيم) وفرانكلين فاولر سيِّد (قلعة السَّماء) وحاكم (ممر الأمير).

يقول المَثل الدورني: نِصف آل أولر أنصاف مجانين، والنِّصف الآخَر أسوأ. إلاريا ساند ابنة اللورد هارمن الطَّبيعيَّة، وهي وصغيراتها حبيسات مع بقيَّة أفاعي الرِّمال. لا بُدَّ أن هذا أغضبَ اللورد هارمن، وآل أولر خطرون عند الغضب. ربما أخطر من اللَّازم. والأميرة لا ترغب في تعريض المزيد من الأنفُس إلى الخطر.

قد يكون اللورد فاولر خيارًا أسلم. الرَّجل ملقَّب بالصَّقر العجوز، ولم يتَّفق قَطُّ مع آندرز يرونوود، فبين العائلتين ضغائن منذ ألف عام، منذ انحازَ آل فاولر إلى آل مارتل بدلًا من آل يرونوود في حرب نايميريا، والتَّوأمان فاولر صديقان شهيران لليدي نيم أيضًا، ولكن ما وزن هذا عند الصَّقر العجوز؟

تحيَّرت آريان أيامًا بينما تُجَهِّز رسالتها السرِّيَّة. بدأتها بقولها: «أعطِ الرَّجل الذي يُسَلِّمك هذه الرِّسالة مئة أيلٍ فضِّي»، فبهذا تضمن توصيل الرِّسالة. كتبَت مكانها وتوسَّلت النَّجدة، وأضافَت: «لن أنسى من يُنقِذني من هذه الزِّنزانة أيًّا كان عندما أتزوَّجُ». وهذا كفيل بجعل الأبطال يهرعون إليَّ. ما لم يكن الأمير دوران قد حرمَها الميراث فإنها تظلُّ وريثة (صنسپير) الشَّرعيَّة، أي أن مَن يتزوَّجها سيَحكُم (دورن) إلى جوارها ذات يوم. ليس بإمكان آريان إلَّا أن تُصَلِّي أن يكون منقذها أصغر من المسنِّين الذين عرضَهم أبوها عليها على مَرِّ السِّنين. حين رفضَت آخِرهم قالت له: «أريدُ زوجًا لم تَسقُط أسنانه».

لم تجرؤ على طلب ورقٍ خشية إثارة شكوك سجَّانيها، فخطَّت آريان رسالتها على هامش صفحةٍ قطعَتها من (النَّجمة السُّباعيَّة)، ووضعَتها في يد سِدرا يوم الحمَّام التَّالي قائلةً لها: «ثمَّة مكان مجاور لـ(البوَّابة الثُّلاثيَّة) تأخذ منه القوافل المؤن قبل عبور الرِّمال العميقة. اعثُري على مُسافرٍ متَّجه إلى (ممر الأمير) وعديه بمئة أيلٍ فضِّي إذا وضعَ هذه الرِّسالة في يد اللورد فاولر».

خبَّأت سِدرا الرِّسالة في صدر فُستانها، وقالت: «سأفعلُ، سأجدُ أحدًا قبل مغيب الشَّمس أيتها الأميرة».

- «عظيم. غدًا أخبِريني ماذا فعلتِ».

لكن الفتاة لم ترجع في اليوم التَّالي ولا الذي تلاه، ولمَّا حانَ موعد استحمام آريان أتَت بدلًا منها مورا وميلي وملأَتا حوضها وغسلَتا ظَهرها ومشَّطتا شَعرها. سألَتهما الأميرة: «هل سِدرا مريضة؟»، فلم تُجيبا، ولم يَجُل بخاطرها إلَّا أنها ضُبِطَت. هل من تفسيرٍ آخَر؟ ليلتها نامَت بالكاد خشية ما قد يَحدُث.

في الصَّباح التَّالي عندما جاءَها تيموث بإفطارها طلبَت أن ترى ريكاسو بدلًا من أبيها. واضح أنها لا تستطيع إجبار الأمير دوران على رؤيتها، لكن مؤكَّد أن مجرَّد قهرمان لن يتجاهَل استدعاء وريثة (صنسپير) الشَّرعيَّة.

لكنه فعلَ، وحين رأت تيموث المرَّة التَّالية سألَته: «هل أخبرت ريكاسو بما قُلته؟ هل أخبرته بأنني أحتاجُ إليه؟»، فلمَّا لم يُجِبها الرَّجل اختطفَت آريان إبريق النَّبيذ وسكبَته على رأسه، وتراجعَ الخادم مغمورًا بالأحمر ووجهه قناع من الكرامة الجريحة. أبي ينوي أن يَترُكني هنا أتعفَّنُ، أو أنه يُخَطِّط لتزويجي بعجوزٍ أحمق مقزِّز وسيترُكني حبيسةً حتى الإضْجاع.

ترعرعَت آريان مارتل متوقِّعة أنها ذات يوم ستتزوَّج واحدًا من كبار اللوردات من اختيار أبيها، وتعلَّمت أن لهذا تحيًا الأميرات... ولو أن أحدًا لا يُنكِر أن عمَّها أوبرين كانت له وجهة نظرٍ مختلفة، إذ قال الأُفعوان الأحمر لبناته: «إذا أردتن الزَّواج فتزوَّجن، وإن لم يكن فنِلن المُتعة حيث تجدنها، فليس منها في هذا العالم إلَّا القليل. لكن أوصيكن بحُسن الاختيار. إذا وجدَت إحداكن نفسها مع أحمق أو غاصِب فلا أريدها أن تتطلَّع إليَّ لأخلِّصها منه. لقد أعطيتكن الأدوات التي تُتيح لكن أن تفعلن هذا بأنفُسكن».

على أن الحرِّيَّة التي سمحَ بها الأمير أوبرين لنغلاته لم يكن فيها نصيب لوريثة الأمير دوران الشَّرعيَّة. يجب أن تتزوَّج آريان، وقد قبلَت هذا. كانت تعلم أن دراي يُريدها، وكذا أخوه ديزيل فارس (غابة اللَّيمون)، وديمون ساند أقدمَ على طلب يدها بالفعل، إلَّا أن ديمون نغل، والأمير دوران لم يُرِدها أن تتزوَّج دورنيًّا.

وقبلَت آريان هذا أيضًا. في أحد الأعوام جاءَ أخو الملك روبرت لزيارتهم وبذلَت كلَّ ما في وسعها لإغرائه، لكنها كانت فتاةً صغيرةً وبدا أن محاوَلاتها

مع اللورد رنلي أثارَت حيرته أكثر من إلهاب رغبته. لاحقًا، حين طلبَ هوستر تَلي أن تذهب إلى (ريڤررَن) وتلتقي وريثه، أشعلَت شمعةً لـ(العذراء) شُكرًا، لكن الأمير دوران رفضَ الدَّعوة. كانت الأميرة لتضع ويلاس تايرل نفسه في الاعتبار على الرغم من ساقه الكسيحة، لكن أباها أبى أن يُرسِلها إلى (هايجاردن) لتلتقيه، فحاولَت الذَّهاب رغمًا عنه بمساعَدة تايين... إلَّا أن الأمير أوبرين قبضَ عليهما في (ڤايث) وأعادَهما، وفي العام نفسه حاولَ الأمير دوران أن يخطبها لبن بيزبوري، وهو لورد بسيط في الثَّمانين من العُمر على الأقل، أعمى وسقطَت أسنانه.

تُوفِّيَ بيزبوري بَعد بضعة أعوام، وواساها هذا بعض الشَّيء في محنتها الحاليَّة، فلا يُمكن إجبارها على الزَّواج به ما دامَ قد ماتَ... كما أن سيِّد (المعبر) تزوَّج مجدَّدًا، ولذا فهي آمنة منه أيضًا. لكن إلدن إسترمونت ما زالَ حيًّا أعزب، وكذلك اللورد روزبي واللورد جراندیسون. يُدعى جراندیسون بذي اللِّحية الشَّائبة، لكن حين التقَته كانت لحيته قد صارَت ناصعة البياض، وفي مأدبة الاستقبال غابَ في النَّوم بين طبقَي السَّمك واللَّحم. تحدَّاها جارين أن تربط عُقدةً في لحيته دون أن تُوقِظه لكن آريان امتنعَت، إذ بدا جراندیسون رجلًا طيِّبًا، أقلَّ شكوى من إسترمونت وأفضل صحَّةً من روزبي، غير أنها ما كانت لتتزوَّجه أبدًا. حتى لو وقفَ هوتا ورائي بفأسه.

لم يأتِ أحد يتزوَّجها في اليوم التَّالي أو التَّالي، ولا عادَت سِدرا. حاولَت آريان الظَّفر بمورا وميلي بالطَّريقة نفسها ولكن بلا طائل. ربما هناك أمل إذا استطاعَت أن تتكلَّم مع إحداهما بمفردها، لكن الأختين معًا جِدار مصمت.

والآن تكاد الأميرة تُرَحِّب بلمسةٍ من الحديد السَّاخن أو ليلةٍ على المِخلعة، فالوحدة على وشك إصابتها بالجنون. أستحقُّ فأس الجلَّاد لما اقترَفتُ، لكن حتى هذا يأباه عليَّ، ويُؤثِر أن يسجنني وينسى أنني كان لي وجود يومًا. تساءلَت إن كان المِايستر كاليوت يخطُّ بيانًا بتسمية أخيها كوينتن وريث (دورن).

واحدًا تلو الآخَر مرَّت الأيام، أيام طويلة كثيرة لدرجة أن آريان لم تَعُد تدري منذ متى وهي حبيسة، ووجدَت نفسها تقضي أوقاتًا أطول وأطول في الفِراش، إلى أن بلغَت حَدَّ عدم القيام منه على الإطلاق إلَّا لقضاء حاجتها.

كلُّ وجبةٍ يجلبها الخدم لا تُمَسُّ حتى تَبرُد، وتنام آريان وتصحو وتنام ثانيةً وتصحو شاعرةً بإرهاقٍ يحول دونها والنُّهوض. تُصَلِّي لـ(الأُم) طالبةً الرَّحمة ولـ(المُحارب) طالبةً الشَّجاعة، ثم تعود إلى النَّوم. تحلُّ وجبات طازجة محلَّ القديمة ولا تزال لا تأكلها، وفي مرَّةٍ أحسَّت فيها بالقوَّة على غير العادة حملَت الطَّعام إلى النَّافذة ورمَته في السَّاحة كي لا يُغريها بأكله، فأرهقَها المجهود وعادَت إلى الفِراش ونامَت نِصف يوم كاملًا.

ثم أتى يوم وهزَّتها يد خشنة من كتفها تُوقِظُها، وقال صوت تعرفه منذ الطُّفولة: «أميرتي الصَّغيرة، انهضي وارتدي ثيابكِ. الأمير يَطلُبكِ».

كان آريو هوتا صديقها القديم وحاميها واقفًا فوقها، ويُخاطِبها! ابتسمَت آريان ناعسةً. جميل أن ترى هذا الوجه بتجاعيده وندوبه وتسمع الصَّوت العميق الغليظ واللَّكنة النورڤوشيَّة الثَّقيلة. سألَته: «ماذا فعلتم بسِدرا؟».

أجابَ هوتا: «الأمير أرسلَها إلى (الحدائق المائيَّة)، سيُخبِرك بهذا، لكن أولًا عليكِ أن تغتسلي وتأكلي».

لا بُدَّ أنها تبدو في حالةٍ مزرية. نهضَت آريان من الفِراش بضَعف هُريرةٍ وليدة، وقالت له: «قُل لمورا وميلي أن تُجَهِّزا حمَّامًا، واجعل تيموث يجلب لي طعامًا. لا شيء ثقيلًا، القليل من الحَساء البارد والخُبز والفاكهة».

قال هوتا: «حاضر»، وفي حياتها لم تسمع آريان صوتًا أعذب.

انتظرَ القائد في الخارج بينما اغتسلَت آريان وصفَّفت شَعرها وأكلَت قليلًا من الجُبنة والفواكه وشربَت القليل من النَّبيذ لتُهَدِّئ معدتها. إنني خائفة، للمرَّة الأولى في حياتي أشعرُ بالخوف من أبي. أضحكَها الخاطر حتى خرجَ النَّبيذ من أنفها. لمَّا حانَ وقت ارتداء ملابسها اختارَت فُستانًا من الكتَّان العاجي على كُمَّيه وصدره زخرفة على شكل فروع كرم وعناقيد عنب أرجوانيَّة، ولم تضع حُليًّا. يجب أن أكون محتشمةً متواضعةً مبديةً النَّدم، يجب أن ألقي نفسي على قدميه وإلَّا فربما لا أسمعُ صوت إنسانٍ ثانيةً أبدًا.

كان الغسق قد حَلَّ عندما استعدَّت للخروج. حسبَت آريان أن هوتا سيقودها إلى (بُرج الشَّمس) لتسمع حُكم أبيها، لكنه أخذَها بدلًا من ذلك إلى غُرفة الأمير الشَّمسيَّة، حيث وجدا دوران مارتل جالسًا إلى طاولة سايڤاس، وقد أراحَ ساقيه النِّقرسيَّتيْن على مسندٍ مزوَّد بوسائد وراحَ يتلاعَب بفيلٍ من

الجزْع بيديه المحمرَّتين المتورِّمتين. بدا الأمير في أسوأ حالٍ رأته عليها، وجهه شاحب منتفخ ومفاصله ملتهبة لدرجة أن مجرَّد النَّظر إليها آلَمَها. رؤيته هكذا جعلَت قلب آريان ينفطِر من أجله... وعلى الرغم من هذا لم تستطِع أن تبعث نفسها على الرُّكوع والتَّوسُّل كما انتوَت، وبدلًا من ذلك قالت: «أبي».

حين رفعَ رأسه يَنظُر إليها رأت عينيه ملبَّدتين بالألم، فتساءلَت آريان في نفسها: هل النِّقْرِس السَّبب أم أنا؟ تمتم واضعًا فيله: «قوم غُرباء ماكرون هؤلاء الڤولانتينيُّون. لقد زرتُ (ڤولانتيس) مرَّةً في طريقي إلى (نورڤوس)، حيث التقيتُ ميلاريو أول مرَّة. كانت الأجراس تدقُّ والدِّببة تَرقُص على الدَّرجات. آريو يَذكُر هذا اليوم».

رَدَّ آريو هوتا بصوته العميق: «أذكره. رقصَت الدِّببة ودقَّت الأجراس، وارتدى الأمير الأحمر والذَّهبي والبُرتقالي، وسألَتني سيِّدتي عن هُويَّة هذا الرَّجل المتألِّق».

ابتسمَ الأمير دوران بشحوب، وقال: «اترُكنا أيها القائد».

دَقَّ هوتا الأرض بكعب فأسه ودارَ على عقبيه وانصرفَ، ولمَّا صارَ الاثنان وحدهما قال أبوها: «أمرتهم بوضع طاولة سايڤاس في غُرفتكِ».

– «ومع مَن كان يُفترَض أن ألعب؟». لماذا يتكلَّم عن لُعبة؟ هل أفقدَه النِّقْرِس صوابه؟

– «مع نفسكِ. أحيانًا الأفضل أن تدرسي اللُّعبة قبل أن تلعبيها. ما مدى معرفتكِ باللُّعبة يا آريان؟».

– «أعرفها بما يكفي لأن ألعبها».

قال: «ولكن ليس بما يكفي لأن تربحي. لقد أحبَّ أخي القتال في حَدِّ ذاته، لكني لا أخوضُ إلَّا الألعاب التي أستطيعُ أن أربحها»، وتفرَّس في وجهها مدَّةً طالَت قبل أن يُردِف: «لماذا؟ أخبريني يا آريان، أخبِريني لماذا».

– «من أجل شَرف العائلة». أغضبَتها نبرة أبيها الحزينة المتخاذلة الضَّعيفة، وأرادَت أن تزعق فيه: أنت أمير! المفترَض أن تثور ثورتك! «خنوعك يُخزي (دورن) بأَسرها يا أبتِ. أخوك ذهبَ إلى (كينجز لاندنج) بدلًا منك وقتلوه!».

– «أتظنِّين أنني لا أعرفُ هذا؟ أوبرين معي كلَّما أغمضتُ عينَي».

قالت جالسةً قُبالة أبيها إلى طاولة السايڤاس: «يقول لك أن تفتحهما لا شَك».

- «لم أسمح لكِ بالجلوس».

- «استدعِ هوتا إذن واجعله يجلدني لوقاحتي. أنت أمير (دورن)، تستطيع أن تفعل ذلكَ»، ومسَّت إحدى قِطع السايڤاس، الحصان الثَّقيل، وسألَته: «هل قبضتم على السير چيرولد؟».

هَزَّ رأسه نفيًا، وقال: «ليتنا فعلنا. كنتِ حمقاء عندما جعلتِه جزءًا من خطَّتكِ. النَّجم المظلم أخطر رجلٍ في (دورن)، وكلاكما آذانا بشدَّة».

سألَته آريان متخوِّفةً من الإجابة: «مارسلا، هل...».

- «... ماتَت؟ لا، ولو أن النَّجم المظلم بذلَ أفضل ما لديه ليَقتُلها. الأعيُن كلُّها كانت على فارسكِ الأبيض، ولذا فلا أحد متأكِّد مما حدثَ بالضَّبط، لكن يبدو أن حصانها جفلَ من حصانه في اللَّحظة الأخيرة، وإلَّا لكان قد قطعَ قمَّة رأس الفتاة. الضَّربة التي أصابَتها شقَّت خدَّها حتى العظم وبترَت أُذنها اليُمنى. استطاعَ المِايستر كاليوت إنقاذ حياتها، لكن لا كمَّادة أو شَربة من شأنها علاج وجهها. كانت ربيبتي يا آريان، مخطوبة لأخيكِ وتحت حمايتي. لقد لطَّختِ شَرفنا جميعًا».

قالت آريان بإصرار: «لم تكن نيَّتي أن يمسَّها أذى. لو لم يتدخَّل هوتا...».

- «... لكنتِ قد توَّجتِ مارسلا ملكةً لبدء تمرُّدٍ ضد أخيها، وكانت لتفقد حياتها بدلًا من أُذنها».

- «فقط إذا خسرنا».

- «إذا؟ تعنين عندما. (دورن) أقلُّ بلدٍ مأهول بالسُّكَّان في (الممالك السَّبع). لقد سَرَّ التنِّين الصَّغير أن يُهَوِّل أعدادنا حين ألَّف كتابه ليُضفي على غزوته مزيدًا من المجد، وسرَّنا أن نروي البذرة التي زرعَها وندع أعداءنا يتصوَّرون أننا أقوى مما نحن في الواقع، لكن الحريَّ بالأميرة أن تعرف الحقيقة. الشَّجاعة بديل رديء للأعداد، ولا أمل لـ(دورن) في الانتصار في حربٍ ضد العرش الحديدي وحدها، ومع ذلك ربما يكون هذا ما أوصَلتِنا إليه بالفعل. أتَشعُرين بالفخر؟»، ولم يُعطِها الأمير فُرصةً للإجابة إذ سألَ: «ماذا أفعلُ بكِ يا آريان؟».

أرادَ جزء منها أن يقول: سامِحني، لكن كلامه أصابَها بجرحٍ غائر، فقالت: «ما تفعله دائمًا، لا شيء».

- «إنكِ تُصَعِّبين عليَّ ابتلاع غضبي».

ردَّت: «الأفضل أن تكفَّ عن الابتلاع إذن وإلَّا اختنقت به»، ولمَّا لم يردَّ الأمير قالت: «أخبِرني كيف علمت بخطَّتي».

- «أنا أمير (دورن)، النَّاس يسعون إلى حظوتي».

أحدهم وشى. «كنت تعلم ومع ذلك تركتنا نرحل بمارسلا، فلِمَ؟».

- «كانت هذه غلطتي، وثبتَ أنها غلطة فادحة. أنتِ ابنتي يا آريان، الفتاة الصَّغيرة التي اعتادَت أن تهرع إليَّ إذا جرحَت رُكبتها. وجدتُ تصديق تآمُركِ ضدي صعبًا، وكان يجب أن أعرف الحقيقة».

- «والآن تعرفها. أريدُ أن أعرف مَن أبلغَ عني».

- «كنتُ لأريد المِثل لو أنني في مكانكِ».

- «هل ستُخبِرني؟».

- «لا أستطيعُ التَّفكير في سببٍ يدفعني إلى ذلك».

- «أتحسب أنني لا أقدر على اكتشاف الحقيقة وحدي؟».

قال الأمير دوران: «لكِ أن تُحاوِلي، ولكن حتىٰ ذلك الحين عليكِ ألَّا تثقي بأحدٍ منهم... والقليل من الرِّيبة شيء مفيد للأميرات»، وزفرَ مضيفًا: «خيَّبتِ أملي يا آريان».

- «هكذا يقول الغُراب للغُداف. إنك تُخَيِّب أملي منذ سنوات يا أبي». لم تكن تقصد أن تُخاطِبه بهذه الفظاظة، لكن الكلام انسكبَ منها رغمًا عنها. ها قد قلتها.

- «أعرفُ. أنا شديد الخُنوع والضَّعف والحرص، متساهل للغاية مع أعدائنا. على أنكِ في حاجةٍ إلى شيءٍ من هذا التَّساهُل تحديدًا كما يبدو لي. الأحرى بكِ أن تتوسَّلي مغفرتي بدلًا من محاوَلة استفزازي أكثر».

- «لا أطلبُ التَّساهُل إلَّا مع أصدقائي».

- «يا لنُبلكِ».

- «ما فعلوه كان بدافع محبَّتهم لي، ولا يستحقُّون الموت في (جاستون جراي)».

- «يتصادَف أنني أوافقكِ. باستثناء النَّجم المظلم لم يكن رفاقكِ في المؤامرة أكثر من أطفالٍ حمقى، لكنها لم تكن مجرَّد مباراة سايڤاس غير مؤذية. أنتِ وأصدقاؤكِ ارتكبتم خيانةً. كان بإمكاني أن أضرب أعناقهم».

- «كان بإمكانك لكنك لم تفعل. داين ودالت وسانتاجار... لا، لست تجرؤ على مُعاداة تلك العائلات».

- «ما أجرؤ عليه لا تتخيَّلينه... لكن دعكِ من هذا حاليًّا. السير آندراي أُرسِل إلى (نورڤوس) ليخدم السيِّدة والدتكِ ثلاثة أعوام. جارين سيقضي العامين التَّاليين في (تايروش)، وأخذتُ مالًا ورهائن من أهله الأيتام. الليدي سيلڤا لم تتلقَّ عقابًا مني، لكنها في سِنِّ الزَّواج، وأرسلَها أبوها إلى (الحجر الأخضر) لتتزوَّج اللورد إسترمونت. وبالنِّسبة إلى آريس أوكهارت فقد اختارَ مصيره ولاقاه بشَجاعة. فارس في الحَرس الملكي... ماذا فعلتِ معه؟!».

- «ضاجَعته يا أبي. أنت أمرتني بتسلية ضيوفنا الكرام على ما أذكرُ».

احتقنَ وجهه، وسألَها: «أهذا كلُّ ما تطلَّبه الأمر؟».

- «قلتُ له إن مارسلا ستسمح لنا بالزَّواج فور تتويجها. لقد أرادَني زوجةً له».

قال أبوها: «إنني واثق بأنكِ تفانيتِ في منعه من الحنث في يمينه».

هذه المرَّة احتقنَ وجهها هي. لقد استغرقَ إغراؤها السير آريس نِصف عام، وعلى الرغم من ادِّعائه أنه عرفَ نساءً أخريات قبل انخراطه في الحَرس الملكي فالطَّريقة التي تصرَّف بها لم تنمَّ عن هذا إطلاقًا. لمساته كانت خرقاء، وقُبلاته متوتِّرةً، وأول مرَّةٍ في الفِراش معًا أفرغَ لذَّته على فخذها بينما تقوده إلى داخلها بيدها. الأسوأ أن الخزي التهمَه التهامًا، ولو نالَت تنِّينًا ذهبيًّا كلَّ مرَّةٍ همسَ فيها: «لا يَجدُر بنا أن نفعل هذا»، لصارَت أثرى من آل لانستر. هل انقضَّ على آريو هوتا أملًا في إنقاذي أم فعلَها للفِرار مني وغسل عاره بدمائه؟ سمعَت نفسها تقول: «لقد أحبَّني وماتَ من أجلي».

- «إذا كان هذا صحيحًا فربما يكون أول كثيرين. أنتِ وبنات عمِّكِ أردتن الحرب، وقد تنلن رغبتكن. ثمَّة فارس آخَر في الحَرس الملكي يدنو من (صنسپير) بينما نتكلَّم. السير بالون سوان قادم إليَّ برأس الجبل. حمَلة رايتي يُعَطِّلونه ليكسبوا لي بعض الوقت. آل وايل جعلوه يقضي ثمانية أيام في الصَّيد والقنص على (طريق العظام)، واللورد يرونوود احتفى به أسبوعين كاملين حين خرجَ من الجبال. في الوقت الرَّاهن هو في (الرَّبوة)، حيث رتَّبت الليدي چورداين مبارياتٍ على شَرفه، ولمَّا يصل إلى (تَل الأشباح) سيجد

الليدي تولاند عازمةً على التَّفوُّق عليها. لكن عاجلًا أو آجلًا سيَبلُغ السير بالون (صنسپير)، وحين يفعل سيتوقَّع أن يرى الأميرة مارسلا... والسير آريس أخاه المحلَّف. ماذا نقول له يا آريان؟ هل أخبِره بأن أوكهارت ماتَ في حادثة صيدٍ أم سقطَ على سلالم زلقة؟ ربما كان السير آريس في (الحدائق المائيَّة) وانزلقَ على الرُّخام وصدمَ رأسه وغرقَ؟».

قالت آريان: «لا. قُل إنه ماتَ مدافعًا عن أميرته الصَّغيرة، قُل للسير بالون إن النَّجم المظلم حاولَ أن يَقتُلها فاعترضَ السير آريس طريقه وأنقذَ حياتها». هكذا ينبغي أن يموت فُرسان الحَرس الملكي، تضحيةً بحياتهم في سبيلِ من أقسَموا على حمايتهم. «ربما يشكُّ السير بالون كما شككت أنت حين قتلَ آل لانستر أختك وطفليها، لكنه لن يجد دليلًا...».

– «... حتى يتكلَّم مع مارسلا، أم أن على الطِّفلة الشُّجاعة أن تتعرَّض لحادثةٍ مأساويَّة أيضًا؟ معنى ذلك الحرب. لا كذبة ستُنقِذ (دورن) من غضبة الملكة إذا ماتَت ابنتها وهي في عنايتي».

قالت آريان لنفسها وقد أدركَت الموقف: إنه محتاج إليَّ. لهذا أرسلَ يستدعيني.

– «يُمكنني أن أُملي على مارسلا ما تقوله، ولكن لِمَ أفعلُ ذلك؟».

تموَّج الغضب على وجه أبيها إذ قال: «إنني أحذِّركِ يا آريان، لقد نفدَ صبري».

– «عليَّ؟». ليست هذه عادته. «مع اللورد تايوين وآل لانستر تعامَلت بحِلم بيلور المبارَك، أمَّا مع دمك فلا».

– «إنكِ تخلطين بين الصَّبر والحِلم. لقد عملتُ على إسقاط تايوين لانستر منذ يوم أخبَروني بما جرى لإليا وطفليها. كان أملي أن أجرِّده من كلِّ نفيسٍ لديه قبل أن أقتله، لكن يبدو أن ابنه القزم سلبَني تلك المسرَّة، ولو أنني أجدُ قليلًا من العزاء في حقيقة أنه ماتَ ميتةً قاسيةً على يدَي الوحش الذي أنجبَه من صُلبه. على كلِّ حال، اللورد تايوين يعوي في الجحيم... وآلاف سيلحقون به قريبًا إذا استحالَت حماقتكِ إلى حرب»، وكشَّر أبوها كأن مجرَّد نُطق الكلمة يُوجِعه، وسألَها: «أهذا ما تُريدين؟».

قالت الأميرة رافضةً أن يُرهِبها: «أريدُ إطلاق سراح بنات عمِّي، أريدُ الثَّأر لأبيهم، أريدُ حقوقي».

- «حقوقكِ؟!».
- «(دورن)».
- «ستَحصُلين على (دورن) عندما أموتُ. أأنتِ متشوِّقة لهذه الدَّرجة للخلاص مني؟».
- «عليَّ أن أسألك السُّؤال ذاته يا أبتِ. أنت مَن يُحاوِل الخلاص مني منذ أعوام».
- «غير صحيح».
- «حقًّا؟ هلَّا سألنا أخي؟».
- «تريستان؟».
- «كوينتن!».
- «ماذا عنه؟».
- «أين هو؟».
- «مع جيش اللورد يرونوود على (طريق العظام)».
- «أنت تُجيد الكذب يا أبي، أعترفُ بهذا. لم يرفَّ لك جفن حتى. كوينتن ذهبَ إلى (لِيس)».
- «ما الذي وضعَ هذه الفكرة في رأسكِ؟».
- «صديق أخبرَني». هي أيضًا تستطيع الاحتفاظ بأسرارها.
- «صديقكِ كذبَ. لكِ كلمتي، أخوكِ لم يذهب إلى (لِيس)، أقسمُ بالشَّمس والحربة والآلهة السَّبعة».

لكن آريان لا تنخدع بهذه البساطة، وهكذا قالت: «هل ذهبَ إلى (مير) إذن؟ أو (تايروش)؟ أعلمُ أنه في مكانٍ ما وراء (البحر الضيِّق)، يستأجر المرتزِقة لسرقة حقِّي الشَّرعي».

اربدَّ وجه أبوها، وقال: «هذا الارتياب لا يُشَرِّفكِ يا آريان. المفترَض أن يكون كوينتن هو من يتآمَر ضدي. لقد صرفته من البلاط وهو مجرَّد طفلٍ أصغر من أن يفهم احتياجات (دورن). آندرز يرونوود كان أبًا له أكثر مني، ومع ذلك يظلُّ أخوكِ وفيًّا مطيعًا».

- «ولِمَ لا؟ إنك تُفَضِّله ولطالما فعلت. إنه يُشبِهك ويُفَكِّر مِثلك، وتنوي أن تُعطيه (دورن). لا تُحاوِل الإنكار، لقد قرأتُ رسالتك». ما زالَت الكلمات

مشتعلةً كالنَّار في ذاكرتها. «كتبت له: ذات يوم ستجلس حيث أجلسُ وتَحكُم (دورن) كلَّها. أخبِرني يا أبي، متى قرَّرت أن تحرمني ميراثي؟ يوم وُلِدَ كوينتن أم يوم وُلِدتُ؟ ماذا فعلتُ لأجعلك تكرهني هكذا؟». على الرغم من غضبها كانت في عينَي آريان دموع.

قال الأمير بصوتٍ رقيق للغاية محمَّل بالأسى: «لم أكرهك قَطُّ. آريان، أنتِ لا تفهمين».

– «هل تُنكِر أنك كتبت تلك الرِّسالة؟».

– «لا. كان هذا في بداية ذهاب كوينتن إلى (يرونوود). نعم، كانت نيَّتي أن يخلفني، أمَّا أنتِ فكانت لديَّ خُطط أخرى لكِ».

قالت ساخرةً: «أوه، نعم، ويا لها من خُطط. جايلز روزبي، بن بيزبوري الأعمي، جراندیسون ذو اللِّحية الشَّائبة. هذه هي خُططك!»، ولم تُعطِه فُرصةً للرَّدِّ إذ واصلَت: «أعرفُ أن واجبي أن أنجب وريثًا لـ(دورن) ولم أنسَ هذا البتَّة. كنتُ لأتزوَّج وبكلِّ سرور، لكن الزِّيجات التي عرضتها عليَّ كانت مهينةً. كلُّ واحدةٍ منها بمثابة بصقة. إذا أحببتَني حقًّا فلِمَ تعرضني على والدر فراي؟!».

– «لأنني علمتُ أنكِ ستَرفُضينه. كان يجب أن يراني النَّاس أحاولُ أن أجد لكِ زوجًا حالما بلغتِ سِنًّا معيَّنةً خشية إثارة الشُّكوك، لكني لم أجرؤ على أن أعرض عليكِ رجلًا تقبلينه. لقد كنتِ موعودةً يا آريان».

موعودة؟ حدَّقت إليه آريان مندهشةً، وقالت: «ماذا تعني؟ أهذه كذبة أخرى؟ لم تَذكُر قَطُّ...».

– «الاتِّفاق أُبرِمَ سرًّا. كنتُ أنوي أن أخبرك حين تكبَرين... حين تَبلُغين، ولكن...».

– «أنا في الثَّالثة والعشرين، امرأة بالغة منذ سبع سنوات».

– «أعرفُ. إذا حجبتُ عنكِ الحقيقة طويلًا فالسَّبب كان حمايتكِ فقط. آريان، إن طبيعتكِ... بالنِّسبة إليكِ الأسرار مجرَّد حكاياتٍ مثيرة تهمسين بها لجارين وتايين في الفِراش ليلًا. جارين ثرثار ككلِّ الأيتام، وتايين لا تُخفي شيئًا عن أوبارا والليدي نيم، وإذا علمَتا... أوبارا مغرمة بالنَّبيذ، ونيم قريبة للغاية من التَّوأمين فاولر، ولمَن كان التَّوأمان ليبوحا بالسِّر؟ لم أستطِع أن أجازف».

شعرَت بالحيرة والارتباك. موعودة، كنتُ موعودةً. «مَن هو؟ لمَن كنتُ مخطوبةً طيلة هذه الأعوام؟».

– «لا يهمُّ، لقد ماتَ».

ضاعفَ هذا حيرتها مرارًا، وقالت: «المسنُّون ضُعفاء للغاية. كيف ماتَ؟ بوَركٍ مكسور أم البرد أم النِّقرس؟».

أجابَ الأمير دوران: «بِقدرٍ من الذَّهب المصهور. نحن الأمراء نرسم خُططنا بعنايةٍ ثم تُحَطِّمها الآلهة»، ولوَّح بيده المحمرَّة الملتهبة بتعبٍ مردفًا: «(دورن) ستكون لكِ، إنني أعطيكِ كلمتي إذا كان ما زالَ لها معنى عندكِ، أمَّا أخوكِ كوينتن فعليه أن يَسلُك دربًا أصعب».

رمقَته آريان بشَكٍّ قائلةً: «وما هذا الطَّريق؟ ما الذي تُخفيه؟ ليُنقِذني (السَّبعة)، لقد ضقتُ ذرعًا بالأسرار. أخبِرني بالبقيَّة يا أبي... أو سَمِّ كوينتن وريثك واستدعِ هوتا وفأسه ودعني أموتُ إلى جوار بنات عمِّي».

رَدَّ أبوها عابسًا: «هل تعتقدين حقًّا أنني أستطيعُ إيذاء بنات أخي؟ أوبارا ونيم وتايين لا يعوزهن شيء إلَّا الحرِّيَّة، وإلاريا وبناتها مقيمات بسعادةٍ في (الحدائق المائيَّة). دوريا تمشي هنا وهناك مسقطةً البُرتقال من الأشجار بكُرتها الشَّائكة، وإليا وأوبلا أصبحَتا رُعب المسابح»، وتنهَّد ثم واصلَ: «لم يمضِ زمن طويلٍ منذ كنتِ تلعبين في تلك المسابح. اعتدتِ أن تركبي على كتفَي فتاةٍ أكبر سِنًّا... فتاة طويلة لها شَعر أصفر خفيف...».

– «چاين فاولر، أو أختها چينيلين». مرَّت أعوام منذ فكَّرت آريان في هذا. «أوه، وفرايني. كان أبوها حدَّادًا وشَعرها بنِّيًّا. لكن جارين كان رفيقي المفضَّل. لا أحد استطاعَ هزيمتنا وأنا راكبة على كتفيه، حتى نيم وتلك الفتاة التايروشيَّة ذات الشَّعر الأخضر».

– «تلك الفتاة التايروشيَّة ذات الشَّعر الأخضر كانت ابنة الأركون. كان يُفترَض أن أرسلكِ إلى (تايروش) بدلًا منها لتخدمي الأركون كساقيةٍ وتلتقي خطيبكِ سرًّا، لكن أمَّكِ هدَّدتني بإيذاء نفسها إذا سرقتُ أحدًا آخَر من أطفالها، ولم... لم أقوَ على أن أفعل ذلك بها».

حكايته تزداد غرابةً. «هل ذهبَ كوينتن إلى (تايروش) إذن؟ ليتودَّد إلى ابنة الأركون خضراء الشَّعر؟».

التقطَ أبوها إحدى قِطع السايڤاس قائلًا: «يجب أن أعرف كيف عرفتِ بوجود كوينتن خارج البلاد. أخوكِ ذهبَ مع كليتوس يرونوود والمِايستر كِدري وثلاثة من أفضل فُرسان اللورد يرونوود الشُّبَّان في رحلةٍ طويلة محفوفة بالمخاطر ربما لا يجد في نهايتها ترحيبًا. لقد ذهبَ ليجلب لنا بُغية قلوبنا».

ضيَّقت عينيها متسائلةً: «وما بُغية قلوبنا؟».

بصوتٍ خافت كأنه يخشى أن أحدًا يتنصَّت عليهما أجابَ: «الثَّأر، العدالة»، ودَسَّ الأمير دوران التنِّين المنحوت من الجزْع في كفِّها بيده الملتهبة، وأضافَ: «النَّار والدَّم».

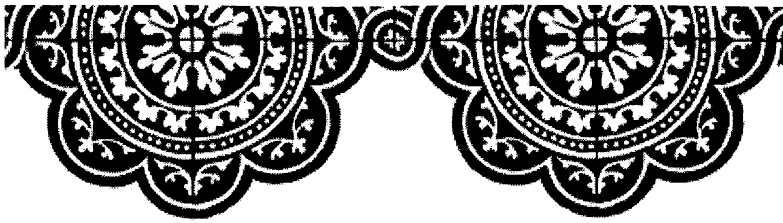

إليني

دوَّرت الحلقة الحديديَّة ودفعَت الباب صانعةً فرجةً صغيرةً لا أكثر، وقالت: «عُصفوري الجميل، هل تسمح لي بالدُّخول؟».

أجابَتها جرتشل العجوز وهي تَفرُك يديها: «احذري يا سيِّدتي، حضرة اللورد ألقى المِايستر بوعاء الفضلات».

– «ليس هناك ما يُلقيني به إذن. أليس عندكِ عمل؟ وأنتِ يا مادي، هل أغلقتِ النَّوافذ وأسدلتِ السَّتائر؟ هل غطَّيتِ الأثاث كلَّه؟».

ردَّت مادي: «نعم يا سيِّدتي».

قالت إليني: «الأفضل أن تتأكَّدي»، ودخلَت غُرفة النَّوم المظلمة مردفةً: «هذه أنا يا عُصفوري الجميل».

تنشَّق أحدهم في الظَّلام، وسألَها: «أأنتِ وحدكِ؟».

– «نعم يا سيِّدي».

– «اقتربي إذن، أنتِ فقط».

أغلقَت إليني الباب بإحكام. فلتتنصَّت مادي وجرتشل كما تُريدان، لكن الباب من خشب السَّنديان المصمت وسُمكه أربع بوصات، ولن تسمَعا شيئًا. لا بأس، فلئن كانت جرتشل تصون لسانها فمادي تَنشُر النَّميمة بلا حياء.

سألَها الصَّبي: «هل أرسلَكِ المِايستر كولمون؟».

أجابَت كاذبةً: «لا، سمعتُ أن سيِّدي متوعِّك». بَعد حادثة وعاء الفضلات هرعَ المِايستر إلى السير لوثور برون، ثم جاءَها الفارس قائلًا: «إذا أقنعَته سيِّدتي بالقيام من الفِراش فلن أضطرَّ إلى جرِّه منه عنوةً».

قالت لنفسها: لا يُمكننا أن نسمح بهذا. حين يُعامَل روبرت بخشونةٍ فغالبًا

ما تُصيبه نوبة الرَّجفة. سألَت اللورد الصَّغير: «أأنت جائع يا سيِّدي؟ هل أرسلُ مادي تُحضِر توتًا وقشدةً أو القليل من الخُبز الدَّافئ والزُّبدة؟». متأخِّرًا جدًّا تذكَّرت أن لا خبز دافئًا عندهم، فالمطابخ أُغلِقَت بالفعل والأفران باردة. إذا أدَّى إشعال فُرن إلى نهوض روبرت من الفِراش فالأمر يستحقُّ.

قال اللورد الصَّغير بنبرةٍ مشاكِسة حادَّة: «لا أريدُ طعامًا. سأبقى في الفِراش اليوم. يُمكنكِ أن تقرأي لي إذا أردتِ».

بسبب السَّتائر الثَّقيلة المسدَلة على النَّوافذ كانت الغُرفة مظلمةً كأنه اللَّيل، فقالت إليني: «الظَّلام شديد هنا، لا يَصلُح للقراءة. هل نسيَ عُصفوري الجميل ما سنفعله اليوم؟».

– «لا، لكنني لن أذهب. أريدُ أن أبقى في الفِراش. اقرأي لي عن الفارس المجنَّح».

الفارس المجنَّح هو السير آرتيس آرن، وتقول الأسطورة إنه طردَ البَشر الأوائل من (الوادي) وطارَ إلى قمَّة (رُمح العملاق) على متن صقرٍ ضخم ليَقتُل ملك الجَرافِن. هناك مئة قصَّةٍ عن مغامراته، وروبرت الصَّغير يحفظها كلَّها عن ظَهر قلبٍ ويستطيع حكايتها بحذافيرها من الذَّاكرة، لكنه يحبُّ أن تُقرَأ له رغم ذلك. قالت إليني للصَّبي: «يجب أن نذهب يا عزيزي، لكني أعدك بأن أقرأ لك حكايتين عن الفارس المجنَّح عندما نصل إلى (بوَّابات القمر)».

رَدَّ من فوره: «ثلاث حكايات». مهما عرضت عليه يرغب روبرت دومًا في المزيد.

– «ثلاث حكايات. هل لي أن أدع الشَّمس تَدخُل؟».

– «لا، الضَّوء يُؤلِم عينَي. تعالي إلى الفِراش يا إليني».

لكنها ذهبَت إلى النَّافذة رغم ذلك، دائرةً حول وعاء الفضلات المحطَّم الذي تشمُّه أفضل مما تراه، وقالت: «لن أفتحها عن آخِرها، فقط بما يكفي لرؤية وجه عُصفوري الجميل».

قال متنشِّقًا: «ليكن».

السَّتائر من القطيفة الزَّرقاء، وقد أزاحَت إحداها مسافةً لا تربو على طول إصبعٍ وربطَتها، لتسبح ذرَّات التُّراب في عمودٍ من ضوء الشَّمس، وتلوح

ألواح زُجاج النَّافذة الصَّغيرة ذات الشَّكل الماسي المكتسية بالصَّقيع. مسحَت إليني إحداها بكعب يدها بما يكفي لرؤية زُرقة السَّماء الصَّافية ونصوع الأبيض على جانب الجبل. (العُش) متدثِّرة بمعطفٍ من الجليد، وقمَّة (رُمح العملاق) بالأعلى مدفونة بالثُّلوج الكثيفة.

حين التفتَت كان روبرت آرن جالسًا مسندًا ظَهره إلى الوسائد ويَنظُر إليها. سيِّد (العُش) وحامي (الوادي). تحت الخصر يُغَطِّيه دثار من الصُّوف، وفوقه لا يرتدي شيئًا، صبيٌّ شاحب شَعره طويل كالفتيات. لروبرت ذراعان وساقان طويلة نحيلة وصدر ليِّن مقعَّر وبطن صغير وعينان محمرَّتان دامعتان دومًا. لا حيلة له في هذا. لقد وُلِدَ صغيرًا سقيمًا. «تبدو قويًّا للغاية هذا الصَّباح يا سيِّدي». يحبُّ الصَّبي أن يُقال له كم هو قوي. «هل أجعلُ مادي وجرتشل تُحضِران ماءً ساخنًا للاستحمام؟ ستدعك مادي ظَهرك وتغسل شَعرك لتذهب في رحلتك بمظهرٍ نظيف يليق بك كلورد. أن يكون هذا لطيفًا؟».

– «لا. أنا أكرهُ مادي. إن لها ثُؤلولةً على عينها وتدعكني بشدَّةٍ تُؤلِمني. مامي لم تُؤلِمني بينما تُحَمِّمني قَطُّ».

– «سأقولُ لمادي ألَّا تدعك عُصفوري الجميل بشدَّة. عندما تستحمُّ وتنتعش ستتحسَّن».

– «قلتُ لا حمَّام. رأسي يُؤلِمني للغاية».

– «هل أحضرُ لك قُماشةً دافئةً تضعها على جبهتك؟ أو كوبًا من نبيذ النَّوم؟ القليل فقط. ميا ستون تنتظرنا في (سماء) وستستاء إذا نِمت وتركتها منتظرةً. أنت تعلم كم تحبُّك».

رَدَّ روبرت: «أنا لا أحبُّها. إنها فتاة البغال لا أكثر»، وتنشَّق متابعًا: «المِايستر كولمون وضعَ شيئًا كريهًا في حليبي ليلة أمس، لقد تذوَّقته. قلتُ له إنني أريدُ الحليب الحُلو لكنه رفضَ، حتى عندما أمرته! أنا اللورد، وعليه أن يفعل ما أقوله له. لا أحد يفعل كما أقولُ».

– «سأتكلَّمُ معه، لكن فقط إذا نهضت من الفِراش. الطَّقس جميل في الخارج يا عُصفوري الجميل والشَّمس ساطعة، يوم مثالي لنزول الجبل. البغال منتظرة في (سماء) مع ميا...».

ارتعشَ فمه وبدا كأنه سيجهش بالبكاء إذ قال: «أكرهُ تلك البغال ورائحتها

الكريهة. في مرَّةٍ حاولَ واحد أن يعضَّني! قولي لميا تلك إنني سأبقى هنا. لا أحد يستطيع أن يُؤذيني ما دمتُ هنا. (العُش) منيعة!».

– «ومَن قد يرغب في إيذاء عُصفوري الجميل؟ لورداتك وفُرسانك يهيمون بك والعامَّة يهتفون باسمك». إنه خائف، وله حَق. منذ سقطَت السيِّدة والدته والصَّبي معرضٌ عن مجرَّد الوقوف في الشُّرفة، وخطورة الطَّريق من (العُش) إلى (بوَّابات القمر) كفيلة بإرهاب أيِّ أحد. كان قلب إليني بين قدميها حين صعدَت مع الليدي لايسا واللورد پيتر، والجميع متَّفقون على أن النُّزول أكثر إرعابًا لأنك تَنظُر إلى أسفل طيلة الوقت، وميا تحكي عن لوردات عظام وفُرسانٍ شُجعان امتقعَت وجوههم وبلَّلوا أنفُسهم على الجبل. ولا أحد منهم كان مبتلًى بداء الرَّجفة.

على أن التَّلكُّؤ لن ينفع. على أرض الوادي ما زالَ الخريف لابثًا، لكن الشِّتاء أطبقَ على قمم الجبل، وقد نجوا بالفعل من ثلاث عواصف ثلجيَّة وعاصفةٍ أخري جليديَّة أحالَت القلعة إلى بلَّور منذ أسبوعين. ربما تكون (العُش) منيعةً، لكنها ستُصبِح مسدودةً أيضًا عمَّا قريب، والطَّريق إلى أسفل يزداد خطورةً كلَّ يوم. أكثر خدم القلعة وجنودها غادَروا بالفعل، ولم يتبقَّ هنا بالأعلى إلَّا دستة منهم للعناية باللورد روبرت.

قالت برفق: «عُصفوري الجميل، النُّزول سيكون سارًّا للغاية، سترى. السير لوثور سيكون معنا، وميا أيضًا. بغالها صعدَت ونزلَت هذا الجبل ألف مرَّة».

رَدَّ بإصرار: «أكرهُ البغال، إنها بغيضة. قلتُ لك إن واحدًا حاولَ أن يعضَّني وأنا صغير».

تعلم إليني أن روبرت لم يتعلَّم الرُّكوب كما ينبغي. البغال أو الخيول أو الحمير، لا فرق، كلُّها عنده وحوش مخيفة لا تختلف عن التِّنانين أو الجَرافِن. لقد جيءَ به إلى (الوادي) لمَّا كان في السَّادسة، وقد ركبَ موسِّدًا رأسه بين ثديَي أمِّه المليئيْن باللَّبن، ومنذ ذلك الحين لم يبرح (العُش) مرَّةً.

لكن عليهم أن يذهبوا قبل أن يُغلِق الجليد القلعة تمامًا، فلا أحد يدري إلى متى سيستمرُّ الطَّقس الصَّحو. قالت إليني: «ميا ستمنع البغال من العَضِّ، وسأكونُ راكبةً وراءك مباشرةً. إنني مجرَّد فتاة، لستُ شُجاعةً أو قويَّةً مِثلك. إذا كان باستطاعتي أن أفعلها فمؤكَّد أنك تستطيع أيضًا يا عُصفوري الجميل».

قال اللورد روبرت: «أستطيعُ أن أفعلها، لكنني أختارُ ألَّا أفعل»، ومسحَ أنفه السَّائل بظَهر يده مواصلًا: «قولي لميا إنني سأبقى في الفِراش. ربما أنزلُ غدًا إذا شعرتُ بتحسُّن. اليوم بارد للغاية في الخارج ورأسي يُؤلِمني. يُمكنكِ أن تشربي الحليب الحُلو أيضًا، وسأقولُ لجرتشل أن تُحضِر لنا قُرص عسل. سننام ونتبادَل القُبلات ونلعب، وستقرأين لي عن الفارس المجنَّح».

– «سأفعلُ، ثلاث حكاياتٍ كما وعدتُ... حين نَبلُغ (بوَّابات القمر)». يكاد صبر إليني ينفد، وقالت لنفسها مذكِّرةً: يجب أن نذهب وإلَّا سنكون فوق مستوى الثُّلوج عند الغروب. «اللورد نستور يُجَهِّز مأدبةً للتَّرحيب بك، حَساء فِطر ولحم غزلان وكعكات. لست تُريد تخييب أمله، أليس كذلك؟».

– «هل ستكون كعكات ليمون؟». يحبُّ اللورد روبرت كعكات اللَّيمون، ربما لأن إليني تحبُّها.

– «كعكات ليمون ليمونيَّة كلُّها ليمون، ويُمكنك أن تأكل منها كما شِئت».

– «مئة؟ هل يُمكنني أن آكل مئةً؟».

قالت: «إذا أردت»، وجلسَت على طرف الفِراش وملَّست على شَعره النَّاعم الطَّويل مفكِّرةً: شَعره جميل حقًّا. اعتادَت الليدي لايسا تمشيطه بنفسها كلَّ ليلةٍ وقصِّه عندما يطول، لكن بَعد سقوطها أصيبَ روبرت بنوبات رجفةٍ عنيفة متى دنا منه أحدهم بمقص، فأمرَهم پيتر بأن يَترُكوا شَعره ينمو. لفَّت إليني خُصلةً حول إصبعها متسائلةً: «والآن هل ستقوم من الفِراش وتَترُكنا نُلبسك؟».

– «أريدُ مئة كعكة ليمون وخمس حكايات!».

أريدُ أن أصفعك على مؤخِّرتك مئة مرَّة وألطمك على وجهك خمس مرَّات. لم تكن لتجرؤ على التَّصرُّف بهذه الطَّريقة لو كان پيتر هنا. الحقيقة أن اللورد الصَّغير يخشى زوج أُمِّه لدرجةٍ لا بأس بها. أرغمَت إليني نفسها على الابتسام قائلةً: «كما يرغب سيِّدي، لكن لا شيء من هذا قبل أن تغتسل وترتدي ثيابك وتبدأ النُّزول. هيا قبل أن يمرَّ الصَّباح»، وأمسكَته بحزمٍ من يده وسحبَته من الفِراش.

لكن قبل أن تستدعي الخادمتين طوَّقها العُصفور الجميل بذراعيه النَّاحلتين وقبَّلها. كانت قُبلة صبيٍّ صغير خرقاء، وكلُّ ما يفعله روبرت آرن

أخرق. إذا أغلقتُ عينَي فيُمكنني التَّظاهُر بأنه فارس الزُّهور. ذات مرَّةٍ أعطى السير لوراس سانزا ستارك وردةً حمراء، لكنه لم يُقَبِّلها... ولا أحد من آل تايرل سيُقَبِّل إليني ستون أبدًا. على الرغم من جَمالها فإنها في النِّهاية ابنة حرام.

إذ مسَّت شفتا الصَّبي شفتيها وجدَت نفسها تُفَكِّر في قُبلةٍ أخرى، ولا تزال تَذكُر كيف شعرَت حين انضغطَ فمه القاسي على فمها، وقد أتى سانزا في الظَّلام بينما تملأ النِّيران الخضراء السَّماء. أخذَ أغنيَّةً وقُبلةً[1] ولم يَترُكْ لي إلَّا معطفًا داميًا.

لا يهمُّ. ذلك الزَّمن انتهى، وكذا سانزا.

أبعدَت إليني اللورد الصَّغير قائلةً: «كفى. يُمكنك أن تُقَبِّلني ثانيةً عندما نصل إلى (بوَّابات القمر)، بشرط أن تفي بكلمتك».

كانت مادي وجرتشل منتظرتين في الخارج، ومعهما المِايستر كولمون الذي غسلَ شَعره من الفضلات وبدَّل رداءه، وظهرَ أيضًا تيرانس وجايلز مُرافقا روبرت اللذان بإمكانهما دومًا أن يشمَّا رائحة المتاعب.

قالت إليني للخادمتين: «اللورد روبرت أقوى الآن. أحضِرا ماءً ساخنًا لحمَّامه لكن احرِصا على ألَّا يسفعه، ولا تشدَّا شَعره في أثناء تمشيط عُقده لأنه يكره هذا». أطلقَ أحد المُرافقيْن ضحكةً شِبه مكتومة، إلى أن قالت: «تيرانس، جهِّز ثياب ركوب حضرة اللورد وأثقل معاطفه. جايلز، يُمكنك تنظيف وعاء الفضلات المكسور».

رَدَّ جايلز جرافتون بامتعاض: «لستُ عاملة نظافة».

قال المِايستر كولمون: «افعل كما تأمر الليدي إليني وإلَّا أخبرتُ لوثور برون»، ثم قطعَ الرُّواق مع إليني ونزلَ معها السَّلالم الملتفَّة، حيث قال لها: «أنا ممتنٌّ لتدخُّلكِ يا سيِّدتي. إنكِ قادرة على التَّعامُل معه»، وتردَّد لحظةً قبل أن يسألها: «هل لاحظتِ رجفةً وأنتِ معه؟».

---

(1) الواقع أن تلك القُبلة التي سمَّاها القرَّاء «اللا قُبلة» لم تَحدُث، ولدى سؤال المؤلِّف عن هذا التَّناقُض أجابَ بأن سانزا راوية لا يُعتمَد عليها في هذه الحالة، وأنه يَترُك التَّفسير للقارئ كما يراه. (المترجم).

- «كانت أصابعه ترتجف بعض الشَّيء حين أمسكتُ يده، هذا كلُّ شيء. يقول إنك وضعت شيئًا كريهًا في حليبه».

ردَّد كولمون: «شيئًا كريهًا؟»، وحدَّق إليها وتحرَّكت تفَّاحة حَلقه إلى أعلى وأسفل، ثم أردفَ: «وضعتُ فقط... هل ينزف من أنفه؟».

- «لا».

غمغمَ: «جيِّد، هذا جيِّد»، وصلصلَت حلقات سلسلته بخفوتٍ إذ أومأَ برأسه النَّابت من رقبته الطَّويلة الرَّفيعة لدرجةٍ سخيفة، وقال: «النُّزول... سيِّدتي، قد يكون الأضمن أن أخلط لحضرة اللورد القليل من حليب الخشخاش. هكذا تستطيع ميا ستون أن تربطه على ظَهر أكثر بغالها ثباتًا بينما يغيب في السُّبات».

- «لا يُمكن أن ينزل سيِّد (العُش) جبله مربوطًا كجوالٍ من الشَّعير». إليني متيقِّنة من هذا، إذ حذَّرها أبوها من أن يدعوا مبلغ هشاشة روبرت وجُبنه يغدو معرفةً مشاعًا. ليته هنا، كان ليعلم ماذا نفعل.

غير أن پيتر بايلش بعيد على الجانب الآخَر من (الوادي)، يحضر زفاف اللورد لايونل كوربراي، وهو أرمل تجاوزَ الأربعين من العُمر وبلا أطفال، وسيتزوَّج ابنةً قويَّة البنية في السَّادسة عشرة لأحد تُجَّار (بلدة النَّوارس) الأغنياء. رتَّب پيتر الزِّيجة بنفسه، ويُقال إن مَهر العروس باهظ، ولا بُدَّ أنه كذلك بالفعل بما أنها من أولاد العامَّة. سيحضر أتباع كوربراي الزِّفاف، بالإضافة إلى اللوردات واكسلي وجرافتون وليندرلي، وبعض اللوردات الصِّغار والفُرسان مُلَّاك الأراضي... واللورد بلمور الذي تصالحَ مع أبيها في الفترة الأخيرة، في حين من المتوقَّع أن يتجنَّب لوردات البيان الآخَرون الزِّفاف، ولذا فحضور پيتر ضروري.

تعي إليني كلَّ هذا جيِّدًا، لكن معناه وقوع عبء إنزال العُصفور الجميل بأمانٍ إلى سفح الجبل على عاتقها هي.

قالت للمِايستر: «اسقِ حضرة اللورد كوبًا من الحليب الحُلو، سيمنعه من الارتجاف خلال رحلة النُّزول».

رَدَّ كولمون معترضًا: «لقد شربَ واحدًا قبل أقل من ثلاثة أيام».

- «وأرادَ آخَر ليلة البارحة، لكنك رفضت».

– «لأن وقتًا كافيًا لم يمضِ. لستِ تفهمين يا سيِّدتي. كما أخبرتُ اللورد الحافِظ، رشَّة واحدة من حُلو الكرى مع الحليب تمنع الرَّجفة، لكن الجسد لا يتخلَّص منه، ومع الوقت...».

– «الوقت لن يهمَّ إذا أصابَت حضرة اللورد نوبة وسقطَ من فوق الجبل. لو أن أبي هنا فأنا واثقة بأنه كان ليقول لك أن تُحافِظ على هدوء اللورد روبرت بأيِّ ثَمن».

– «إنني أحاولُ يا سيِّدتي، لكن النَّوبات تزداد عُنفًا، ودمه خفيف للغاية حتى إنني لم أعُد أجرؤ على أن أعلِّق له العَلق. حُلو الكرى... أأنتِ واثقة بأنه لم ينزف من أنفه؟».

– «كان يتنشَّق، لكنني لم أرَ دمًا».

– «يجب أن أتكلَّم مع اللورد الحافِظ. هذه المأدبة... تُرى أمِن الحكمة أن يحضرها بَعد مجهود النُّزول؟».

طمأنَته قائلةً: «لن تكون مأدبةً كبيرةً. أربعون ضيفًا على الأكثر. اللورد نستور وأهل بيته وفارس البوَّابة وبضع لوردات أدنى شأنًا وحاشيتهم...».

– «تعلمين أن اللورد روبرت لا يحبُّ الغُرباء، وسيكون هناك شُرب وضوضاء... وموسيقى. الموسيقى تُخيفه».

قالت مصحِّحةً: «الموسيقى تُهَدِّئه، خصوصًا القيثارة السَّامية. ما لا يُطيقه هو الغناء منذ قتلَ ماريليون أُمَّه». نطقَت إليني هذه الكذبة مرارًا لدرجة أنها تتذكَّر الموقف هكذا أغلب الوقت بالفعل، أمَّا ما حدثَ حقًّا فلم يَعُد أكثر من حُلم سيِّئ يُقلِق منامها أحيانًا. «اللورد نستور لن يسمح بالغناء خلال المأدبة. ستكون هناك نايات وكمنجات فحسب للرَّقص». ماذا تفعل عندما يبدأ عزف الموسيقى؟ سؤال مزعج لقلبها عدَّة إجابات عنه. سانزا تحبُّ الرَّقص، لكن إليني... «اسقِه كوبًا من الحليب الحُلو قبل أن نذهب وآخَر في أثناء المأدبة ولن تقع متاعب».

قال: «ليكن»، وعندما توقَّفا عند قاعدة السَّلالم أضافَ: «لكن يجب أن يكون الأخير لمدَّة نِصف عام على الأقل».

ردَّت: «يَحسُن أن تقترح هذا على اللورد الحافِظ»، وفتحَت الباب وخرجَت تقطع السَّاحة. تعلم إليني أن كولمون لا يُريد إلَّا الأفضل لعُهدته،

لكن الأفضل لروبرت الصَّبي والأفضل للورد آرن ليسا الشَّيء ذاته دومًا. هذا ما قاله پيتر وهذه هي الحقيقة. لكن المِايستر كولمون مهتمٌّ بالصَّبي فقط، أمَّا أنا وأبي فعلى كاهلنا هموم أكبر.

يكسو الثَّلج القديم السَّاحة، وتتدلَّى كُتل الجليد كحِرابٍ من البلَّور من الشُّرفات والأبراج. (العُش) مبنيَّة بأحجارٍ بيضاء ناعمة، وقد جعلَها غطاء الشِّتاء أكثر بياضًا. جميلة للغاية، منيعة للغاية. ليس بمقدورها أن تحبَّ هذا المكان مهما حاولَت. حتى قبل رحيل الحَرس والخدم كانت القلعة تبدو خاليةً كمقبرة، وبدَت كذلك أكثر بَعد رحيل پيتر بايلش. لا أحد يُغَنِّي هنا منذ ماريليون، ولا أحد يضحك بصوتٍ عالٍ، وحتى الآلهة نفسها صامتة. في (العُش) سِپت لكن لا سِپتون، وأيكة آلهة لكن لا شجرة قلوب. كثيرًا تُفكِّر: لا أدعية تُجاب هنا، وإن كانت أحيانًا تَشعُر بوحدةٍ تحدو بها إلى المحاوَلة. لا يُجيبها هنا إلَّا الرِّيح، تهفُّ بلا نهايةٍ حول الأبراج البيضاء الرَّفيعة السَّبعة وترجُّ (باب القمر) متى هبَّت. وسيكون الوضع أسوأ في الشِّتاء. في الشِّتاء سيكون هذا سجنًا أبيض باردًا.

ومع ذلك تكاد فكرة الرَّحيل تُخيفها مِثلما تُخيف روبرت، والفرق أنها تُجيد إخفاء خوفها. قال أبوها إن لا شيء يُخجِل في الشُّعور بالخوف، إن الخجل يأتي فقط من إبدائه، وأضافَ: «كلُّ البَشر يتعايَشون مع الخوف». ليست إليني واثقةً بأنها تعتقد ذلك، فلا شيء يُخيف پيتر بايلش. لم يقل هذا إلَّا ليُشَجِّعني. عليها أن تكون شُجاعةً في الأسفل، حيث فُرصة افتضاح أمرها أكبر كثيرًا جدًّا. كان أصدقاء پيتر في البلاط قد أبلَغوه بإرسال الملكة رجالًا يبحثون عن العِفريت وسانزا ستارك، وقد ذكَّرت نفسها وهي تنزل سُلَّمًا حجريًّا متجلِّدًا: سأفقدُ رأسي إذا اكتشفوا هُويتَي. يجب أن أكون إليني طيلة الوقت، قلبًا وقالبًا.

وجدَت لوثور برون في غُرفة الرَّافعات يُساعِد مورد السَّجَّان واثنين من الخدم على رَصِّ صناديق الملابس ولفائف الأقمشة في ستَّة دلاءٍ ضخمة من خشب السَّنديان، كلٌّ منها يتَّسع لثلاثة رجال. الرَّافعات ذات السَّلاسل أسهل وسيلةٍ لبلوغ القلعة الفرعيَّة (سماء) الواقعة أسفلهم بستِّمئة قدم، وإلَّا فعليك أن تنزل المدخنة الحجريَّة الطَّبيعيَّة من القبو التَّحتي. أو تُغادِر كما غادرَ ماريليون والليدي لايسا من قبله.

سألَها السير لوثور: «هل قامَ الصَّبي؟».

- «إنه يستحمُّ. سيكون مستعدًّا خلال ساعة».

- «لنأمل هذا. ميا لن تنتظر بَعد انتصاف النَّهار». ليست في غُرفة الرَّافعات تدفئة، فخرجَت كلُّ كلمةٍ منه مصحوبةً بالبُخار.

- «ستنتظر، يجب أن تنتظر».

- «لا تكوني متأكِّدةً هكذا يا سيِّدتي. الفتاة نفسها نِصف بغلة. أظنُّ أنها تُفَضِّل تركنا جميعًا نموت جوعًا قبل أن تُعَرِّض حيواناتها للخطر». ابتسمَ حين قال هذا، ففكَّرت: دائمًا يبتسم عندما يتكلَّم عن ميا ستون. ميا أصغر كثيرًا من السير لوثور، لكن حين كان أبو إليني يتوسَّط في زواج اللورد كوربراي وابنة التَّاجر أخبرَها بأن الفتيات الشَّابَّات يكن أسعد دائمًا مع الرِّجال الأكبر، وقال: «البراءة والخبرة تصنعان زيجةً مثاليَّةً».

تساءلَت إليني عن رأي ميا في السير لوثور. بأنفه العريض وفكِّه المربَّع وشَعره الصُّوفي الأشيب لا يُمكن وصف برون بالوسامة، لكنه ليس قبيحًا كذلك. وجه تقليدي لكنه صادق. على الرغم من تقليده الفُروسيَّة فالسير لوثور وضيع المولد للغاية. في ليلةٍ أخبرَها بأنه قريب لآل برون أولاد (الغور البنِّي)، وهُم عائلة قديمة من الفُرسان من (الرَّأس المتصدِّع)، وباحَ لها قائلًا: «ذهبتُ إليهم عندما ماتَ أبي، لكنهم ازدروني وقالوا إنني لستُ من دمهم». لم يقل ما جرى بَعدها، وذكرَ فقط أنه تعلَّم كلَّ ما يعرفه عن السِّلاح بالطَّريقة الصَّعبة. إنه رجل هادئ حين يكون مفيقًا، لكنه لا يفتقر إلى القوَّة. وبيتر يقول إنه مخلص ويثق به كثيرًا. تحسب إليني أن برون زوج لا بأس به لفتاةٍ نغلة كميا ستون. ربما كان الأمر ليختلف لو أن أباها اعترفَ بها، لكنه لم يفعل، ومادي تقول إنها ليست عذراء أيضًا.

التقطَ مورد سوطه وهوى بضربة، وتحرَّك أول زوجين من الثِّيران بتثاقُلٍ في دائرةٍ لتدور الرَّافعة، وانحلَّت السِّلسلة مصلصلةً إذ احتكَّت بالحجر، وتأرجحَ الدَّلو السَّنديان إذ بدأ نزوله الطَّويل إلى (سماء). ثيران مسكينة. قبل أن يُغادِر مورد سيذبحها ويَترُكها للصُّقور، وما يتبقَّى منها عند إعادة فتح (العُش) سيُشوى من أجل مأدبة الرَّبيع، هذا إذا لم يفسد. تدَّعي جرتشل العجوز أن مخزونًا وافرًا من اللَّحم المتجمِّد يعِد بربيعٍ من الرَّخاء.

قال السير لوثور: «سيِّدتي، الأفضل أن تعلمي أن ميا لم تصعد وحدها. الليدي ميراندا معها».

- «أوه». لِمَ تصعد الجبل لمجرَّد أن تنزله ثانيةً؟ ميراندا رويس ابنة اللورد نستور، وكانت غائبةً في المرَّة الوحيدة التي زارَت فيها سانزا (بوَّابات القمر) في الطَّريق إلى أعلى مع الليدي لايسا واللورد پيتر، لكنها سمعَت الكثير عنها من جنود وخادمات (العُش). ماتَت أمُّها منذ زمنٍ طويل، ولذا تتولَّى الليدي ميراندا أعمال قلعة أبيها، ويُشاع أن وجودها يجعلِ المكان أكثر نشاطًا بكثيرٍ من غيابها، وقد نبَّه پيتر إليني قائلًا: «عاجلًا أو آجلًا ستلتقين ميراندا رويس، وعندما تفعلين فعليكِ بالحذر. إنها تحبُّ لعب دور البلهاء المرحة، لكنها في أعماقها أمكر من أبيها. صوني لسانكِ في حضورها».

سأصونه، لكني لم أتوقَّع أن أفعل بهذه السُّرعة. «سيفرح روبرت». الصَّبي يحبُّ ميراندا رويس. «بَعد إذنك أيها الفارس، يجب أن أنهي حزم أغراضي». وحدها صعدَت الدَّرج إلى غُرفتها للمرَّة الأخيرة. كانت النَّوافذ قد أُوصِدَت وأُسدِلَت ستائرها وغُطِّيَ الأثاث، وقد نُقِلَ بعض حاجياتها بالفعل وخُزِّنَت البقيَّة. تقرَّر أن تبقى جميع ملابس الليدي لايسا المفصَّلة من الحرير والسَّميت، وكذا كلُّ ثوبٍ من الكتَّان الشَّفَّاف والمخمل الفاخر والتَّطريز الفخم وشرائط الزِّينة المايريَّة. هناك بالأسفل على إليني أن ترتدي ثيابًا متواضعةً تليق بفتاةٍ متواضعة. لا يهمُّ. لم أجرؤ على ارتداء أفضل الثِّياب هنا أيضًا.

كانت جرتشل قد خلعَت ملاءات الفِراش ووضعَت عليه بقيَّة ملابسها. تحت تنُّورتها ترتدي إليني بالفعل جوربًا طويلًا من الصُّوف مع طبقتين من الثِّياب الدَّاخليَّة، والآن أضافَت سُترةً من صوف الحِملان ومعطفًا من الفرو مزوَّدًا بقلنسوة ثبَّتته بدبُّوسٍ على شكل طائر مُحاكٍ مطلي بالمينا كان هديَّةً من پيتر. لفَّت عُنقها بوشاحٍ أيضًا، ودسَّت يديها في قُفَّازين من الجِلد المبطَّن بالفرو يتماشيان مع حذائها، ولمَّا ارتدَت كلَّ شيءٍ أحسَّت كأنها بدينة مكسوَّة بالفرو كدُبٍّ صغير. ذكَّرت نفسها قائلةً: على الجبل سيكون هذا من دواعي سروري. ألقَت نظرةً أخيرةً على الغُرفة قبل أن تَخرُج مفكِّرةً: كنتُ آمنةً هنا، لكن بالأسفل...

حين عادَت إليني إلى غُرفة الرَّافعات وجدَت ميا ستون منتظرةً بصبرٍ نافد مع لوثور برون ومورد. لا بُدَّ أنها صعدَت في الدَّلو لترى ما يُؤَخِّرنا. على الرغم من نحولها تبدو ميا متينةً كسراويل الرُّكوب الجِلد التي ترتديها تحت قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة المفضَّضة، ولها شَعر أسود كجناح الغُداف، قصير وأشعث لدرجة أن إليني تظنُّ أنها تقطعه بالخنجر لا المقص. أفضل ملامح ميا عيناها الزَّرقاوان الكبيرتان. من الممكن أن تبدو حسناء إذا ارتدَت ثياب الفتيات. وجدَت إليني نفسها تتساءَل إن كان السير لوثور يحبُّها أكثر وهي ترتدي الحديد والجِلد أم يَحلُم بها مرتديةً الحرير وشرائط الزِّينة. تحبُّ ميا أن تقول إن أباها كان كبشًا وأُمَّها بومةً، لكن إليني سمعَت القصَّة الحقيقيَّة من مادي، والآن تَنظُر إليها مفكِّرةً: نعم، هاتان عيناه، ولها شَعره أيضًا، الشَّعر الأسود الكثيف الذي اشتركَ فيه مع رنلي.

سألَتها النَّغلة: «أين هو؟».

– «حضرة اللورد يستحمُّ ويرتدي ثيابه».

– «يجب أن يُسرِع. الطَّقس يزداد برودةً، ألا تَشعُرين به؟ يجب أن نتجاوَز (ثلج) قبل غروب الشَّمس».

– «ما مدى سوء الرِّيح؟».

ردَّت ميا: «يُمكن أن تكون أسوأ... وستكون كذلك بَعد هبوط الظَّلام»، وأزاحَت خُصلةً نافرةً عن عينها مضيفةً: «إذا قضى وقتًا أطول في الاستحمام فسنبقى حبيسين هنا طيلة الشِّتاء ولا شيء نأكله إلَّا بعضنا بعضًا».

لم تدرِ إليني بِمَ تردُّ، لكن لحُسن الحَظِّ أعفاها وصول روبرت آرن، وقد ارتدى اللورد الصَّغير المخمل الأزرق السَّماوي وسلسلةً من الذَّهب والصَّفِّير ومعطفًا أبيض من فرو الدِّببة، ورفعَ كلٌّ من مُرافِقيْه أحد طرفيه وراءه كي لا يجرَّه على الأرض. اصطحبَهم المِايستر كولمون مرتديًا معطفًا رماديًّا خفيفًا مبطَّنًا بفرو السَّناجب، ولحقَت بهم جرتشل ومادي.

جبنَ روبرت لمَّا شعرَ بالرِّيح على وجهه، وإن حالَ وقوف تيرانس وجايلز وراءه دونه والفِرار، وسألَته ميا: «هلَّا نزلت معي يا سيِّدي؟».

فكَّرت إليني: لهجتها جافَّة للغاية. كان يَجدُر بها أن تُحَيِّيه بابتسامةٍ وتقول له كم يبدو قويًّا شُجاعًا.

قال اللورد روبرت: «أريدُ إليني. لن أذهب مع غيرها».

- «الدَّلو يسع ثلاثةً».

- «أريدُ إليني فقط. أنتِ رائحتكِ سيِّئة كالبغال».

ردَّت ميا بلا تعبيرٍ على وجهها: «كما ترغب».

بعض سلاسل الرَّافعات مربوط بسلالٍ من الخيزران، وبعضها بالدِّلاء السَّنديان القويَّة التي يفوق أكبرها إليني طولًا وتُحيط بأضلاعه البنِّيَّة الدَّاكنة حلقات من الحديد تُثبِّتها معًا، وعلى الرغم من هذا كان قلبها بين قدميها إذ التقطَت يد روبرت وساعدَته على الدُّخول. ما إن انغلقَت الكُوَّة وراءهما أحاطَ بهما الخشب من كلِّ جانبٍ ولم يبقَ إلَّا أعلاهم مفتوحًا. قالت لنفسها: هكذا أفضل، فلا يُمكننا النَّظر إلى أسفل. تحتهما ليس هناك إلَّا (سماء) والسَّماء، ستُّمئة قدمٍ كاملة من السَّماء، وللحظةٍ وجدَت نفسها تتساءَل كم من الوقت استغرقَ سقوط هذه المسافة خالتها وماذا كانت آخِر فكرةٍ تدور بخلدها إذ اندفعَ الجبل إلى أعلى يستقبلها. لا، يجب ألَّا أفكِّر في هذا، يجب!

زعقَ السير لوثور: «هيا!»، ودفعَ أحدهم الدَّلو بقوَّةٍ ليتأرجَح ويميل ويحتكَّ بالأرض ثم يتدلَّى حُرًّا. سمعَت إليني كُرباج مورد يشقُّ الهواء وصلصلة السِّلسلة، ثم بدأ الدَّلو ينزل بهما بحركاتٍ مضطربة متشنِّجة أولًا ثم برفقٍ أكثر. رأت وجه روبرت شاحبًا وعينيه منتفختين، لكن يديه ظلَّتا ثابتتين. تقلَّصت (العُش) من فوقهما، وجعلَت زنازين السَّماء في المستويات الأدنى القلعة تبدو كقُرص عسلٍ من أسفل، ففكَّرت إليني سامعةً صفير الرِّيح حول الدَّلو: قُرص عسلٍ من الجليد، قلعة من الثَّلج.

بَعد نزولهما مئة قدمٍ أصابَت الدَّلو هبَّة مباغتة جعلَته يميل إلى الجانب ودوَّرته في الهواء، ثم صدمَته بقوَّةٍ بوجه الجبل الصَّخري لتنهال عليهما شظايا الجليد والثَّلج ويصرَّ السَّنديان.

شهقَ روبرت وتشبَّث بها دافنًا وجهه بين ثدييها، فقالت إليني شاعرةً به يرتجف: «سيِّدي شُجاع. أنا خائفة للغاية حتى إنني أكادُ أعجزُ عن الكلام، أمَّا أنت فلا».

شعرَت به يومئ برأسه، وقال لصدرها بفخر: «الفارس المجنَّح كان شُجاعًا، وأنا كذلك. إنني من آل آرن».

سألَته: «هلَّا تمسَّك بي عُصفوري الجميل بقوَّة؟»، ولو أن الصَّبي كان متمسِّكًا به بشدَّةٍ بالفعل لدرجة أنها تستطيع التقاط أنفاسها بالكاد.

همسَ: «إذا أردتِ»، وعلى هذه الحال واصَلا الطَّريق المباشر إلى (سماء) بالأسفل.

حين انفتحَت كُوَّة الدَّلو ليَخرُجا داخل القلعة الفرعيَّة فكَّرت إليني: وصف هذا المكان بالقلعة كوصف بِركةٍ على أرض المرحاض بالبُحيرة. ليست (سماء) أكثر من جِدارٍ هلالي الشَّكل من الحجارة القديمة غير المملَّطة يحتوي إفريزًا صخريًّا ومدخل كهفٍ كبير. في الدَّاخل مخازن واسطبلات وقاعة طويلة طبيعيَّة والدِّعامات المنحوتة التي تقود إلى (العُش)، وفي الخارج تتناثَر على الأرض الحجارة والجلاميد المكسورة، ويُمكن صعود الجِدار على منحدَراتٍ من التُّربة المكوَّمة. على ارتفاع ستِّمئة قدم بالأعلى تبدو (العُش) صغيرةً للغاية حتى إنها تستطيع إخفاءها بيدها، لكن بعيدًا بالأسفل يمتدُّ (الوادي) ذهبيًّا وأخضر.

داخل القلعة الفرعيَّة ينتظرهم عشرون بغلًا مع اثنين من سائقي البغال والليدي ميراندا رويس، وقد اتَّضح أن ابنة اللورد نستور قصيرة ممتلئة في سِنِّ ميا ستون، ولكن لئن كانت ميا نحيلةً متينة البنيان فميراندا ليِّنة الجسد وطيِّبة الرَّائحة، ولها وَركان عريضان وخصر ثخين ونهدان عامران، وتصنع خُصلها الكستنائيَّة الغزيرة إطارًا حول وجنتين مستديرتين وفم صغير وعينين بنِّيَّتين مرحتين. حين خرجَ روبرت بحذرٍ من الدَّلو ركعَت في رُقعةٍ من الثَّلج ولثمَت يده وخدَّيه، وقالت: «كم كبرت يا سيِّدي!».

قال روبرت مسرورًا: «حقًّا؟».

ردَّت الليدي كاذبةً: «قريبًا ستصير أطول مني»، ونهضَت نافضةً الثَّلج عن تنُّورتها، وبينما عادَ الدَّلو يرتفع إلى (العُش) خاطبَت إليني قائلةً: «ولا بُدَّ أنكِ ابنة اللورد الحافِظ. لقد سمعتُ أنكِ جميلة، والآن أرى صحَّة هذا».

انحنَت إليني، وقالت: «لُطف من سيِّدتي أن تقول هذا».

ضحكَت الفتاة الأكبر سِنًّا قائلةً: «لُطف؟ اللُّطف ممل. إنني أطمحُ إلى الإثارة. يجب أن تُفصِحي لي عن أسراركِ كلِّها في الطَّريق إلى أسفل. هل تسمحين لي بأن أدعوكِ بإليني؟».

– «إذا أردتِ يا سيِّدتي». لكنكِ لن تنالي مني أسرارًا.

– «أنا «سيِّدتي» في (بوَّابات القمر)، لكن هنا على الجبل تستطيعين دعوتي براندا. كم سِنُّكِ يا إليني؟».

– «أربعة عشر عامًا يا سيِّدتي». كانت قد قرَّرت أن تكون إليني ستون أكبر من سانزا ستارك.

– «راندا. كأن مئة عامٍ مرَّت منذ كنتُ في الرَّابعة عشرة. كم كنتُ بريئةً. أما زلتِ بريئةً يا إليني؟».

تورَّد وجهها، وقالت: «لا يَجدُر بكِ... نعم، بالطَّبع».

سألَتها الليدي ميراندا مداعبةً: «تدَّخرين نفسكِ للورد روبرت؟ أم أن هناك مُرافقًا غيورًا يَحلُم بمحاسنكِ؟».

أجابَت إليني: «لا»، في حين قال روبرت: «إنها صديقتي. ليس لتيرانس وجايلز أن ينالاها».

عندئذٍ كان دلو ثانٍ قد وصلَ وحَطَّ برفقٍ على كومةٍ من الثَّلج المتجلِّد، وخرجَ المِايستر كولمون مع المُرافقيْن تيرانس وجايلز، ثم وصلَ الثَّالث بمادي وجرتشل مع ميا ستون. لم تُبَدِّد الفتاة النَّغلة وقتًا قبل أن تتولَّى القيادة، وقالت لسائقَي البغال الآخَريْن: «لسنا نُريد أن نعلق هنا على الجبل. سآخذُ اللورد روبرت ورفاقه. أوسي، ستنزل بالسير لوثور والآخَرين، لكن اترُكني أسبقك بساعة. كاروت، أنت المسؤول عن الصَّناديق والأقفاص»، والتفتَت إلى روبرت آرن متسائلةً: «أيَّ بغلٍ ستركب اليوم يا سيِّدي؟».

– «كلُّها كريه الرَّائحة. سأركَبُ الرَّمادي ذا الأُذن المقضومة. أريدُ أن تركب إليني معي، وميراندا أيضًا».

– «ليكن، أينما اتَّسع الطَّريق كفايةً. هلمَّ يا سيِّدي، لنضعك على ظَهر بغلك. في الهواء رائحة ثلج».

مرَّ نِصف ساعةٍ آخَر قبل أن يستعدُّوا للتَّحرُّك، ولمَّا امتطى جميعهم البغال ألقَت ميا ستون أمرًا حازمًا ففتحَ اثنان من جنود (سماء) البوَّابة. قادَتهم ميا إلى الخارج ووراءها مباشرةً اللورد روبرت متدثِّرًا بمعطف فرو الدِّببة، وتبعَتهما إليني وميراندا رويس، ثم جرتشل ومادي، ثم تيرانس ليندرلي وجايلز جرافتون، وفي النِّهاية المِايستر كولمون الذي يقود بغلًا ثانيًا محمَّلًا بصناديق الأعشاب والعقاقير.

وراء الجِدار تهبُّ الرِّيح بحدَّة، إذ إنهم فوق مستوى الأشجار هنا ومكشوفون لعوامل التَّعرية. أحسَّت إليني بالامتنان لارتدائها ثيابًا ثقيلةً، وقد راحَ معطفها يخفق بإزعاجٍ من ورائها ودفعَت هبَّة مفاجئة قلنسوتها. ضحكَت، لكن أمامها ببضع ياردات رأت اللورد روبرت يتوتَّر، وقال: «الطَّقس بارد للغاية. يَجدُر بنا أن نعود وننتظر أن يدفأ».

قالت له ميا: «سيكون أدفأ على أرض الوادي يا سيِّدي. سترى حين نصل».

رَدَّ روبرت: «لا أريدُ أن أرى»، لكن ميا لم تُعِره انتباهًا.

طريقهم سلسلة متعرِّجة من الدَّرجات الحجريَّة المنحوتة في جانب الجبل، لكن البغال تحفظ كلَّ بوصةٍ منه، وقد سَرَّ هذا إليني. هنا وهناك الحجارة محطَّمة من ضغط فصولٍ لا تُحصى جمَّدتها وأذابَتها مرارًا، وعلى جانبَي الطَّريق تكسو الصُّخور رُقع الثَّلج البيضاء لدرجةٍ تُعمي. الشَّمس ساطعة والسَّماء زرقاء، وبالأعلى صقور تدور راكبةً الرِّيح.

هنا حيث الجُرف شديد التَّحدُّر تلتفُّ الدَّرجات جيئةً وذهابًا بدلًا من النُّزول إلى أسفل مباشرةً. سانزا ستارك صعدَت الجبل لكن إليني ستون تنزله. وجدَت الخاطر غريبًا. تَذكُر أن في رحلة الصُّعود نبَّهتها ميا إلى إبقاء عينيها على الطَّريق أمامها، وقالت: «انظُري إلى أعلى لا أسفل»... لكن ذلك ليس ممكنًا في أثناء النُّزول. يُمكنني أن أغلق عينَي. البغل يعرف الطَّريق وليس محتاجًا إليَّ. على أن ذلك بدا كشيءٍ تفعله الفتاة الخائفة سانزا، أمَّا إليني فامرأة أكبر سِنًّا وتتحلَّى بشَجاعة النُّغول.

في البداية تحرَّكوا في طابورٍ فردي، لكن بَعد فترةٍ اتَّسع الطَّريق بما يكفي لركوب اثنين جنبًا إلى جنب، فلحقَت بها ميراندا رويس، وببساطةٍ قالت كأنهما جالستان تُمارِسان أشغال الإبرة مع سِبتتهما: «جاءَتنا رسالة من أبيكِ. يقول إنه في طريق العودة، ويأمل أن يرى ابنته العزيزة قريبًا. كتبَ أن لايونل كوربراي يبدو مسرورًا بعروسه، وأكثر سرورًا بالمَهر. آملُ أن يتذكَّر اللورد لايونل مَن يأخذ منهما إلى الفِراش. اللورد پيتر يقول إن الليدي واينوود حضرَت مأدبة الزِّفاف مع فارس (النُّجوم التِّسع) لدهشة الجميع».

– «آنيا واينوود؟ حقًّا؟». يبدو إذن أن عدد لوردات البيان انخفضَ من ستَّةٍ إلى ثلاثة. يوم نزلَ پيتر بايلش الجبل كان واثقًا بكسب سايموند تمپلتون إلى

صفِّه، ولكن ليس الليدي واينوود. سألَت: «أهناك المزيد؟». (العُش) مكان موحش للغاية، وإليني متشوِّقة إلى أيِّ أخبارٍ من العالم الخارجي مهما كانت بسيطةً تافهةً.

– «ليس من أبيكِ، لكن طيورًا أخرى وصلَت إلينا. الحرب مستمرَّة في كلِّ مكانٍ إلَّا هنا. (ريڤررَن) استسلمَت، لكن (دراجونستون) و(ستورمز إند) ما زالَتا صامدتيْن متمسِّكتيْن باللورد ستانيس».

– «كانت حكمة من الليدي لايسا أن تُبقينا خارج الصِّراع».

منحَتها ميراندا ابتسامةً خبيثةً صغيرةً، وقالت: «نعم، سيِّدتنا الكريمة كانت آيةً في الحكمة»، واعتدلَت في جلستها مردفةً: «أيجب أن تكون البغال نحيلةً سيِّئة المزاج؟ ميا لا تُطعِمها كفايةً. ركوب البغال السَّمينة مريح أكثر. هل علمتِ أن هناك سِپتون أعلى جديدًا؟ أوه، وحَرس اللَّيل لهم قائد صبي الآن، ابن نغل ما لإدارد ستارك».

اندفعَت تسأل مندهشةً: «چون سنو؟».

– «سنو؟ نعم، لا بُدَّ أن اسمه سنو على ما أظنُّ».

لم تُفَكِّر في چون منذ دهر. إنه مجرَّد أخٍ غير شقيق، ومع ذلك... بَعد موت روب وبران وريكون لا يبقى لها إخوة إلَّا چون سنو. والآن أنا نغلة أيضًا، مِثله تمامًا. أوه، كم سيكون جميلًا أن أراه مرَّةً أخرى. لكن بالطَّبع لا يُمكن أن يَحدُث ذلك أبدًا، فإليني ستون ليس لها إخوة شرعيُّون أو غير شرعيِّين.

تابعَت ميراندا رويس غير مدركةٍ ما يجول ببالها: «ابن عمومتنا يون البرونزي أقامَ التحامًا جماعيًّا في (رونستون)، واحدًا صغيرًا للمُرافقين فحسب. كان الغرض أن يفوز به هاري الوريث، وقد فعلَ».

– «هاري الوريث؟».

– «ربيب الليدي واينوود، هارولد هاردينج. أظنُّ أن علينا أن ندعوه بالسير هاري الآن. يون البرونزي قلَّده الفُروسيَّة».

– «أوه». شعرَت إليني بالحيرة. لماذا يكون ربيب الليدي واينوود وريثها؟ إن لها أبناءً من ذُرِّيَّتها، أحدهم فارس (البوَّابة الدَّامية) السير دونل. إلَّا أنها لم ترغب في أن تبدو حمقاء، فاكتفَت بقول: «أتمنَّى أن يُثبِت جدارته بالفُروسيَّة».

قالت الليدي ميراندا ساخرةً: «أتمنَّى أن يُصاب بالجُدري. إن له ابنةً نغلةً

من إحدى بنات العوام. كان السيِّد والدي يأمل أن يُزَوِّجني هاري، لكن الليدي واينوود رفضَت تمامًا. لا أدري إن كانت قد وجدَتني غير لائقة أم السَّبب مَهري فحسب»، وزفرَت مضيفةً: «إنني في حاجةٍ إلى زوجٍ آخَر فعلًا. كان لي واحد لكنني قتلته».

سألَتها إليني مصدومةً: «حقًّا؟!».

«أوه، نعم، لقد ماتَ فوقي، في داخلي في الحقيقة. آملُ أنكِ تعرفين ما يَحدُث في فِراش الزَّوجية، أليس كذلك؟».

فكَّرت في تيريون وفي كلب الصَّيد وقُبلته وأومأَت برأسها إيجابًا، ثم قالت: «لا بُدَّ أن هذا كان فظيعًا يا سيِّدتي، أن يموت، أعني هناك... بينما... بينما...».

– «... ينكحني؟»، وهزَّت ميراندا كتفيها قائلةً: «كان هذا مزعجًا بالتَّأكيد، ناهيكِ بافتقاره إلى الكياسة. إنه لم يتحلَّ بلُطف أن يزرع طفلًا في داخلي حتى. المسنُّون نُطفتهم ضعيفة، وهأنذي أرملة لكن مستعمَلة بالكاد. كان يُمكن أن يجد هاري زوجةً أسوأ بكثير، وأتصوَّرُ أنه سيفعل. على الأرجح ستُزَوِّجه الليدي واينوود إحدى حفيداتها أو حفيدات يون البرونزي».

قالت إليني متذكِّرةً تحذير پيتر: «كما تقولين يا سيِّدتي».

– «راندا. هيا، يُمكنكِ أن تقوليها. رانـ–دا».

– «راندا».

– «هذا أفضل. أخشى أن عليَّ أن أعتذر إليكِ. أعرفُ أنكِ ستحسبينني فاسقةً، لكنني ضاجعتُ ذلك الفتى الوسيم ماريليون. لم أكن أعلمُ أنه وحش. كان غناؤه جميلًا ويستطيع أن يفعل أحلى الأشياء بأصابعه. ما كنتُ لآخذه إلى الفِراش إطلاقًا لو عرفتُ أنه سيدفع الليدي لايسا من (باب القمر). إنني –كمبدأ– لا أضاجعُ الوحوش»، وتفرَّست ميراندا في وجه إليني وصدرها، وتابعَت: «أنتِ أجمل مني، لكن ثديَي أكبر. المِايسترات يقولون إن الأثداء الكبيرة لا تدرُّ لبنًا أكثر من الصَّغيرة، لكنني لا أصدِّق هذا. هل عرفتِ مُرضِعةً بثديين صغيرين من قبل؟ ثدياك كبيران بالنِّسبة إلى فتاةٍ في سِنِّكِ، لكن ما داما ثديَي نغلة فلن أشغل بالي بهما»، ودنَت أكثر ببغلها سائلةً: «هل تعلمين أن عزيزتنا ميا ليست بِكرًا؟».

تعلم. ذات مرَّةٍ حين جلبَت لهم ميا المؤن من أسفل همسَت لها مادي البدينة بالسِّر. «مادي أخبرَتني».

– «طبعًا أخبرَتكِ. إن لها فمًا كبيرًا كفخذيها، وفخذاها هائلتان! مايكل ردفورت هو من فعلَها معها. كان مُرافق لين كوربراي وقتها، مُرافقًا حقيقيًّا وليس كالجلف الذي يُرافِق السير لين الآن ويقولون إنه قبلَه في سبيل المال فحسب. مايكل كان أفضل مُبارزٍ شاب في (الوادي) كلِّه، وشهمًا... أو أن هذا ما حسبَته المسكينة ميا إلى أن تزوَّج واحدةً من بنات يون البرونزي. إنني واثقة بأن اللورد هورتون لم يُعطِه خيارًا، لكنه ما زالَ تصرُّفًا قاسيًا في حَقِّ ميا».

قالت إليني: «السير لوثور مغرم بها»، ورمقَت فتاة البغال التي تسبقهما بعشرين درجةٍ مضيفةً: «أكثر من مغرم».

رفعَت ميراندا حاجبًا متسائلةً: «لوثور برون؟ هل تعرف؟»، ولم تنتظر جوابًا، وأردفَت: «لا أمل لهذا المسكين. أبي حاولَ تزويج ميا لكنها تَرفُضهم جميعًا. إنها نِصف بغلة».

رغمًا عنها وجدَت إليني نفسها تحسُّ بالوُدِّ نحو الفتاة الأخرى. إنها لم تحظَ بصديقةٍ تتبادَل معها القيل والقال منذ چين پوول المسكينة. سألَت الفتاة التي تكبَرها سِنًّا وتبدو عليمةً بالعالم: «هل تظنِّين أن السير لوثور يحبُّها كما هي في الحلقات المعدنيَّة والجِلد أم يَحلُم بها ترفل في الحرير والمخمل؟».

– «إنه رجل، أي أنه يَحلُم بها عاريةً».

تُحاول أن تجعل وجهي يتورَّد ثانيةً.

لا بُدَّ أن الليدي ميراندا سمعَت أفكارها، إذ قالت: «إنكِ تتخضَّبين بدرجةٍ جميلة من الوردي حقًّا. عندما يتورَّد وجهي أبدو كتفَّاحة، لكنه لم يتورَّد منذ سنوات»، ومالَت عليها متسائلةً: «هل ينوي أبوكِ الزَّواج ثانيةً؟».

– «أبي؟». لم تُفَكِّر إليني في ذلك، وبشكلٍ ما وتَّرتها الفكرة، ووجدَت نفسها تتذكَّر التَّعبير على وجه لايسا آرن إذ هوَت من (باب القمر).

قالت ميراندا: «كلُّنا نعلم كم كان مخلصًا لليدي لايسا، ولكن لا يجوز أن يظلَّ حزينًا عليها إلى الأبد. إنه في حاجةٍ إلى زوجةٍ شابَّة حسناء تغسل أحزانه. أظنُّ أنه يستطيع اختيار مَن يشاء من نِصف عذارى (الوادي) النَّبيلات، فهل

من زوجٍ أفضل من لوردنا الحافِظ الجريء؟ وإن كنتُ أتمنَّى لو أن له اسمًا أفضل من الإصبع الصَّغير. صغير لأيِّ درجة؟ هل تعرفين؟».

عادَ وجهها يتورَّد، وقالت: «إصبعه؟ لا... إنني لم...».

أطلقَت الليدي ميراندا ضحكةً صاخبةً دفعَت ميا ستون إلى النَّظر إليهما من فوق كتفها، وقالت: «لا عليكِ يا إليني، إنني واثقة بأنه كبير بما فيه الكفاية».

مرُّوا من تحت قنطرةٍ نحتَتها الرِّيح، حيث تتدلَّى كُتل الجليد من الحجارة الشَّاحبة ويَقطُر منها الماء عليهم. على الجانب الآخَر يضيق الطَّريق وينحدر بحدَّةٍ لمئة قدم أو أكثر، فتراجعَت ميراندا مرغمةً وسلَّمت إليني القيادة لبغلها، ودفعَتها شدَّةُ انحدار هذه المرحلة من الرِّحلة إلى التَّشبُّث بسَرجها بقوَّة. الدَّرجات هنا متآكلة بفعل حدوات كلِّ البغال التي وطأَتها، إلى أن أصبحَت تُحاكي سلسلةً من التَّجاويف الحجريَّة الضَّحلة التي يملأ الماء قِيعانها ملتمعًا بالذَّهبي في شمس الأصيل. إنه ماء الآن، لكن مع حلول الظَّلام سيتحوَّل كلُّه إلى جليد. انتبهَت إليني إلى أنها تحبس أنفاسها فأطلقَتها. الآن تُوشِك ميا ستون واللورد روبرت على بلوغ القمَّة الصَّخريَّة المستدقَّة التي يستوي عندها المنحدَر من جديد، فحاولَت أن تَنظُر إليهما وإليهما فقط قائلةً لنفسها: لن أسقط، بغل ميا سيَعبرُ بي. صدحَت الرِّيح من حولها وهي تنزل متخبِّطةً درجةً درجةً، وبدا لها كأن هذا الجزء استغرقَ عُمرًا كاملًا.

وفجأةً صارَت في قاع المنحدَر مع ميا واللورد الصَّغير المنكمش تحت قمَّةٍ صخريَّة محزَّزة. أمامهم يمتدُّ سِناد حجري مرتفع ضيِّق يكسوه الجليد، وإذ سمعَت إليني الرِّيح تَصرُخ وشعرَت بها تشدُّ معطفها تذكَّرت هذه البُقعة من رحلة الصُّعود، وقد أخافَتها حينئذٍ وتُخيفها الآن. كانت ميا تقول للورد روبرت بنبرةٍ مرحة: «إنه أوسع مما يبدو، عرضه ياردة وطوله ليس أكثر من ثمان ياردات، هذا لا شيء».

ردَّد روبرت: «لا شيء»، وكانت يده ترتجف.

أوه، لا، أرجوك، ليس هنا، ليس الآن.

– «الأفضل أن نقود البغال مترجِّلين. بَعد إذن سيِّدي سأعبرُ ببغلي أولًا ثم أعودُ لأعبر بك»، لكن اللورد روبرت لم يُجِب وظَلَّ يُحَدِّق إلى السِّناد الضيِّق بعينيه المحمرَّتين، فوعدَته ميا قائلةً: «لن أتأخَّر يا سيِّدي»، وإن شكَّت إليني في أن الصَّبي سمعَها من الأصل.

حين خرجَت النَّغلة ببغلها من تحت القمَّة المستدقَّة أطبقَت عليها الرِّيح بأسنانها، وارتفعَ معطفها يتلوَّى ويُرَفرِف في الهواء، وترنَّحت ميا وبدا لأقلَّ من لحظةٍ أن الرِّيح ستُلقيها في الهاوية، لكنها استعادَت توازُنها بوسيلةٍ ما وواصلَت طريقها.

أمسكَت إليني يد روبرت المقفَّزة لتمنعه من الارتجاف، وقالت: «عُصفوري الجميل، إنني خائفة. أمسِك يدي وساعِدني على العبور. أعلمُ أنك لست خائفًا».

رمقَها ببؤبؤيْن كثُقبين داكنين في عينين متَّسعتين مبيضَّتين كالبيض، وقال: «لستُ خائفًا؟».

- «ليس أنت. أنت فارسي المجنَّح أيها السير العُصفور الجميل».

همسَ روبرت: «الفارس المجنَّح كان يستطيع الطَّيران».

ردَّت: «أعلى من الجبال»، واعتصرَت يده.

كانت الليدي ميراندا قد انضمَّت إليهما عند القمَّة المستدقَّة، ولمَّا رأت ما يَحدُث ردَّدت: «كان يستطيع الطَّيران حقًّا».

قال اللورد روبرت: «السير العُصفور الجميل»، وأدركَت إليني أنها لا تستطيع انتظار رجوع ميا، وهكذا ساعدَت الصَّبي على التَّرجُّل، وبيدين متعانقتين خرجا إلى السِّناد الحجري العاري بمعطفين يخفقان ويتلوَّيان من ورائهما، لا يُحيط بهما إلَّا الهواء الفارغ والسَّماء، وعلى الجانبين الأرض بعيدة بعيدة، وتحت أقدامهما جليد وحجارة مكسَّرة تنتظر أن يتعثَّر فيها أحدهم ويلتوي كاحله. كانت الرِّيح تعوي بشراسة، ففكَّرت سانزا: كأنه صوت ذئب، ذئب شبحي جبَّار كالجبال.

ثم إذا بهما على الجانب الآخَر. ضحكَت ميا ستون ورفعَت الصَّبي محتضنةً إياه، فقالت لها إليني: «احترسي، يُمكنه أن يُؤذيك عندما يُلَوِّح بأطرافه. لستِ تظنين هذا لكنه يستطيع». وجدا مكانًا له في صدع في الصَّخر يقيه من الرِّيح الباردة، واعتنَت إليني به حتى انقضَت الرَّجفة، فيمَّا عادَت ميا لمساعَدة الآخَرين على العبور.

في (ثلج) وجدوا بغالًا جديدةً في انتظارهم، ووجبةً ساخنةً من يخنة الماعز والبصل. أكلَت إليني مع ميا وميراندا، وقالت لها الثَّانية: «أنتِ شُجاعة علاوةً على حُسنكِ».

جعلَت المجامَلة وجهها يتورَّد مجدَّدًا، وقالت: «لا، لستُ شُجاعةً. كنتُ خائفةً. لا أظنُّ أنني كنتُ لأقوى على العبور دون اللورد روبرت»، والتفتَت إلى ميا ستون قائلةً: «كدتِ تَسقُطين».

ردَّت ميا التي نزلَ شَعرها على وجنتها مخفيًا عينها: «أنتِ مخطئة. إنني لا أسقطُ أبدًا».

– «قلتُ كدتِ. لقد رأيتكِ. ألم تكوني خائفةً؟».

هزَّت ميا رأسها نفيًا مجيبةً: «أذكرُ رجلًا يُلقيني في الهواء وأنا صغيرة للغاية، يقف طويلًا كالسَّماء ويُلقيني عاليًا جدًّا فأشعرُ كأنني أطيرُ، وكلانا يضحك، يضحك بقوَّةٍ لدرجة أنني أكادُ لا أستطيعُ التقاط أنفاسي، وأخيرًا يتعالي ضحكي حتى إنني أبلِّلُ ثيابي، فيجعله هذا يضحك أكثر وأكثر. لم أشعر بالخوف قَطُّ بينما يُلقيني، وكنتُ أعرفُ أنه سيكون موجودًا دومًا ليلتقطني»، وأزاحَت شَعرها النَّافر متابعةً: «وفي يوم لم يَعُد موجودًا. الرِّجال يأتون ويذهبون، يكذبون أو يموتون أو يَترُكونكِ. لكن الجبل ليس رجلًا، والحجارة ابنة الجبل. إنني أثقُ بأبي وأثقُ ببغالي ولن أسقط»، ووضعَت يدها على صخرةٍ محزَّزة ونهضَت مستطردةً: «أنهيا طعامكما. ما زالَ طريقنا طويلًا وأشمُّ رائحة عاصفة».

بدأت الثُّلوج تَسقُط لدى خروجهم من (حجر)، أكبر وأدنى القلاع الفرعيَّة الثَّلاث التي تُدافِع عن الطَّريق إلى (العُش). كان الغسق ينتشر وقتها، واقترحَت الليدي ميراندا أن يعودوا أدراجهم ويقضوا اللَّيل في (حجر) ثم يستأنفوا النُّزول مع شروق الشَّمس، إلَّا أن ميا رفضَت قائلةً: «ربما يكون عُمق الثُّلوج خمسة أقدام عندها، وستكون الدَّرجات خدَّاعةً حتى بالنِّسبة إلى البغال. الأفضل أن نُواصِل الطَّريق. سنتحرَّك ببُطء».

وقد كان. أسفل (حجر) الدَّرجات أعرض وأقلُّ انحدارًا، تتخلَّل أشجار الصَّنوبر والحارس الطَّويلة التي تكسو منحدَرات (رُمح العملاق) السُّفلى، كما يبدو أن بغال ميا تعرف كلَّ جذرٍ وصخرةٍ في الطَّريق إلى أسفل، وكلُّ ما تنساه الدَّواب تتذكَّره الفتاة.

كان نِصف اللَّيل قد مَرَّ بالفعل عندما أبصَروا أضواء (بوَّابات القمر) من خلال الثَّلج المتساقط، وكانت المرحلة الأخيرة من رحلتهم الأكثر هدوءًا

وسلامًا. سقطَ الثَّلج بوتيرةٍ ثابتة مغلِّفًا العالم بالأبيض، وغابَ العُصفور الجميل في النَّوم فوق سَرجه وراحَ يتمايَل إلى الأمام والخلف مع حركة بغله، وحتى الليدي ميراندا بدأت تتثاءَب وتشتكي من الإرهاق، وقالت لإليني: «جهَّزنا مساكن لكم جميعًا، لكن يُمكنكِ أن تُشارِكيني فِراشي اللَّيلة. إنه يسع أربعة».

– «سيكون هذا من دواعي شَرفي يا سيِّدتي».

– «راندا. اعتبري نفسكِ محظوظةً لأنني متعَبة. لستُ أريدُ إلَّا الخلود إلى النَّوم، لكن عادةً عندما تُشارِكني الفتيات الفِراش فعليهن أن يدفعن ضريبة الوسادة ويُخبِرنني بالأشياء المثيرة التي فعلنَها».

– «وماذا لو لم يفعلن أشياء مثيرةً؟».

أجابَت ميراندا: «عليهن إذن أن يعترفن بالأشياء المثيرة التي يُردن أن يفعلنها. ليس أنتِ بالطَّبع. إنني أرى عفَّتكِ بمجرَّد النَّظر إلى وجنتيك المتورِّدتين هاتين وعينيك الزَّرقاوين الكبيرتين»، وعادَت تتثاءَب، ثم أضافَت: «آملُ أن قدميكِ دافئتان. أكرهُ رفيقات الفِراش باردات الأقدام».

حين وصلوا إلى قلعة أبيها أخيرًا كانت الليدي ميراندا قد أخذَها الوسن أيضًا وإليني تَحلُم بالفِراش قائلةً لنفسها: سيكون فِراشًا بحشيَّةٍ من الرِّيش، ناعمًا ودافئًا ووثيرًا وعليه كومة من الأغطية الفرو. سأرى حُلمًا جميلًا ولمَّا أستيقظُ سأسمعُ كلابًا تنبح ونسوةً يتبادَلن النَّميمة عند البئر وسيوفًا تصلُ في السَّاحة، ولاحقًا ستُقام مأدبة فيها موسيقى ورقص. كم تحنُّ إلى الصِّياح والضَّحك بَعد صمت (العُش) المميت.

لكن بينما ترجَّل الرَّاكبون عن بغالهم خرجَ أحد حُرَّاس پيتر من الحصن قائلًا لها: «ليدي إليني، اللورد الحافِظ في انتظاركِ».

سألَته مبغوتةً: «هل عادَ؟».

– «في المساء. ستجدينه في البُرج الغربي».

السَّاعة أدنى إلى الفَجر من الغسق وأكثر أهل القلعة نيام، ولكن ليس پيتر بايلش الذي وجدَته إليني جالسًا إلى جوار نارٍ تُطَقطِق ويشرب النَّبيذ المتبَّل السَّاخن مع ثلاثة رجالٍ لا تعرفهم. نهضوا جميعًا لدى دخولها، وابتسمَ لها پيتر بدفءٍ قائلًا: «إليني، تعالي وقبِّلي أباكِ».

عانقَته بطاعةٍ وطبعَت قُبلةً على خدِّه، ثم قالت: «آسفةٌ لتطفُّلي يا أبي. لم يُخبِرني أحد بأن معك رفاقًا».

- «لستِ تتطفَّلين أبدًا يا حُلوتي. كنتُ أحكي لهؤلاء الفُرسان الكرام لتوِّي عن ابنتي المطيعة».

قال فارس شاب أنيق ينسدل شَعره الأشقر الكثيف متجاوزًا كتفيه: «مطيعة وجميلة».

- «أجل»، قال الفارس الثَّاني، وهو رجل متين البنيان له لحية كثَّة وخطَها الشَّيب وأنف أحمر منتفخ تلوح زُرقة عروقه المكسورة ويدان خشنتان كبيرتان كأفخاذ الخنازير. «لم تَذكُر هذا الجزء يا سيِّدي».

- «كنتُ لأفعل المِثل لو كانت ابنتي، تحديدًا في وجود أمثالنا من الأجلاف»، قال الفارس الثَّالث ذو القامة القصيرة والقوام النَّحيل والابتسامة المعوجَّة والأنف المدبَّب والشَّعر البُرتقالي الثَّائر.

ضحكَت إليني، وقالت مداعبةً: «أأنتم أجلاف؟ حسبتُ ثلاثتكم فُرسانًا باسلين».

قال پيتر: «هُم فُرسان، أمَّا بسالتهم فما زالَ عليهم إثباتها، لكن لنأمل خيرًا. اسمحي لي بتقديم السير بايرون والسير مورجارث والسير شادريك. أيها الفُرسان، هذه إليني ابنتي الطَّبيعيَّة شديدة الذَّكاء... والتي يجب أن أتحدَّث معها إذا تفضَّلتم وسمحتم لنا».

انحنى الفُرسان الثَّلاثة وانسحَبوا، ولو أن الطَّويل الأشقر لثمَ يدها قبل أن يُغادِر، ثم سألَت إليني بَعدما انغلقَ الباب: «فُرسان متجوِّلون؟».

- «فُرسان جائعون. رأيتُ أن الأفضل أن يُحيط بنا المزيد من المسلَّحين. الأيام تزداد إثارةً للاهتمام يا حُلوتي، وعندما تُثير الأيام اهتمام المرء فلا شيء اسمه الإسراف في الحماية. (ملك البحار) رجعَت إلى (بلدة النَّوارس)، وأوزويل العجوز عادَ ببضع حكايات».

لم تسأله عن كنه تلك الحكايات، فلو أرادَها پيتر أن تعلم لأخبرَها. قالت: «لم أتوقَّع عودتك بهذه السُّرعة. إنني مسرورة لأنك أتيت».

رَدَّ: «ما كنتُ لأخمِّن هذا من قُبلتكِ»، وجذبَها إليه وأمسكَ وجهها بيديه وقبَّلها على شفتيها طويلًا، ثم قال: «هذه هي القُبلة التي تقول للمرء: مرحبًا بعودتك. احرِصي على هذا المرَّة القادمة».

قالت شاعرةً بالحُمرة تصبغ وجهها: «نعم يا أبي».

قال وقد قرَّر التَّغاضي عن قُبلتها الفاترة: «لن تُصَدِّقي نِصف ما يجري في (كينجز لاندنج) يا حُلوتي. سرسي تزلُّ من حماقةٍ إلى أخرى بمساعَدة مجلسها المكوَّن من الصُّمِّ والبُله والعُمي. لطالما توقَّعتُ أن تُفقِر البلاد وتُدَمِّر نفسها، لكنني لم أخال قَطُّ أن تفعلها بهذه السُّرعة! أمر مزعج حقًّا. لقد أملتُ أن أحظى بأربعة أو خمسة أعوام لأزرع بعض البذور وأترك بعض الثِّمار يَنضُج، لكن الآن... من الجيِّد أنني أتغذَّى على الفوضى. أخشى أن القدر القليل من السَّلام والنِّظام اللذين تركَهما لنا الملوك الخمسة لن يدوما طويلًا في ظِلِّ الملكات الثَّلاث».

ردَّدت حائرةً: «الملكات الثَّلاث؟».

اختارَ پيتر ألَّا يُفَسِّر، وبدلًا من ذلك ابتسمَ قائلًا: «جلبتُ لفتاتي الغالية هديَّةً».

تساوى سرور إليني بدهشتها، وسألَته: «أهو فُستان؟». كانت قد سمعَت أن في (بلدة النَّوارس) خيَّاطاتٍ بارعات، كما أنها سئمَت من ارتداء الثِّياب التَّقليديَّة.

- «شيء أفضل. خمِّني ثانيةً».

- «جواهر؟».

- «لا جوهرة تُداني جَمال عينَي ابنتي».

- «ليمون؟ هل عثرت على ليمون؟». لقد وعدَت العُصفور الجميل بكعك اللَّيمون، وكعك اللَّيمون يتطلَّب ليمونًا.

سحبَها پيتر بايلش من يدها وأجلسَها في حِجره قائلًا: «اتَّفقتُ لكِ على زيجة».

- «زيجة...». شعرَت بحَلقها يضيق. إنها لا تُريد الزَّواج ثانيةً، ليس الآن، وربما أبدًا. «لستُ... لا يُمكنني أن أتزوَّج. أبي، إنني...»، ورمقَت إليني الباب لتستوثق من إغلاقه، ثم همسَت: «إنني متزوِّجة بالفعل، أنت تعرف هذا».

وضعَ پيتر إصبعًا على شفتيها يُسكِتها، وقال: «القزم تزوَّج ابنة ند ستارك لا ابنتي، لكن بغَضِّ النَّظر عن هذا، هذه مجرَّد خطبة، أمَّا الزَّواج فعليه أن ينتظر

إلى أن ينتهي أمر سرسي وتترمَّل سانزا، ثم إن عليكِ أن تلتقي الفتى وتحظي بقبوله. الليدي واينوود لن تجعله يتزوَّج رغم إرادته، وقد شدَّدت على هذا بمنتهى الحزم».

تساءلَت إليني عاجزةً عن التَّصديق: «الليدي واينوود؟ لماذا تُزَوِّج أحد أبنائها بـ... بـ...».

– «...نغلة؟ بدايةً أنتِ ابنة اللورد الحافِظ، لا تنسي. واينوود عائلة عريقة للغاية وأبيَّة للغاية، وإن لم تكن بالثَّراء الذي يحسبه المرء، كما اكتشفتُ عندما بدأتُ شراء ديونها. على أن هذا لا يعني أن الليدي آنيا قد تبيع ابنًا لها مقابل الذَّهب، أمَّا إذا كان ربيبًا... هاري الشَّاب مجرَّد ابن عمومة، والمَهر الذي عرضته على حضرة الليدي أكبر من الذي قبضَه لايونل كوربراي لتوِّه. كان يجب أن يكون كذلك كي تُخاطِر بإغضاب يون البرونزي، لأن هذه الزِّيجة تُفسِد خُططه. أنتِ موعودة لهاري هاردينج يا حُلوتي، شريطة أن تظفري بقلبه الغرير... وهو ما لن يستعصي عليكِ».

– «هاري الوريث؟». حاولَت إليني أن تتذكَّر ما أخبرَتها به ميراندا عنه على الجبل، ثم قالت: «لقد قُلِّدَ الفُروسيَّة، وله بنت نغلة من فتاةٍ من العامَّة».

– «وطفل آخَر في الطَّريق من واحدةٍ أخرى. لا شَكَّ أن هاري يُجيد الإغواء. شَعره رملي ناعم وعيناه زرقاوان عميقتان وتظهر غمَّازتاه حين يبتسم، ويُقال لي إنه شهم للغاية أيضًا»، وداعبَها پيتر بابتسامةٍ متابعًا: «نغلة أو غير نغلة يا حُلوتي، عندما تُعلَن الخطبة ستكونين محطَّ حسد كلِّ فتاةٍ من النُّبلاء في (الوادي)، وبعض بنات أراضي النَّهر و(المرعى) أيضًا».

حائرةً سألَته إليني: «لماذا؟ السير هارولد... كيف يكون وريث الليدي واينوود؟ أليس لها أبناء من دمها؟».

أجابَ پيتر: «ثلاثة، وبنات وأحفاد أيضًا».

سألَته إليني ورائحة النَّبيذ في أنفاسه تتناهى إلى أنفها ممتزجةً بجوز الطِّيب والقرنفل: «ألن يسبقوا هاري؟ لا أفهمُ».

– «ستفهمين. أنصِتي»، والتقطَ پيتر يدها ومرَّر إصبعه بخفَّةٍ على راحتها مردفًا: «اللورد چاسپر آرن، لنبدأ به. إنه أبو چون آرن، وقد أنجبَ ثلاثة أولاد، ابنين وبنتًا. كان چون الأكبر، فورثَ (العُش) واللورديَّة، وتزوَّجت أخته آليس

السير إليس واينوود عمُّ الليدي واينوود الحاليَّة»، وارتسمَ الامتعاض على وجهه إذ تابعَ: «إليس وآليس، أليس هذا طريفًا؟ ابن اللورد چاسپر الأصغر، السير رونل آرن، تزوَّج فتاةً من عائلة بلمور، لكنه لم يُعاشِرها إلَّا مرَّةٍ أو مرَّتين قبل أن يموت بمرضٍ في البطن. كان ابنه إلبرت يُولَد في فِراشٍ بينما يُحتضَر رونل المسكين في فِراشٍ آخَر في غُرفةٍ مجاورة. أأنتِ منتبهة يا حُلوتي؟».

– «نعم، كان هناك چون وآليس ورونل، لكن رونل ماتَ».

– «عظيم. والآن، چون آرن تزوَّج ثلاث مرَّات، لكن أول زوجتين لم تُنجِبا له أطفالًا، ولذا ظَلَّ إلبرت ابن أخيه وريثه سنواتٍ طويلة. في تلك الأثناء كان إليس يُمارِس واجباته الزَّوجيَّة مع آليس التي وضعَت طفلًا كلَّ عام، وأنجبَت له تسعة أولاد، ثماني فتياتٍ وصبيًّا عزيزًا واحدًا اسمه هو الآخَر چاسپر، ثم ماتَت وقد خارَت قُواها. كان چاسپر الصَّبي غافلًا عن الجهود البطوليَّة التي بُذِلَت من أجل المجيء به إلى الحياة، وفي سِنِّ الثَّالثة رفسَه حصان في رأسه، وبَعدها بفترةٍ قصيرة فتكَ الجُدري باثنتين من أخواته تاركًا ستَّ أخوات. الكُبرى تزوَّجت السير دينس آرن، ابن عمومةٍ بعيد لسادة (العُش). لعائلة آرن فروع عدَّة مبعثرة هنا وهناك في (الوادي)، كلُّها يتحلَّى بالكبرياء ويعوزه المال، باستثناء فرع آرن في (بلدة النَّوارس) الذي تمتَّع أولاده بالعقل وتزوَّجوا تُجَّارًا. إنهم أغنياء لكنهم يفتقرون إلى الطِّباع الحميدة، ولذا لا يتكلَّم أحد عنهم. كان السير دينس ينحدر من أحد الفروع الفخور الفقيرة... لكنه كان مُنازلًا ذائع الصِّيت أيضًا ووسيمًا وشُجاعًا وينضح كياسةً، وتمتَّع كذلك باسم آرن السِّحري الذي جعلَه زوجًا مثاليًّا لأكبر فتيات واينوود. هكذا يكون أولادهم من آل آرن وورثة (الوادي) التَّالين إذا أصابَ إلبرت سوء، وما حدثَ أن الملك المجنون إيرس أصابَ إلبرت. هل تعرفين هذه القصَّة؟».

تعرفها. «الملك المجنون قتلَه».

– «بالفعل، وسرعان ما تركَ السير دينس زوجته الحُبلى ابنة واينوود ليذهب إلى الحرب. ماتَ دينس في معركة الأجراس بجُرعةٍ مفرطة من الشَّجاعة وضربة فأس، وحين أبلَغوا زوجته بموته ماتَت بدورها من الحُزن وتبعَها ابنها حديث الولادة بَعد فترةٍ قصيرة. لا يهمُّ. كان چون آرن قد حصلَ لنفسه على زوجةٍ شابَّة في أثناء الحرب، زوجةٍ يثق بخصوبتها. إنني واثق

بأن أمله كان كبيرًا، لكن كلينا يعلم أن كلَّ ما نالَه من لايسا كان الإجهاض والإملاص وعُصفورنا الجميل المسكين. وهو ما يُعيدنا إلى بنات إليس وآليس الخمس المتبقِّيات. الكُبرى شوَّهها الجُدري الذي قتلَ شقيقتيها، فأصبحَت سِپتة. واحدة أخرى أغواها مرتزِق، فطردَها السير إليس وانضمَّت إلى الأخوات الصَّامتات بَعد أن ماتَ نغلها في بطنها. الثَّالثة تزوَّجت سيِّد (جزيرة التَّلَّين) لكن اتَّضح أنها عاقر. الرَّابعة كانت في طريقها إلى أراضي النَّهر لتتزوَّج واحدًا ما من أبناء عائلة براكن عندما اختطفَتها قبيلة الرِّجال المحروقين. هكذا تبقى الصُّغرى التي تزوَّجت فارسًا من مُلَّاك الأراضي في خدمة آل واينوود، وأنجبَت له ابنًا سمَّته هارولد ثم ماتَت»، ودوَّر پيتر يدها وطبعَ قُبلةً خفيفةً على معصمها، وسألَها: «أخبِريني إذن يا حُلوتي، ما الذي يجعل هاري الوريث إذن؟».

اتَّسعت عيناها، وقالت: «إنه ليس وريث الليدي واينوود، بل وريث روبرت. إذا ماتَ روبرت...».

قاطعَها پيتر مقوِّسًا حاجبه: «عندما يموت روبرت. عُصفورنا الجميل الشُّجاع صبيٌّ سقيم بشدَّة. إنها مسألة وقتٍ لا أكثر. عندما يموت روبرت يُصبِح هاري الوريث اللورد هارولد حامي (الوادي) وسيِّد (العُش). حمَلة راية چون آرن لن يحبُّوني أبدًا، ولا روبرت السَّخيف الرَّاجف، لكنهم سيحبُّون صقرهم الصَّغير... وحين يجتمعون معًا لحضور زفافه وتَخرُجين بشَعركِ الكستنائي الطَّويل مرتديةً معطف عذراءٍ لونه أبيض ورمادي ومطرَّز على ظَهره الذِّئب الرَّهيب... عندها سيتعهَّد كلُّ فارسٍ في (الوادي) بسيفه ليستردَّ لك حقَّكِ بالميلاد. هذه إذن هداياي لكِ يا عزيزتي سانزا... هاري، و(العُش)، و(وينترفل). ألا يستحقُّ هذا قُبلةً أخرى؟».

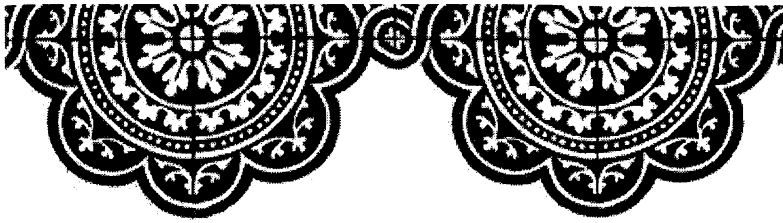

بِريان

قالت لنفسها: هذا حُلم شرِّير، لكن إذا كان حُلمًا فلِمَ الألم الممضُّ؟

كَفَّ المطر عن الهطول، إلَّا أن العالم بأكمله بليل. تَشعُر بمعطفها ثقيلًا كقميصها المعدني، والحبل الذي يُكَبِّل رُسغيها متشبِّع تمامًا بالماء الذي جعلَه أضيق وأضيق، ومهما دوَّرت يديها لا تستطيع تخليص نفسها منه. لا تفهم مَن قيَّدها ولِمَ، وحاولَت أن تسأل الظِّلال فلم تُجِبها. ربما لم تسمعها، ربما لا تكون حقيقيَّةً من الأصل. تحت طبقات الصُّوف المبتلِّ والحلقات المعدنيَّة التي بدأ الصَّدأ يأكلها بشرتها ملتهبة محمومة، وتتساءَل بِريان إن كان كلُّ هذا حُلمًا محضًا تمخَّضت عنه الحُمَّى.

تحتها حصان، وإن كانت لا تَذكُر أنها امتطَته، وقد انطرحَت على وجهها فوق عجيزته كأنها جوال من الشُّوفان وقُيِّدَ رُسغاها وكاحلاها معًا. الهواء رطب، والأرض مستترة بالضَّباب، ورأسها يدقُّ مع كلِّ خُطوة، وتسمع أصواتًا لكنها لا ترى إلَّا التُّربة تحت حوافر الحصان. في داخلها أشياء مكسورة، وتحسُّ بوجهها متورِّمًا وبدمٍ لزج على وجنتها، وكلُّ رجَّةٍ أو ردَّةٍ تطعن ذراعها وتُشعِل فيها الألم. تسمع پودريك يُناديها كما لو أنه في مكانٍ بعيد، ما برحَ يُرَدِّد: «أيتها الفارس، أيتها الفارس، سيِّدتي، أيتها الفارس، سيِّدتي». صوته خافت عصيٌّ على السَّمع، وفي النِّهاية لم تَعُد تسمع إلَّا الصَّمت.

حلمَت بنفسها في (هارنهال)، في جُبِّ الدُّبِّ من جديد، وهذه المرَّة كان العضَّاض مَن يُواجِهها، ضخم أصلع أبيض كالدِّيدان، وفي وجنتيه القروح المفتوحة. عاريًا انقضَّ عليها، يُدَلِّك عُضوه ويصرُّ بأسنانه المدبَّبة، وفرَّت منه بِريان صائحةً: «سيفي، (حافِظ العهد)، أرجوكم»، لكن المتفرِّجين لم يُجيبوا.

كان رنلي هناك، ومعه ديك الرَّشيق وكاتلين ستارك، وأتى شاجويل وپيج أيضًا، والجُثث المشنوقة من الأشجار بوجناتها الغائصة وألسنتها المنتفخة ومحاجر عيونها الخالية. ولولَت بريان رُعبًا لمرآها، وأطبقَ العضَّاض على ذراعها وشدَّها إليه وقضمَ قطعةً من وجهها، وسمعَت نفسها تصرُخ: «چايمي، چايمي!».

حتى في أعماق الحُلم لازمَتها الآلام. وجهها ينبض، وكتفها تنزف، وأنفاسها تُوجِع، والألم يتَّقد في ذراعها كالبرق.

صاحَت طالبةً مِايستر، فأجابَها صوت فتاة: «ليس هناك مِايستر، فقط أنا».

أبحثُ عن بنت، بنتٍ رفيعة النَّسب في الثَّالثة عشرة لها عينان زرقاوان وشَعر كستنائي. تمتمَت: «سيِّدتي؟ ليدي سانزا؟».

ضحكَ رجل، وقال: «تظنُّكِ سانزا ستارك».

– «لا يُمكنها أن تستمرَّ هكذا طويلًا، ستموت».

– «ويقلُّ عدد الأُسود واحدًا. لن أبكيها».

سمعَت بريان أحدهم يُصَلِّي فخطرَ لها أولًا أنه السِّپتون ميريبولد، لكن الكلمات خطأ. اللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال، وكذلك الأحلام.

في غابةٍ موحشةٍ يركبون، مكان مظلم صامت رطب يتراصُّ فيه شجر الصَّنوبر ويتلاصَق، والأرض ليِّنة تحت حوافر الحصان، والآثار التي تَترُكها وراءها تمتلئ بالدِّماء. إلى جوارها يركب اللورد رنلي وديك كراب وڤارجو هوت، ومن حَلق رنلي يسيل الدَّم، ومن أُذن الكبش الممزَّقة ينزُّ القيح. سألَت بريان: «أين سنذهب؟ إلى أين تأخذونني؟»، ولم يُجِبها أحد. وكيف يُجيبون؟ إنهم موتى جميعًا. أيعني هذا أنها ميتة أيضًا؟

كان اللورد رنلي يسبقها، مليكها الباسم الجميل يقودها عبر الأشجار، ورفعَت بريان عقيرتها تقول له كم تحبُّه، لكن حين التفتَ يَرمُقها عابسًا رأت أنه ليس رنلي أصلًا، فرنلي لم يكن يعبس قَطُّ. فكَّرت: لطالما ابتسمَ لي... ولو أن...

بصوتٍ هامسٍ حائرٍ قال رنلي: «يا للبرودة»، وتحرَّك ظِلٌّ لا يُلقيه رجل، وتدفَّقت دماء سيِّدها الجميل من فولاذ واقي عُنقه الأخضر لتُغرِق يديها. كان رجلًا دافئًا، إلَّا أن دماءه باردة كالجليد. ليس هذا حقيقيًّا، إنه حُلم سيِّئ آخَر، وقريبًا سأصحو.

توقَّف حصانها فجأةً، وأطبقَت عليها أيدٍ خشنة. رأت خيوط ضوء الأصيل الأحمر تتخلَّل غصون شجرة، وحصانًا يبحث بسنابكه وسط الأوراق الميتة عن ثمارها السَّاقطة، ورجالًا يتحرَّكون على مقربةٍ منها ويتكلَّمون بأصواتٍ خفيضة، عشرة رجال أو اثني عشر رجلًا وربما أكثر. لم تتعرَّف بِريان وجوههم، وكانت على الأرض وظَهرها يستند إلى جذع شجرة.

قال صوت الفتاة: «اشربي هذا يا سيِّدتي»، ورفعَت كوبًا إلى شفتيها. كان المذاق قويًّا كريهًا، فبصقَت بِريان ما شربَته، وقالت: «ماء، أرجوكِ، ماء».

ردَّت الفتاة: «الماء لن يُساعِدكِ على احتمال الألم، أمَّا هذا فسيُساعِد... بعض الشَّيء»، وعادَت ترفع الكوب إلى شفتيها.

حتى الشُّرب يُؤلِم. سالَ النَّبيذ على ذقنها وقطرَ على صدرها، ولمَّا فرغَ الكوب أعادَت الفتاة ملأه من قِربة، وجرعَت بِريان النَّبيذ حتى لفظَته رغمًا عنها، وقالت: «كفى».

– «أكثر. إن ذراعكِ مكسورة وبعض ضلوعكِ تصدَّع، اثنان وربما ثلاثة».

– «العضَّاض»، قالت بِريان متذكِّرةً ثِقله فوقها وكيف ارتطمَت رُكبته بصدرها.

– «أجل، وحش حقيقي».

تذكَّرت كلَّ شيء؛ البرق من فوق والطَّمي من تحت، ورنين قطرات المطر الخافت على فولاذ خوذة كلب الصَّيد الأسود، والقوَّة الغاشمة في يدَي العضَّاض. فجأةً لم تَعُد تحتمل قيودها وحاولَت التَّملُّص من الحبل، غير أن هذا لم يُفضِ إلَّا إلى إيلامها أكثر. معصماها مقيَّدان بإحكام شديد، وعلى الحبل دم جاف. سألَت مرتعدةً: «هل ماتَ؟ العضَّاض، هل مَاتَ؟». الآن تَذكُر أسنانه تُمَزِّق لحم وجهها، وفكرة أنه لا يزال طليقًا يتنفَّس في مكانٍ ما تجعلها تُريد أن تَصرُخ.

– «ماتَ. جندري غرسَ رأس حربةٍ في مؤخِّرة عُنقه. اشربي يا سيِّدتي وإلَّا صبَبته في حَلقكِ».

وشربَت بِريان، وبين رشفتين همسَت: «إنني أبحثُ عن بنت». كادَت تقول: أختي. «بنت رفيعة النَّسب في الثَّالثة عشرة لها عينان زرقاوان وشَعر كستنائي».

- «لستُ هي».

نعم. ترى بِريان هذا. الفتاة نحيلة لدرجة أنها تبدو كأنها تُعاني جوعًا مزمنًا، وتجدل شَعرها البنِّي في ضفيرة، ونظرة عينيها أكبر من سِنِّها. شَعر بنِّي وعينان بنيَّتَان وملامح تقليديَّة. إنها ويلو لكن أكبر بستَّة أعوام. «أنتِ الأخت، صاحِبة الخان».

زرَّت الفتاة عينيها مجيبةً: «ربما. ماذا لو أنني هي؟».

سألَتها بِريان: «ما اسمكِ؟»، وقرقرَت معدتها فخشيَت أن تتقيَّأ.

- «هدِل، مِثل ويلو، چاين هدِل».

- «چاين، حلِّي وثاقي، أرجوكِ، أشفِقي عليَّ. الحبل يكشط جِلد معصمَي ويُدميهما».

- «ليس مسموحًا لي. ستبقين مقيَّدةً حتى...».

- «... حتى تقفين أمام سيِّدتي». كان رنلي واقفًا وراء الفتاة، يُزيح شَعره الأسود عن عينيه. ليس رنلي، بل جندري. «سيِّدتي تُريدكِ أن تدفعي ثَمن جرائمكِ».

- «سيِّدتي». كان النَّبيذ يُدير رأسها ويجعل التَّفكير صعبًا. «قلب الحجر. أهي مَن تعني؟». إنها المرأة التي ذكرَها اللورد راندل في (بِركة العذارى). «الليدي قلب الحجر؟».

- «بعضهم يدعوها بهذا وبعضهم بأسماء أخرى؛ الأخت الصَّامتة، أُم القسوة، الشَّنَّاقة».

الشَّنَّاقة. حين أغلقَت بِريان عينيها رأت الجُثث تتأرجَح من الفروع البنِّيَّة الجرداء بوجوهٍ مسودَّة منتفخة، وفجأةً استبدَّ بها خوف عارم، وقالت: «پودريك، مُرافقي، أين پودريك؟ والآخَرون... السير هايل والسِّپتون ميريبولد وكلب. ماذا فعلتم بكلب؟».

تبادلَ جندري والفتاة نظرةً، وكافحَت بِريان لتنهض، واستطاعَت أن ترفع رُكبةً واحدةً قبل أن يميد بها العالم، وقُبيل أن تبتلعها الظُّلمة سمعَت جندري يقول: «أنتِ التي قتلتِ الكلب يا سيِّدتي».

ثم إذا بها في (قلعة الهمس) من جديد، تقف بين الأطلال وتُواجِه كلارنس كراب. كان ضخمًا شرسًا ويمتطي ثورًا برِّيًّا شَعره أكثر شعثًا منه،

وراحَ الحيوان يضرب الأرض ببراثنه بغضبٍ حافرًا فيها أخاديد عميقةً. لكراب أسنان مدبَّبة، ولمَّا مدَّت يدها إلى سيفها تمتشقه وجدَت الغِمد خاليًا، وإذ انقضَّ السير كلارنس صاحَت: «لا!». ليس هذا عدلًا. إنها لا تستطيع القتال دون سيفها السِّحري، السَّيف الذي أعطاها السير چايمي إياه، وفكرة أن تخذله كما خذلَت اللورد رنلي تجعلها تُريد الانفجار في البُكاء. «سيفي، أرجوكم، يجب أن أجد سيفي».

أعلنَ صوت: «تُريد سيفها».

– «وأنا أريدُ أن تمصَّ لي سرسي لانستر قضيبي، وماذا في هذا؟».

– «چايمي سمَّاه (حافِظ العهد)، أرجوكم!». إلَّا أن الأصوات لم تُصغِ، وكَرَّ كلارنس كراب عليها كالرَّعد وأطاحَ برأسها، وغاصَت بِريان في ظُلمَةٍ أعمق.

حلمَت بنفسها ممدَّدةً في قاربٍ ورأسها يتوسَّد حِجر أحدهم وحولهما من كلِّ جانبٍ ظلال، رجال يُخفون وجوههم بالقلنسوات ويرتدون الحلقات المعدنيَّة والجِلد ويَسلُكون بهما نهرًا يكسوه الضَّباب بمجاذيف مكتومة. كانت ملتهبةً تتصبَّب عَرقًا، ولكن بوسيلةٍ ما ترتجف أيضًا. الضَّباب مليء بالوجوه، وهمسَت أشجار الصَّفصاف على الضِّفاف: المليحة، لكن البوص رَدَّ: المسخ، المسخ. ارتعشَت بِريان، وقالت: «أسكِتوها، فليُسكِتها أحد».

عندما استيقظَت المرَّة التَّالية كانت چاين ترفع كوبًا من الحَساء السَّاخن إلى فمها. مرق بصل. شربَت منه ما استطاعَت، إلى أن احتبسَت قطعة من الجزر في حَلقها وكادَت تَخنُقها، وكان السُّعال عذابًا. قالت الفتاة: «تمهَّلي».

قالت بصوتٍ مصحوب بالصَّفير: «جندري، يجب أن أتكلَّم مع جندري».

– «لقد عادَ أدراجه عند النَّهر يا سيِّدتي، رجعَ إلى ورشته، إلى ويلو والصِّغار ليحميهم».

لا أحد يستطيع حمايتهم. بدأت تَسعُل ثانيةً، فقال أحدهم: «آه، اترُكيها تختنق ووفِّري لنا الحبل»، وتحرَّك أحد الظِّلال ودفعَ الفتاة جانبًا. رأته يرتدي الحلقات المعدنيَّة الصَّدئة ويتمنطَق بحزامٍ مطعَّم بالحديد، ومن وَركيه يتدلَّى سيف طويل وخنجر، وقد التصقَ بكتفيه معطف أصفر ضخم متَّسخ ومشبَّع بالماء، ومن هاتين الكتفين يرتفع رأس كلبٍ من الفولاذ يُكَشِّر عن أنيابه.

وأنَّت بريان، وقالت: «لا! لا، أنت ميت، لقد قتلتك».

ضحكَ كلب الصَّيد، ورَدَّ: «العكس هو الصَّحيح. أنا مَن سيَقتُلكِ. كنتُ لأفعلها الآن لولا أن سيِّدتي ترغب في رؤيتكِ مشنوقةً».

مشنوقة. زلزلَتها الكلمة خوفًا. نظرَت إلى الفتاة چاين مفكِّرةً: إنها أصغر من أن تكون بهذه القسوة، وشهقَت قائلةً لها: «العيش والملح. الخان... السِّپتون ميريبولد أطعمَ الأطفال... لقد أكلنا عيشًا وملحًا مع أختكِ...».

قالت الفتاة: «لم يَعُد حَقُّ الضِّيافة يعني الكثير منذ عادَت سيِّدتي من الزِّفاف. بعض المتدلِّين عند النَّهر حسبوا أنفُسهم ضيوفًا أيضًا».

وقال كلب الصَّيد: «ونحن حسبنا شيئًا آخَر. أرادوا أسرَّةً فأعطيناهم الأشجار».

أضافَ ظِلٌّ آخَر بعينٍ واحدة يعتمر خوذةً مستديرةً صدئةً: «عندنا أشجار أكثر من الأسرَّة، دائمًا عندنا أشجار أكثر».

لمَّا حانَ وقت التَّحرُّك مجدَّدًا وضعوا على رأسها غطاءً من الجِلد بلا فتحتين للرُّؤية، وكتمَ الجِلد الأصوات المحيطة بها. ظَلَّ مذاق البصل على لسانها لاذعًا كمعرفتها بفشلها. ينوون شنقي. فكَّرت في چايمي وفي سانزا وفي أبيها في (تارث)، وامتنَّت لوجود الغطاء على وجهها إذ أخفى الدُّموع المترقرقة في عينيها. بين الحين والآخَر تسمع الخارجين عن القانون يتكلَّمون دون أن تُمَيِّز ما يقولونه، وبَعد فترةٍ سلَّمت نفسها إلى الإنهاك وحركة حصانها البطيئة الرَّتيبة.

هذه المرَّة حلمَت بنفسها في الوطن في (بهو المساء). من نوافذ بهو أبيها الطَّويلة المقنطَرة رأت الشَّمس تبدأ رحلة المغيب، وقالت لنفسها: كنتُ آمنةً هنا، كنتُ آمنةً.

كانت ترتدي الحرير المطرَّز، فُستانًا أزرق وأحمر مربَّع النَّقش تُزَيِّنه الشُّموس الذَّهب والأهلَّة الفضَّة. على بدن فتاةٍ أخرى كان ليبدو فُستانًا جميلًا، أمَّا عليها هي فلا. كانت في الثَّانية عشرة، خرقاء متوتِّرةً، تنتظر لقاء الفارس الشَّاب الذي اتَّفق أبوها على زواجها به، الفتى الذي يكبَرها بستَّة أعوام ومن المؤكَّد أنه سيُصبِح بطلًا بعيد الصِّيت ذات يوم. كم تخشى مجيئه. ثدياها صغيران للغاية، ويداها وقدماها كبيرة للغاية، وشَعرها لا ينفكُّ ينفر،

وفي البُقعة الغائرة إلى جوار أنفها بثرة. وعدَها أبوها قائلًا: «سيُعطيكِ وردةً»، لكن الوردة لا جدوى منها، لا يُمكنها أن تحتمي بوردة. ما تُريده سيف. (حافِظ العهد). يجب أن أعثر على الفتاة، يجب أن أعثر على شَرفه.

أخيرًا انفتحَ الباب ودخلَ خطيبها بهو أبيها بخُطواتٍ واسعة. حاولَت أن تُحَيِّيه كما أُملِيَ عليها، فقط لتتدفَّق الدِّماء من فمها. كانت قد قضمَت لسانها بينما تنتظر، وبصقَته عند قدمَي الفارس الشَّاب ورأت الاشمئزاز على ملامحه. بنبرةٍ ساخرة قال لها: «بِريان المليحة. لقد رأيتُ خنازير أجمل منكِ»، وألقى الوردة في وجهها، وإذ ابتعدَ تموَّجت الجَرافِن على معطفه وتشوَّشت واستحالَت إلى أُسود. أرادَت أن تصيح: چايمي! چايمي، عُد إليَّ! إلَّا أن لسانها كان على الأرض إلى جوار الوردة تُلَطِّخه الدِّماء.

واستيقظَت بِريان فجأةً تلهث.

لم تدرِ أين هي. الهواء بارد ثقيل ويعبق بروائح التُّربة والدُّود والعفَن، وهي مستلقية على سريرٍ من القَشِّ تحت كومةٍ من جلود الغنم، فوق رأسها صخور ومن الجُدران تَبرُز جذور، والضَّوء الوحيد في المكان ينبعث من شمعةٍ من الشَّحم يتصاعَد دُخانها وتُحيط بها بِركة شمعٍ ذائب.

أزاحَت الأغطية، ورأت أن أحدهم جرَّدها من ثيابها ودِرعها، وبدلًا منها ترتدي الآن قميصًا طويلًا من الصُّوف البنِّي، خفيفًا لكن مغسولًا حديثًا. كان ساعِدها مثبَّتًا بجبيرةٍ ومربوطًا بالكتَّان، وأحسَّت بأحد جانبَي وجهها مبتلًّا يابسًا، ولمَّا مسَّته وجدَت ضمادةً رطبةً تُغَطِّي وجنتها وفكَّها وأُذنها. العضَّاض...

نهضَت بِريان على قدمين من ماء وبرأسٍ خفيف كالهواء، وتساءلَت: «هل من أحدٍ هنا؟».

تحرَّك شيء ما في إحدى الفجوات الظَّليلة وراء الشَّمعة، رجل عجوز أشيب يرتدي الأسمال. سقطَت الأغطية التي التحفَ بها إلى الأرض، واعتدلَ جالسًا وفركَ عينيه قائلًا: «ليدي بِريان؟ لقد أفزعتِني. كنتُ أحلمُ».

لا، كنتُ أنا الحالمة. «ما هذا المكان؟ أهذه زنزانة؟».

- «كهف. كالجرذان علينا أن نهرع إلى جحورنا حين تَخرُج الكلاب تتشمَّم آثارنا، والكلاب تزداد عددًا كلَّ يوم». يرتدي الرَّجل بقايا مهترئةً لثوبٍ طويل قديم كان لوناه أبيض ووورديًّا، وشَعره طويل شائب متلبِّد، ويُغَطِّي زغب

خشن جِلد وجنتيه وذقنه المتهدِّل. سألَها: «أأنتِ جائعة؟ هل تستطيعين أن تشربي كوبًا من الحليب بلا قيء؟ ربما القليل من الخُبز والعسل؟».

– «أريدُ ملابسي وسيفي». دون قميصها المعدني تَشعُر كأنها عارية، وتُريد (حافِظ العهد) إلى جانبها. «طريق الخروج، أرِني طريق الخروج». أرض الكهف تُراب وحجارة، خشنة تحت أخمصَي قدميها، وحتى الآن تَشعُر بالدُّوار كأنها طافية. كان الضَّوء المتذبذب يُلقي ظلالًا غريبةً، ففكَّرت: أرواح القتلى تَرقُص حولي، تختبئ كلَّما التفتُّ أنظرُ إليها. في كلِّ ناحيةٍ ترى فجواتٍ وصدوعًا وشروخًا، لكن لا سبيل إلى معرفة الطَّريق الذي يأخذها إلى الخارج، أو الطَّريق الذي يتوغَّل بها في الكهف أكثر أو يقودها إلى نهايةٍ مسدودة. كلُّها أسود كالقار.

سألَها سجَّانها: «هل تسمحين بأن أتحسَّس جبهتكِ يا سيِّدتي؟». يده نديبة يابسة الجِلد، لكنها رقيقة على نحوٍ غريب، وقد أعلن بصوتٍ منكَّه بلكنات المُدن الحُرَّة: «زالَت الحُمَّى. عظيم. حتى البارحة كان ملمس جِلدكِ كأنه مشتعل نارًا، وخشيَت چاين أن نفقدكِ».

– «چاين. الفتاة الطَّويلة؟».

– «هي بالضَّبط، ولو أنها لا تُضاهيكِ في الطُّول يا سيِّدتي. يدعونها بچاين الفارعة. هي التي جبرَت ذراعكِ وضمَّدته ببراعة أيِّ مِايستر. لقد بذلَت كلَّ ما استطاعَت لعلاج وجهكِ أيضًا، غسلَت الجروح بالمِزر المغلي لتُوقِف التَّعفُّن، لكن رغم ذلك... عضَّة الإنسان شيء قذر. إنني واثق بأنها كانت السَّبب في الحُمَّى»، ومَسَّ الأشيب وجهها المضمَّد مردفًا: «اضطررنا إلى قطع القليل من اللَّحم. أخشى أن وجهكِ لن يعود جميلًا».

لم يكن كذلك قَطُّ. «أتعني النُّدوب؟».

– «سيِّدتي، ذلك المخلوق مضغَ نِصف وجنتكِ».

جفلَت بِريان رغمًا عنها. حين سألَت السير جودوين أن يُعَلِّمها القتال بالسَّيف قال لها محذِّرًا: كلُّ فارسٍ يحمل ندوب المعارك. أهذا ما تُريدين يا بنيَّتي؟ على أن قيِّم السِّلاح العجوز كان يقصد إصابات السُّيوف، وما كان ليتوقَّع أسنان العضَّاض المدبَّبة مطلقًا. «لماذا تَجبُرون عظامي وتغسلون جروحي إذا كنتم تنتوون شنقي؟».

قال: «لماذا حقًّا؟»، ونقلَ بصره إلى الشَّمعة كأنه لم يَعُد يُطيق النَّظر إليها، وتابعَ: «قيلَ لي إنكِ قاتلتِ بشَجاعةٍ عند الخان. لم يكن يَجدُر بليم أن يَترُك مفترَق الطُّرق. كانت تعليماته أن يبقى قريبًا متواريًا، وأن يأتي في الحال إذا رأى الدُّخان يتصاعَد من المدخنة... لكن حين بلغَه خبر برؤية كلب (الملَّاحات) المسعور يشقُّ طريقه شمالًا بمحاذاة (الفرع الأخضر) ابتلعَ الطُّعم. كنا نُلاحِق تلك المجموعة منذ فترةٍ طويلة جدًّا... ومع ذلك كان عليه أن يكون أكثر حيطةً. هكذا مَرَّ نِصف يوم قبل أن يُدرِك أن الممثِّلين استخدَموا جدولًا لإخفاء آثارهم وداروا من ورائه، ثم ضاعَ منه المزيد من الوقت في الدَّوران حول فِرقةٍ من فُرسان فراي. لولاكِ لما وجدَ ليم ورجاله في الخان إلَّا الجُثث عندما عادوا. لهذا ضمَّدت چاين جروحكِ ربما. أيًّا كان ما فعلتِه غير هذا فقد كسبتِ هذه الجروح بشَرفٍ وفي سبيل أفضل الغايات».

أيًّا كان ما فعلتِه غير هذا. «وما الذي تحسبونني فعلته؟ مَن أنتم؟».

– «كنا رجال الملك حين بدأنا، لكن رجال الملك يحتاجون إلى ملك، ونحن لا ملك لنا. كنا إخوةً أيضًا، لكن أخوَّتنا انفصمَت عُراها. الحقيقة أنني أجهلُ مَن نحن أو إلامَ نتَّجه. لا أدري إلَّا أن الطَّريق مظلم، والنِّيران لم تُرِني ما يقبع في نهايته».

أعرفُ ما في نهايته. لقد رأيتُ الجُثث على فروع الأشجار. ردَّدت بِريان: «النِّيران»، وفجأةً فهمَت، فقالت: «أنت الرَّاهب المايري، السَّاحر الأحمر».

خفضَ عينيه إلى ثوبه المهترئ وابتسمَ بكآبةٍ قائلًا: «المدَّعي الوردي بمعنى أدق. أنا (ثوروس) الذي كان من (مير)، نعم... راهب سيِّئ وساحر أسوأ».

– «أنت تركب مع دونداريون سيِّد البرق».

– «البرق يسطع ويخفت ثم ينطفئ تمامًا، وكذا البَشر. لقد انطفأَت نار اللورد بريك في هذا العالم، والآن يقودنا ظِلٌّ أكثر جهامةً في مكانه».

– «كلب الصَّيد؟».

زَمَّ الرَّاهب شفتيه مجيبًا: «كلب الصَّيد ماتَ ودُفِنَ».

– «لقد رأيته في الغابة».

– «حُلم حُمَّى يا سيِّدتي».

- «قال إنه سيَشنُقني».

- «حتى الأحلام تكذب. سيِّدتي، متى أكلتِ آخِر مرَّة؟ مؤكَّد أنك تتضوَّرين جوعًا».

أدركَت أنها كذلك حقًّا، وأحسَّت بخواء معدتها، فقالت: «الطَّعام... سأرحِّبُ بالطَّعام، شُكرًا».

- «وجبة إذن. اجلسي. سنتكلَّم أكثر، لكن الوجبة أولًا. انتظري هنا»، وأشعلَ ثوروس فتيلًا من شمعةٍ ذائبة واختفى في فجوةٍ سوداء تحت إفريزٍ صخري، ووجدَت بِريان نفسها بمفردها في الكهف الصَّغير. لكن إلى متى؟

ذرعَت المكان باحثةً عن سلاح. كان أيُّ سلاحٍ ليَصلُح؛ عصا أو هراوة أو خنجر، لكنها لم تجد إلَّا الصُّخور. ناسبَت إحداها يدها تمامًا... ثم إنها تذكَّرت (قلعة الهمس) وما جرى لشاجويل حين حاولَ القتال بحجرٍ ضد سكِّين، ولمَّا سمعَت خُطوات الرَّاهب العائدة تركَت الصَّخرة تَسقُط على أرض الكهف وجلسَت من جديد.

رجعَ ثوروس حاملًا خُبزًا وجُبنةً ووعاءً من اليخنة، وقال لها: «آسفٌ، آخِر حليبنا حمضَ والعسل كلُّه نفدَ. الطَّعام أصبحَ شحيحًا، لكن هذا سيُشبِعكِ».

كانت اليخنة باردةً مليئةً بالدُّهون والخُبز جامدًا والجُبنة أكثر جمودًا، وفي حياتها كلِّها لم تتذوَّق بِريان شيئًا بهذه اللَّذاذة. سألَت الرَّاهب بينما تمسح ثُمالة اليخنة بالخُبز: «هل رفاقي هنا؟».

- «السِّپتون أُطلِقَ سراحه وذهبَ في حال سبيله. لم يكن الرَّجل مؤذيًا. الآخَران هنا، ينتظران الحُكم».

قطَّبت وجهها قائلةً: «الحُكم؟ پودريك پاين مجرَّد صبي».

- «يقول إنه مُرافق».

- «أنت تعرف كم يحبُّ الصِّبية التَّباهي».

- «مُرافق العِفريت. لقد قاتلَ في معركةٍ باعترافه، بل ويقول إنه قتلَ كذلك».

- «إنه صبي. أشفِقوا عليه».

قال ثوروس: «سيِّدتي، لا أشكُّ في أن الرَّأفة والرَّحمة والمغفرة ما زالَ لها وجود في مكانٍ ما في (الممالك السَّبع)، لكن لا تتطلَّعي إليها هنا. هذا كهف

لا معبد. حين يُرغَم النَّاس على المعيشة كالجرذان في الظَّلام تحت الأرض فسرعان ما تنفد منهم الشَّفقة كما ينفد الحليب والعسل».

– «والعدالة؟ أيُمكن العثور عليها في كهف؟».

ابتسمَ ثوروس بشحوبٍ قائلًا: «العدالة. إنني أذكرُ العدالة. كان لها مذاق سار. العدالة كانت بُغيتنا وقت أن قادَنا بريك، أو هكذا أخبَرنا أنفسنا. كنا رجال الملك، فُرسانًا وأبطالًا... لكن بعض الفُرسان قلبه مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال يا سيِّدتي. الحرب تُحيلنا جميعًا إلى وحوش».

– «هل تقول إنكم وحوش؟».

– «أقولُ إننا بَشر. لستِ الوحيدة المثخنة بالجراح يا ليدي بِريان. بعض إخوتي كانوا رجالًا صالحين حين بدأنا، وبعضهم كانوا... لنقل إنهم كانوا أقلَّ صلاحًا. ولو أن هناك من يقولون إن بداية الرَّجل لا تهمُّ، وإنما نهايته فقط. أظنُّ أن الشَّيء نفسه ينطبق على النِّساء»، ونهضَ الرَّاهب مردفًا: «أخشى أن وقتنا معًا انتهى. إنني أسمعُ إخوتي قادمين. سيِّدتنا تَطلُبكِ».

سمعَت بِريان وقع أقدامهم ورأت ضوء مشعلٍ يتذبذَب في الممر، وقالت: «ذكرت أنها ذهبَت إلى (السُّوق القصيَّة)».

– «بالفعل، وعادَت ونحن نائمون. إنها لا تنام أبدًا».

قالت لنفسها: لن أخاف، لكن أوان ذلك فاتَ بالفعل، فوعدَت نفسها: لن أدعهم يرون خوفي.

أتاها أربعة، رجال قُساة وجوههم تعِبة يرتدون الحلقات والصَّفائح المعدنيَّة والجِلد، وقد تعرَّفت أحدهم، الأعور الذي رأته في أحلامها.

كان أكبر الأربعة حجمًا يرتدي معطفًا أصفر رثًّا متَّسخًا، وخاطبَها قائلًا: «هل استمتعتِ بالطَّعام؟ أتمنَّى هذا. إنها آخِر وجبةٍ ستأكلينها». له شَعر بنِّي ولحية وعضلات مفتولة وأنف انكسرَ والتحمَ على نحوٍ سيِّئ. فكَّرت بِريان: أعرفُ هذا الرَّجل، وقالت له: «أنت كلب الصَّيد».

ابتسمَ باتِّساعٍ كاشفًا منظر أسنانه المعوجَّة النَّخرة الشَّنيع، ورَدَّ: «أظنُّ أنني هو بما أن سيِّدتي قتلَت السَّابق»، ودوَّر رأسه وبصقَ.

قالت متذكِّرة وميض البرق والوحل تحت قدميها: «رورچ هو مَن قتلتُ. لقد أخذَ الخوذة من على قبر كليجاين وأنت سرقتها من جثَّته».

- «لم أسمعه يعترض».

شهقَ ثوروس فزعًا، وسألَ: «أهذا صحيح؟ خوذة رجلٍ ميت؟ هل انحدَرنا لهذه الدَّرجة؟».

أجابَه الرَّجل الكبير عابسًا: «إنه فولاذ جيِّد».

قال الرَّاهب الأحمر: «لا شيء جيِّدًا في هذه الخوذة أو في الرَّجلين اللذين اعتادا اعتمارها. ساندور كليجاين كان رجلًا معذَّبًا، ورورچ وحشًا في هيئة إنسان».

- «لستُ مِثلهما».

- «لماذا تُري العالم وجههما إذن؟ هذا وجه شرس شائه مزمجر... أهذا مَن تُريد أن تكون يا ليم؟».

- «منظرها سيُخيف أعدائي».

- «منظرها يُخيفني أنا».

قال ذو المعطف الأصفر: «أغمِض عينيك إذن»، ثم لوَّح بيده بحدَّةٍ مستطردًا: «أحضِروا العاهرة».

لم تُقاوِم بِريان. إنهم أربعة وهي واهنة وجريحة وعارية تحت القميص الصُّوف الطَّويل. اضطرَّت إلى حني عُنقها كي لا يختبط رأسها بالسَّقف إذ ساقوها في الممرِّ المتعرِّج، ثم ارتفعَ الطَّريق أمامهم بحدَّةٍ وانعطفَ مرَّتين قبل أن يَخرُجوا إلى كهفٍ أكبر مليء بالخارجين عن القانون.

في منتصَف الأرضيَّة حُفرة نار يصبغ دُخانها الهواء بالأزرق، وقد تلملمَ الرِّجال قُرب النَّار مدفِّئين أنفُسهم من برد الكهف، ووقفَ آخَرون عند الحوائط أو جلسوا مربِّعين السِّيقان على أسرَّةٍ من القَش. رأت نساءً أيضًا، بل وبضعة أطفالٍ يختلسون النَّظر من وراء تنانير أمَّهاتهم. الوجه الوحيد الذي تعرَّفته بِريان هو وجه چاين هدِل الفارعة.

على الجانب الآخَر من الكهف طاولة منصوبة في صدع في الصَّخر، ووراءها تجلس امرأة ترتدي الرَّمادي وتُخفي قلنسوة معطفها وجهها، وفي يدها تاج هو دائرةٌ رفيعة من البرونز الذي تَبرُز منه سيوف حديديَّة صغيرة، وكانت المرأة تتفرَّس فيه وتتحسَّس أصابعها النِّصال كأنها تختبر حدَّتها، وتحت القلنسوة تلتمع عيناها.

الرَّمادي لون الأخوات الصَّامتات، وصيفات (الغريب).

أحسَّت بِريان بالقشعريرة تسري على عمودها الفقري، وقالت لنفسها: قلب الحجر.

قال الرَّجل الكبير: «ها هي ذي يا سيِّدتي».

أضافَ الأعور: «أجل، عاهرة قاتِل الملك».

سألَت جافلةً: «لماذا تنعتني بهذا؟».

– «لو نلتُ أيلًا فضِّيًا كلَّ مرَّةٍ نطقتِ فيها اسمه لصرتُ ثريًّا كأصدقائكِ أولاد لانستر».

– «كان هذا مجرَّد... لستم تفهمون...».

قال الكبير ضاحكًا: «حقًّا؟ أظنُّ أننا نفهم تمامًا. رائحة الأُسود فائحة منكِ أيتها السيِّدة».

– «غير صحيح».

تقدَّم واحد آخَر من الخارجين عن القانون، رجل أصغر سِنًّا يرتدي سُترةً من جِلد الأغنام مبقَّعةً بالشَّحم، وفي يده (حافِظ العهد)، وقد قال بلكنةٍ يكسوها صقيع الشَّمال: «هذا يقول إنه صحيح»، ثم سحبَ السَّيف من غِمده ووضعَه أمام الليدي قلب الحجر. في ضوء بؤرة النَّار بدَت تموُّجات النَّصل الحمراء والسَّوداء كأنها تتحرَّك، لكن المرأة ذات المعطف الرَّمادي سلَّطت نظراتها على القبيعة وحدها، على رأس الأسد الذَّهبي ذي العينين الياقوت المتألِّقتين كنجمتين حمراوين.

قال ثوروس المايري: «هناك هذه أيضًا»، وسحبَ من كُمِّه رَقًّا وضعَه إلى جوار السَّيف مضيفًا: «الورقة تحمل ختم الملك الصَّبي وتقول إن حاملها مكلَّف منه».

وضعَت الليدي قلب الحجر السَّيف وقرأت الرِّسالة.

قالت بِريان: «لقد أُعطيتُ السَّيف لهدفٍ وجيه. السير چايمي حلفَ يمينًا لكاتلين ستارك...».

قاطعَها الكبير ذو المعطف الأصفر: «لا بُدَّ أن هذا كان قبل أن يذبحها أصدقاؤه. كلُّنا يعرف قاتِل الملك وأيمانه».

فكَّرت بِريان: لا فائدة. لا شيء أقوله سيمُنِعهم، إلَّا أنها اندفعَت رغم ذلك

تقول: «لقد وعدَ الليدي كاتلين بابنتيها، لكن لدى بلوغنا (كينجز لاندنج) كانتا قد رحلَتا. چايمي أرسلَني أبحثُ عن الليدي سانزا...».

سألَها الشَّمالي الشَّاب: «وإذا عثرتِ على الفتاة فماذا كنتِ ستفعلين بها؟».

- «أحميها، آخذها إلى مكانٍ آمن».

ضحكَ الكبير متسائلًا: «أين؟ زنزانة سرسي؟».

- «لا».

- «أنكِري كما شئتِ. السَّيف يقول إنكِ كاذبة. هل يُفترَض أن نُصَدِّق أن آل لانستر يُعطون أعداءهم سيوفًا مرصَّعةً بالذَّهب والياقوت؟ أن قاتِل الملك أرادكِ أن تُخفي الفتاة عن توأمته؟ وأظنُّ أنكِ تحملين الورقة المذيَّلة بختم الملك الصَّبي تحسُّبًا لأن تحتاجي إلى مسح مؤخِّرتكِ بها؟ ثم إن هناك رفيقيكِ...»، والتفتَ الكبير وأشارَ، فانشقَّت صفوف الخارجين عن القانون وجيءَ بأسيرين آخَريْن، وقال لليدي قلب الحجر: «الصَّبي كان مُرافق العِفريت يا سيِّدتي، والآخَر واحد ملعون من فُرسان راندل تارلي اللَّعين».

تلقَّى هايل هَنت ضربًا مبرِّحًا لدرجة أنها كادَت لا تتعرَّف وجهه المتورِّم، وإذ دفعوه تعثَّر وكادَ يَسقُط، لكن پودريك أمسكَه من ذراعه، ولمَّا رأى الصَّبي بِريان قال ببؤس: «أيتها الفارس، أعني يا سيِّدتي، أنا آسفٌ».

ردَّت بِريان: «ليس هناك ما تأسف له»، والتفتَت إلى قلب الحجر قائلةً: «أيًّا كانت الخيانة التي تحسبينني ارتكبتها يا سيِّدتي فلم يكن لپودريك والسير هايل دور فيها».

قال الأعور: «إنهما أسدان، وهذا يكفي. أقولُ أن يُشنَقا. تارلي شنقَ عشرين من رجالنا، وآنَ أوان أن نشنق أحدًا من رجاله».

منحَ السير هايل بِريان ابتسامةً منطفئةً، وقال: «سيِّدتي، كان حريًّا بكِ أن تتزوَّجيني عندما عرضتُ عليكِ، والآن أخشى أنكِ ستموتين عذراء وأنني سأموتُ فقيرًا».

قالت بِريان بضراعة: «أطلِقوا سراحهما».

لم تُجِب المرأة ذات المعطف الرَّمادي، بل أمعنَت النَّظر إلى السَّيف والورقة والتَّاج البرونز والحديد، وأخيرًا رفعَت يدها تضعها تحت فكِّها وأمسكَت رقبتها بإحكامٍ كأنها تُريد أن تَخنُق نفسها، لكنها بدلًا من ذلك

تكلَّمت... صوتها متقطِّع، مكسور، معذَّب، ويبدو كأنه يَخرُج من حَلقها لا فمها، جزء منه نعيب، جزء منه صفير، جزء منه خشخشة الموت. لُغة الملعونين.

قالت بِريان: «لا أفهمُ. ماذا قالت؟».

أجابَ الشَّمالي الشَّاب ذو السُّترة الجِلد: «سألَت عن اسم سيفكِ هذا».

- «(حافِظ العهد)».

هسهسَت المرأة من بين أصابعها، عيناها حُفرتان حمراوان متَّقدتان في الظِّلال... وتكلَّمت ثانيةً.

- «تقول لا، تقول إن عليكِ أن تُسَمِّيه ناقِض العهد، إنه مصنوع للخيانة والغيلة. تُسَمِّيه الصَّديق الغادر، مِثلكِ».

- «بمَن غدرتُ؟».

قال الشَّمالي: «بها. أيُمكن أن سيِّدتي نسيَت أنها أقسمَت على خدمتها؟».

ثمَّة امرأة واحدة أقسمَت لها عذراء (تارث) على الخدمة، فقالت: «مستحيل. لقد ماتَت».

تمتمَت چاين هدِل الفارعة: «ما عادَ الموت وحَقُّ الضِّيافة يعنيان الكثير كالسَّابق».

خفضَت الليدي قلب الحجر قلنسوتها وحلَّت الوشاح الصُّوف الرَّمادي عن وجهها. شَعرها جافٌّ متقصِّف أبيض كالعظم، وجبهتها مزيج من الأخضر والرَّمادي ومبقَّعة بشروخ التَّحلُّل البنِّيَّة، ولحم وجهها شرائط متهتِّكة من عينيها إلى فكِّها، بعض شقوقه عليه قشرة من الدِّماء الجافَّة، وبعضها مفتوح يكشف الجمجمة من تحته.

وجهها، وجهها كان قويًّا وسيمًا، وجِلدها أملسَ ناعمًا. ملأَت الدُّموع عينَي بِريان، وقالت: «ليدي كاتلين؟ قالوا... قالوا إنكِ مُتِّ».

قال ثوروس المايري: «إنها ميتة. آل فراي شقُّوا حَلقها من الأُذن إلى الأُذن. حين وجدناها على ضفَّة النَّهر كانت ميتةً منذ ثلاثة أيام. توسَّل إليَّ هاروين أن أعطيها قُبلة الحياة، لكن وقتًا طويلًا جدًّا كان قد مضى. رفضتُ أن أفعلها ثانيةً، فوضعَ اللورد بريك شفتيه على شفتيها بدلًا مني وانتقلَ لهب الحياة إليها منه، و... نهضَت. فليحمنا إله الضِّياء، لقد نهضَت!».

أما زلتُ أحلمُ؟ أهذا كابوس آخَر ولدَّته أسنان العضَّاض؟ «لم أخنها قَطُّ، قُل لها هذا. أقسمُ بالآلهة السَّبعة، أقسمُ بسيفي».

وضعَ الشَّيء الذي كان كاتلين ستارك يده على حَلقه ثانيةً وضمَّت أصابعه الشَّقَّ الطَّويل الفظيع في عُنقه، وخرجَ منه المزيد من الكلمات المخنوقة، ثم قال الشَّمالي لِبريان: «تقول إن الكلام هواء، تقول إن عليكِ إثبات إخلاصكِ».

– «كيف؟».

– «بسيفكِ. تُسَمِّينه (حافِظ العهد)؟ سيِّدتي تقول أن تحفظي عهدكِ لها إذن».

– «ماذا تُريد مني؟».

قال الكبير: «تُريد ابنها حيًّا أو مَن قتلوه موتى. تُريد أن تُطعِم الغِربان كما فعلوا في الزِّفاف الأحمر، آل فراي وآل بولتون، نعم. هؤلاء سنُعطيها العدد الذي ترغبه منهم. كلُّ المطلوب منكِ چايمي لانستر».

چايمي. كان الاسم سكِّينًا يتلوَّى في بطنها. «ليدي كاتلين، إنني... لستِ تفهمين. چايمي... لقد أنقذَني من الاغتصاب حين أسرَنا الممثِّلون السَّفَّاحون، ولاحقًا عادَ من أجلي ووثبَ في جُبِّ الدُّبِّ وهو أعزل... أقسمُ لكِ أنه لم يَعُد الرَّجل الذي كانه. لقد أرسلَني أبحثُ عن سانزا لأحميها، ولا يُمكن أنه لعبَ دورًا في الزِّفاف الأحمر».

انغرسَت أصابع الليدي كاتلين في حَلقها، وخرجَت منها الكلمات مخشخشةً مخنوقةً مكسورةً، تتدفَّق جدولًا باردًا كالجليد، ثم قال الشَّمالي: «تقول إن عليكِ أن تختاري. خُذي السَّيف واقتُلي قاتِل الملك وإلَّا شُنِقتِ كخائنة. تقول إمَّا السَّيف وإمَّا الأنشوطة. تقول اختاري، فهيا اختاري».

تذكَّرت بِريان حُلمها وانتظارها في بهو أبيها الرَّجل الذي كانت ستتزوَّجه. في الحُلم قطعَت لسانها بأسنانها. وكان فمي مليئًا بالدَّم. التقطَت نفسًا مهتزًّا، وقالت: «لن أختار».

رانَ صمت طويل، ثم تكلَّمت الليدي قلب الحجر ثانيةً، وهذه المرَّة فهمَت بِريان ما قالته بصوتٍ كالنَّعيب. كانتا كلمتين لا أكثر: «اشنُقوهم جميعًا».

قال الكبير: «كما تأمرين يا سيِّدتي».

عادوا يُقَيِّدون رُسغَي بِريان بالحبال وساقوها من الكهف صاعدين ممرًّا

حجريًّا متعرِّجًا إلى السَّطح. رأت مندهشةً أن الصَّباح طلعَ في الخارج، وقد تخلَّلت خيوط ضوء الفَجر الشَّاحب الأشجار. أشجار كثيرة جدًّا ينتقون منها. لن يضطرُّوا إلى أخذنا بعيدًا.

ولم يفعلوا. تحت صَفصافةٍ ملتوية وضعَ الخارجون عن القانون أنشوطةً حول عُنقها وشدُّوها بإحكام وألقوا طرف الحبل الآخَر من فوق أحد الفروع. أعطوا هايل هَنت وبودريك پاين شجرتَي دَردار، وكان السير هايل يصيح قائلًا إنه سيَقتُل چايمي لانستر، لكن كلب الصَّيد لطمَه على وجهه فأخرسَه. كان قد اعتمرَ الخوذة ثانيةً، وقال لها: «إذا كانت هناك جرائم تُريدين الاعتراف بها لآلهتكِ فالآن الوقت المناسب».

– «بودريك لم يُؤذيكم قَطُّ. سيدفع أبي فديته. (تارث) تُسَمَّى جزيرة الصَّفِّير. أرسِلوا بودريك مع رُفاتي إلى (بهو المساء) وستنالون صفِّيرًا وفضَّةً، أيًّا كان ما تُريدون».

قال كلب الصَّيد: «أريدُ أن تعود إليَّ زوجتي وابنتي. هل يستطيع أبوكِ إعادتهما لي؟ إن لم يستطِع فليذهب إلى الجحيم إذن. سيتعفَّن الصَّبي إلى جوارِكِ وستنهش الذِّئاب عظامكما».

سألَه الأعور: «هل تنوي أن تَشنُق الحقيرة يا ليم أم تَقتُلها بكلامك؟».

اختطفَ كلب الصَّيد طرف الحبل من الرَّجل الذي يُمسِكه قائلًا: «لنرَ إن كانت تُجيد الرَّقص»، وشَدَّ الحبل.

شعرَت بِريان بالقِنَّب يضيق منغرسًا في جِلدها دافعًا ذقنها إلى أعلى. كان السير هايل يلعنهم بأطايب الألفاظ، ولكن ليس الصَّبي، إذ لم يرفع بودريك عينيه عن الأرض، حتى عندما افترقَت قدماه عنها. إذا كان هذا حُلمًا آخَر فحانَ الوقت لأن أصحو، وإن لم يكن فهذه ساعة مماتي. لم ترَ إلَّا بودريك والأنشوطة حول عُنقه الرَّفيع ورعشة ساقيه. انفتحَ فمها، وكان بودريك يَركُل، يختنق، يموت. امتصَّت بِريان الهواء بيأسٍ بينما يَخنُقها الحبل خنقًا، تتألَّم كما لم تتألَّم من قبل قَطُّ.

ثم إنها صرخَت بكلمة.

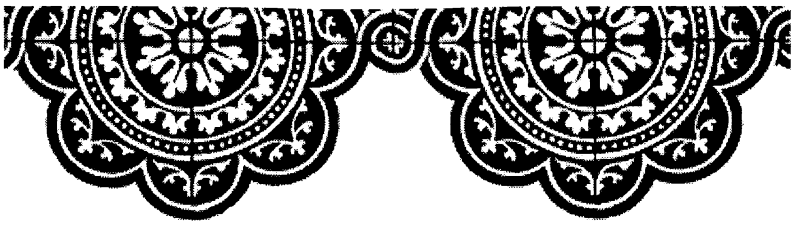

سرسي

السِّيتة مويل عجوز شمطاء ملامحها حادَّة كالفأس وفمها مزموم باستنكارٍ دائم. فكَّرت سرسي: أراهنُ أنها لا تزال محتفظةً بغشاءِ بكارتها، ولو أنه الآن يابس صُلب كالجِلد المقوَّى. يصحب المرأة ستَّة من فُرسان السِّيتون الأعلى الذين يحملون التُّروس ذات الشَّكل اللَّوزي، المزيَّنة بسيف قوس قزح رمز جماعتهم الوليدة من جديد.

قالت سرسي الجالسة عند قاعدة العرش الحديدي مرتديةً الحرير الأخضر وشرائط الزِّينة الذَّهبيَّة: «أيتها السِّيتة، أخبري صاحِب القداسة الأعلى بأننا مستاءون منه. إنه يتعدَّى حدوده». كان الزُّمرُّد يلتمع على أصابعها وفي شَعرها الذَّهبي، وأعيُن البلاط والمدينة عليها، وهي تعتزم أن تُريهم وجه ابنة اللورد تايوين. مع بلوغ هذه المهزلة نهايتها سيعلمون أن لهم ملكةً حقيقيَّةً واحدةً فقط. لكن علينا أولًا أن نَرقُص ونَرقُص ولا نُفَوِّت خُطوةً. «الليدي مارچري زوجة ابني المخلصة الرَّقيقة، رفيقته وشريكة حياته. لم يكن لصاحِب القداسة الأعلى الحَقُّ في أن يضع يدًا عليها أو يحتجزها وبنات عمومتها الصَّغيرات العزيزات علينا جميعًا. أطالبكم بإطلاق سراحهن».

لم يهتزَّ التَّعبير الصَّارم على وجه السِّيتة مويل، وقالت: «سأنقلُ كلام جلالتكِ إلى صاحِب القداسة الأعلى، لكن يُؤسِفني أن أقول إن إطلاق سراح الملكة الصَّغيرة ورفيقاتها ليس ممكنًا إلى أن وما لم تَثبُت براءتهن».

– «براءتهن؟ ما عليكِ إلَّا أن تَنظُري إلى وجوههن الجميلة لتري كم هن بريئات».

– «كثيرًا ما يُخفي الوجه الجميل قلبًا مليئًا بالخطايا».

تكلَّم اللورد ميريويذر من مكانه على طاولة المجلس متسائلًا: «ما الجُرم الذي اتُّهِمَت به أولئك الصَّغيرات ومَن اتَّهمهن؟».

أجابَت السِّپتة: «مِجا تايرل وإلينور تايرل متَّهمتان بالفِسق والخلاعة والتَّآمُر على ارتكاب الخيانة العُظمى، وآلا تايرل متَّهمة بشهادة عارهما والتَّستُّر عليه. الملكة مارچري متَّهمة بكلِّ هذا أيضًا، بالإضافة إلى الزِّنى والخيانة العُظمى».

وضعَت سرسي يدها على صدرها قائلةً: «أخبِريني مَن يَنشُر هذه الافتراءات عن زوجة ابني! لا أصدِّقُ كلمةً من هذا. ابني الغالي يحبُّ الليدي مارچري بكلِّ قلبه، ولا يُمكن أن تكون قاسيةً خدَّاعةً هكذا».

– «المدَّعي فارس من أهل بيتكِ. السير أوزني كِتلبلاك اعترفَ بمعرفته الحميمة بالملكة للسِّپتون الأعلى نفسه أمام مذبح (الأب)».

على طاولة المجلس شهقَ هاريس سويفت وأشاحَ المِايستر الأكبر پايسل بوجهه، وامتلأَ الهواء بالطَّنين كأن في قاعة العرش ألف دبُّور. بدأت بعض الليديهات في الشُّرفة ينسحبن، يتبعهن صَفٌّ من اللوردات والفُرسان الصِّغار من مؤخِّرة القاعة. تركَهم ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يَخرُجون، لكن الملكة كانت قد أملَت على السير أوزفريد أن يُسَجِّل أسماء كلِّ مَن يفرَّ. فجأةً لم يَعُد عبير وردة تايرل أخَّاذًا كما كان.

قالت الملكة: «لا أنكرُ أن السير أوزني شابٌّ له شهواته، لكنه فارس مخلص رغم هذا. إذا قال إنه ضالعٌ في... لا، مستحيل. مارچري عذراء!».

– «ليست عذراء. لقد فحصتها بنفسي نزولًا عند رغبة صاحِب القداسة الأعلى. غشاء بِكارتها مفضوض. ستُؤَكِّد السِّپتة آجلانتين والسِّپتة ميليسنت هذا، علاوةً على نستيريكا سِپتة الملكة مارچري، التي احتُجِزَت في صومعة توبة بسبب الدَّور الذي لعبَته في عار الملكة. فحصنا الليدي مِجا والليدي إلينور أيضًا، ووجدنا بِكارة الاثنتين مفضوضةً».

تعالى طنين الدَّبابير لدرجة أن الملكة استطاعَت سماع أفكارها بالكاد. أتمنَّى أن الملكة الصَّغيرة وبنات عمومتها استمتَعن برحلات ركوب الخيل.

ضربَ اللورد ميريويذر الطَّاولة بقبضته قائلًا: «الليدي مارچري حلفَت أيمانًا مقدَّسةً تُؤَكِّد عُذريَّتها لصاحِبة الجلالة ووالدها الرَّاحل، وهناك شهود

كثيرون على هذا، كما شهدَ اللورد تايرل أيضًا على براءتها، بالإضافة إلى الليدي أولينا التي نعلم جميعًا أنها فوق مستوى الشُّبهات. هل تُريدوننا أن نُصَدِّق أن كلَّ هؤلاء كذبوا علينا؟».

ردَّت السِّيتة مويل: «ربما خُدِعوا أيضًا يا سيِّدي، ليست عندي بيِّنة على هذا. أستطيعُ فقط أن أقسم على صحَّة ما اكتشفته بنفسي حين فحصتُ الملكة».

كانت صورة هذه الحيزبون العجوز المتجهِّمة تضع أصابعها المتغضِّنة في فرج مارچري الوردي الصَّغير طريفةً لدرجة أن سرسي كادَت تضحك. قالت: «إننا مصرُّون على أن يسمح صاحِب القداسة الأعلى لِمايستراتنا بفحص زوجة ابني للبَتِّ في صحَّة هذه المطاعن. أيها المِايستر الأكبر پايسل، ستصحب السِّيتة مويل إلى سِپت المحبوب بيلور وترجع إلينا بحقيقة بتولة مارچري».

كان لون وجه پايسل يُحاكي الحليب الخاثر، ففكَّرت الملكة: في اجتماعات المجلس لا يَصمُت الأحمق العجوز المأفون أبدًا، لكن الآن عندما أريده أن يلفظ بضع كلماتٍ يفقد القُدرة على الكلام. ثم إن العجوز نطقَ أخيرًا، وبصوتٍ راجفٍ قال: «ليس هناك داعٍ لأن أفحص... أعضاءها الحميمة. يُحزِنني أن أقول إن... الملكة مارچري لَيست بِكرًا. لقد طلبَت مني أن أعدَّ لها شاي القمر، ليس مرَّةً بل عدَّة مرَّات».

الهدير الذي تبعَ قوله كان ما أملَته سرسي لانستر بالضَّبط.

حتى دقَّات الحاجب الملكي بعصاه على الأرض لم تُفلِح في إسكات الصَّخب، وتركَته الملكة يغمرها بضع لحظاتٍ مستطعمةً خزي الملكة الصَّغيرة، ولمَّا طالَ مدَّةً كافيةً نهضَت بملامح حجريَّة وأمرَت ذوي المعاطف الذَّهبيَّة بإخلاء القاعة، وقالت لنفسها بجذل: انتهى أمر مارچري تايرل. أحاطَ بها فُرسانها البِيض إذ خرجَت من باب الملك وراء العرش الحديدي؛ بوروس بلاونت ومرين ترانت وأوزموند كِتلبلاك، آخِر الباقين من رجال الحَرس الملكي في المدينة.

كان فتى القمر واقفًا وراء الباب ممسكًا خُشْخَيْشته ويُحَملِق إلى الفوضى بعينيه المستديرتين الكبيرتين. ربما يكون مهرِّجًا، لكنه صادق في تهريجه.

كان على ماجي الضِّفدعة أن ترتدي ثياب المهرِّجين أيضًا لجهلها بالغد. تدعو سرسي الآلهة أن المحتالة العجوز تَصرُخ في قرار الجحيم. الملكة الأصغر التي تنبَّأت بمجيئها انطوَت صفحتها، وإذا كان يُمكن أن تخيب هذه النُّبوءة فالبقيَّة أيضًا ستخيب. لا أكفان ذهبيَّة، لا ڤالونكار. أخيرًا تحرَّرتُ من نعيقِك الحاقد.

تبعَها باقي أعضاء مجلسها الصَّغير إلى الخارج، وقد بدا هاريس سويفت دائخًا وتعثَّر عند الباب وكادَ يَسقُط لولا أن أوران ووترز أمسكَه من ذراعه، وحتى أورتون ميريويذر لاحَ عليه التَّوتُّر إذ قال: «العامَّة شغوفون بالملكة الصَّغيرة. لن يَترُكوا شيئًا كهذا يمرُّ مرور الكرام. أخشى ما قد يَحدُث يا جلالة الملكة».

قال اللورد ووترز: «اللورد ميريويذر محقٌّ. بَعد إذن صاحِبة الجلالة، سأطلقُ بقيَّة دُرموناتنا. منظرها في (النَّهر الأسود) وراية الملك تومن تخفق فوقها سيُذَكِّر المدينة بمَن يَحكُم هنا، بالإضافة إلى الحفاظ على سلامتها إذا بدأ الغوغاء الشَّغب من جديد».

تركَ أوران البقيَّة بلا ذِكر. حالما تَخرُج الدُّرمونات إلى الماء ستستطيع منع مايس تايرل من العودة بجيشه عبر النَّهر، تمامًا كما منعَ تيريون ستانيس من قبل. ليست لـ(هايجاردن) قوَّة خاصَّة بها في هذا الجانب من (وستروس)، ويعتمد آل تايرل على أسطول ردواين العائد في الوقت الرَّاهن إلى (الكرمة).

أعلنَت الملكة: «خُطوة سديدة. إلى أن تمرَّ هذه العاصفة أريدُ أن تُجَهَّز سُفنك بأطقُمها وتَخرُج إلى النَّهر».

كان وجه السير هاريس سويفت شاحبًا مخضَّلًا بالعَرق حتى إنه بدا على وشك فقدان الوعي إذ قال: «حين يَبلُغ الخبر اللورد تايرل لن تكون لغضبته حدود. ستسيل الدِّماء في الشَّوارع...».

قالت سرسي لنفسها متأمِّلةً: فارس الدَّجاجة الصَّفراء. حريٌّ بك أن تتَّخذ دودةً رمزًا لك أيها الفارس. بالنِّسبة إليك الدَّجاج أشجع من اللَّازم. إذا كان مايس تايرل لا يستطيع الهجوم على (ستورمز إند)، فكيف تخاله يَجسُر على مهاجَمة الآلهة؟ لمَّا فرغَ من ثرثرته قالت: «يجب ألَّا يَبلُغ الأمر حَدَّ إراقة الدِّماء. سأذهبُ إلى (سِپت بيلور) لأتكلَّم مع الملكة مارچري والسِّپتون

الأعلى. أعلمُ أن تومن يحبُّ الاثنين، ولا ريب أنه سيرغب في أن أقيم السَّلام بينهما».

ربَّت السير هاريس على جبهته بكُمِّه المخملي مجفِّفًا عَرقه، وقال: «السَّلام؟ إذا كان السَّلام ممكنًا... هذه شَجاعة بالغة منكِ».

قالت الملكة: «ربما يكون ضروريًّا أن تُعقَد محاكَمة ما تدحض هذه الافتراءات والأكاذيب الوضيعة وتُري العالم أن مارچري بالبراءة التي نعرفها عنها حقًّا».

قال ميريويذر: «أجل، لكن ربما يرغب السِّپتون الأعلى في محاكَمة الملكة بنفسه كما اعتادَت العقيدة محاكَمة النَّاس قديمًا».

هذا ما آمله. ليس واردًا أن تَنظُر محكمة كتلك بعين العطف إلى الملكة الخائنة التي فتحَت ساقيها للمغنِّين ودنَّست طقوس (العذراء) المقدَّسة لتُواري عارها. «المهمُّ أن نكتشف الحقيقة، إنني واثقة بأننا جميعًا متَّفقون على هذا. والآن أيها السَّادة أرجو أن تَعذُروني، يجب أن أذهب لأرى ابني، فلا ينبغي أن يكون وحده في وقتٍ كهذا».

كان تومن يصطاد القِطط حين عادَت أُمُّه إليه. تحبُّ الهُريرات مطارَدة الفأر الذي صنعَته له دوركاس من قُصاصات الفرو وربطَته بخيطٍ طويل في طرف صنَّارةٍ قديمة، ولا يحبُّ الصَّبي شيئًا أكثر من جرِّه على الأرض بينما تتوثَّب هُريراته محاولةً الظَّفر به. بدَت عليه الدَّهشة عندما رفعَته سرسي بين ذراعيها وقبَّلته على جبهته، وسألَها: «لماذا تُقَبِّلينني يا أمَّاه؟ ولِمَ تبكين؟».

أرادَت أن تقول له: لأنك آمِن، لأن لا أذى سيُصيبك أبدًا. «أنت مخطئ. الأسد لا يبكي أبدًا». سيكون هناك وقت فيما بَعد لإخباره بأمر مارچري وبنات عمومتها. «ثمَّة أذون أريدك أن تُوَقِّعها».

لأجل خاطر الملك لم تضع الملكة الأسماء على أذون الاعتقال، فذيَّلها تومن بتوقيعه خاليةً وضغطَ ختمه في الشَّمع الدَّافي بسعادةٍ كعادته، وبَعدها صرفَته سرسي مع چوسلين سويفت.

وصلَ السير أوزفريد كِتلبلاك بينما يجفُّ الحبر الذي كتبَت به سرسي الأسماء بنفسها؛ السير تالاد الطَّويل وچالابار شو وهاميش ذو القيثارة وهيو كليفتون ومارك مالندور وبايارد نوركروس ولامبرت تِرنبري وهوراس

ردواين وهوبر ردواين، بالإضافة إلى ريفيٍّ معيَّن اسمه وات ويدعو نفسه بالشَّاعر الأزرق.

- «كثيرون جدًّا»، قال السير أوزفريد مقلِّبًا الأذون بحذرٍ من الكلمات كأنها صراصير تزحف على الورق. لا أحد من الإخوة كِتلبلاك يقرأ.

- «عشرة. تحت قيادتك ستَّة آلاف من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، عدد يكفي للقبض على عشرة على ما أظنُّ. ربما فَرَّ بعض الأذكياء منهم بالفعل إذا تناهَت الأخبار إلى مسامعهم في الوقت المناسب. إن حدثَ هذا فلا يهمُّ، سيجعلهم غيابهم يبدون مذنبين أكثر. السير تالاد ساذج نوعًا وربما يُحاوِل مقاوَمتكم. احرِص على عدم موته قبل أن يعترف، ولا تُؤذي أيًّا من الآخَرين. قد يكون بينهم أبرياء». من المهم للغاية أن تجد المحكمة التَّوأمين ردواين متَّهمَيْن زورًا، إذ سيُبَرهِن هذا على عدل الأحكام الصَّادرة على الآخَرين.

قال السير أوزفريد: «سنقبض عليهم جميعًا قبل شروق الشَّمس يا جلالة الملكة»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُردِف: «هناك زحام خارج باب (سِپت بيلور)».

- «زحام من أيِّ نوع؟». أيُّ شيء غير متوقَّع يُثير فيها غريزة الحذر، وتذكَّرت ما قاله اللورد ووترز عن الشَّغب. لم أضع ردَّة فعل العامَّة في الاعتبار. مارچري كانت حيوانتهم الأليفة. «كم؟».

- «مئة أو نحوها. يزعقون مطالبين السِّپتون الأعلى بالإفراج عن الملكة الصَّغيرة. يُمكننا أن نَطرُدهم إذا أردتِ».

- «لا، دَعهم يزعقون إلى أن تُبَحَّ أصواتهم. زعيقهم لن يُؤَثِّر على العُصفور. إنه لا يُصغي إلَّا إلى الآلهة». في تخييم الرَّعاع الغاضبين على عتبة باب صاحِب القداسة الأعلى سخرية قدريَّة معيَّنة، إذ رفعَه رعاع مشابهون إلى اعتمار التَّاج البلَّوري. الذي باعَه من فوره. «العقيدة لها فُرسانها الآن، فليُدافِعوا هُم عن السِّپت. أوه، وأغلِق بوَّابات المدينة أيضًا. لا أحد يَدخُل (كينجز لاندنج) أو يَخرُج منها دون إذني إلى أن تُسَوَّى هذه المسألة تمامًا».

قال السير أوزفريد: «كما تأمرين يا صاحِبة الجلالة»، وانحنى ثم ذهبَ يجد أحدًا يقرأ له الأذون.

لدى غروب الشَّمس يومها كان المتَّهمون بالخيانة جميعًا رهن الاعتقال. انهارَ هاميش ذو القيثارة عندما أتوا يقبضون عليه، وجرحَ تالاد الطَّويل ثلاثةً

من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة قبل أن يقهره الآخَرون، وأمرَت سرسي بوضع التَّوأمين ردواين في مسكنٍ مريح في بُرج وإرسال البقيَّة إلى الزَّنازين.

أخبرَها كايبرن حين أتى لزيارتها ليلتها: «هاميش يُعاني صعوبةً في التَّنفُّس ويَطلُب مِايستر».

ردَّت: «قُل له إن واحدًا سيذهب إليه ما إن يعترف»، وفكَّرت لحظةً ثم أضافَت: «إنه أكبر سِنًّا من أن يكون واحدًا من العُشَّاق، لكن لا شَكَّ أن مارچري جعلَته يعزف ويُغَنِّي لها بينما تستضيف رجالًا آخَرين. سنحتاج إلى تفاصيل».

- «سأعينه على تذكُّرها يا جلالة الملكة».

في اليوم التَّالي ساعدَتها الليدي تاينا ميريويذر على ارتداء ثيابها من أجل زيارتهما الملكة الصَّغيرة، وقد قالت لها سرسي: «لا شيء مترفًا أو زاهي الألوان. الأنسب أن أرتدي شيئًا محتشمًا داكنًا للسِّپتون الأعلى. غالبًا سيجعلني أصلِّي معه»، وفي النِّهاية انتقَت فُستانًا من الصُّوف النَّاعم كساها من الرَّقبة إلى الكاحلَيْن، على صدره وكُمَّيه القليل من فروع الكرم الصَّغيرة المطرَّزة بخيطٍ ذهبي يُخَفِّف جهامة خطوطه بعض الشَّيء. الأفضل أن لونه البنِّي سيُساعِد على إخفاء الوسخ إذا ركعَت. «بينما أواسي زوجة ابني ستتكلَّمين مع بنات عمومتها الثَّلاث. اربحي آلا إذا استطعتِ، لكن توخَّي الحذر في ما تقولين. ربما لا تكون الآلهة الوحيدة التي تسمعكما».

لطالما قال چايمي إن أصعب جزءٍ من أيِّ معركةٍ هو الذي يسبقها مباشرةً في أثناء انتظار بدء المعمعة. حين خرجَت سرسي رأت السَّماء غائمةً كئيبةً، ولمَّا كانت لا تستطيع المجازَفة بالتَّعرُّض إلى وابلٍ من المطر ودخول (سِپت بيلور) مبتلَّةً ملطَّخةً بالأوساخ فقد قرَّرت ركوب الهودج. لحراستها أخذَت عشرةً من رجال لانستر وبوروس بلاونت، بَعد أن قالت للسير أوزموند: «ربما لا يملك دهماء مارچري الذَّكاء الكافي للتَّمييز بين كِتلبلاك وآخَر، ولا يُمكنني أن أدعك ترفع سلاحك ضد العوام. الأفضل أن تبقى بعيدًا عن الأنظار فترةً».

إذ شقَّتا طريقهما عبر (كينجز لاندنج) خامرَ تاينا شَكٌّ مفاجئ، وقالت بخفوت: «هذه المحاكَمة، ماذا لو طالبَت مارچري بحسم براءتها من ذنبها عن طريق النِّزال؟».

داعبَت ابتسامة شفتَي سرسي، وأجابَت: «باعتبارها الملكة فلا بُدَّ من أن يُدافِع عن شَرفها أحد رجال الحَرس الملكي. كلُّ طفلٍ في (وستروس) يعلم أن الأمير إيمون الفارس التنِّين ناصرَ أخته الملكة نيريس في مواجَهة اتِّهامات السير مورجيل... لكن مع إصابة السير لوراس فأخشى أن دور الأمير إيمون سيقع على عاتق أحد إخوته المحلَّفين»، وهزَّت كتفيها مواصلةً: «لكن مَن؟ السير آريس والسير بالون بعيدان في (دورن)، وچايمي في (ريڤررَن)، والسير أوزموند شقيق الرَّجل الذي يتَّهمها، وهكذا لا يتبقَّى إلَّا... أوه، وَيلي...».

قالت الليدي تاينا ضاحكةً: «بوروس بلاونت ومرين ترانت».

- «نعم، والسير مرين متوعِّك منذ فترة. ذكِّريني بأن أقول له هذا عندما نعود إلى القلعة».

- «سأفعلُ يا جميلتي»، والتقطَت تاينا يدها وقبَّلتها مردفةً: «آملُ ألَّا أسيء إليكِ أبدًا. إنكِ رهيبة حين تُستَثارين».

- «كلُّ أُمٍّ تفعل المِثل لحماية أطفالها. متى تنتوين المجيء بابنكِ إلى البلاط؟ اسمه راسل، أليس كذلك؟ يُمكنه أن يتمرَّن مع تومن».

- «سيتحمَّس الصَّبي لهذا، أعرفُ... لكن الأمور مضطربة للغاية الآن، وخطرَ لي أن الانتظار أفضل إلى أن يمرَّ الخطر».

- «عمَّا قريب. أرسِلي خبرًا إلى (الطَّاولة الطَّويلة) وقولي لراسل أن يحزم أفضل سُتراته وسيفه الخشبي. صديق صغير جديد هو بالضَّبط ما سيُعين تومن على نسيان خسارته بَعد أن يطير رأس مارچري».

نزلَتا من الهودج تحت تمثال بيلور المبارَك، وسُرَّت الملكة لرؤية السَّاحة نظيفةً من العظام والقذارة. صدقَ قول السير أوزفريد، فالزِّحام ليس شديدًا أو فوضويًّا كزحام العصافير، وقد وقفَ المحتشدون في مجموعاتٍ صغيرة يَرمُقون باب (السِّبت الكبير) بوجوم، حيث يقف صَفٌّ من السِّبتونات المبتدئين حاملين النَّبابيت. لا فو لاذ. ليست واثقةً إن كانت هذه حكمةً بالغةً أم بلاهةً مفرطةً.

لم يُحاوِل أحد اعتراض طريقهما، وانزاحَ لهما العامَّة والمبتدئون إذ مرَّتا، وبمجرَّد دخولهما استقبلَهما ثلاثة من الفُرسان في (بهو القناديل)، يرتدي كلٌّ منهم معطف أبناء المُحارب ذي ألوان قوس قزح. قالت لهم سرسي: «أنا هنا لرؤية زوجة ابني».

أجابَها أحدهم: «صاحِب القداسة الأعلى كان يتوقَّع حضوركِ. أنا السير ثيودان الصَّادق، المعروف سابقًا باسم السير ثيودان وِلز. أرجو أن تتفضَّلي معي يا صاحِبة الجلالة».

كان العُصفور الأعلى على رُكبتيه كالعادة، هذه المرَّة يُصَلِّي عند مذبح (الأب)، ولم يقطع صلاته لدى اقتراب الملكة، بل جعلَها تنتظر بصبرٍ يكاد ينفد حتى فرغَ، وعندها فقط نهضَ وانحنى لها قائلًا: «جلالة الملكة، هذا يوم حزين».

– «حزين للغاية. هل لنا الإذن في الكلام مع مارچري وبنات عمومتها؟».

اختارَت أن تتَّبع أسلوبًا حليمًا متواضعًا، فهذا أكثر ما يَصلُح مع رجلٍ مِثله.

– «إذا أردتِ. تعالي إليَّ بَعدها يا بنيَّتي. يجب أن نُصَلِّي معًا».

الملكة الصَّغيرة حبيسة أعلى أحد أبراج (السِّپت الكبير) الرَّفيعة، زنزانتها طولها ثمانية أقدام وعرضها ستَّة، ولا أثاث فيها إلَّا سرير من القَشِّ ودكَّة للصَّلاة، بالإضافة إلى إبريق ماء ونُسخةٍ من (النَّجمة السُّباعيَّة) وشمعةٍ لقراءتها على ضوئها، والنَّافذة الوحيدة ليست أوسع كثيرًا من فتحة رماية.

وجدَت سرسي مارچري حافيةً ترتجف، ترتدي ثوبًا من الخيش على غرار الأخوات المبتدئات، وشَعرها متشابك وقدماها متَّسختان. ما إن صارَتا وحدها قالت لها الملكة الصَّغيرة: «لقد أخذوا ثيابي. كنتُ أرتدي فُستانًا من الحرير العاجي صدره مزيَّن بلآلئ المياه العذبة، لكن السِّپتوات وضعن أيديهن عليَّ وجرَّدوني من ثيابي كلِّها. فعلن المِثل مع بنات عمومتي أيضًا. مِجا دفعَت إحداهن وسط الشُّموع وأشعلَت النَّار في ثوبها، لكنني أخشى على آلا. لقد شحبَ وجهها كالحليب ومنعَها خوفها من مجرَّد البُكاء».

– «الصَّغيرة المسكينة». ليست في المكان مقاعد، فجلسَت سرسي إلى جوار الملكة الصَّغيرة على سريرها، وقالت: «الليدي تاينا ذهبَت تتكلَّم معها لتجعلها تعلم أنها لم تُنسَ».

قالت مارچري مغتاظةً: «إنه يَرفُض أن يَترُكني أراهن حتى، وفصلَ كلَّ واحدةٍ منا عن الأخريات. إلى أن جئتِ لم يكن مسموحًا لي بزُوَّار إلَّا السِّپتوات. واحدة منهن تأتي كلَّ ساعةٍ لتسألني إن كنتُ أرغب في الاعتراف بفسوقي. حتى النَّوم حرمنَني إياه، ويُوقِظنني ويُطالِبن باعترافي. ليلة البارحة اعترفتُ للسِّپتة أونلا برغبتي في خزق عينيها».

مؤسفٌ أنكِ لم تفعلي. كان إعماء سِپتة عجوز مسكينة كفيلًا بإقناع العُصفور الأعلى بذنبكِ بالتأكيد. «إنهن يستجوبن بنات عمومتكِ بالطَّريقة نفسها».

– «عليهن اللَّعنة إذن، فليذهبن إلى الجحائم السَّبع. آلا رقيقة خجول. كيف يفعلن بها هذا؟ ومِجا... أعرفُ أن ضحكتها صاخبة كعاهرةٍ على أرصفة الميناء، لكنها ما زالَت بنتًا صغيرةً في قلبها. إنني أحبُّهن وهن يحبَّنني. إذا كان هذا العُصفور يُريد أن يجعلهن يكذبن بشأني...».

– «أخشى أنهن متَّهمات أيضًا، ثلاثتهن».

امتقعَ وجه مارچري، وقالت: «بنات عمومتي؟ آلا ومِجا بالكاد أكبر من طفلتين. جلالة الملكة، هذا... هذا قُبح. هل ستُخرِجيننا من هنا؟».

ردَّت بصوتٍ مفعم بالأسى: «ليتني أقدرُ. صاحِب القداسة الأعلى أمرَ فُرسانه الجُدد بحراستكن. لتحريركن عليَّ إرسال ذوي المعاطف الذَّهبيَّة وتدنيس هذا المكان المقدَّس بالقتل»، والتقطَت سرسي يدَي مارچري متابعةً: «لكنني لم أضيِّع الوقت سُدًى. لقد جمعتُ كلَّ من ذكرَ السير أوزني أنهم عُشَّاقكِ. إنني واثقة بأنهم سيشهدون لصاحِب القداسة الأعلى ببراءتكِ ويُقسِمون عليها في محاكَمتكِ».

كان في نبرة الفتاة خوف حقيقي الآن وهي تقول: «محاكَمتي؟ أيجب أن تكون هناك محاكَمة؟».

قالت سرسي: «كيف ستُثبِتين براءتكِ دونها؟»، واعتصرَت يد مارچري مطمئِنةً، وأردفَت: «من حقِّكِ أن تُقَرِّري نوع المحاكَمة بالطَّبع. إنكِ الملكة، وفُرسان الحَرس الملكي مقسمون على الدِّفاع عنكِ».

فهمَت مارچري في الحال، فقالت: «محاكَمة بالنِّزال؟ لكن لوراس مصاب، وإلَّا لكان...».

– «إن له ستَّة إخوان».

حدَّقت مارچري إليها، ثم سحبَت يديها قائلةً: «أهذه مزحة؟ بوروس جبان، ومرين عجوز وبطيء، وأخوكِ مُعاق، والآخَران في (دورن)، وأوزموند من عائلة كِتلبلاك اللَّعينة. لوراس له أخوان لا ستَّة. ما دامَت المحاكَمة بالنِّزال فأريدُ أن يُناصِرني جارلان».

- «السير جارلان ليس عُضوًا في الحَرس الملكي. عندما يكون شَرف الملكة مثار خلاف يفرض القانون والعُرف أن يكون نصيرها من سبعة الملك المحلَّفين. أخشى أن السِّبتون الأعلى سيصرُّ». سأحرصُ على هذا.

لم تردَّ مارچري في الحال، لكن عينيها البنيَّتين ضاقتا شَكًّا، وأخيرًا قالت: «بلاونت أو ترانت، لا مفرَّ من أن يكون النَّصير أحدهما. سيُعجِبكِ هذا، أليس كذلك؟ أوزني كِتلبلاك يستطيع تمزيق أيِّهما إربًا».

بحَقِّ الجحائم السَّبع. تظاهرَت سرسي بالألم قائلةً: «أنتِ مخطئة في حقِّي يا ابنتي. لستُ أريدُ إلَّا...».

- «... ابنكِ، لكِ وحدكِ. لن تكون له زوجة لا تكرهينها أبدًا. وأنا لستُ ابنتكِ والشُّكر للآلهة. اترُكيني».

- «إنكِ تتكلَّمين بحماقة. أنا هنا لمساعَدتكِ فقط».

- «لمساعَدتي على الذَّهاب إلى قبري. طلبتُ منكِ أن ترحلي. هل ستجعلينني أنادي سجَّاناتي ليجرَّنكِ إلى الخارج أيتها الحقيرة الشرِّيرة المتآمرة الكريهة؟».

لملمَت سرسي تنُّورتها بكرامة، وردَّت: «لا بُدَّ أن الموقف يُخيفكِ بشدَّة. سأغفرُ لكِ ما قلتِه». هنا، كما في البلاط، لا يدري المرء إن كان أحدهم يتنصَّت. «كنتُ لأخاف أيضًا لو أنني في مكانكِ. المِايستر الأكبر پايسل أقرَّ بتزويدكِ بشاي القمر، والشَّاعر الأزرق... لو كنتُ في مكانكِ يا سيِّدتي لطلبتُ من (العجوز) الحكمة ومن (الأُم) رحمتها. أخشى أنكِ قد تصيرين في حاجةٍ ماسَّة إلى الاثنتين قريبًا».

اصطحبَت أربع سِبتوات ذابلات الملكة إذ نزلَت سلالم البُرج، وقد بدَت كلٌّ من الحيزبونات أوهن من الأخرى. حين بلغن الأرض واصَلن الطَّريق إلى أسفل في قلب (تَل ڤيزينيا)، وانتهَت الدَّرجات تحت الأرض بمسافةٍ طويلة، حيث يُضيء صَفٌّ من المشاعل المتذبذبة ردهةً طويلةً.

وجدَت السِّبتون الأعلى منتظرًا إياها في غُرفة اجتماعاتٍ صغيرة سُباعيَّة الجوانب، غُرفة تقليديَّة متواضعة جُدرانها الحجريَّة عارية من الطِّلاء وفيها طاولة خشبيَّة غير متقنة الصُّنع وثلاثة مقاعد ودكَّة صلاة. على الجُدران نُقِشَت وجوه (السَّبعة)، وقد عدَّت سرسي النُّقوش بدائيَّةً قبيحةً، ولو أن فيها

قوَّةً معيَّنةً، خصوصًا في الأعيُن الكرويَّة المصنوعة من الجزْع والمَلَكيت وحجارة القمر الصَّفراء، والتي تبعث الحياة في الوجوه بشكلٍ ما.

قال السِّيتون الأعلى: «تكلَّمتِ مع الملكة».

قاومَت الرَّغبة في أن تقول: أنا الملكة، وردَّت: «نعم».

– «كلُّ البَشر يرتكبون الذُّنوب، حتى الملوك والملكات. أنا نفسي ارتكبتُ ذنوبًا ونلتُ المغفرة. لكن لا مغفرة دون اعتراف، والملكة تَرفُض أن تعترف».

– «ربما تكون بريئةً».

– «ليست بريئةً. السِّيتوات الموقَّرات فحصنها ويشهدن بانفضاض غشاء بِكارتها. لقد شربَت شاي القمر لتَقتُل ثمرة زِناها في رحمها، وثمَّة فارس أقسمَ على سيفه بمعرفته الحميمة بها وباثنتين من بنات عمومتها. يقول إن آخَرين عاشَروها أيضًا، وذكرَ أسماء رجالٍ كُثر، منهم الوضيع ومنهم عالي المقام».

– «ذوو المعاطف الذَّهبيَّة أخذوهم جميعًا إلى الزَّنازين. واحد فقط خضعَ للاستجواب حتى الآن، مطرب اسمه الشَّاعر الأزرق. وما قاله مزعج. على الرغم من هذا أدعو الآلهة أن تَثبُت براءة زوجة ابني عند مثولها للمحاكَمة»، وتردَّدت سرسي لحظةً، ثم قالت: «تومن يحبُّ ملكته الصَّغيرة كثيرًا يا صاحِب القداسة، وأخشى أن يكون إصدار حُكم عادل عليها من قِبله أو قِبل لورداته صعبًا. ربما الأفضل أن تتولَّى العقيدة المحاكَمة؟».

شبَّك العُصفور الأعلى يديه قائلًا: «خطرَت لي الفكرة ذاتها يا صاحِبة الجلالة. كما سلبَ ميجور المتوحِّش العقيدة سيوفها حرمَنا چهيرس المُصلح موازين العدل، لكن من يَصلُح حقًّا للحُكم على ملكةٍ إلَّا (السَّبعة في الأعالي) والمقسمون على خدمتهم على الأرض؟ ستتولَّى محكمة موقَّرة من سبعة قُضاةٍ القضيَّة، ثلاثة من جنسكِ الأنثوي، عذراء وأُم وعجوز. مَن أجدر منهن بالحُكم على آثام النِّساء؟».

– «سيكون هذا أفضل، لكن لا شَكَّ أن لمارچري الحَقَّ في المطالَبة بإثبات ذنبها أو براءتها بمحاكَمةٍ بالنِّزال، وفي تلك الحالة يجب أن يكون نصيرها من حَرس تومن السَّبعة».

– «فُرسان الحَرس الملكي يخدمون كمُناصرين شرعيِّين للملك والملكة منذ عهد إجون الفاتِح. صوت التَّاج والعقيدة واحد في هذه المسألة».

دفنَت سرسي وجهها بين يديها متظاهرةً بالحُزن، ولمَّا رفعَت رأسها ثانيةً التمعَت عبرة في عينها، وقالت: «هذه أيام حزينة بالفعل، لكن يسرُّني أن أجدنا على وفاقٍ تام. أعرفُ أن تومن كان ليَشكُرك لو أنه هنا. أنا وأنت يجب أن نَعثُر على الحقيقة معًا».

– «سنفعل».

– «يجب أن أرجع إلى القلعة. بَعد إذنك سآخذُ السير أوزني كِتلبلاك معي. سيُريد أعضاء المجلس الصَّغير استجوابه وسماع اتِّهاماته بأنفُسهم».

رَدَّ السِّيتون الأعلى: «لا».

مجرَّد كلمة، كلمة واحدة صغيرة، غير أنها بمثابة ماء مثلَّج قذفَه في وجهها. حدَّقت إليه وقد اهتزَّت ثقتها قليلًا، وقالت: «سنحتجز السير أوزني في مكانٍ آمِن، أعدك».

– «إنه محتجَز في مكانٍ آمِن هنا. تعالي، سأريكِ».

شعرَت سرسي بأعيُن (السَّبعة) تَرمُقها، أعيُن من اليَشب والمَلَكيت والجزْع، وسرَت في جسدها رعدة خوفٍ مباغتة باردة كالجليد، لكنها قالت لنفسها: أنا الملكة، ابنة اللورد تايوين، وبتردُّدٍ تبعَته.

لم يكن السير أوزني بعيدًا. توقَّفا عند غُرفةٍ مظلمة مغلَقة ببابٍ حديديٍّ ثقيل، وأخرجَ السِّيتون الأعلى مفتاحًا والتقطَ مشعلًا من على الجِدار ليُضيء الغُرفة من الدَّاخل قائلًا: «بَعدكِ يا جلالة الملكة».

في الدَّاخل كان أوزني كِتلبلاك معلَّقًا عاريًا من السَّقف، يتأرجَح من سلسلتين حديديَّتين ثقيلتين، مجلودًا تكاد ضربات السَّوط تكشف لحم ظَهره وكتفيه كلَّه وتتقاطَع الجروح على ساقيه ومؤخِّرته.

لم تحتمل الملكة النَّظر إليه، والتفتَت إلى السِّيتون الأعلى قائلةً: «ماذا فعلتم؟!».

– «سعينا إلى معرفة الحقيقة بكلِّ جدِّيَّة».

– «لقد قال الحقيقة، أتاك بإرادته الحُرَّة واعترفَ بخطاياه».

– «نعم، فعلَ هذا. لقد سمعتُ اعترافات رجالٍ كثيرين يا صاحِبة الجلالة، لكن نادرًا ما سمعتُ رجلًا مسرورًا بذنوبه لهذه الدَّرجة».

– «لقد جلدتموه!».

- «لا توبة دون ألم. لا يَجدُر بامرئٍ أن يستغني عن ضربات السِّياط كما أخبرتُ السير أوزني. إنني نادرًا ما أشعرُ بقُربي من الإله كما أشعرُ حين أُجلَدُ تكفيرًا عن خطاياي، ولو أن أسوأ خطاياي ليس بسواد خطاياه».

قالت متلعثمةً: «لـلكنك تُبَشِّر برحمة (الأُم)...».

- «وسيتذوَّق السير أوزني هذا اللَّبن العذب في العالم الآخَر. مكتوب في (النَّجمة السُّباعيَّة) إن الآلهة تغفر الذُّنوب كلَّها ولكن لا بُدَّ من عقاب المرء على ما يقترفه من جرائم. أوزني كِتلبلاك مذنب بالخيانة والقتل، وعقوبة الخيانة الموت».

إنه مجرَّد راهب، لا يُمكنه أن يفعل هذا. «ليس للعقيدة أن تَحكُم على أحدٍ بالموت مهما كانت جريرته».

ببُطءٍ ردَّد السِّپتون الأعلى الكلمات وازنًا إياها: «مهما كانت جريرته»، ثم أردفَ: «الغريب يا جلالة الملكة أنه كلَّما أخلصنا في جَلد السير أوزني تغيَّرت جرائره. الآن يُريدنا أن نُصَدِّق أنه لم يلمس مارچري تايرل بتاتًا، أليس كذلك يا سير أوزني؟».

فتحَ أوزني كِتلبلاك عينيه، ولمَّا رأى الملكة واقفةً أمامه لعقَ شفتيه المتورِّمتين، وقال: «(الجِدار)، لقد وعدتِني بـ(الجِدار)».

قالت سرسي: «إنه مجنون، قُدتموه إلى الجنون».

سألَ السِّپتون الأعلى بصوتٍ حازمٍ واضح: «سير أوزني، هل لك معرفة حميمة بالملكة؟».

صلصلَت القيود بخفوتٍ إذ تلوَّى أوزني، وأجابَ: «أجل، هذه الملكة، هي الملكة التي نكحتها، التي أرسلَتني لقتل السِّپتون الأعلى السَّابق. لم يكن له حَرس. دخلتُ وهو نائم وخنقته بالوسادة».

ودارَت سرسي على عقبيها تجري.

حاولَ السِّپتون الأعلى الإمساك بها، لكنه مجرَّد عُصفورٍ عجوز وهي اللَّبؤة ابنة (الصَّخرة). دفعَته جانبًا واندفعَت من الباب صافقةً إياه وراءها بصوتٍ صاخب. الأخوان كِتلبلاك، أحتاجُ إلى الأخوين كِتلبلاك. سأرسلُ أوزفريد بذوي المعاطف الذَّهبيَّة وأوزموند بالحَرس الملكي، وما إن يُحَرِّروه سيُنكِر أوزني كلَّ شيءٍ وأخلِّصُ نفسي من هذا السِّپتون الأعلى كما تخلَّصتُ من

سلفه. اعترضَت السِّپتوات المسنَّات الأربع طريقها ومدَدن أيديهن المتغضَّنة محاولاتٍ القبض عليها، لكنها أسقطَت إحداهن على الأرض وخمشَت أخرى على وجهها واستطاعَت بلوغ السَّلالم. في منتصَف الطَّريق إلى أعلى تذكَّرت تاينا ميريويذر وتعثَّرت لاهثةً. ليُقذني (السَّبعة). تاينا تعرف كلَّ شيء. إذا أخذوها أيضًا وجلدوها...

جرَت حتى صحن السِّپت لكنها لم تستطِع الابتعاد أكثر من هذا. هناك نسوة ينتظرنها، المزيد من السِّپتوات والأخوات الصَّامتات أيضًا، أكثر شبابًا من الشَّمطاوات الأربع بالأسفل. صاحَت متراجعةً: «أنا الملكة. سأقطعُ رؤوسكن لهذا، سأقطعُ رؤوسكن جميعًا. اترُكنني أمرُّ»، وبدلًا من ذلك وضَعن أيديهن عليها. جرَت سرسي إلى مذبح (الأُم)، إلَّا أنهن أمسَكن بها هناك، نحو عشرين منهن، وجرَرنها راكلةً على سلالم البُرج من جديد، وداخل زنزانتها ثبَّتتها ثلاث أخواتٍ صامتات بينما جرَّدتها سِپتة اسمها سكوليرا من كلِّ ما تلبسه، بما فيه ثيابها الدَّاخليَّة، وألقَت لها سِپتة أخرى ثوبًا من الخيش. ظلَّت الملكة تَصرُخ فيهن: «لا يُمكنكن أن تفعلن هذا. إنني من آل لانستر. اترُكنني. سيَقتُلكن أخي، سيشقُّكن چايمي من الحَلق إلى الفرج. اترُكنني! أنا الملكة!».

قالت السِّپتة سكوليرا: «على الملكة أن تُصَلِّي»، قبل أن يَترُكنها عاريةً في الزِّنزانة الباردة الموحشة.

ليست سرسي خانعةً كمارچري تايرل لترتدي الثَّوب الحقير وتستسلم للسِّجن. سأعلِّمهن معنى حبس الأسد في قفص. مزَّقت الثَّوب مئة قطعة، والتقطَت إبريق الماء وهشَّمته على الحائط، ثم فعلَت المِثل بوعاء الفضلات، فلمَّا لم يأتِ أحد بدأت تدقُّ الباب بقبضتيها. حُرَّاسها بالأسفل في السَّاحة، عشرة من رجال لانستر والسير بوروس بلاونت. حالما يسمعون سيأتون لإطلاق سراحي، وسأجرُّ العُصفور الأعلى الملعون إلى (القلعة الحمراء) مكبَّلًا بالسَّلاسل.

عند الباب وعند النَّافذة صرخَت وركلَت وعوَت حتى بُحَّ صوتها، ولم يردَّ عليها أحد، ولم يأتِ يُنقِذها أحد. بدأت الزِّنزانة تُظلِم وتزداد برودةً، وأخذَت سرسي ترتجف. كيف يتَرُكنني هكذا دون نار؟ إنني ملكتهن. بدأ النَّدم يُسوارِها

على تمزيق الثَّوب الخيش. على السَّرير القَشِّ في الرُّكن دثار من الصُّوف البنِّي الخفيف الخشن، لكنه كلُّ ما لديها، وقد انكمشَت سرسي على نفسها تحته لتُوقِف رجفتها، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تغيب في نوم مرهَق.

ثم إذا بيدٍ ثقيلة تهزُّها، واستيقظَت في زنزانةٍ سوداء كَالقار لتجد امرأةً قبيحةً ضخمةً تركع إلى جوار السَّرير حاملةً شمعةً. سألَتها الملكة: «مَن أنتِ؟ هل جئتِ لإطلاق سراحي؟».

– «أنا السِّيتة أونلا، جئتُ أسمعُ اعترافكِ بالقتل والزِّنى».

ضربَت سرسي يدها مزيحةً إياها، وقالت: «سأقطعُ رأسكِ. إياكِ أن تلمسيني، ابتعدي».

نهضَت المرأة قائلةً: «جلالة الملكة، سأعودُ بَعد ساعة. ربما تكونين مستعدَّةً للاعتراف حينها».

ساعة تلو السَّاعة تلو السَّاعة. هكذا مرَّت على سرسي لانستر أطول ليلةٍ في حياتها باستثناء ليلة زفاف چوفري. حَلقها مسحوج من فرط الصِّياح لدرجة أنها تبتلع ريقها بصعوبة، وبرودة الزِّنزانة تُجَمِّد. كانت قد حطَّمت وعاء الفضلات، فاضطرَّت إلى القرفصة في رُكنٍ لتتبوَّل وتُشاهِد البول يسيل على الأرض. كلَّما أغلقَت عينيها تجد أونلا فوق رأسها من جديد، تهزُّها وتسألها إن كانت تُريد الاعتراف بخطاياها.

لم يجلب لها النَّهار راحةً. مع شروق الشَّمس أتَتها السِّيتة مويل بوعاءٍ من عصيدةٍ رماديَّة مسيخة، فألقَته سرسي على رأسها، لكن حين أتينَها بإبريق ماءٍ جديد لم يَترُك لها عطشها الشَّديد خيارًا إلَّا الشُّرب، ولمَّا أتينَها بثوبٍ آخَر رمادي رقيق زنِخ الرَّائحة تناولَته وغطَّت به عُريها، وليلتها عندما عادَت مويل أكلَت الخُبز والسَّمك وطلبَت نبيذًا، لكن نبيذًا لم يظهر، فقط السِّيتة أونلا في زيارتها المحسوبة بالسَّاعة تسأل الملكة إن كانت مستعدَّةً للاعتراف.

بينما بدأت شريحة السَّماء الرَّفيعة خراج نافذتها تُظلِم ثانيةً تساءلَت سرسي في قرارة نفسها: كيف يَحدُث هذا؟ لِمَ لم يأتِ أحد ينتزعني من هنا؟ لا تُصَدِّق أن يتخلَّى الأخوان كِتلبلاك عن شقيقهما. وأعضاء مجلسها، ماذا يفعلون؟ رعاديد وخونة. حين أخرجُ من هنا سآمرُ بضرب أعناقهم جميعًا وأجدُ رجالًا أفضل يحلُّون محلَّهم.

ثلاث مرَّاتٍ يومها ترامى إلى مسامعها صياح بعيد من السَّاحة، لكن الرَّعاع كانوا يهتفون باسم مارچري لا اسمها.

قُرب فَجر اليوم التَّالي فيما تلعق سرسي ما تبقَّى من الثَّريد في قاع الوعاء انفتحَ باب الزِّنزانة بلا سابق إنذار ودخلَ اللورد كايبرن. بذلَت أقصى جهدها كي لا تُلقي نفسها بين ذراعيه، وهمسَت: «كايبرن، أوه، يا للآلهة، كم أنا سعيدة لرؤية وجهك. خُذني إلى البيت».

– «لن يُسمَح بذلك. ستَمثُلين أمام محكمةٍ موقَّرة من سبعة قُضاة بتُهم الاغتيال والخيانة والزِّنى».

كانت سرسي مرهَقةً للغاية حتى إن الكلام بدا لها فارغًا في البداية، وقالت: «تومن. أخبِرني بأمر ابني، ألا يزال الملك؟».

– «بلى يا صاحِبة الجلالة. إنه بسلام وخير، آمِن وراء جُدران (حصن ميجور) ويحميه الحَرس الملكي، لكنه يَشعُر بالوحدة والاضطراب، ويسأل عنكِ وعن ملكته الصَّغيرة. لم يُخبِره أحد بعدُ بـ... بـ...».

– «... أزمتي؟ وماذا عن مارچري؟».

– «ستَمثُل للمحاكَمة أيضًا أمام القُضاة أنفُسهم. لقد سلَّمتُ الشَّاعر الأزرق إلى السِّپتون الأعلى وفقًا لأوامركِ. إنه هنا الآن في مكانٍ ما بالأسفل. هامِسوي أخبروني بأنهم يجلدونه، لكنه حتى الآن يُغَنِّي الأغنيَّة الجميلة نفسها التي لقَّنَّاه إياها».

فكَّرت بذهنٍ خدِر من جرَّاء الحاجة إلى النَّوم: الأغنيَّة الجميلة نفسها. وات، اسمه الحقيقي وات. إذا شاءَت الآلهة سيموت وات بضربات الكُرباج تاركًا مارچري بلا سبيل إلى دحض شهادته. «أين فُرساني؟ السير أوزفريد... السِّپتون الأعلى سيَقتُل أخاه أوزني. لا بُدَّ أن يتحرَّك ذوو المعاطف الذَّهبيَّة...».

– «لم يَعُد أوزفريد كِتلبلاك يقود حَرس المدينة. الملك نحَّاه من منصبه وعيَّن قائد (بوَّابة التنِّين) في مكانه، اسمه همفري ووترز».

كانت سرسي منهَكةً للغاية، ولا شيء من هذا له معنى. «لماذا فعلَ تومن هذا؟».

– «اللَّوم ليس على الصَّبي. حين يضع مجلسه مرسومًا أمامه يُذَيِّله بتوقيعه ويمهَره بختمه».

- «مجلسي... مَن... مَن فعلَ هذا؟ أنت؟».

- «لقد صُرِفتُ من المجلس للأسف، لكنهم يسمحون لي بالاستمرار في العمل مع هامسي الخصيِّ في الوقت الحالي. البلاد يَحكُمها السير هاريس سويفت والمِايستر الأكبر پايسل، وقد أرسَلا غُدافًا إلى (كاسترلي روك) داعيَيْن عمَّكِ إلى العودة إلى البلاط وتولِّي الوصاية على العرش. إذا كان سيقبل فالأفضل أن يُسرِع. مايس تايرل تخلَّى عن حصار (ستورمز إند) ويزحف على المدينة بجيشه، وراندل تارلي في الطَّريق من (بِركة العذارى) أيضًا».

- «هل وافقَ اللورد ميريويذر على هذا؟».

- «ميريويذر استقالَ من منصبه في المجلس وفَرَّ عائدًا إلى (الطَّاولة الطَّويلة) مع زوجته التي كانت أول من أبلَغنا نبأ... الاتِّهامات... ضد جلالتكِ».

- «تركوا تاينا تذهب إذن». هذا أفضل شيءٍ سمعَته منذ قال السِّپتون الأعلى لها لا. كان يُمكن أن تَحكُم تاينا عليها بالهلاك. «وماذا عن اللورد ووترز؟ سُفنه... إذا جلبَ أطقُمها إلى اليابسة فسيكون معه رجال يكفون لـ...».

- «بمجرَّد أن بلغَت أخبار أزمة جلالتكِ الحاليَّة النَّهر رفعَ اللورد ووترز قلوعه وأنزلَ مجاذيفه وأخذَ أسطوله إلى البحر. السير هاريس يخشى أنه ينوي الانضمام إلى اللورد ستانيس، وپايسل يعتقد أنه مبحر إلى (الأعتاب) ليكون قُرصانًا».

- «كلُّ دُرموناتي الجميلة». كادَت سرسي تضحك. «اعتادَ أبي أن يقول إن النُّغول مخادعون بالفطرة. ليتني أصغيتُ إليه»، وارتجفَت مضيفةً: «لقد ضعتُ يا كايبرن».

رَدَّ: «لا»، والتقطَ يدها مواصلًا: «ما زالَ الأمل باقيًا. لجلالتكِ الحَقُّ في إثبات براءتكِ بالنِّزال، ونصيركِ جاهز يا مولاتي. لا أمل لرجلٍ في (الممالك السَّبع) بأَسرها في الصُّمود أمامه. إذا ألقيتِ الأمر فقط...».

هذه المرَّة ضحكَت. كان الأمر طريفًا، طريفًا على نحوٍ رهيب، طريفًا على نحوٍ بشع. «الآلهة تُحيل آمالنا وخُططنا جميعًا إلى دُعابات. لي نصير لا يقوى

رجل على هزيمته لكنني ممنوعة من استخدامه. أنا الملكة يا كايبرن، وليس لأحدٍ أن يُدافِع عن شَرفي إلَّا أخ محلَّف في الحَرس الملكي».

ماتَت الابتسامة على وجه كايبرن، وقال: «مفهوم. إنني حائر يا جلالة الملكة، ولا أدري بِمَ أنصحكِ...».

حتى في حالة الإرهاق والخوف هذه تعلم الملكة أنها لا تستطيع ائتمان محكمةٍ من العصافير على مصيرها، ولا يُمكنها الاعتماد على تدخُّل السير كيڤان بَعد ما قيلَ بينهما في لقائهما الأخير. يجب أن تكون محاكَمةً بالقتال، لا سبيل آخَر. «كايبرن، لأجل حُبِّك لي أتوَسَّلُ إليك أن تبعث برسالةٍ من أجلي. أرسِل غُدافًا إن استطعت، وإن لم تستطِع فأرسِل خيَّالًا. يجب أن تُرسل إلى أخي في (ريڤررَن). أخبِره بما جرى واكتُب... اكتُب...».

– «نعم يا جلالة الملكة؟».

لعقَت شفتيها مرتعدةً، ثم قالت: «تعالَ في الحال. ساعِدني. أنقِذني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتَج إليك من قبل قَطُّ. أحبُّك، أحبُّك، أحبُّك. تعالَ في الحال».

– «كما تأمرين. «أحبُّك» ثلاث مرَّات؟».

– «ثلاث مرَّات». يجب أن تُؤَثِّر فيه. «سيأتي، أعلمُ أنه سيأتي، يجب أن يأتي. چايمي أملي الوحيد».

قال كايبرن: «مولاتي، هل... نسيتِ؟ السير چايمي فقدَ يد سيفه. إذا ناصرَكِ وخسرَ...».

... فسنُغادِر هذا العالم معًا كما جئناه معًا. «لن يخسر، ليس چايمي، ليس وحياتي على المحك».

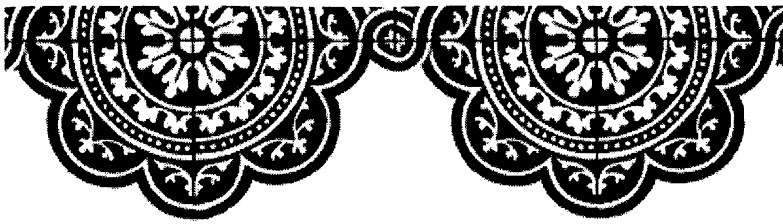

چايمي

كان سيِّد (ريڤررَن) الجديد غاضبًا إلى حَدِّ الارتجاف وهو يقول: «لقد خُدِعنا، هذا الرَّجل تلاعبَ بنا!»، وتطايرَ اللُّعاب الوردي من فمه إذ أشارَ بإصبعه إلى إدميور تَلي متابعًا: «سأقطعُ رأسه! أنا الحاكم في (ريڤررَن)، مرسوم الملك يقول إنني...».

قاطعَته زوجته: «إمون، حضرة القائد على درايةٍ بمرسوم الملك، السير إدميور على درايةٍ بمرسوم الملك، عُمَّال الاسطبلات على درايةٍ بمرسوم الملك».

- «أنا اللورد، وأريدُ أن يُقطَع رأسه!».

- «بأيِّ جريمة؟». على الرغم من هزاله يبدو إدميور أكثر وقارًا من إمون فراي، وقد ارتدى سراويل زرقاء ومعطفًا مبطَّنًا من الصُّوف الأحمر على صدره تطريز لسمكة الترويت الواثبة، وانتعلَ حذاءً من الجِلد الأسود، وغسلَ شَعره الكستنائي وهذَّبه وشذَّب لحيته الحمراء بعناية. «لقد فعلتُ كلَّ المطلوب مني».

لم يكن چايمي لانستر قد نامَ منذ فتحَت (ريڤررَن) بوَّابتها، وأحسَّ برأسه يدقُّ إذ قال: «أوه؟ لا أذكرُ أنني طلبتُ منك أن تَترُك السير برايندن يَهرُب».

- «طلبت مني أن أسلِّم القلعة لا عمِّي. لماذا أُلامُ إن كان رجالك هُم من تركوه ينسلُّ من بين صفوفهم؟».

لم تُرضِ الإجابة چايمي، وسألَ مبديًا حنقه: «أين هو؟». لقد فتَّش رجاله (ريڤررَن) ثلاث مرَّات ولم يجدوا للسير برايندن تَلي أثرًا.

- «لم يَذكُر لي أين سيذهب».

- «وأنت لم تسأله. كيف خرجَ؟».

أجابَ إدميور مبتسمًا: «السَّمك يعوم، حتى السَّمك الأسود».

راودَت چايمي رغبة شديدة في أن يَلكُمه في فمه بيده الذَّهبيَّة، فبضع أسنانٍ مفقودة كفيلة بوضع حَدٍّ لابتساماته هذه. بالنِّسبة إلى رجلٍ سيقضي ما تبقَّى له من عُمرٍ سجينًا يبدو إدميور تَلي مسرورًا للغاية بنفسه. هكذا خاطبَه قائلًا: «عندنا تحت (كاسترلي روك) ديناميس[1] تنضغط على جسد المرء بضيق بزَّةٍ مدرَّعة، لا يُمكنك أن تدور فيها أو تجلس أو تمد يدك إلى قدميك حين تبدأ الجرذان تقضم أصابعهما. هل ترغب في إعادة النَّظر في هذه الإجابة؟».

اختفَت ابتسامة إدميور، وقال: «لقد أعطيتني كلمتك بأنني سأُعامَلُ بتكريمٍ يليق بمقامي».

رَدَّ چايمي: «وهكذا ستُعامَل. فُرسان أنبل منك ماتوا متوجِّعين في تلك الدَّياميس، وعدَّة لوردات عظام أيضًا، ناهيك بملكٍ أو اثنين إن كنتُ أذكرُ ما تعلَّمته من التَّاريخ. يُمكن لزوجتك أن تنزل بالدِّيماس المجاور لك إذا أردت، فلستُ أرغبُ في التَّفريق بينكما».

قال إدميور عابسًا: «لقد خرجَ عومًا حقًّا». للرَّجل عينا أخته كاتلين الزَّرقاوان، وفيهما يرى چايمي الازدراء نفسه الذي رآه من قبل في عينيها. «رفعنا شبكة (بوَّابة الماء) الحديديَّة، ليس عن آخِرها، نحو ثلاثة أقدام فقط، ما يكفي لترك ثغرةٍ تحت الماء بينما تظلُّ البوَّابة تبدو مغلقةً. عمِّي سبَّاحٌ قوي، وبَعد حلول الظَّلام خرجَ من تحت الشَّبكة».

وسبحَ من تحت السِّلسلة بالطَّريقة نفسها لا ريب. ليلة بلا قمرٍ وحُرَّاس ضجِرون وسمكة سوداء في نهرٍ أسود يحملها التَّيَّار بهدوءٍ نحو المصبِّ. لو سمعَ روتيجر أو ياو أو أحد رجالهما المياه تتناثَر لعزوا الصَّوت إلى سمكة ترويت أو سُلحفاة. كان إدميور قد انتظرَ أغلب النَّهار قبل أن يُنزِل راية ذئب ستارك الرَّهيب دلالةً على الاستسلام، ومع فوضى تسليم القلعة لم يعرف چايمي أن السَّمكة السَّوداء ليس ضمن الأسرى إلَّا صباح اليوم التَّالي.

---

(1) الدِّيماس زنزانة تعذيب رأسيَّة شديدة الضِّيق لا يُمكن الوصول إليها إلاَّ من فتحة في السَّقف، وكانت شائعة الاستخدام في قلاع القرون الوُسطى. (المترجم).

ذهبَ إلى النَّافذة وتطلَّع إلى النَّهر الذي تتلألأ أشعَّة الشَّمس على صفحته في هذا النَّهار الخريفي الصَّحو، وفكَّر: ربما يكون السَّمكة السَّوداء قد ابتعدَ عشرة فراسخ بالفعل.

قال إمون فراي بإصرار: «يجب أن تَعثُروا عليه».

رَدَّ چايمي بثقةٍ لا يَشعُر بها: «سنَعثُر عليه. لقد أرسلتُ كلاب صيدٍ وصيَّادين يقتفون أثره بالفعل». يقود السير أدام ماربراند البحث على ضفَّة النَّهر الجنوبيَّة، ويقوده السير درموت ابن (الغابة المطيرة) على الشَّماليَّة. كان چايمي قد فكَّر في الاستعانة بلوردات النَّهر أيضًا، لكن الأرجح أن يُساعِد ڤانس وپايپر ومَن هُم على شاكلتهما السَّمكة السَّوداء على الهرب بدلًا من تقييده بالأصفاد. إجمالًا لا يرى أملًا، لكنه قال: «ربما يُراوِغنا بعض الوقت لكنه سيظهر في النِّهاية».

- «وماذا لو حاولَ أن يأخذ قلعتي؟».

- «إن معك حاميةً قوامها مئتا رجل». حامية أكبر من اللَّازم في الحقيقة، لكن اللورد إمون ينزع إلى القلق دومًا. على الأقل لن تُواجِهه مشكلة في إطعامها، إذ تركَ السَّمكة السَّوداء (ريڤررَن) مزوَّدةً بفائضٍ من المؤن، تمامًا كما ادَّعى. «بَعد ما تجشَّمه السير برايندن كي يَترُكنا أشكُّ في أنه سيعود». ما لم يكن على رأس جماعةٍ من الخارجين عن القانون. ما لا يشكُّ فيه هو نيَّة السَّمكة السَّوداء استكمال القتال.

قالت الليدي چِنا لزوجها: «هذا مقرُّك وعليك الحفاظ عليه. إن لم تكن تستطيع هذا فأضرِم فيه النَّار وارجع إلى (الصَّخرة)».

فركَ اللورد إمون فمه ليُلَطِّخ التَّبغ المُرُّ يده بالأحمر اللَّزج، وقال: «بالتَّأكيد. (ريڤررَن) لي، ولا أحد سيأخذها مني أبدًا»، وحدجَ إدميور تَلي بنظرة ريبةٍ أخيرة بينما سحبَته الليدي چِنا من الغُرفة الشَّمسيَّة.

لمَّا صارا وحدهما سألَ چايمي إدميور: «هل من شيءٍ آخَر ترغب في إخباري به؟».

قال تَلي: «هذه غُرفة أبي الشَّمسيَّة. مِن هنا حكمَ أراضي النَّهر بالعقل والعدل. كان يحبُّ الجلوس عند تلك النَّافذة. الإضاءة جيِّدة هناك، ومتى رفعَ ناظريْه عن عمله كان يرى النَّهر، ولمَّا تتعب عيناه كان يجعل كات تقرأ له.

في مرَّةٍ بنيتُ قلعةً من القوالب الخشب مع الإصبع الصَّغير، هناك إلى جوار الباب. لن تعلم أبدًا كم تُغثيني رؤيتك في هذه الغُرفة يا قاتِل الملك، لن تعلم أبدًا كم أحتقرك».

لكنه مخطئ في هذا. قال چايمي: «لقد احتقرَني رجال أفضل منك يا إدميور»، ونادى أحد الحَرس وأمرَه قائلًا: «خُذ حضرة اللورد إلى بُرجه واحرِص على إطعامه».

وخرجَ سيِّد (ريڤررَن) صامتًا. غدًا سيبدأ رحلته غربًا، وسيقود السير فورلي پرستر حراسته المؤلَّفة من مئة رجلٍ منهم عشرون فارسًا. يَحسُن أن أضاعف هذا العدد. قد يُحاوِل اللورد بريك تحرير إدميور قبل أن يَبلُغوا (النَّاب الذَّهبي). لا يُريد چايمي أن يضطرَّ إلى أَسر تَلي للمرَّة الثَّالثة.

عادَ إلى مقعد هوستر تَلي والتقطَ خريطة (الثَّالوث) وسوَّاها بيده الذَّهبيَّة متسائلًا: أين أذهبُ لو كنتُ السَّمكة السَّوداء؟

ظهرَ حارس عند الباب المفتوح قائلًا: «حضرة القائد، الليدي وسترلينج وابنتها منتظرتان في الخارج كما أمرت».

أزاحَ چايمي الخريطة، وقال: «أدخِلهما». على الأقل لم تختفِ الفتاة أيضًا. كانت چاين وسترلينج ملكة روب ستارك، الفتاة التي كلَّفته كلَّ شيء، وإذا كان في بطنها ذئب فهي أخطر من السَّمكة السَّوداء.

لا تبدو چاين خطرةً. فتاة غضَّة هي، لا تتجاوَز الخامسة أو السَّادسة عشرة من العُمر، وتبدو أقرب إلى الخَرق من الرَّزانة، ولها وَركان قويَّان وثديان بحجم تفَّاحتين وشَعر بنِّي ضارب إلى الحُمرة وعينا ظبيةٍ بنِّيَّتان رقيقتان. حسناء كفايةً بالنِّسبة إلى طفلة، لكنها ليست فتاةً تستحقُّ خسارة مملكةٍ من أجلها. رأى وجهها منتفخًا وقشرة جرحٍ على جبهتها تُخفيها خُصلة من شَعرها جزئيًّا، فسألَها: «ماذا حدثَ لكِ؟».

أشاحَت الفتاة بوجهها، وقالت أُمُّها بحزم: «لا شيء». المرأة صارمة الملامح، ترتدي فُستانًا من المخمل الأخضر وتُحيط بعُنقها الطَّويل الرَّفيع قلادة من الأصداف الذَّهبيَّة. «رفضَت التَّخلي عن التَّاج الذي أعطاها المتمرِّد إياه، وحين حاولتُ أن آخذه منها قاومَتني الطِّفلة العنيدة».

قالت چاين باكيةً: «كان مِلكي. لم يكن لكِ حَق. روب جعلَهم يصنعونه من أجلي. لقد أحبَبته!».

رفعَت أُمُّها يدها تصفعها، لكن چايمي اعترضَ طريق الليدي سيبل وقال لها محذِّرًا: «إياكِ وهذا»، ثم أردفَ: «فلتجلس كلتاكما»، فانكمشَت الفتاة على مقعدها كحيوانٍ خائف، في حين جلسَت أُمُّها بجمودٍ رافعةً رأسها باعتداد. سألَهما: «هل تشربان نبيذًا؟»، فلم تُجِب الفتاة، أمَّا أُمُّها فقالت: «لا، شُكرًا».

غمغمَ چايمي: «كما تُريدين»، والتفتَ إلى الفتاة قائلًا: «آسفٌ لخسارتكِ. الصَّبي كان شُجاعًا، أعترفُ بهذا. ثمَّة سؤال يجب أن ألقيه عليكِ... هل تحملين طفله يا سيِّدتي؟».

هبَّت چاين من مقعدها، وكانت لتهرع هاربةً من الغُرفة لولا أن الحارس على الباب أمسكَ ذراعها، وبينما قاومَت ابنتها محاولةً الإفلات أجابَت الليدي سيبل: «ليست حاملًا، لقد تيقَّنتُ من هذا كما طلبَ مني السيِّد والدك».

أومأَ چايمي برأسه. لم يكن تايوين لانستر بالرَّجل الذي يُغفِل تفصيلةً كهذه. قال للحارس: «اترُك الفتاة. فرغتُ منها في الوقت الحالي»، وإذ أسرعَت چاين تنزل السَّلالم تطلَّع إلى أُمِّها، وقال: «عائلة وسترلينج نالَت العفو، وأخوكِ رولف نُصِّبَ سيِّدًا على (كاستامير). ماذا تُريدين منا غير هذا؟».

- «السيِّد والدك وعدَني بزيجةٍ لائقة لچاين وأختها الصَّغيرة، وعدَ بأن يكون زوج كلٍّ منهما من اللوردات أو ورثتهم لا الأبناء الأصغر أو فُرسان أهل بيتهم».

من اللوردات أو ورثتهم، بالتَّأكيد. وسترلينج عائلة عريقة فخور، لكن الليدي سيبل نفسها وليدة عائلة سپايسر، وتنحدر من ذرِّيَّة تُجَّارٍ ناسَبوا مَن هُم أعلى منهم مقامًا. كانت جدَّتها عرَّافةً شِبه مجنونةٍ من الشَّرق على ما يَذكُر، وآل وسترلينج فُقراء. في مسار الأحداث الطَّبيعي لكان الأبناء الأصغر أفضل ما تأمله ابنتا سيبل سپايسر، لكن جرَّةً كبيرةً من ذهب لانستر كفيلة بجعل أرملة متمرِّدٍ ميت جذَّابةً لأحد اللوردات. قال چايمي: «ستَحصُلين على الزِّيجتين، لكن يجب أن تنتظر چاين سنتين كاملتين قبل أن تتزوَّج ثانيةً». إذا تزوَّجت الفتاة من جديدٍ بَعد فترةٍ قصيرة وأنجبَت ابنًا فمن المحتَّم أن يتهامَس بعض النَّاس قائلين إن الذِّئب الصَّغير هو الأب.

ذكَّرته الليدي وسترلينج قائلةً وفي نبرتها لمحة من التَّأنيب: «إن لي ابنين أيضًا. رولام معي، لكن رايناله كان فارسًا وذهبَ مع المتمرِّدين إلى (التَّوأمتين). لو عرفتُ ما سيَحدُث هناك لما سمحتُ له بالذَّهاب على الإطلاق. لم يكن رايناله يعلم شيئًا عن... التَّفاهُم مع السيِّد والدك. ربما يكون أسيرًا في (التَّوأمتين)».

أو ربما يكون ميتًا. لم يكن والدر فراي ليعلم بأمر هذا «التَّفاهُم» أيضًا. «سأستعلمُ عنه. إذا كان السير رايناله أسيرًا فسندفع فديته».

- «السيِّد والدك ذكرَ ترتيب زيجةٍ له أيضًا، بعروسٍ من (كاسترلي روك). قال إن رايناله سينال منه چوي إذا سارَ كلُّ شيءٍ كما نأمل».

حتى من القبر ما زالَت يدا اللورد تايوين الميتتان تُحَرِّكاننا جميعًا. «چوي ابنة عمِّي الرَّاحل جيريون الطَّبيعيَّة. يُمكن عقد الخطبة إذا أردتِ، لكن على الزَّواج أن ينتظر. چوي كانت في التَّاسعة أو العاشرة عندما رأيتها آخِر مرَّة».

بدَت الليدي سيبل كأنها ابتلعَت ليمونةً وهي تقول: «ابنته الطَّبيعيَّة؟! أتُريد ابنًا لعائلة وسترلينج أن يتزوَّج نغلةً؟!».

- «ليس أكثر مما أريدُ أن تتزوَّج چوي ابن حقيرةٍ متآمرة خائنة. إنها تستحقُّ أفضل». كان ليُسعِد چايمي لحظتها أن يَخنُق المرأة بقلادة الأصداف المحيطة بعُنقها. چوي طفلة رقيقة وإن كانت وحيدةً، وكان أبوها عمَّ چايمي الأثير. «ابنتكِ برقبة عشرٍ منكِ يا سيِّدتي. ستُغادِرون مع إدميور والسير فورلي غدًا، وحتى ذلك الحين خيرٌ لك أن تَغرُبي عن وجهي»، وزعقَ مناديًا حارسًا، وذهبَت الليدي سيبل بشفتين مزمومتين عن آخِرهما. تساءلَ چايمي رغمًا عنه عن قدر ما عرفَه اللورد جاون عن تآمُر زوجته. وما قدر ما نعرفه نحن الرِّجال أبدًا؟

حين رحلَ إدميور وآل وسترلينج ذهبَ معهم أربعمئة رجل، ففي اللَّحظة الأخيرة قرَّر چايمي مضاعَفة الحراسة مرَّةً أخرى، وركبَ معهم بضعة أميالٍ ليتحدَّث مع السير فورلي پرستر. على الرغم من وجود رأس ثورٍ على سُترته الطَّويلة وقرنين على خوذته لا يبدو على السير فورلي أنه يمتُّ بأيِّ صِلةٍ للثِّيران، فهو رجل قصير نحيل خشن، وبأنفه الضيِّق ورأسه الأصلع ولحيته البنِّيَّة المنقَّطة بالرَّمادي يبدو أقرب إلى صاحِب خانٍ من فارس. قال له

چايمي مذكِّرًا: «لسنا نعرف مكان السَّمكة السَّوداء، لكن إذا استطاعَ تحرير إدميور فسيفعل».

كأكثر أصحاب الخانات ليس السير فورلي بأحمق، وقد أجابَ: «لن يَحدُث يا سيِّدي. سيسبقنا الكشَّافة في أثناء الزَّحف وسنُحَصِّن معسكَراتنا ليلًا. انتقيتُ عشرة رجالٍ للبقاء مع تَلي ليل نهار، أفضل رجالي من رُماة القوس الطَّويل. إذا حادَ قدمًا واحدًا عن الطَّريق سيُطلِقون عليه سهامًا يكفي ريشها لجعل أُمِّه نفسها تحسبه إوزَّةً».

– «عظيم». يُحَبِّذ چايمي أن يصل تَلي إلى (كاسترلي روك) سالمًا، إلَّا أن موته أفضل من هربه. «الأفضل أن تضع بعض الرُّماة قُرب ابنة اللورد جاون أيضًا».

قال السير فورلي مندهشًا: «ابنة جاون؟ إنها...».

– «... أرملة الذِّئب الصَّغير، وأخطر مرَّتين من إدميور إذا هربَت منا».

– «كما تقول يا سيِّدي، سنضعها تحت المراقَبة».

اضطرَّ چايمي إلى المرور خببًا بآل وسترلينج في طريق العودة إلى (ريڤررَن). أومأَ له اللورد جاون بتجهُّم إذ رآه، لكن الليدي سيبل رمقَته بعينين من جليد، في حين لم ترَه چاين أصلًا. كانت الأرملة راكبةً بعينين مُطرقتين، وقد رفعَت قلنسوة معطفها الذي تلوح من تحت طيَّاته الثَّقيلة ثياب أنيقة لكن ممزَّقة. مزَّقتها بنفسها علامةً على الحِداد. لا يُمكن أن هذا سَرَّ أُمَّها. وجدَ نفسه يتساءَل إن كانت سرسي ستشقُّ فُستانها إذا أتاها نبأ موته ذات يوم.

لم يَعُد إلى القلعة مباشرةً، بل عبرَ (الجُلمود) مرَّةً أخرى ليزور إدوين فراي ويُناقِش معه نقل سُجناء جدِّه الكبير. كان جيش فراي قد بدأ يحلُّ معسكَراته خلال ساعاتٍ من استسلام (ريڤررَن)، وراحَ حمَلة راية اللورد والدر ومُحاربوه غير النِّظاميِّين يقتلعون الخوازيق من الأرض استعدادًا للرَّحيل. رأى رجال فراي الباقين يحلُّون معسكَرهم أيضًا، لكن إدوين كان مع عمِّه النَّغل في سُرادق الثَّاني.

وجدَ الاثنين مائليْن فوق خارطةٍ يتجادَلان بانفعال، لكنهما بترا كلامهما لدى دخول چايمي، وقال ريڤرز بكياسةٍ باردة: «حضرة القائد»، لكن إدوين اندفعَ يقول: «دم أبي على يديك أيها الفارس».

أدهشَ هذا چايمي بعض الشَّيء، وتساءلَ: «كيف؟».

- «أنت الذي أرسلته إلى الدِّيار، أليس كذلك؟».

كان على أحدهم أن يفعل. «هل وقعَ للسير رايمان سوء؟».

قال والدر ريڤرز: «شُنِقَ مع مجموعته كلِّها. الخارجون عن القانون هاجَموهم على بُعد فرسخيْن من (السُّوق القصيَّة)».

- «دونداريون؟».

- «هو أو ثوروس أو تلك المرأة قلب الحجر».

قطَّب چايمي وجهه. رايمان فراي كان أبله وجبانًا وسكِّيرًا، وليس واردًا أن يفتقده أحد كثيرًا، بالذَّات أهله من آل فراي. إذا كانت عينا إدوين الجافَّتان قرينةً فحتى أبناؤه أنفُسهم لن يحزنوا عليه طويلًا. ولو... هؤلاء الخارجون عن القانون يزدادون جراءةً ما داموا قد شنقوا وريث اللورد والدر على بُعد أقلِّ من يوم من (التَّوأمتين). «كم رجلًا كان مع السير رايمان؟».

أجابَ ريڤرز: «ثلاثة فُرسان ودستة من الجنود. كأنهم كانوا يعرفون أنه عائد إلى (التَّوأمتين) بحراسةٍ خفيفة».

التوى فم إدوين، وقال: «أراهنُ أن لأخي يدًا في هذا. لقد سمحَ للخارجين عن القانون بالهرب بَعد أن قتلوا ميريت وپيتر، وهذا هو السَّبب. بموت أبينا لا يتبقَّى إلَّاي بين والدر الأسود و(التَّوأمتين)».

قال والدر ريڤرز: «لا دليل لديك على هذا».

- «لستُ محتاجًا إلى دليل، إنني أعرفُ أخي».

رَدَّ ريڤرز بإصرار: «أخوك في (سيجارد). أنَّى له بأن يعرف بعودة السير رايمان إلى (التَّوأمتين)؟».

أجابَ إدوين بمرارة: «أحدهم أبلغَه. إن له جواسيسه في معسكَرنا، لك أن تثق بهذا».

وأنت لك جواسيسك في (سيجارد). يعرف چايمي أن العداوة بين إدوين ووالدر الأسود عميقة، لكنه لا يُبالي مقدار ذرَّةٍ بخلافة أيِّهما لجدِّهما الأكبر في سيادة (المعبر).

قال بنبرةٍ جافَّة: «إذا سمحتما لي بالتَّطفُّل عليكما في حُزنكما، ثمَّة أمور أخرى علينا تسويتها. لدى عودتكما إلى (التَّوأمتين) أرجو منكما إبلاغ اللورد

والدر بأن الملك تومن يَطلُب جميع الأسرى الذين أخذتموهم في الزِّفاف الأحمر».

رَدَّ السير والدر عابسًا: «هؤلاء الأسرى قيِّمون أيها الفارس».

- «لم يكن جلالته ليَطلُبهم لو أنهم بلا قيمة».

تبادلَ فراي وريڤرز نظرةً، ثم قال إدوين: «سيتوقَّع السيِّد جدِّي تعويضًا عن هؤلاء الأسرى».

وسيناله ما إن تنبت لي يد جديدة. قال بكياسة: «كلُّنا لنا توقُّعاتنا. أخبِرني، هل السير رايالد وسترلينج بين هؤلاء الأسرى؟».

قال إدوين هازئًا: «فارس الأصداف؟ ستجد الأسماك تتغذَّى عليه في قاع (الفرع الأخضر)».

أضافَ والدر ريڤرز: «كان في السَّاحة عندما خرجَ رجالنا لقتل الذِّئب الرَّهيب. طالبَه والن بسيفه فسلَّمه بإذعان، لكن حين بدأ رُماة النُّشَّابيَّة إطلاق سهامهم على الذِّئب انتزعَ فأس والن وأطلقَ سراح الوحش من الشَّبكة التي ألقوها عليه. والن يقول إنه أصيبَ بسهمٍ في كتفه وآخَر في بطنه، ومع ذلك استطاعَ بلوغ أعلى السُّور وإلقاء نفسه في النَّهر».

قال إدوين: «تركَ أثرًا من الدَّم على السَّلالم».

سألَ چايمي: «هل عثرتم على جثَّته بَعدها؟».

- «عثرنا على ألف جثَّة بَعدها. بَعدما يقضون بضعة أيامٍ في مياه النَّهر يبدون متشابهين جميعًا».

علَّق چايمي: «سمعتُ المِثل عن المشنوقين»، ثم انصرفَ.

بحلول الصَّباح التَّالي لم يتبقَّ من معسكَر فراي إلَّا الذُّباب وروث الخيول ومشنقة السير رايمان المرتفعة بكآبةٍ على ضفَّة (الجُلمود). أرادَ ابن خاله أن يعرف ماذا يفعل بها وبمعدَّات الحصار التي بناها، المِدكَّات والسَّلاحف[1] والأبراج والمجانيق، واقترحَ داڤن أن يجرُّوا كلَّ هذا إلى (شجرة الغِدفان)

---

(1) السُّلحفاة واحدة من أنظمة الوقاية في الحروب القديمة، يرفعها الجنود فوق رؤوسهم في أثناء الهجوم على بوَّابات القلاع أو المُدن لحمايتهم من السِّهام وغيرها، على غرار صدفة السُّلحفاة. (المترجم).

لاستخدامه هناك، لكن چايمي قال له أن يُضرِم النَّار في كلِّ شيءٍ بدايةً بالمشنقة، وأضافَ: «أنوي أن أتعامل مع اللورد تايتوس بنفسي. لن يتطلَّب الأمر أبراج حصار».

ابتسمَ داڤن ابتسامةً عريضةً من تحت لحيته الكثَّة، وقال: «نزال فردي يا ابن العمَّة؟ لا يبدو هذا عدلًا. تايتوس شيخ طاعن في السِّن».

شيخ طاعن في السِّن ٍله يدان.

ليلتها تقاتلَ مع السير إلين ثلاث ساعات. كانت واحدةً من أفضل لياليه، فلو كان قتالهما حقيقيًّا لفتكَ به پاين مرَّتين، أمَّا المعتاد فأن يموت ستَّ مرَّاتٍ على الأقل، وفي بعض اللَّيالي يكون الأمر أسوأ. أعلنَ چايمي: «إذا استمررتُ على هذا المنوال سنةً أخرى فربما أصير ببراعة پك»، فأصدرَ السير إلين صوت الطَّقطقة إياه الذي يعني أنه يضحك. «هلمَّ، لنشرب المزيد من نبيذ هوستر تَلي الأحمر الممتاز».

أمسى النَّبيذ جزءًا من طقوسهما اللَّيليَّة. السير إلين نديم الشَّراب المثالي، إذ لا يُقاطِعه أبدًا أو يُخالِفه أو يشتكي أو يَطلُب خدماتٍ أو يحكي قِصصًا طويلةً لا غاية منها. كلُّ ما يفعله هو الشُّرب والإنصات.

قال چايمي بينما يملأ كأسيهما: «حريٌّ بي أن أقطع ألسنة أصدقائي جميعًا، وأهلى أيضًا. كم ستكون سرسي الصَّامتة رائعةً، ولو أنني سأفتقدُ لسانها حين أقبِّلها»، ورشفَ من النَّبيذ الأحمر القاني. كان حُلوًا قويًّا، وقد دفَّأه إذ ابتلعَه. «لا أذكرُ متى بدأنا التَّقبيل، لكنه كان بريئًا في البداية، ثم لم يَعُد كذلك»، وأفرغَ باقي النَّبيذ في جوفه ووضعَ كأسه جانبًا مضيفًا: «أخبرَني تيريون ذات مرَّةٍ بأن أكثر العاهرات لا يُقَبِّلن زبائنهن، قال إنهن يُضاجِعنك حتى العمى، لكنك لن تَشعُر بشفاههن على شفتيك أبدًا. هل تحسب أن أختي تُقَبِّل كِتلبلاك؟». لم يُجِب السير إلين، فتابعَ چايمي: «لا أظنُّ أنه يليق بي أن أقتل أخي المحلَّف. عليَّ أن أخصيه وأُرسِله إلى (الجِدار). هذا ما فعلوه بلوكامور الشَّهواني. بالطَّبع ربما لا يتقبَّل كِتلبلاك الإخصاء ببساطة، ويجب وضع أخويه في الاعتبار أيضًا، فالإخوة خطرون أحيانًا. بَعد أن أعدمَ إجون غير الجدير السير تيرانس توين لنومه مع عشيقته بذلَ إخوة توين قصارى جهدهم لقتله، ولكن بفضل الفارس التنِّين لم يكن قصارى جهدهم كافيًا،

وإن لم يكن للتَّواني في المحاوَلة. كلُّ هذا مدوَّن في (الكتاب الأبيض)، كلُّ شيءٍ باستثناء ما أفعله بسرسي».

مرَّر السير إلين يده على حَلقه.

قال چايمي: «لا. تومن فقدَ أخاه والرَّجل الذي يحسبه أباه. إذا قتلتُ أُمَّه سيكرهني... وستجد زوجته الصَّغيرة الجميلة وسيلةً لصَبِّ هذه الكراهية في مصلحة (هايجاردن)».

ابتسمَ السير إلين بطريقةٍ لم تَرُق چايمي، فقال لنفسه: ابتسامة قبيحة وروح قبيحة، وقال للرَّجل: «إنك تتكلَّم كثيرًا».

في اليوم التَّالي رجعَ السير درموت ابن (الغابة المطيرة) خاوي الوفاض، ولدى سؤاله عمَّا وجدَه أجابَ: «الذِّئاب، مئات من تلك الحيوانات اللَّعينة». بسبب الذِّئاب فقدَ حارسيْن عندما خرجَت من الظَّلام لتفترسهما. «رجلان مسلَّحان يرتديان الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى، ولم يُخيفا الوحوش على الإطلاق. قبل أن يموت چايت قال إن القطيع تقوده ذئبة هائلة الحجم، ذئبة رهيبة على حَدِّ تعبيره. هاجمَت الذِّئاب الملعونة صفوف خيولنا أيضًا وقتلَت جوادي المفضَّل».

قال چايمي: «ربما تتكفَّل حلقة من النَّار حول معسكَركم ليلًا بإبعادها»... ولو أنه يتساءَل. هل يُمكن أن تكون ذئبة السير درموت الرَّهيبة الذِّئبة نفسها التي نهشَت چوفري قُرب مفترَق الطُّرق؟

ذئاب أو لا ذئاب، أخذَ السير درموت خيولًا جديدةً ومزيدًا من الرِّجال في الصَّباح التَّالي لاستئناف البحث عن برايندن تَلي. بَعد ظُهر اليوم نفسه أتى لوردات (الثَّالوث) چايمي يَطلُبون إذنه في العودة إلى أراضيهم، ومنحَهم إياه. أرادَ اللورد پايپر أن يعرف ما سيَحدُث لابنه مارك، فوعدَه چايمي قائلًا: «ستُدفَع فدية جميع الأسرى».

إذ غادرَ لوردات أراضي النَّهر تخلَّف كاريل ڤانس ليقول: «لورد چايمي، يجب أن تذهب إلى (شجرة الغِدفان). تايتوس لن يستسلم أبدًا ما دامَ چونوس على أبوابه، لكنني أعلمُ أنه سيركع لك»، فشكرَه چايمي على نصيحته.

كان العُفر القوي الرَّاحل التَّالي، وقد أرادَ العودة إلى (داري) ليُقاتِل الخارجين عن القانون كما وعدَ، وقال: «لقد قطعنا نِصف البلاد اللَّعينة، ومن

أجل ماذا؟ كي تجعل إدميور تَلي يُبَلِّل سراويله؟ لا أغنيَّة في هذا. أريدُ أن أقاتل! أريدُ كلب الصَّيد يا چايمي، هو أو لورد (التُّخوم)».

- «رأس كلب الصَّيد لك إذا استطعت أن تقطعه، لكن عليك أن تقبض على بريك دونداريون حيًّا كي يُؤخَذ إلى (كينجز لاندنج). يجب أن يراه ألف من النَّاس يموت وإلَّا فلن يظلَّ ميتًا»، فدمدمَ العُفر معترضًا لكنه وافقَ في النِّهاية، وفي اليوم التَّالي رحلَ مع مُرافقه وجنوده، بالإضافة إلى چون بتلي الحليق الذي قرَّر أن مطارَدة الخارجين عن القانون خير من العودة إلى زوجته الشَّهيرة بدمامتها، والتي يُفترَض أن لها اللِّحية التي يفتقر إليها بتلي.

ما زالَ على چايمي أن يتعامَل مع الحامية، وقد أقسمَ رجالها عن آخِرهم أنهم لا يعلمون شيئًا عن خُطط السير برايندن أو أين ذهبَ. قال إمون فراي بإلحاح: «كاذبون»، لكن چايمي لا يحسب هذا، ورَدَّ: «إذا لم تُطلِع أحدًا على خُططك فلا يُمكن أن يخونك أحد»، فاقترحَت الليدي جِنا إخضاع عددٍ من الرِّجال للاستجواب، لكنه رفضَ قائلًا: «لقد وعدتُ إدميور بأن تُغادِر الحامية بسلام إذا استسلمَ».

قالَت عمَّته: «وكانت هذه شهامة منك، لكن ما نحتاج إليه هنا هو القوَّة وليس الشَّهامة».

سَلي إدميور عن شهامتي، سَليه عن المنجنيق. بشكلٍ ما لا يحسب چايمي أن المِايسترات سيخلطون بينه وبين الأمير إيمون الفارس التنِّين حين يُدَوِّنون سيرته، وعلى الرغم من ذلك يحسُّ بقناعةٍ عجيبة. الحرب تُوشِك على وضع أوزارها. (دراجونستون) سقطَت ولا شَكَّ أن (ستورمز إند) ستلحق بها عمَّا قريب، وهنيئًا لستانيس بـ(الجِدار)، فلن يحبُّه الشَّماليُّون أبدًا أكثر مما أحبَّه لوردات أراضي العواصف، وإذا لم يبطش به رووس بولتون فسيُدَمِّره الشِّتاء.

ولقد قامَ بدوره هنا في (ريڤررَن) دون أن أن يحمل السِّلاح ضد آل ستارك أو تَلي، وما إن يَعثُر على السَّمكة السَّوداء سيكون حُرًّا في العودة إلى (كينجز لاندنج) حيث ينتمي. مكاني مع مليكي، مع ابني. تُرى هل يُريد تومن أن يعرف ذلك؟ من شأن الحقيقة أن تُكَلِّف الصَّبي عرشه. هل تُؤثِر أن تحظى بأب أم كُرسيٍّ يا فتى؟ يتمنَّى چايمي لو يعرف الجواب. إنه يحبُّ وضع ختمه على الأوراق حقًّا. ربما لا يُصَدِّقه الصَّبي من الأصل طبعًا، إذ ستقول سرسي

إنه يكذب. أختي الجميلة المخادعة. عليه أن يجد طريقةً لانتزاع تومن من براثنها قبل أن يتحوَّل إلى چوفري آخَر، وبينما يفعل هذا عليه أن يجد للصَّبي مجلسًا صغيرًا جديدًا أيضًا. إذا أزيحَت سرسي فربما يُوافِق السير كيڤان على أن يكون يد تومن. وإن لم يقبل فلا بأس، (الممالك السَّبع) لا تفتقر إلى الرِّجال القادرين. فورلي پرستر اختيار جيِّد، أو رولاند كراكهول، وإذا دعَت الحاجة إلى رجلٍ غير غربي لإرضاء آل تايرل فماثيس روان متاح دائمًا... أو حتى پيتر بايلش. الإصبع الصَّغير وديع بقدر ما هو ذكي، لكن مولده أكثر تواضُعًا من أن يُهَدِّد أيًّا من كبار اللوردات، إذ إن لا جُند تحت إمرته. اليد المثالي.

رحلَت حامية تَلي في الصَّباح التَّالي بَعد تجريدها من السِّلاح والدُّروع، وقد سُمِحَ لكلِّ رجلٍ بطعامٍ يكفي ثلاثة أيام والثِّياب على ظَهره، بَعد حلفه يمينًا مغلَّظةً بعدم رفع السِّلاح ضد اللورد إمون أو عائلة لانستر أبدًا.

قالت الليدي چِنا: «إذا كنت محظوظًا فربما يصون رجل واحد من كلِّ عشرة يمينه».

– «جيِّد. أفضِّلُ أن أواجه تسعة رجالٍ على عشرة، فلربما كان العاشر قاتِلي».

– «سيَقتُلك التِّسعة الآخَرون بالسُّرعة نفسها».

– «أفضل من أن أموت في الفِراش». أو في المرحاض.

اختارَ رجلان ألَّا يرحلا مع الآخَرين. فضَّل السير دزموند جرِل –قيِّم سلاح اللورد هوستر العجوز– ارتداء أسود حَرس اللَّيل، وكذا السير روبن رايجر قائد الحَرس في (ريڤررَن)، وقال جرِل: «هذه القلعة بيتي منذ أربعين عامًا. تقول إن لي حرِّيَّة الرَّحيل، ولكن إلى أين؟ إنني أكبر سِنًّا وأكثر بدانةً من أن أصير فارسًا متجوِّلًا، لكنهم يُرَحِّبون بالرِّجال دومًا على (الجِدار)».

على الرغم من انزعاجه البالغ قال چايمي: «كما ترغبان»، وسمحَ للرَّجلين بالاحتفاظ بأسلحتهما ودروعهما، وكلَّف دستةً من رجال جريجور كليجاين باصطحابهما إلى (بِركة العذارى). عهدَ إلى رافورد الملقَّب بالمعسول بالقيادة، وقال له: «احرِص على بلوغ الأسيريْن (بِركة العذارى) دون أن يُصيبهما أذى، وإلَّا لبدا ما فعلَه السير جريجور بالكبش كدُعابةٍ مرحة مقارنةً بما سأفعله بك».

مرَّت أيام أخرى، وجمعَ اللورد إمون (ريڤررَن) كلَّها في السَّاحة، قوم اللورد إدميور وقومه، وكلَّمهم لما يَقرُب من ثلاث ساعاتٍ عن المتوَّقع منهم الآن وقد صارَ سيِّدهم ومولاهم، ملوِّحًا بين الحين والآخَر بورقته فيما أصغى عُمَّال الاسطبلات والخادمات والحدَّادون بصمتٍ واجمٍ وسقطَ عليهم جميعًا مطر خفيف.

كان المغنِّي مع المنصتين، هذا الذي أخذَه چايمي من السير رايمان فراي، وقد وجدَه واقفًا تحت بابٍ مفتوح حيث لا يُبَلِّله المطر. قال الرَّجل: «كان جديرًا بحضرة اللورد أن يحترف الغناء. هذه الخُطبة أطول من أغنيَّةٍ شعبيَّة من (التُّخوم)، ولا أظنُّه توقَّف يلتقط أنفاسه».

ضحكَ چايمي رغمًا عنه، وقال: «اللورد إمون ليس في حاجةٍ إلى التَّنفُّس ما دامَ يستطيع المضغ. هل ستُؤَلِّف أغنيَّةً عن هذه الخُطبة؟».

– «واحدةً طريفةً، سأسمِّيها (كلام مع الأسماك)».

– «فقط لا تُغَنِّيها على مسمعٍ من عمَّتي». لم يُلقِ چايمي للرَّجل بالًا من قبل. إنه صغير الحجم، ويرتدي سراويل خضراء باليةً وسُترةً مهترئةً لونها الأخضر أفتح درجةً ومرقَّعة بقطعٍ من الجِلد البنِّي، وله أنف طويل حاد وابتسامة واسعة طليقة، وينسدل شَعره البنِّي الخفيف حتى ياقته ملبَّدًا متَّسخًا. في الخمسين من العُمر على الأقل، مطرب متجوِّل أكلَت عليه الحياة وشربَت. سألَه چايمي: «ألم تكن رجل السير رايمان لمَّا وجدتك؟».

– «لمدَّة أسبوعين فقط».

– «كنتُ لأحسبك رحلت مع آل فراي».

قال المغنِّي مشيرًا برأسه إلى اللورد إمون: «هذا من آل فراي، وهذه القلعة تبدو مكانًا لطيفًا مريحًا لقضاء الشِّتاء. وات ذو الابتسامة البيضاء عادَ إلى دياره مع السير فورلي، فخطرَ لي أن أرى إن كنتُ أستطيعُ الظَّفر بمكانه. وات يتمتَّع بتلك النَّبرة العالية العذبة التي لا أمل لأمثالي في مضاهاتها، لكنني أعرفُ ضِعف ما يعرفه من الأغاني البذيئة، بَعد إذن سيِّدي».

قال چايمي: «هذا كفيل بجعلك تُعجِب عمَّتي للغاية. إذا كنت تأمل أن تقضي الشِّتاء هنا فاحرِص على أن يسرَّ غناؤك الليدي جِنا، فهي المهمَّة».

– «وليس أنت؟».

- «مكاني مع الملك. لن أمكث هنا طويلًا».

- «يُؤسِفني أن أسمع هذا يا سيِّدي. إنني أعرفُ أغاني أفضل من (أمطار كاستامير). كان يُمكنني أن أغنِّي لك... أوه، أغاني من شتَّى الأصناف».

- «مرَّة أخرى. ما اسمك؟».

رفعَ المغنِّي قبَّعته مجيبًا: «توم ابن (الجداول السَّبعة)، بَعد إذن سيِّدي، لكن أكثر النَّاس يدعونني بتوم أبي السَّبعات».

- «غناءً جميلًا يا توم يا أبا السَّبعات».

ليلتها حلمَ چايمي بنفسه في (سِپت بيلور) الكبير، ما زالَ واقفًا يَحرُس جثَّة أبيه. كان السِّپت ساكنًا مظلمًا إلى أن برزَت امرأة من قلب الظِّلال ومشَت الهوينى نحو النَّعش، فسألَها: «أختاه؟».

غير أنها لم تكن سرسي. كانت مسربلةً بالرَّمادي، أختًا صامتةً تُخفي قلنسوة ولثام ملامحها، لكنه رأى ضوء الشُّموع المنعكس في بركتي عينيها الخضراوين. قال: « أيتها الأخت، ماذا تُريدين مني؟»، وتردَّدت أصداء كلمته الأخيرة في جنبات السِّپت، مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني-مني.

ردَّت: «لستُ أختك يا چايمي»، ورفعَت يدًا شاحبةً ناعمةً وأنزلَت قلنسوتها متسائلةً: «هل نسيتني؟».

كيف أنسى أحدًا لم أعرفه قَطُّ؟ احتبسَت الكلمات في حَلقه. إنه يعرفها بالفعل، لكن زمنًا طويلًا مضى...

- «هل ستنسى السيِّد والدك أيضًا؟ تُرى هل عرفته بحَقٍّ يومًا؟». عيناها خضراوان، وشَعرها ذهب مغزول، ولا يستطيع تخمين سِنِّها. في الخامسة عشرة أو الخمسين. ارتقَت الدَّرجات لتقف إلى جوار النَّعش قائلةً: «لم يتحمَّل قَطُّ أن يضحك منه النَّاس. هذا أكثر شيءٍ كرهَه».

- «مَن أنتِ؟». يجب أن يسمعها تقولها.

- «السُّؤال هو مَن أنت؟».

- «هذا حُلم».

قالت: «أهو كذلك؟»، وابتسمَت مضيفةً: «احصِ يديك يا صغيري».

واحدة. يد واحدة مطبقة بإحكامٍ على مقبض سيفه، واحدة فقط. «في

أحلامي لي يدان اثنتان دومًا». رفعَ ذراعه اليُمنى وحدَّق غير قادرٍ على الاستيعاب إلى قُبح عاهته.

- «كلُّنا يَحلُم بما لا يستطيع أن يحظى به. تايوين حلمَ بأن يصير ابنه فارسًا عظيمًا وتصير ابنته ملكةً، حلمَ بأن يكونا قويَّين شُجاعين جميلين لا يضحك منهما أحد أبدًا».

- «أنا فارس، وسرسي ملكة».

سالَت دمعة على وجنة المرأة، وعادَت ترفع قلنسوتها وأولَته ظَهرها. ناداها چايمي، لكنها كانت تبتعد بالفعل، تهمس تنُّورتها بتهويدةٍ إذ تكنس الأرض بنعومة. أرادَ أن يصيح: لا تَترُكيني، لكنها -بالطَّبع- تركَتهم منذ زمنٍ طويل فعلًا.

استيقظَ في الظَّلام مرتجفًا ليجد الغُرفة باردةً كالجليد. بقوَّةٍ أزاحَ الأغطية بجَدعة يد سيفه، ورأى أن نار المستوقَد همدَت والنَّافذة انفتحَت. قطعَ الغُرفة دامسة الظَّلام ليُغلِق مصراعيها، لكن حين بلغَها داسَت قدمه الحافية شيئًا مبتلًّا، فتراجعَ چايمي مذعورًا لحظةً، وأول ما جالَ بباله أن هذا دم، ولكن لما كان الدَّم بهذه البرودة.

كان الثَّلج ينجرف من النَّافذة.

بدلًا من إغلاق المصراعين فتحَهما عن آخِرهما، ورأى السَّاحة بالأسفل مغطَّاةً بدثارٍ أبيض خفيف يزداد سُمكًا بينما يُشاهِد، وقد اكتسَت شُرَّافات الشُّرفات بالبياض أيضًا. سقطَت نُدف الثَّلج بصمتٍ ودفعَ الهواء بعضها من النَّافذة ليذوب على وجهه، وفي هذه اللَّحظة استطاعَ چايمي أن يرى أنفاسه.

ثلوج في أراضي النَّهر. ما دامَ الثَّلج يَسقُط هنا فمن الوارد أنه يَسقُط على (لانسپورت) و(كينجز لاندنج) أيضًا. الشِّتاء يزحف على الجنوب ونصف مخازننا خاوٍ على عروشه. إذا كانت هناك محاصيل غير محصودة في الحقول حتى الآن فهي هالكة. لا مزيد من الزَّرع ولا أمل في حصادٍ أخير. وجدَ نفسه يتساءَل عمَّا سيفعله أبوه لإطعام البلاد، قبل أن يتذكَّر أن تايوين لانستر ماتَ.

حين بزغَ الصُّبح كان الثَّلج عميقًا تغوص فيه القدم حتى الكاحل، وأعمق في أيكة الآلهة حيث تراكمَ تحت الأشجار. عادَ المُرافقون وعُمَّال الاسطبلات والوُصفاء النُّبلاء إلى طفولتهم من جديدٍ متأثِّرين بالتَّعويذة البيضاء الباردة،

وخاضوا حربًا بكُرات الثَّلج في السَّاحات والشُّرفات، وسمعَهم چايمي يضحكون. في وقتٍ لم يمضِ عليه زمن طويل كان ليصنع كُرات الثَّلج مع أفضلهم ليرمي تيريون بها عندما يمرُّ أو يضع واحدةً في ظَهر فُستان سرسي. لكنك تحتاج إلى يدين لتصنع كُرة ثلج جيِّدة.

دَقَّ أحدهم الباب، فقال: «انظُر مَن الطَّارق يا بِك».

كان مِايستر (ريڤررَن) العجوز، يحمل رسالةً بيده المتغضِّنة، وقد بدا وجه ڤايمان شاحبًا كالثُّلوج المتساقطة. قال چايمي: «أعرفُ، وصلَ غُداف أبيض من (القلعة). الشِّتاء هنا».

رَدَّ المِايستر: «لا يا سيِّدي، الرِّسالة من (كينجز لاندنج). سمحتُ لنفسي بأن... لم أكن أعرف...»، وناولَه الرِّسالة.

قرأها چايمي وهو جالس على الكُرسي المجاور للنَّافذة مغمورًا بضوء الصَّباح الأبيض البارد. كانت كلمات كايبرن مقتضبةً وفي الصَّميم، وكلمات سرسي محمومةً ملتهبةً. تعالَ في الحال. ساعِدني. أنقِذني. إنني محتاجة إليك الآن كما لم أحتَج إليك من قبل قَطُّ. أحبُّك، أحبُّك، أحبُّك. تعالَ في الحال.

كان ڤايمان يحوم قُرب الباب، وشعرَ چايمي بِك يَرقُبه أيضًا، وبَعد فترة صمتٍ طالَت تساءلَ المِايستر: «هل يرغب سيِّدي في الرَّد؟».

حطَّت رُقاقة ثلج على الورقة، وإذ ذابَت بدأ الحبر يتلطَّخ، ثم عادَ چايمي يطوي الرِّسالة بكلِّ ما تُتيح يده الواحدة من إحكام، وناولَ بِك إياها مجيبًا: «لا، ألقِها في النَّار».

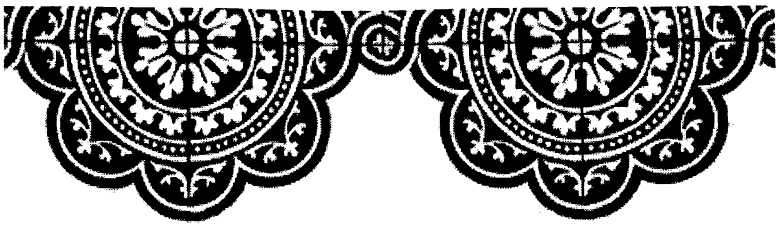

ساموبل

أخطر مرحلةٍ من الرِّحلة كانت الأخيرة. تمامًا كما حذَّروهم في (تايروش)، وجدوا (بوغاز ردواين) يعجُّ بالسُّفن الطَّويلة. في غياب القوَّة الأساسيَّة لأسطول (الكرمة) على الجانب الآخَر من (وستروس)، نهبَ الحديديُّون (مرفأ ريام) واستولوا على (بلدة العنب) و(ميناء نجم البحر)، مستخدمين إياهما كقاعدتين لاقتناص السُّفن المتَّجهة إلى (البلدة القديمة).

ثلاث مرَّاتٍ شُوهِدَت السُّفن الطَّويلة من منصَّة المراقبة، إلَّا أن اثنتين منها كانتا وراءهم بمسافةٍ طويلة وسرعان ما سبقَتهما (ريح القرفة)، أمَّا الثَّالثة فظهرَت قُرب الغروب لتعترض سبيلهم إلى (النَّهر الهامس)، ولمَّا أبصَروا مجاذيفها ترتفع وتنخفض ماخضةً المياه النُّحاسيَّة ومحيلةً لونها إلى الأبيض، أرسلَت كوچا مو رُماتها إلى أعلى بأقواسهم العظيمة المصنوعة من خشب القلب الذَّهبي، والتي يُمكنها إطلاق السِّهام على مدى أبعد وإصابة الأهداف بدقَّةٍ أكبر من أقواس خشب الطُّقسوس الدورنيَّة نفسها. انتظرَت كوچا حتى دخلَت السَّفينة الطَّويلة حيِّز المئتي ياردة قبل أن تُلقي أمر الإطلاق، وأطلقَ سام سهامه مع الآخَرين، لكنه يحسبها بلغَت الهدف هذه المرَّة. لم يتطلَّب الأمر أكثر من وابلٍ واحد، وانحرفَت السَّفينة الطَّويلة إلى الجنوب بحثًا عن فريسةٍ أكثر وداعةً.

كانت السَّماء تتَّشح بزُرقة الغسق العميقة إذ دخلوا (النَّهر الهامس)، وقد وقفَت جيلي عند المقدِّمة حاملةً الرَّضيع وتتطلَّع إلى قلعةٍ قائمة فوق الجُروف، فأخبرَها سام: «إنها (الأبراج الثَّلاثة)، مقرُّ عائلة كوستاين». مرسومةً على خلفيَّةٍ من نجوم المساء بينما تتذبذَب أضواء المشاعل في

نوافذها، تصنع القلعة منظرًا مبهرًا، وإن أحزنَ سام لأن رحلتهم تُشارِف على الانتهاء.

قالت جيلي: «عالية للغاية».

- «انتظري حتى تري (البُرج العالي)».

بدأ طفل دالا يبكي، ففتحَت جيلي سُترتها وألقمَته ثديها، وبينما أرضعَته ابتسمَت وملَّست على شَعره البنِّي النَّاعم. فكَّر سام: أصبحَت تحبُّه مِثلما أحبَّت الآخَر الذي تركَته. يأمل أن تحنو الآلهة على كلا الطِّفلين.

كان الحديديُّون قد توغَّلوا في مياه (النَّهر الهامس) المحميَّة، وبحلول الصَّباح إذ استمرَّت (ريح القرفة) في طريقها إلى (البلدة القديمة) بدأت ترتطم بالجُثث الطَّافية المحمولة إلى البحر. بعض الجُثث عليه جماعات من الغِربان طارَت متذمِّرةً بصخب حين أزعجَها مرور السَّفينة البجعيَّة بأطوافها المنتفخة الشَّنيعة، وعلى الضِّفاف ظهرَت الحقول المحروقة والقُرى المتفحِّمة، وتناثرَت المراكب المحطَّمة في المياه الضَّحلة وعلى الامتدادات الرَّمليَّة المرتفعة، الأشيع بينها السُّفن التِّجاريَّة وقوارب الصَّيد، لكنهم رأوا سُفنًا طويلةً مهجورةً أيضًا، وحُطام دُرمونتيْن كبيرتين، وقد احترقَت إحداهما حتى خَطِّ الماء ولاحَت في جانب الثَّانية فجوة كبيرة حيث دُكَّ بدنها.

قال زوندو: «معركة هنا. ليس من وقتٍ طويل».

- «مَن المخبول الذي يُغير على هذه المقربة من (البلدة القديمة)؟».

أشارَ زوندو إلى سفينةٍ طويلة شِبه غارقة في المياه الضَّحلة، من مؤخِّرتها تتدلَّى بقايا راية مهترئة ملطَّخة بالسُّخام، وعليها رمز لم يرَه سام من قبل على الإطلاق؛ عين حمراء بؤبؤها أسود تحت تاجٍ من الحديد الأسود يحمله غُرابان. سألَ سام: «راية مَن هذه؟»، لكن زوندو هَزَّ كتفيه دلالةً على جهله.

طلعَ النَّهار التَّالي باردًا ضبابيًّا، وبينما تمرُّ (ريح القرفة) بقرية صيدٍ منهوبة أخرى خرجَ قادس حربي من الضَّباب متَّجهًا صوبهم بتؤدة. تحمل السَّفينة اسم (القنَّاصة) مكتوبًا بالطِّلاء وراء تمثال مقدِّمةٍ لفتاة ممشوقة القوام ترتدي أوراق الشَّجر وتُلَوِّح بحربتها مهدِّدةً. بَعد لحظةٍ ظهرَ قادسان أصغر حجمًا على جانبيها كزوجين متماثلين من كلاب الصَّيد يتحرَّكان في أعقاب سيِّدهما، وتنفَّس سام الصُّعداء لمرأى أسد ووعل الملك تومن على القوادس الثَّلاث فوق بُرج (البلدة القديمة) الأبيض المدرَّج بقمَّته النَّاريَّة.

رُبَّان (القنَّاصة) رجل طويل القامة يرتدي معطفًا رماديًّا كالدُّخان حاشيته على شكل ألسنة لهبٍ من الساتان الأحمر، وقد حاذى (ريح القرفة) بقادسه ورفعَ مجاذيفه وصاحَ أنه قادم إلى متنها، وبينما تبادلَ رُماته ورُماة كوچا مو النَّظرات عبر مساحة الماء الضيِّقة عبرَ الرَّجل مع نِصف دستةٍ من الفُرسان وحيًّا كاهورو مو بإيماءةٍ من رأسه وطلبَ أن يرى مخازنه، فتشاورَ الأب والابنة فترةً وجيزةً ثم وافَقا.

بَعد انتهاء التَّفتيش قال الرُّبَّان: «تقبَّلوا اعتذاري. يُؤسِفني أن يتعرَّض النُّزهاء لفظاظةٍ كهذه، لكنها خيرٌ من دخول الحديديِّين (البلدة القديمة). قبل أسبوعين فقط استولى بعض هؤلاء الأوغاد الملاعين على سفينةٍ تجاريَّة من (تايروش) في البوغاز، وقتلوا رجالها وارتدوا ثيابهم واستخدموا الأصباغ التي وجدوها لتلوين لحاهم بعشرات الألوان. ما إن يجتازوا الأسوار كانوا ينتوون إشعال النَّار في الميناء وفتح البوَّابة من الدَّاخل بينما نُكافِح الحريق، وكانت خطَّتهم لتنجح لولا أن (سيِّدة البُرج) اعترضَت طريقهم. زوجة وكيل رُبَّانها تايروشيَّة، فلمَّا رأى اللِّحي الخضراء والأرجوانيَّة حيَّاهم بلُغة (تايروش)، ولم يستطِع أحد منهم أن يردَّ عليه».

قال سام مفزوعًا: «لا يُمكن أنهم ينوون الإغارة على (البلدة القديمة)!».

رمقَه رُبَّان (القنَّاصة) بفضولٍ قائلًا: «هؤلاء ليسوا مجرَّد مُغيرين. لطالما أغارَ حديديُّو الميلاد أينما استطاعوا، يُهاجِمون على حين غرَّةٍ من البحر ويسرقون الذَّهب ويختطفون الفتيات ثم يرحلون، لكن نادرًا ما يزيد عدد سُفنهم الطَّويلة على واحدةٍ أو اثنتين، ولا يزيد أبدًا على ستَّة. الآن تبتلينا مئات من سُفنهم التي تُبحِر من (جُزر التُّروس) وبعض الصُّخور المحيطة بـ(الكرمة). لقد استولوا على (السَّرطان الحجري) و(جزيرة الخنازير) و(قصر عروس البحر)، وثمَّة أوكار أخرى لهم على (صخرة الحدوة) و(مهد النُّغول). دون أسطول اللورد ردواين نفتقر إلى السُّفن الكافية لردعهم».

اندفعَ سام يقول: «وماذا يفعل اللورد هايتاور؟ اعتادَ أبي أن يقول إنه ثريٌّ كآل لانستر، وتحت إمرته ثلاثة أضعاف سيوف حمَلة راية (هايجاردن) الآخَرين».

قال الرُّبَّان: «وأكثر إذا جنَّد كُناسة الشَّوارع، لكن السُّيوف لا تَصلُح في مواجَهة الحديديِّين ما لم يكن حاملوها يمشون على الماء».

- «لا بُدَّ أن يفعل (البُرج العالي) شيئًا!».

- «بالتَّأكيد. اللورد لايتون حبسَ نفسه على قمَّة بُرجه مع العذراء المجنونة ويستشير كُتب التَّعاويذ. ربما يستطيع أن يحشد جيشًا من الأعماق... وربما لا. بيلور يبني القوادس، وجونثور مسؤول عن الميناء، وجارث يُدَرِّب المجنَّدين الجُدد، وهمفري ذهبَ إلى (لِيس) لاستئجار القراصنة. إذا استطاعَ الظَّفر بأسطولٍ مناسب من العاهرة أخته فربما نشرع في الرَّدِّ على الحديديِّين بالمِثل، لكن حتى ذلك الحين فأفضل ما في وسعنا أن نحمي النَّهر وننتظر أن تُطلِق الملكة الحقيرة في (كينجز لاندنج) سراح أسطول اللورد پاكستر».

صدمَت المرارة في نبرة الرُّبَّان سام بقدر ما صدمَته أقواله، وبينما ابتعدَت (القنَّاصة) وأختاها فكَّر: إذا خسرَت (كينجز لاندنج) كلًّا من (البلدة القديمة) و(الكرمة) فستنهار البلاد بأكملها.

جعلَه هذا يتساءَل إن كانت (هورن هيل) آمنةً حقًّا. أراضي عائلة تارلي تقع وسط تلالٍ كثيفة الغابات على بُعد مئة فرسخ شمال شرق (البلدة القديمة) وبعيدًا عن أيِّ ساحل، وهكذا يُفترَض أن تَكون بمنأى تمامًا عن متناوَل الحديديِّين والسُّفن الطَّويلة، حتى مع غياب أبيه الذي يُقاتِل في أراضي النَّهر والحراسة الخفيفة على القلعة. لا شَكَّ أن الذِّئب الصَّغير اعتقدَ أن الشَّيء نفسه ينطبق على (وينترفل) حتى اللَّيلة التي تسلَّق فيها ثيون المارِق أسواره. لا يستطيع سام احتمال فكرة أنه ربما قطعَ بجيلي وصغيرها كلَّ هذا الطَّريق الطَّويل ليحميهما من الأذى، فقط ليتخلَّى عنهما في غمار الحرب.

ظلَّ يُصارِع شكوكه وتُصارِعه طيلة ما تبقَّى من الرِّحلة ويتساءَل ماذا يفعل. قد يُمكنه إبقاء جيلي معه في (البلدة القديمة)، فأسوار المدينة أقوى كثيرًا من أسوار قلعة أبيه، وهناك آلاف يُدافِعون عنها، على عكس القِلَّة التي لا بُدَّ أن اللورد راندل تركَها في (هورن هيل) عندما زحفَ على (هايجاردن) لتلبية استدعاء اللورد وليِّ أمره. لكن إذا أبقاها فعليه أن يُخفيها في مكانٍ ما، ذلك أن (القلعة) لا تسمح للمبتدئين بالاحتفاظ بزوجاتٍ أو خليلات، ليس جهارًا على الأقل. ثم إنني إذا بقيتُ مع جيلي فترةً أطول فكيف سأجدُ القُدرة على تركها؟ عليه أن يَترُكها... إمَّا هذا وإمَّا أن يتهرَّب من خدمته. لقد حلفتُ اليمين. إذا تهرَّبتُ فسأدفعُ الثَّمن برأسي، وكيف يُساعِد شيء هكذا جيلي؟

فكَّر في أن يتوسَّل إلى كوچا مو وأبيها أن يأخذا الفتاة الهمجيَّة معهما إلى (جُزر الصَّيف). على أن ذلك الطَّريق له أخطاره أيضًا، فحينما ترحل (ريح القرفة) من (البلدة القديمة) فعليها أن تَعبُر (بوغاز ردواين) ثانيةً، وهذه المرَّة ربما لا يُحالِفها الحَظُّ. ماذا لو خمدَت الرِّيح ووجدَ طاقم السَّفينة نفسه عاجزًا عن الحركة؟ إذا صحَّت الحكايات التي سمعَها فستُختطَف جيلي ويجعلون منها قِنَّةً أو زوجةً ملحيَّةً، وعلى الأرجح سيرمون الرَّضيع في البحر خلاصًا من إزعاجه.

أخيرًا حزمَ سام أمره. يجب أن تكون (هورن هيل). ما إن نَبلُغ (البلدة القديمة) سأستأجرُ عربةً وخيولًا وآخذها إلى هناك بنفسي. بهذه الطَّريقة يُمكنه الاستيثاق من دفاعات القلعة وحاميتها، وإذا لم يُعجِبه أيُّ شيءٍ يراه أو يسمعه فسيعود أدراجه بجيلي إلى (البلدة القديمة).

وصلوا إلى (البلدة القديمة) ذات صباحٍ باردٍ رطب كثيف الضَّباب لدرجة أن منارة (البُرج العالي) الجزء الوحيد المَرأي من المدينة. عبر الميناء تمتدُّ سلسلة رابطةً دستتين من السُّفن الثَّقيلة النَّخرة، ووراءها مباشرةً صَفٌّ من السُّفن الحربيَّة التي تقودها ثلاث دُرمونات كبيرة وسفينة قيادة اللورد هايتاور الهائلة ذات السُّطوح الأربعة المسمَّاة (شَرف البلدة القديمة). ثانيةً خضعَت (ريح القرفة) للتَّفتيش، وهذه المرَّة كان جونثور ابن اللورد لايتون هو من صعدَ إلى متنها مرتديًا معطفًا من قُماش الفضَّة وبزَّةً رماديَّة من الصَّفائح المعدنيَّة المطليَّة بالمينا. درسَ السير جونثور في (القلعة) سنينًا عدَّةً ويُجيد لُغة الصَّيف، فذهبَ مع كاهورو مو إلى قمرة الرُّبَّان ليتشاوَرا على انفراد.

استغلَّ سام هذا الوقت في شرح نيَّاته لجيلي، وقال: «أولًا (القلعة) لأقدِّم لهم رسائل چون وأخبرهم بوفاة المِايستر إيمون. أظنُّ أن رؤساء المِايسترات سيُرسِلون عربةً لنقل جُثمانه. ثم سأرتِّبُ لأن تأخذكِ عربة تجرُّها الخيول إلى أمِّي في (هورن هيل). سأعودُ في أسرع وقتٍ ممكن، لكن ربما لا يكون هذا قبل الغد».

ردَّدت: «الغد»، وأعطَته قُبلةً للحَظِّ.

أخيرًا خرجَ السير جونثور وأعطى إشارةً بفتح السِّلسلة كي تدخل (ريح القرفة) إلى المرسى، وانضمَّ سام إلى كوچا مو وثلاثةٍ من رُماتها قُرب لوح

العبور بينما ربطَ بنو (جُزر الصَّيف) السَّفينة وقد عادوا يتألَّقون في معاطفهم الرِّيش التي لا يرتدونها إلَّا على اليابسة، فشعرَ وهو واقف إلى جوارهم بانعدام هندامه وقد ارتدى سراويله السَّوداء الفضفاضة ومعطفه الباهت وانتعلَ حذاءه المبقَّع بالملح. سألَ كوچا: «كم ستبقون في المرسى؟».

- «يومين أو عشرة، مَن يدري؟ ما سيستغرقه إفراغ مخازننا وملؤها ثانيةً»، وأضافَت كوچا بابتسامةٍ واسعة: «ويجب أن يزور أبي المِايسترات الرَّماديِّين أيضًا. إن معه كُتبًا يبيعهم إياها».

- «هل يُمكن أن تبقى جيلي على المتن حتى أرجع؟».

أجابَت: «يُمكن لجيلي أن تبقى كما شاءَت»، ووكزَت سام بإصبعها في بطنه مردفةً: «إنها لا تأكل كثيرًا كبعض النَّاس».

رَدَّ بلهجةٍ دفاعيَّة: «لم أعُد بالبدانة نفسها كما كنتُ». تكفَّلت بهذا الرِّحلة جنوبًا، كلُّ نوبات الحراسة ولا شيء يُؤكَل إلَّا الفواكه والأسماك، وأهل (جُزر الصَّيف) يحبُّون الفواكه والأسماك.

تبعَ سام الرُّماة نازلًا اللَّوح، لكن بمجرَّد أن أصبحوا على اليابسة افترَقوا وذهبَ كلٌّ منهم في حال سبيله. يأمل أنه ما زالَ يَذكُر كيف يصل إلى (القلعة)، فـ(البلدة القديمة) متاهة، ولا وقت لديه لضلال الطَّريق.

جعلَت رطوبة النَّهار حجارة الرَّصف مبتلَّةً زلقةً تحت قدميه والأزقَّة ملتحفةً بالضَّباب والغموض، وقد تحاشاها سام قدر الإمكان والتزمَ الطَّريق الذي يمضي متمعِّجًا بمحاذاة (نهر البِتع) في قلب المدينة القديمة. أحسَّ بالسُّرور لوجود أرضٍ ثابتة تحت قدميه من جديدٍ بدلًا من سطح سفينةٍ يتمايَل، لكن المشي أصابَه بالاضطراب رغم ذلك، إذ شعرَ بالأعيُن تَنظُر إليه من الشُّرفات والنَّوافذ وتُراقبه من المداخل المظلمة. على متن (ريح القرفة) كان يعرف كلَّ وجه، أمَّا هنا فكلَّما التفتَ يرى غريبًا آخَر. الأدهى فكرة أن يراه أحد يعرفه، فاللورد راندل معروف في (البلدة القديمة) لكن أهلها لا يحبُّونه كثيرًا. لا يدري سام أيُّهما أسوأ، أن يتعرَّفه أحد أعداء السيِّد والده أم أحد أصدقائه، وهكذا رفعَ قلنسوة معطفه وجَدَّ الخُطى.

على جانبَي بوَّابة (القلعة) تمثالان أخضران شامخان لأبي الهول وأُم الهول، لكلٍّ منهما جسم أسد وجناحا نسر وذيل أفعى، وبَعدهما تقع (دار

الكتَبة) التي يأتيها أهل (البلدة القديمة) بحثًا عن مُعاونين يَكتُبون وصاياهم ويقرأون رسائلهم، وقد جلسَ عدد من المُعاونين الضَّجِرين في أكشاكٍ مفتوحة ينتظرون الزَّبائن. في أكشاكٍ أخرى تُباع الكُتب وتُشتَرى، فتوقَّف سام عند واحدٍ يبيع الخرائط وراجعَ خارطةً مرسومةً باليد لـ(القلعة) ليتحقَّق من الطَّريق الأقصر إلى (بهو القهرمان).

يتفرَّع الطَّريق حيث يمتطي تمثال الملك دايرون الأول حصانه الحجري الطَّويل رافعًا سيفه في اتِّجاه (دورن)، وقد جثمَ نورس على رأس التنِّين الصَّغير واثنان آخَران على نصله. سلكَ سام الفرع الأيسر الذي يمضي بحذاء النَّهر، وعند (مرسى البكَّائين) شاهدَ اثنين من المُعاونين يُساعِدان عجوزًا على ركوب قاربٍ سيحمله في رحلةٍ قصيرة إلى (الجزيرة الدَّامية)، وبَعده ركبَت أُم شابَّة بين ذراعيها رضيع باكٍ لا يكبَر ابن جيلي كثيرًا، في حين خاضَ مُساعد طاهٍ ما في المياه الضَّحلة تحت المرسى يجمع الضَّفادع، وهرعَ طابور طويل من المبتدئين الصِّغار نحو السِّبتري. كان عليَّ أن آتي هنا حين كنتُ في سِنِّهم. لو هربتُ واتَّخذتُ اسمًا مستعارًا لاختفيتُ وسط المبتدئين الآخَرين وتظاهرَ أبي بأن ديكون ابنه الوحيد. أشكُّ في أنه كان ليُجَشِّم نفسه عناء البحث عني ما لم آخذ بغلةً أركبها. عندها كان ليُطارِدني بلا هوادة، ولكن من أجل البغلة فقط.

خارج (بهو القهرمان) كان الموجِّهون يُثَبِّتون مُعاونًا أكبر سِنًّا إلى هيكل تشهير[1]، وشرحَ أحدهم السَّبب للمُعاونين المنتظرين رجم السَّجين بالخضراوات الفاسدة قائلًا: «يسرق الطَّعام من المطابخ». حدجَ جميعهم سام بنظرات الفضول إذ مَرَّ بهم بخُطى سريعة ومعطفه الأسود منتفخ من ورائه كشراع السَّفينة.

وراء الباب وجدَ بهوًا أرضيَّته حجريَّة ونوافذه عالية مقنطَرة، يجلس في أقصاه رجل ذو وجهٍ ممصوص على منصَّةٍ مرتفعة يُدَوِّن شيئًا ما في دفترٍ

---

(1) هيكل التَّشهير أداة كانت تُستخدَم منذ العصور الوُسطى وخلال عصر النَّهضة للعقاب البدني، عبارة عن ألواح خشبيَّة كبيرة مثبَّتة معًا بحيث يعجز المقيَّد إليها عن تحريك قدميه، وأحيانًا كانت توضع قيود لليدين والرَّأس أيضًا. (المترجم).

بريشته، ورغم أنه يرتدي ثياب المِايسترات الرَّماديَّة فلا تُحيط بعُنقه سلسلة. تنحنحَ سام، وحيَّاه قائلًا: «طابَ يومك».

رفعَ الرَّجل عينيه وبدا أن ما رآه لا يُعجِبه إذ قال: «رائحة المبتدئين تفوح منك».

رَدَّ سام: «آملُ أن أكون منهم قريبًا»، وأخرجَ الرَّسائل التي أعطاه چون سنو إياها متابعًا: «جئتُ من (الجِدار) مع المِايستر إيمون، لكنه ماتَ خلال الرِّحلة. إذا كان يُمكن أن أتكلَّم مع القهرمان...».

- «اسمك؟».

- «ساموِيل، ساموِيل تارلي».

خَطَّ الرَّجل الاسم في دفتره ولوَّح بريشته نحو دكَّةٍ عند الحائط، وقال: «اجلس. سنُناديك حين نُريدك».

وجلسَ سام على الدِّكَّة.

جاءَ آخَرون وذهبوا. سلَّم بعضهم رسائل وغادرَوا، وتكلَّم بعضهم مع الرَّجل على المنصَّة ثم سُمِحَ لهم بالدُّخول من الباب ورائه وصعدوا سُلَّمًا ملتفًّا، وانضمَّ آخَرون إلى سام على الدِّكَّة في انتظار مناداة أسمائهم. عددٌ ممَّن نُودوا أتى بعده، وهو شِبه متأكِّد من هذا، وبَعد تكراره للمرَّة الرَّابعة أو الخامسة نهضَ سام وقطعَ البهو سائلًا الرَّجل: «هل سأظلُّ منتظرًا طويلًا؟».

- «القهرمان رجل مهمٌّ».

- «لقد قطعتُ طريقًا طويلًا من (الجِدار)!».

- «إذن فلا مشكلة في أن تنتظر فترةً أطول قليلًا»، ولوَّح الرَّجل بالرِّيشة مضيفًا: «إلى الدِّكَّة هناك، تحت النَّافذة».

عادَ سام إلى الدِّكَّة، ومرَّت ساعة أخرى. وصلَ آخَرون وتكلَّموا مع الرَّجل على المنصَّة وانتظروا دقائق قليلةً ثم دخلوا، ولم يُكَلِّف الحاجب نفسه مجرَّد النَّظر إلى سام طوال هذا الوقت. انقشعَ الضَّباب في الخارج مع مرور النَّهار الثَّقيل البطيء وتسلَّل نور الشَّمس الشَّاحب من النَّوافذ، ووجدَ سام نفسه يتفرَّج على ذرَّات الغُبار تَرقُص في خيوط الضَّوء. تثاءبَ مرَّةً ثم أخرى، وداعبَ قرحًا مفتوحًا في راحة يده، ثم إنه أرجعَ رأسه إلى الوراء وأسبلَ جفنيه.

لا بُدَّ أنه غفا، فإذا بالحاجب الجالس على المنصَّة يُنادي اسمًا، فهَبَّ سام واقفًا ثم عادَ يجلس لمَّا أدركَ أنه ليس اسمه.

قال صوت من جواره: «عليك أن ترشو لوركاس ببنس وإلَّا ظللت جالسًا هنا ثلاثة أيام. ماذا يفعل حَرس اللَّيل في (القلعة)؟».

المتكلِّم شاب نحيل مشيق وسيم، يرتدي سراويل من جِلد الظِّباء وسُترةً جِلديَّةً خضراء ضيِّقةً مطعَّمةً بالحديد، وله بشرة بلون المِزر البنِّي الفاتح وشَعر أسود قصير ينسحب عند مقدِّمة رأسه فوق عينيه السَّوداوين الكبيرتين.

رَدَّ سام: «حضرة القائد يُرَمِّم القلاع المهجورة ويُعيد فتحها. نحتاج إلى المزيد من المِايسترات للعناية بالغِدفان... هل قلت بنسًا؟».

– «بنس واحد يكفي. مقابل أيلٍ فضِّي سيحملك لوركاس إلى القهرمان بالأعلى على ظَهره. إنه مُعاون منذ خمسين عامًا ويكره المبتدئين، تحديدًا المبتدئين أبناء النُّبلاء».

– «وما أدراك بأنني من أبناء النُّبلاء؟».

– «بالطَّريقة نفسها التي تدري بها أنني نِصف دورني». قيلَت الإجابة بابتسامةٍ ولكنةٍ دورنيَّة خفيفة.

دَسَّ سام يده في جيبه يبحث عن بنس، وقال: «أأنت مبتدئ؟».

– «مُعاون. اسمي أليراس، لكن بعضهم يدعوني بأبي الهول».

هَزَّ الاسم سام، وقال باندفاع: «أبو الهول الأحجية لا صانِع الأحاجي. هل تعرف معنى هذا؟».

– «لا. أهذه أحجية؟».

– «ليتني أعرفُ. أنا ساميل تارلي، سام».

– «أهلًا بك. وما شأن ساميل تارلي عند المِايستر الرَّئيس ثيوبولد؟».

سألَه سام حائرًا: «أهو القهرمان؟ المِايستر إيمون قال إن اسمه نورن».

– «لم يَعُد كذلك منذ قمرين. هناك واحد جديد كلَّ سنة، يشغل المنصب بالاقتراع من بين رؤساء المِايسترات. أكثرهم يعدُّه واجبًا لا يُشكَر عليه يُعَطِّله عن عمله الحقيقي. هذا العام سحبَ المِايستر الرَّئيس والجريف الحجر الأسود، لكن عقل والجريف يتوه كثيرًا، فتطوَّع ثيوبولد بقضاء مدَّته بدلًا منه. إنه رجل فَظٌّ لكنه صالح. هل قلت المِايستر إيمون؟».

- «نعم».

- «إيمون تارجارين؟».

- «في السَّابق. أكثرنا كان يدعوه بإيمون فقط. لقد تُوفِّيَ خلال الرِّحلة إلى الجنوب. كيف تعرفه؟».

- «وكيف لا؟ إنه لم يكن أكبر مِايستر على قيد الحياة فقط، بل أكبر رجلٍ في (وستروس)، وشهدَ تاريخًا أكثر مما تعلَّم المِايستر الرَّئيس پيرستان في حياته كلِّها. كان ليحكي لنا الكثير والكثير عن عهد أبيه وعمِّه. هل تعلم كم كان عُمره؟».

- «مئة عام واثنان».

- «وماذا كان يفعل في البحر في سِنِّه تلك؟».

تأمَّل سام السُّؤال وهلةً متسائلًا كم يَجدُر به أن يقول. أبو الهول الأحجية لا صانِع الأحاجي. أيُمكن أن المِايستر إيمون كان يعني أبا الهول هذا؟ لا يبدو ذلك محتملًا. بتردُّدٍ بدأ يشرح: «حضرة القائد سنو صرفَه لإنقاذ حياته»، ثم إنه تحدَّث بارتباكٍ عن الملك ستانيس وملیساندرا الآشاييَّة ناويًا أن يكتفي بهذا القدر، لكن شيئًا قادَ إلى آخَر ووجدَ نفسه يحكي عن مانس رايدر والهَمج ودماء الملوك والتَّنانين، وقبل أن يدري ما يجري تدفَّقت البقيَّة كلُّها منه... الجُثث الحيَّة على (قبضة البَشر الأوائل)، (الآخَر) على حصانه الميت، اغتيال الدُّب العجوز في (قلعة كراستر)، جيلي وهروبهما، (وايتري) وپول الصَّغير، ذو اليدين الباردتين والغِدفان، انتخاب چون قائدًا، (الطَّائر الأسود)، داريون، (براڤوس)، التَّنانين التي رآها زوندو في (كارث)، (ريح القرفة) وكلُّ ما همسَ به المِايستر إيمون قُرب النِّهاية. أحجمَ فقط عن ذِكر الأسرار التي أقسمَ أن يحفظها إزاء بران ستارك ورفاقه وتبديل چون سنو الطِّفلين، وختمَ حكايته قائلًا: «دنيرس هي الأمل الوحيد. إيمون قال إن على (القلعة) أن تُرسِل إليها مِايستر في الحال ليعود بها إلى (وستروس) قبل فوات الأوان».

أصغى أليراس باهتمامٍ شديد، يُحَدِّق بين الحين والآخَر لكن لا يضحك أو يُقاطِعه أبدًا، وحين فرغَ سام مَسَّ ساعِده برفقٍ بيدٍ بنِّيَّة نحيلة، وقال: «وفِّر بنسك يا سام. لن يُصَدِّق ثيوبولد نِصف هذا الكلام، لكن هناك آخَرين قد يُصَدِّقونه. هلَّا أتيت معي؟».

- «أين؟».

- «للكلام مع أحد رؤساء المِايسترات».

قال المِايستر إيمون: يجب أن تُخبِرهم يا سام، يجب أن تُخبِر رؤساء المِايسترات، وهكذا رَدَّ سام: «ليكن». يُمكنه أن يعود إلى القهرمان غدًا وفي يده بنس. «هل سنبتعد كثيرًا؟».

- «ليس المكان بعيدًا، (جزيرة الغِدفان)».

لم يحتاجا إلى ركوب قاربٍ لبلوغ (جزيرة الغِدفان)، إذ يربطها جسر متحرِّك خشبي بالٍ بالضِّفَّة الشَّرقيَّة، وبينما عبرا فوق مجرى (نهر البِتع) البطيء قال له أليراس: «(المِغدفة) أقدم مباني القلعة. يُقال إنها كانت في عصر الأبطال معقل لورد قُرصان استقرَّ هنا ليسطو على السُّفن التي تَدخُل النَّهر».

رأى سام الطَّحالب والنَّباتات المعترشة تُغَطِّي الجُدران، والغِدفان تذرع الشُّرفات بدلًا من الرُّماة. هذا الجسر المتحرِّك لم يُرفَع منذ سنين عصيَّة على الحُسبان.

داخل القلعة الأجواء معتمة مائلة إلى البرودة، وفي السَّاحة شجرة ويرووود عتيقة تحتلُّها منذ بدأ بناء هذه الأحجار، تكسو الوجه المنقوش على جذعها الطَّحالب الأرجوانيَّة الثَّقيلة نفسها التي تتدلَّى من فروعها الشَّاحبة، وقد بدا نِصف غصونها ميتًا، وإن ظهرَت في بقاعٍ أخرى بضع أوراقٍ حمراء لا تزال تحفُّ. هناك تحبُّ الغِدفان الجثوم، والشَّجرة ملأى بها، وثمَّة المزيد منها في النَّوافذ المقنطَرة بالأعلى وفي كلِّ أنحاء السَّاحة، وعلى الأرض تتناثَر فضلاتها. إذ قطعا السَّاحة ضربَ أحدها الهواء بجناحيه فوقهما وسمعَ سام بعض الغِدفان الأخرى ينعب لبعض. قال له أليراس: «مسكن المِايستر الرَّئيس والجريف في البُرج الغربي، تحت المِغدفة البيضاء. الغِدفان البيضاء والسَّوداء تتشاجَر كأهل (دورن) و(التُّخوم) ولذا يُفَرِّقون بينها».

تساءلَ سام: «هل سيفهم المِايستر الرَّئيس والجريف ما أخبِره به؟ قلت إن عقله يتوه كثيرًا».

أجابَ أليراس: «تمرُّ عليه أيام جيِّدة وأخرى سيِّئة، لكنك لست ذاهبًا لرؤية والجريف»، وفتحَ باب البُرج الشَّمالي وبدأ يصعد الدَّرج، وتبعَه سام سامعًا

الخفقات والتَّمتمات من أعلى، وهنا وهناك صرخةً غاضبةً كأن الغِدفان تشتكي من إقلاق راحتها.

عند قمَّة السَّلالم يجلس شاب أشقر شاحب في سِنِّ سام خارج بابٍ من السَّنديان والحديد، يُحَدِّق بتركيزٍ إلى لهب شمعةٍ بعينه اليُمنى، وقد توارَت اليُسرى تحت خُصلةٍ من الشَّعر الأشقر المائل إلى الرَّمادي. سألَه أليراس: «عمَّ تبحث؟ قدرك؟ حتفك؟».

التفتَ الأشقر عن الشَّمعة طارفًا بعينيه، وقال: «عن النِّساء العاريات. مَن هذا؟».

– «سام، مبتدئ جديد جاءَ للقاء المشعوذ».

قال الأشقر متذمِّرًا: «لم تَعُد (القلعة) كما كانت. هذه الأيام تقبل أيَّ شيء؛ الكلاب السَّوداء والدورنيِّين ورُعاة الخنازير والمُعاقين ومعتلِّي العقول، والآن هذا الحوت الذي يتردي الأسود. وأنا الذي كنتُ أحسبُ اللَّوياثانات رماديَّةً». من على أحد كتفيه تنسدل حرملة قصيرة مخطَّطة بالأخضر والذَّهبي، وملامحه وسيمة للغاية، ولو أن عينيه خبيثتان وفمه قاسٍ.

يعرف سام هذا الشَّاب، وقد خاطبَه قائلًا: «ليو تايرل». مجرَّد لفظ الاسم أشعرَه كأنه لا يزال صبيًّا في السَّابعة على وشك أن يُبَلِّل ثيابه الدَّاخليَّة. «أنا سام من (هورن هيل)، ابن اللورد راندل تارلي».

قال ليو: «حقًّا؟»، ورمقَه بنظرةٍ أخرى، ثم أردفَ: «أظنُّك هو. أبوك قال لنا جميعًا إنك مُتَّ، أم أن هذا ما كان يأمله فقط؟»، وأضافَ بابتسامةٍ واسعة: «أما زلت جبانًا؟».

أجابَ سام كاذبًا: «لا». هكذا أمرَه چون. «لقد ذهبتُ وراء (الجِدار) وخضتُ معارك، ويُلَقِّبونني بسام القاتِل». لا يدري لِمَ قالها، لكن الكلمات تدفَّقت منه رغمًا عنه.

ضحكَ ليو، لكن قبل أن يردَّ انفتحَ الباب من ورائه، ودمدمَ الرَّجل الواقف على عتبته: «ادخُل أيها القاتل، وأنت أيضًا يا أبا الهول، الآن».

قال أليراس: «سام، هذا هو المِايستر الرَّئيس ماروين».

حول عُنق ماروين الغليظ سلسلة من عدَّة معادن، لكن فيما عدا هذا يبدو الرَّجل أقرب إلى بلطجي ميناء من مِايستر، فرأسه كبير للغاية بالنِّسبة إلى بدنه،

والطَّريقة التي يَبرُز بها إلى الأمام من بين كتفيه، بالإضافة إلى فكِّه العريض، تجعله يبدو كأنه على وشك اجتثاث رأس أحدهم من رقبته، وعلى الرغم من قامته القصيرة وقوامه الممتلئ فله صدر عريض وكتفان قويَّتان، وبطن مستدير صُلب كالحجر يضغط على أربطة سُترته الجِلديَّة التي يرتديها بدلًا من ثياب المِايسترات. من أنفه ومنخريه ينبت الشَّعر الأبيض الخشن الثَّائر، وله جبهة ناتئة وأنف انكسرَ أكثر من مرَّة، ويُبَقِّع التَّبغ المُرُّ أسنانه بالأحمر، ويداه أكبر يدين رآهما سام على الإطلاق.

حين تردَّد سام أطبقَت إحدى هاتين اليدين على ذراعه وشدَّته عبر الباب إلى غُرفةٍ مستديرة واسعة مكتظَّة بالكُتب والمخطوطات المتناثرة على الطَّاولات والمرصوصة على الأرض في أكوام ترتفع أربعة أقدام. تُغَطِّي المعلَّقات الباهتة والخرائط المهترئة الجُدران الحَجريَّة، وفي المستوقَد نار مشتعلة تحت مرجلٍ نُحاسي تفوح منه رائحة شيءٍ محروق. بعيدًا عن هذا ينبعث الضَّوء الوحيد في المكان من شمعةٍ سوداء طويلة في منتصَف الغُرفة.

ضوء الشَّمعة ساطع على نحوٍ مزعج، وثمَّة شيء عجيب فيها، إذ إن لهبها لا يتذبذَب، حتى عندما صفقَ المِايستر الرَّئيس ماروين الباب بقوَّةٍ طيَّرت الأوراق الموضوعة على الطَّاولة القريبة. ثم إن للضَّوء تأثيرًا غريبًا على الألوان كذلك، فالأبيض ناصع كالثَّلج الطَّازج، والأصفر يتألَّق كالذَّهب، والأحمر استحالَ إلى لهب، لكن الظِّلال سوداء حالكة لدرجة أنها تبدو كثقوبٍ في العالم. وجدَ سام نفسه يُحَملِق إلى الشَّمعة. طولها ثلاثة أقدام، ورفيعةٌ كالسَّيف، ومحزَّزة ملتوية، وسوادها لامع. قال سام: «أهذا...».

- «... زُجاج بُركاني»، قال الرَّجل الآخَر في الغُرفة، شاب شاحب لحيم له كتفان مستديرتان ويدان طريَّتان وعينان ضيِّقتان، وتُلَوِّث رداءه بُقع الطَّعام.

قال المِايستر الرَّئيس ماروين: «سمِّه زُجاج التنِّين»، ورمقَ الشَّمعة السَّوداء لحظةً، ثم أردفَ: «يشتعل ولكن لا يُستهلَك».

سألَه سام: «ما الذي يُغَذِّي اللَّهب؟».

جلسَ ماروين على كُرسيٍّ قائلًا: «وما الذي يُغَذِّي نيران التَّنانين؟ كلُّ السِّحر الثاليري جذوره ضاربة في الدَّم أو النَّار. كان بإمكان سحرة المعقل الحُر أن يروا عبر الجبال والبحار والصَّحاري بواحدةٍ من هذه الشُّموع

الزُّجاجيَّة، وكانوا يجلسون أمامها ويَدخُلون أحلام المرء ويمنحونه رؤًى ويُكَلِّم بعضهم بعضًا ونِصف العالم يفصل بينهم. أتظنُّ هذا مفيدًا أيها القاتِل؟».

– «لن نعود في حاجةٍ إلى الغِدفان».

قال المِايستر الرَّئيس: «بَعد المعارك فقط»، وقشَّر ورقةً من حزمةٍ من التَّبغ المُرِّ ودسَّها في فمه وشرعَ يمضغها مستطردًا: «أخبِرني بكلِّ ما قلته لأبي الهول الدورني. إنني أعرفُ الكثير منه بالفعل، ولكن ربما فاتَني بعض التَّفاصيل الصَّغيرة».

ليس هذا رجلًا يُرفَض له طلب. تردَّد سام لحظةً، ثم عادَ يحكي حكايته فيما أصغى ماروين وأليراس والمبتدئ الآخَر، ثم قال: «المِايستر إيمون اعتقدَ أن نبوءةً تتحقَّق في دنيرس تارجاريَن... هي وليس ستانيس أو الأمير ريجار أو الأمير الصَّغير الذي هشَّموا رأسه على جِدار».

قال ماروين: «سيُولَد وسط الملح والدُّخان تحت نجم ينزف. أعرفُ هذه النُّبوءة»، ودوَّر رأسه وبصقَ كُتلةً من البلغم الأحمر على الأرض، ثم واصلَ: «ولا أثقُ بها. قديمًا كتبَ جورجان ابن (جيس القديمة) أن النُّبوءة مِثلها مِثل مرأةٍ مخادعة، تأخذ عُضوك في فمها وتأخذ أنت تتأوَّه استمتاعًا مفكِّرًا كم أن هذا جميل ممتع رائع... ثم تنغلق أسنانها وتستحيل تأوُّهاتك إلى صريخ. قال جورجان إن تلك طبيعتها، إن النُّبوءة ستقضم عُضوك كلَّ مرَّة»، ولاكَ تبغه قليلًا، ثم أضافَ: «ومع ذلك...».

وقفَ أليراس إلى جوار سام قائلًا: «كان إيمون ليذهب إليها لو تمتَّع بالقوَّة. أرادَنا أن نُرسِل إليها مِايستر ينصحها ويحميها ويُعيدها آمنةً إلى الوطن».

هَزَّ ماروين كتفيه، وقال: «حقًّا؟ لعلَّ من الخير إذن أنه ماتَ قبل أن يَبلُغ (البلدة القديمة)، وإلَّا فربما اضطرَّت الخراف الرَّماديَّة إلى قتله، وكان ذلك ليُزعِج أعزَّاءنا العجائز المساكين».

سألَ سام مصدومًا: «قتله؟ لماذا؟».

رَدَّ ماروين: «لو أخبرتك فربما يضطرُّون إلى قتلك أيضًا»، وابتسمَ ابتسامةً بشعةً لتسيل عُصارة التَّبغ المُرِّ الحمراء من بين أسنانه، وقال: «مَن تحسبه قتلَ التَّنانين كلَّها آخِر مرَّة؟ قتَلة التَّنانين الأشاوس المسلَّحون بالسُّيوف؟»، وبصقَ

ثم تابعَ: «العالم الذي تبنيه (القلعة) لا مكان فيه للسِّحر أو التَّنبُّؤ أو الشُّموع الزُّجاجيَّة، ناهيك بالتِّنانين. سَل نفسك لماذا سُمِح لإيمون تارجارين بتبديد حياته على (الجِدار) في حين كان الواجب أن يُرَقَّى إلى مِايستر رئيس. دماؤه السَّبب. لم يستطيعوا أن يثقوا به أكثر مما يستطيعون الثِّقة بي».

سألَه أليراس أبو الهول: «ماذا ستفعل؟».

– «سآخذُ نفسي إلى (خليج النَّخَّاسين) بدلًا من إيمون. السَّفينة البجعيَّة التي حملَت القاتِل كفيلة بتلبية حاجتي. لا شَكَّ أن الخراف الرَّماديَّة سترسِل رجلها على قادس. إذا كانت الرِّياح مواتيةً فسأسبقه إلى دنيرس»، ورمقَ ماروين سام مقطِّبًا وجهه، وقال: «أنت... أنت عليك أن تبقى وتُكَوِّن سلسلتك. لو كنتُ مكانك لفعلتها سريعًا. سيأتي وقت تكون فيه حاجة إليك على (الجِدار)»، والتفتَ إلى المبتدئ الشَّاحب قائلًا: «جِد حُجيرةً جافَّةً للقاتِل. سينام هنا ويُساعِدك على العناية بالغِدفان».

متلعثمًا قال سام: «لـلـلكن... رؤساء المِايسترات الآخَرون... القهرمان... ماذا أقولُ لهم؟».

– «قُل لهم كم هُم حُكماء صالحون، قُل لهم إن إيمون أمرَك بوضع نفسك في أيديهم، قُل لهم إنك حلمت دومًا بأن تستطيع ذات يوم تكوين السِّلسلة وخدمة الصالح العام، إن الخدمة أرفع شَرف والطَّاعة أسمى فضيلة. لكن لا تقل شيئًا عن النُّبوءة أو التِّنانين ما لم تكن تحبُّ السُّمَّ في طعامك»، واختطفَ ماروين معطفًا جِلديًّا متَّسخًا من على مشجبٍ قُرب الباب وربطَه بإحكامٍ قائلًا: «اعتنِ به يا أبا الهول».

رَدَّ أليراس: «سأفعلُ»، لكن المِايستر الرَّئيس كان قد خرجَ بالفعل، وسمعوا حذاءه يدقُّ السَّلالم.

سألَ سام حائرًا: «أين ذهبَ؟».

أجابَه أليراس: «إلى الميناء. المشعوذ ليس رجلًا يُؤمِن بتضييع الوقت»، وابتسمَ مستطردًا: «عندي اعتراف. لقاؤنا لم يكن صُدفةً يا سام. المشعوذ أرسلَني لألحقك قبل أن تتكلَّم مع ثيوبولد. كان يعلم بمجيئك».

– «كيف؟».

أشارَ أليراس برأسه إلى الشَّمعة الزُّجاجيَّة، فحدَّق سام إلى اللَّهب الباهت

الغريب لحظةً، ثم طرفَ بعينيه وأشاحَ ببصره. كان الظَّلام يحلُّ خارج النَّافذة.

قال الشَّاب الشَّاحب: «ثمَّة حُجيرة نوم شاغرة تحت حُجيرتي في البُرج الغربي، وفيها سلالم تقود إلى مسكن والجريف مباشرةً. إذا كان نعيب الغِدفان لا يُزعِجك فإنها تطلُّ على منظرٍ جيِّد لـ(نهر البِتع). هل يُناسِبك هذا؟».

– «أظنُّ». عليه أن ينام في مكانٍ ما على كلِّ حال.

– «سأجلبُ لك بعض الأغطية الصُّوف. الجُدران الحجريَّة تَبرُد ليلًا، حتى هنا».

– «أشكرك». في هذا الشَّاب الشَّاحب اللَّحيم شيء ما لا يروقه، لكن سام لا يرغب في أن يبدو فظًّا، فأضافَ: «اسمي ليس القاتِل حقًّا. أنا سام، ساموِيل تارلي».

قال الآخَر: «أنا پايت، كفتى الخنازير».

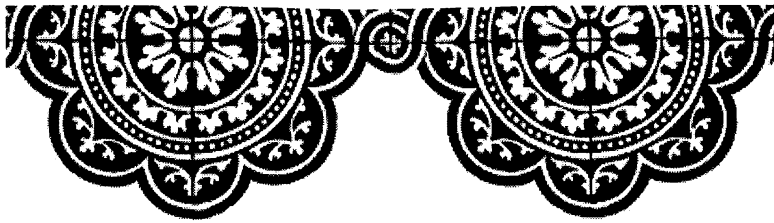

في تلك الأثناء على الجِدار...

لا بُدَّ أن بعضكم يقول الآن: «مهلًا، انتظر لحظةً، انتظر لحظةً، انتظر لحظةً! أين داني والتَّنانين؟ أين تيريون؟ لقد رأينا چون سنو بالكاد. لا يُمكن أن يكون هذا كلّ شيء...».

بالطَّبع لا. هناك المزيد في الطَّريق، كتاب آخَر بحجم هذا الكتاب.

لم أنسَ أن أكتب عن الشَّخصيَّات الأخرى. بالعكس تمامًا، كتبتُ الكثير عنها، صفحاتٍ وصفحاتٍ وصفحات، فصولًا والمزيد من الفصول. كنتُ ما زلتُ أكتبُ حين اتَّضح لي أن الرِّواية أصبحَت أطول من أن تُنشَر في كتاب واحد... ولم أكن قد دنوتُ من النِّهاية بعدُ. لحكاية القصَّة التي أريدُ أن أحكيها كان عليَّ أن أقسم الكتاب إلى اثنين.

أبسط طريقةٍ لِفعل ذلك أن آخذ ما لديَّ وأشطره عند المنتصَف وأنهي بعبارة «يُتبَع»، لكن كلَّما أطلتُ التَّفكير في هذا شعرتُ بأن الأصلح للقارئ أن يكون كتابًا يحكي القصَّة الكاملة لِنِصف الشَّخصيَّات بدلًا من نِصف قصَّة كلِّ الشَّخصيَّات، وهكذا قرَّرتُ أن أسلك هذا السَّبيل.

تيريون وچون وداني وستانيس وملیساندرا وداڤوس سيوورث وجميع الشَّخصيَّات التي تحبُّونها أو تحبُّون أن تكرهوها سيعودون العام المقبل -كما آملُ بشدَّة- في «رقصة مع التَّنانين»، وهو الكتاب الذي سيُرَكِّز على الأحداث على (الجِدار) وعبر البحر، تمامًا كما ركَّز الكتاب الحالي على (كينجز لاندنج).

چورچ ر. ر. مارتن
يونيو/ حزيران 2005

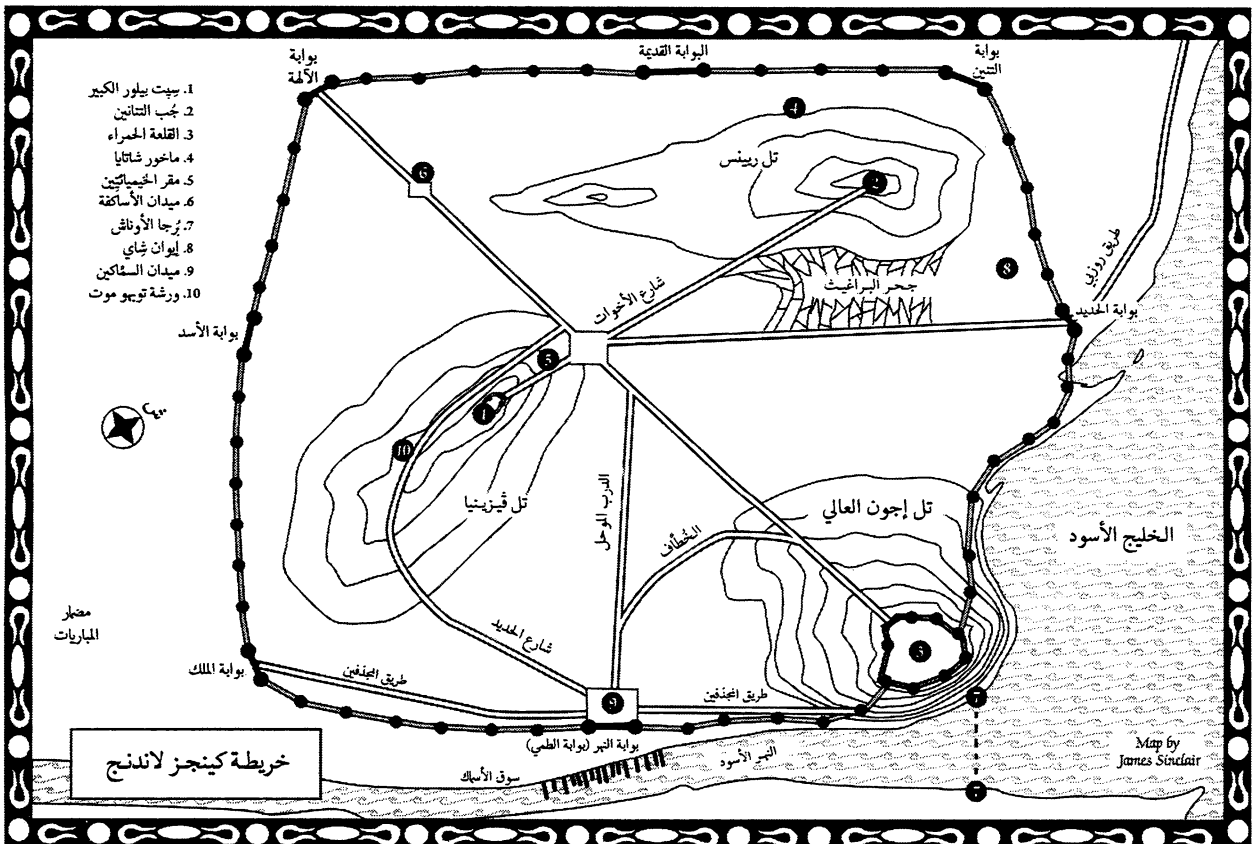
1. بيت بيلور الكبير
2. جُب التنانين
3. القلعة الحمراء
4. ماخور شاتايا
5. مقر الخيميائيين
6. ميدان الأساكفة
7. بُرجا الأوناش
8. إيوان شاي
9. ميدان السقاكين
10. ورشة توجيو موت
بوابة الآلهة
البوابة القديمة
بوابة التنين
تل ريينس
جحر البراغيث
شارع الأخوات
بوابة الأسد
بوابة الحديد
طريق رودزين
تل ڤيزينيا
الدرب الوحل
الخطاف
تل إجون العالي
الخليج الأسود
مضمار المباريات
شارع الحديد
بوابة الملك
طريق المجذفين
طريق المجذفين
بوابة النهر (بوابة الطمي)
سوق الأسماك
النهر الأسود
خريطة كينجز لاندنج
Map by James Sinclair

مُلحق (1)

الملوك وبلاط كلٍّ منهم

الملكة الوصيَّة على العرش

سرسي لانستر الأولى، أرملة (الملك روبرت باراثيون الأول)، الملكة الأُم، حامية البلاد، سيِّدة كاسترلي روك، الملكة الوصيَّة على العرش،

- أولاد الملكة سرسي:
  - **(الملك چوفري باراثيون الأول)**، ماتَ مسمومًا في مأدبة زفافه، صبي في الثَّانية عشرة،
  - **الأميرة مارسلا باراثيون**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل في صنسپير،
  - **الملك تومن باراثيون الأول**، ملك صبي في الثَّامنة،
  - **قِططه، السير پاونس، الليدي ويسكرز، بوتس**،
- شقيقا الملكة سرسي:
  - **السير چايمي لانستر**، توأمها، لقبه **قاتِل الملك**، قائد الحَرس

الملكي،
- **تيريون لانستر** ولقبه **العِفريت**، متَّهم ومدان باغتيال الملك وقتل الأقربين،
- **پودريك پاين**، مُرافق تيريون، صبي في العاشرة،
- أعمام وأخوال الملكة سرسي وأولادهم:
- **السير كيڤان لانستر**، عمُّها،
- **السير لانسل**، ابن السير كيڤان، مُرافق الملك روبرت وعشيق سرسي سابقًا، نُصِّبَ سيِّدًا على داري حديثًا،
- **(ويلم)**، ابن السير كيڤان، قُتِلَ في ريڤررَن،
- **مارتن**، ابن السير كيڤان، مُرافق،
- **چاني**، ابنة السير كيڤان، فتاة في الثَّالثة،
- **الليدي چِنا لانستر**، عمَّة سرسي، زوجة إمون فراي،
- **(السير كَليوس فراي)**، ابن چِنا، قتلَه الخارجون عن القانون،
- **السير تايوين فراي**، يُسَمَّى تاي، ابن كليوس،
- **ويلم فراي**، ابن كليوس، مُرافق،
- **السير لايونل فراي**، ابن الليدي چِنا الثَّاني،
- **(تيون فراي)**، ابن چِنا، قُتِلَ في ريڤررَن،
- **والدر فراي** ولقبه **والدر الأحمر**، أصغر أبناء الليدي چِنا، وصيف في كاسترلي روك،
- **تايرك لانستر**، ابن عمِّ سرسي الرَّاحل تايجت،
- **الليدي إرميساند هايفورد**، زوجة تايرك الطِّقلة،
- **چوي هيل**، ابنة جيريون عمِّ الملكة سرسي المفقود النَّغلة، فتاة في الحادية عشرة،
- **سيرينا لانستر**، ابنة ستافورد خال سرسي الرَّاحل،
- **ماريبل لانستر**، ابنة ستافورد خال سرسي الرَّاحل وأخت سيرينا،
- **السير داڤن لانستر**، ابن خالها ستافورد،
- **السير داميون لانستر**، ابن خؤولة بعيد، زوج شيرا كراكهول،
- **السير لوشن لانستر**، ابنهما،
- **لانا**، ابنتهما، زوجة اللورد آنتاريو چاست،

- **الليدي مارجو**، ابن خؤولة أبعد، زوجة اللورد تايتوس پيك،
- مجلس الملك تومن الصَّغير:
  - (**اللورد تايوين لانستر**)، يد الملك،
  - **السير چايمي لانستر**، قائد الحَرس الملكي،
  - **السير كيڤان لانستر**، قيِّم القوانين،
  - **ڤارس** ولقبه **الخصي**، ولي الهامسين،
  - **المِايستر الأكبر پايسل**، مستشار ومعالج،
  - **اللورد مايس تايرل، اللورد ماثيس روان، اللورد پاكستر ردواين**، مستشارون،
- حَرس تومن الملكي:
  - **السير چايمي لانستر**، القائد،
  - **السير مرين ترانت**،
  - **السير بوروس بلاونت**، أُعفِيَ من منصبه ثم أعيدَ إليه،
  - **السير بالون سوان**،
  - **السير أوزموند كِتلبلاك**،
  - **السير لوراس تايرل**، فارس الزُّهور
  - **السير آريس أوكهارت**، مع الأميرة مارسلا في دورن،
- أهل بيت سرسي في كينجز لاندنج:
  - **الليدي چوسلين سويفت**، رفيقتها،
  - **سينل ودوركاس**، رفيقتاها في الفِراش وخادمتاها،
  - **لوم، لستر الأحمر، هوك** ولقبه **ساق الحصان، ذو الأُذن القصيرة، پوكنز**، حُرَّاس،
- الملكة مارچري
- **الملكة مارچري** سليلة عائلة تايرل، فتاة في السَّادسة عشرة، أرملة الملك چوفري باراثيون الأول ومن قبله اللورد رنلي باراثيون،
- بلاط مارچري في كينجز لاندنج:
  - **مايس تايرل**، سيِّد هايجاردن، أبوها،
  - **الليدي آليري** سليلة عائلة هايتاور، أمُّها،
  - **الليدي أولينا تايرل**، جدَّتها، أرملة مسنَّة لقبها **ملكة الأشواك**،

- **آريك وإريك**، حارسا الليدي أولينا، توأمان طولهما سبعة أقدام لقبهما **شِمال ويمين**،
- **السير جارلان تايرل**، أخو مارچري ولقبه **الهُمام**،
- **الليدي ليونيت**، زوجته، سليلة عائلة فوسواي،
- **السير لوراس تايرل**، أصغر إخوتها، فارس الزُّهور، أخ محلَّف في الحَرس الملكي،
- رفيقات مارچري:
  - بنات عمومتها، **مِجا وآلا وإلينور تايرل**،
  - خطيب إلينور، **آلن أمبروز**، مُرافق،
  - **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،
  - **ميريديث كرين**، أو **ميري**،
  - **الليدي تاينا ميريويذر**،
  - **الليدي آليس جريسفورد**،
  - **السِّيتة نستيريكا**، أخت في العقيدة،
  - **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
  - ابناه التَّوأمان، **السير هوراس والسير هوبر**،
  - **المِايستر بالابار**، معالجه ومستشاره،
  - **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
  - **السير ويلام ويذرز**، قائد حَرس مارچري،
  - **هيو** كليفتون، حارس شاب وسيم،
  - **السير پورتيفر وودرايت** وأخوه **السير لوكانتين**،
- بلاط سرسي في كينجز لاندنج:
  - **السير أوزفريد كِتلبلاك** و**السير أوزني كِتلبلاك**، أخوان أصغر للسير أوزموند كِتلبلاك،
  - **السير جريجور كليجاين** ولقبه **الجبل راكب الخيول**، يُحتضَر متألِّمًا بجرحٍ مسموم،
  - **السير أدام ماربراند**، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج «ذوو المعاطف الذَّهبيَّة»،
  - **چالابار شو**، أمير وادي الزَّهرة الحمراء، منفي من جُزر الصَّيف،

- **جايلز روزبي**، سيِّد روزبي، مصاب بسُعال مزمن،
- **أورتون ميريويذر**، سيِّد الطَّاولة الطَّويلة،
- **تاينا**، زوجته، امرأة من مير،
- **الليدي تاندا ستوكوورث**،
- **الليدي فاليس**، ابنتها الكُبرى ووريثتها،
- **السير بالمان بيرش**، زوج الليدي فاليس،
- **الليدي لوليس**، ابنتها الصُّغرى، حُبلى وضعيفة العقل،
- **السير برون فارس النَّهر الأسود**، زوج الليدي لوليس، مرتزِق سابق،
- (**شِاي**)، تابعة معسكَرات تخدم كرفيقة فِراش لوليس، ماتَت خنقًا في فِراش اللورد تايوين،
- **المِايستر فرنكن**، في خدمة الليدي تاندا،
- **السير إلين پاين**، عدالة الملك، جلَّاد،
- **رينيفر لونجووترز**، رئيس مُشرفي السَّجَّانين في زنازين القلعة الحمراء،
- **روجن**، مُشرف سجَّانين في الزَّنازين السَّوداء،
- **اللورد هالاين الپايرومانسر**، صاحِب حكمة من رابطة الخيميائيِّين،
- **نوهو ديميتيس**، مبعوث من مصرف براڤوس الحديدي،
- **كايبرن**، نِكرومانسر، مِايستر سابق من القلعة، لاحقًا عُضو في رِفقة الشُّجعان،
- **فتى القمر**، المهرِّج الملكي،
- **پايت**، صبي في الثَّامنة، كبش فداء الملك تومن،
- **أورموند ابن البلدة القديمة**، عازف القيثارة والمغنِّي الملكي،
- **السير مارك مالندور**، الذي فقدَ قردًا ونِصف ذراع في معركة النَّهر الأسود،
- **أوران ووترز**، نغل دريفتمارك،
- **اللورد أليساندر ستيدمون** ولقبه **عاشق البنسات**،
- **السير رونيت كوننجتون** ولقبه **رونيت الأحمر**، فارس وكر الجَرافِن،
- **السير لامبرت تِرنبري**، **السير درموت ابن الغابة المطيرة**، **السير تالاد** ولقبه **الطَّويل**، **السير بايارد نوركروس**، **السير بونيفر هاستي** ولقبه

الصَّالح، السير هيوجو ڤانس، فُرسان مقسمون على الولاء للعرش الحديدي،
- **السير لايل كراكهول** ولقبه **العُفر القوي، السير آلن ستاكسپير، السير چون بتلي** ولقبه **چون الحليق، السير ستفون سويفت، السير همفري سويفت**، فُرسان مقسمون على الولاء لكاسترلي روك،
- **چوزمين پكلدون**، مُرافق ومن أبطال معركة النَّهر الأسود،
- **جاريت پايچ وليو پايپر**، مُرافقان ورهينتان،
- أهل كينجز لاندنج:
- **السِّپتون الأعلى**، أبو المؤمنين وصوت الآلهة السَّبعة على الأرض، رَجل عجوز واهن،
- **السِّپتون توربرت، السِّپتون راينارد، السِّپتون لوشن، السِّپتون أوليدور**، أعضاء في مجلس القانِتين، يخدمون الآلهة السَّبعة في سِپت بيلور الكبير،
- **السِّپتة مويل، السِّپتة آجلانتين، السِّپتة هيلسنت، السِّپتة أونلا**، عضوات في مجلس القانِتين، يخدمن الآلهة السَّبعة في سِپت بيلور الكبير،
- «العصافير»، أكثر البَشر تواضعًا، مخلصون في إيمانهم،
- **شاتايا**، مالكة ماخور مكلِّف،
- **ألايايا**، ابنتها،
- **دانسي، ماري**، من فتيات شاتايا،
- **رايلا**، خادمة، خدمَت الليدي سانزا ستارك حديثًا،
- **توبهو موت**، من أساتذة الحدادة،
- **هاميش ذو القيثارة**، مطرب مسن،
- **ألاريك الآيزيني**، مطرب كثير التَّجوال،
- **وات**، مطرب يُطلِق على نفسه لقب **الشَّاعر الأزرق**،
- **السير ثيودان وِلز**، فارس متديِّن، عُرِفَ لاحقًا باسم **السير ثيودان الصَّالح**.

راية الملك تومن عبارة عن وعل باراثيون المتوَّج، أسود على ذهبي، وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارَعان.

الملك على الجِدار

ستانيس باراثيون الأول، الابن الثَّاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت، سيِّد دراجونستون، يُسَمِّي نفسه ملك وستروس،

- **الملكة سيليس** سليلة عائلة إسترمونت، زوجته، حاليًّا في القلعة الشَّرقيَّة على البحر،
- **الأميرة شيرين**، ابنتهما، فتاة في السَّابعة،
- **ذو الوجه المرقَّع**، مهرِّج شيرين الأبله،
- **إدريك ستورم**، ابن أخيه النَّغل، ابن الملك روبرت من الليدي ديلينا فلورنت، صبي في الثَّانية عشرة، على متن پرندوس المجنون في البحر الضيِّق.
- **السير أندرو إسترمونت**، ابن خال الملك ستانيس، من رجال الملك، يقود حُرَّاس إدريك،
- **السير چيرالد جاور**، **لويس** ولقبه **السَّمَّاك**، **السير تريستون ابن هضبة تالي**، **أومر بلاكبري**، من رجال الملك حُرَّاس إدريك وحُماته،

- بلاط ستانيس في القلعة السَّوداء:

- **الليدي مليساندرا الآشايِيَّة** ولقبها **المرأة الحمراء**، من راهبات راهلور إله الضِّياء،
- **مانس رايدر**، ملك ما وراء الجِدار، أسير ومحكوم عليه بالموت،
- ابن رايدر من زوجته (**دالا**)، وليد بلا اسمٍ بعدُ، «الأمير الهمجي»،

- **جيلي**، مُرضعته، فتاة همجيَّة،
- ابنها، وليد آخَر بلا اسم بعدُ، من أبيها (**كراستر**)،
- **السير ريتشارد هورپ**، **السير چاستن ماسي**، **السير كلايتون سوجز**، **السير جودفري فارنج** ولقبه **قاتِل العمالقة**، **اللورد هاروود فِل**، **السير كورليس پني**، من رجال الملكة وفُرسانها،
- **دڤان سيوورث وبريان فارنج**، مُرافقان ملكيَّان،

- بلاط ستانيس في القلعة الشَّرقيَّة:
- **السير داڤوس سيوورث** ولقبه **فارس البصل**، سيِّد الغابة المطيرة، أميرال البحر الضيِّق، يد الملك،
- **السير آكسل فلورنت**، عم الملكة سيليس، أبرز رجال الملكة،
- **سالادور سان**، من لِيس، قُرصان، رُبَّان ڤاليريان وأسطول من القوادس،

- حامية ستانيس في دراجونستون:
- **السير رولاند ستورم** ولقبه **نغل التَّغريدة**، من رجال الملك، أمين القلعة في دراجونستون،
- **المِايستر پايلوس**، معالج ومعلِّم ومستشار،
- «**سجَّان الثَّريد**» و«**سجَّان الشِّلق**»، سجَّانان،
- اللوردات المقسمون على الولاء لدراجونستون:
- **مونتريس ڤيلاريون**، سيِّد المَدِّ والجَزر وحاكم دريفتمارك، صبي في السَّادسة،
- **دورام بار إمون**، سيِّد الرَّأس الحاد، صبي في الخامسة عشرة،

- حامية ستانيس في ستورمز إند:
- **السير جيلبرت فارنج**، أمين القلعة في ستورمز إند،
- **اللورد إلوود ميدوز**، نائب السير جيلبرت،
- **المِايستر چورن**، مستشار السير جيلبرت ومعالجه،

- اللوردات المقسمون على الولاء لستورمز إند:
- **إلدون إسترمونت**، سيِّد الحجر الأخضر، خال الملك ستانيس، خال أبي الملك تومن الكبير، صديق حذِر للاثنين،

- **السير إيمون**، ابن اللورد إلدون ووريثه، مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
- **السير آلن**، ابن السير إيمون، أيضًا مع الملك تومن في كينجز لاندنج،
- **السير لوماس**، أخو اللورد إلدون، خال الملك ستانيس ومناصره في ستورمز إند،
- **السير أندرو**، ابن السير لوماس، يحمي إدريك ستورم في البحر الضيِّق،
- **لستر موريجن**، سيِّد عُش الغِربان،
- **اللورد لوكوس تشيترينج** ولقبه **لوكوس الصَّغير**، شاب في السَّادسة عشرة،
- **داڤوس سيوورث**، سيِّد الغابة المطيرة،
- **ماريا**، زوجته، ابنة نجَّار،
- (**دايل وآلارد وماثوس وماريك**)، أبناؤهما الأربعة الأكبر، فقداهم في معركة النَّهر الأسود،
- **دڤان**، مُرافق مع الملك ستانيس في القلعة السَّوداء،
- **ستانيس**، صبي في العاشرة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،
- **ستفون**، صبي في السَّادسة، مع الليدي ماريا في رأس الغضب،

اتَّخذ ستانيس لرايته رمز قلب إله الضِّياء النَّاري، وهو قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي على خلفيَّةٍ صفراء، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوَّج بلونٍ أسود.

ملك الجُزر والشَّمال

ينحدر آل جرايچوي من الملك الأشيب الذي عاشَ في عصر الأبطال، وتقول عنه الأساطير إنه لم يَحكُم الجُزر الغربيَّة فحسب، بل البحر نفسه كذلك وتزوَّج عروس بحر. لآلاف السِّنين شكَّل مُغيرو جُزر الحديد -الذين أطلقَ عليهم ضحاياهم لقب «الرِّجال الحديديِّين» رُعبًا مقيمًا عبر البحار، فقد أبحَروا لمسافاتٍ بعيدةٍ حتى ميناء إيبن وجُزر الصَّيف، وتباهوا بشراستهم في المعارك وحُرِّياتهم المقدَّسة. كان لكلِّ واحدةٍ من جُزر الحديد «ملك ملحي» و«ملك صخري»، وكان هؤلاء ينتخبون ملك الجُزر الأعلى من بينهم، إلى أن جعلَ الملك أورون انتقال العرش بالوراثة عندما اغتالَ بقيَّة الملوك أثناء اجتماعهم للانتخاب، ثم قُضِيَ على سلالة أورون كلها بَعد ألف عام عندما اكتسحَ الأندالِيُّون جُزر الحديد، وصاهرَ آل جرايچوي الغزاة كما فعلَ عددٌ من سادة الجُزر الآخَرين.

بسطَ الملوك الحديديُّون سيطرتهم لمسافاتٍ تجاوزَت جُزر الحديد نفسها بكثير، وأقاموا ممالك كاملةً على اليابسة بالسَّيف والنَّار، حتى إن الملك كوريد كان يتفاخَر بأن أوامره تسري «حيثما يشمُّ النَّاس المياه المالحة أو يسمعون تلاطُم الأمواج». في القرون التَّالية فقدَ أبناء كوريد الكرمة والبلدة القديمة وجزيرة الدِّببة ومساحةً كبيرةً من السَّاحل الغربي، ومع ذلك ظلَّ الملك هارن الأسود مسيطرًا على الأراضي الواقعة بين الجبال من العُنق وحتى النهَّر الأسود خلال حروب الغزو، لكن بَعد مصرعه مع أبنائه في سقوط هارنهال منحَ إجون تارجارين أراضي النهَّر لعائلة تَلي، وسمحَ للوردات جُزر الحديد الناجين بإحياء تقليدهم القديم واختيار من يَحكُمهم، فاختاروا اللورد ڤيكون جرايچوي ابن پايك.

سبقَ أن قادَ بالون جرايچوي سيِّد جُزر الحديد تمرُّدًا على العرش الحديدي، أخمدَه الملك روبرت باراثيون الأول وإدارد ستارك سيِّد وينترفل، لكن في خضمِّ الفوضى التي تبعَت موت روبرت نصَّب اللورد بالون نفسه ملكًا ثانيةً وأرسلَ سُفنه الطَّويلة تُهاجِم الشَّمال.

(بالون جرايچوي)، تاسع من يحمل هذا الاسم منذ الملك الأشيب، ملك جُزر الحديد والشَّمال، ملك الملح والصَّخر، ابن رياح البحر، سيِّد حصاد پايك، ماتَ ساقطًا من علٍ،

- أرملة الملك بالون، **الملكة ألانيس** سليلة عائلة هارلو،

-أولادهما:

- **(رودريك)**، قُتِلَ خلال تمرُّد بالون الأول،
- **(مارون)**، قُتِلَ خلال تمرُّد بالون الأول،
- **آشا**، ابنتهما، رُبَّان الرِّيح السَّوداء وغازية ربوة الغابة،
- **ثيون**، يُسَمِّي نفسه أمير وينترفل، يُسَمِّيه الشَّماليُّون ثيون المارِق،

-إخوة الملك بالون الأشقَّاء وغير الأشقَّاء:

-**(هارلون)**، ماتَ بالدَّاء الأرمد في شبابه،

-**(كوينتون)**، ماتَ في طفولته،

-**(دونل)**، ماتَ في طفولته،

-**يورون** ولقبه **عين الغُراب**، رُبَّان الصَّمت،

-**ڤيكتاريون**، الرُّبان قائد الأسطول الحديدي، سيِّد النَّصر الحديدي،

-**(يوريجون)**، ماتَ بجرحٍ بليغ،

-**آرون**، من رُهبان الإله الغَريق،

-**روس** و**نورچن**، اثنان من مُعاونيه، «الرِّجال الغرقى»،

-(روبن)، ماتَ في طفولته،

-أهل بيت الملك بالون في پايك:

-**المِايستر ويندامير**، معالج ومستشار،

-**هيليا**، راعية القلعة،

-مُحاربو الملك بالون والمقسمون له:

-**داجمر** ولقبه **ذو الفَكِّ المفلوق**، رُبَّان ثُمالة البحر، يقود الحديديِّين في مربَّع تورين،

-**ذو السِّن الزَّرقاء**، رُبَّان سفينة طويلة،

-**أولر وسكايت**، ملَّاحان ومُحاربان،
-المطالبون بكُرسي حجر اليَم في انتخاب الملك في ويك القديمة:
جيلبرت فاروِيند، سيِّد المنارة الوحيدة،
- أنصار جيلبرت: أبناؤه **جايلز ويجون ويون**،
إريك آيرونميكر ولقبه **محطِّم السَّنادين وإريك العادل**، عجوز، رُبَّان ومُغير ذائع الصِّيت سابقًا،
- أنصار إريك: أحفاده **أوريك وثورمور وداجون**،
دنستان دروم، دروم الكبير، اليد العظميَّة، سيِّد ويك القديمة،
- أنصار دنستان: ابناه **دينس ودونل**، **وأندريك اللا مبتسم**، رجل عملاق،
آشا جرايچوري، ابنة بالون جرايچوي الوحيدة، رُبَّان الرِّيح السَّوداء،
- أنصار آشا: **كارل البكر، تريستيفر بوتلي، السير هاراس هارلو**،
- ربابنة آشا وداعموها: **اللورد رودريك هارلو، اللورد بيلور بلاكتايد، اللورد ملدريد مرلين، هارموند شارپ**،
ڤيكتاريون جرايچوي، أخو بالون جرايچوي، سيِّد النَّصر الحديدي، الرُّبان قائد الأسطول الحديدي،
- أنصار ڤيكتاريون: **رالف ستونهاوس الأحمر، رالف الأعرج، نيوت الحلَّاق**،
- ربابنة ڤيكتاريون وداعموه: **هوثو هارلو، آلڤن شارپ، فرالج القوي، رومني ويڤر، ويل همبل، لينوود تاوني الصَّغير، رالف كنينج، مارون ڤولمارك، جورولد جودبراذر**،
- طاقم سفينة ڤيكتاريون: **وولف ذو الأذن الواحدة، راجنور پايك**،
- رفيقة ڤيكتاريون في الفِراش امرأة سمراء خرساء بلا لسان، هديَّة من أخيه يورون،
يورون جرايچوي ولقبه **عين الغُراب**، أخو بالون جرايچوي، رُبَّان الصَّمت،
- أنصار يورون: **جرموند بوتلي، اللورد أوركوود سيِّد أوركمونت، دونور سولتكليف**،
- ربابنة يورون وداعموه: **توروولد ذو السِّن البنِّيَّة، چون ماير ذو الوجه المسحوب، رودريك المولود حُرًّا، الملَّاح الأحمر، لوكاس كود**

الأعسر، كويلون همبل، هارن النِّصف هور، كيميت پايك النَّغل، ذو اليد الحجر، رالف الرَّاعي، رالف سليل لوردزپورت،
- طاقم سفينة يورون: كراجورن،
-حمَلة راية بالون، لوردات جُزر الحديد:

في پايك:
- **(ساوان بوتلي)**، سيِّد لوردزپورت، أغرقَه يورون عين الغُراب،
- **تريستيفر**، ابنه الثَّاني ووريثه الشَّرعي، طردَه عمُّه،
- **سايموند وهارلون وڤيكون وبيناريون**، أبناؤه الأصغر، مطرودون أيضًا،
- **جرموند**، أخوه، نُصِّبَ سيِّدًا على لوردزپورت،
- ابنا جرموند، **بالون وكويلون**،
- **سارجون ولوسيمور**، أخوا ساوان غير الشَّقيقين،
- **وِكس**، صبي أخرس في الثَّانية عشرة، ابن سارجون النَّغل، مُرافق ثيون جرايچوي،
- **والدون وينش**، سيِّد غابة الحديد،

في هارلو:
- **رودريك هارلو** ولقبه **القارئ**، سيِّد هارلو، سيِّد البروج العشرة، زعيم عائلة هارلو في هارلو،
- **الليدي جوينيس**، أخته الكبيرة،
- **الليدي ألانيس**، أخته الصَّغيرة، أرملة الملك بالون جرايچوي،
- **سيجفريد هارلو** ولقبه **سيجفريد ذو الشَّعر الفضِّي**، عمُّه الكبير، سيِّد بهو هارلو،
- **هوثو هارلو** ولقبه **هوثو الأحدب**، مقرُّه بُرج البريق، ابن عمومة،
- **السير هاراس هارلو** ولقبه **الفارس**، فارس الحديقة الرَّماديَّة، ابن عمومة،
- **بورموند هارلو** ولقبه **بورموند الأزرق**، سيِّد تَل هاريدان، ابن عمومة،
- حمَلة راية اللورد رودريك والمقسمون له:
- **مارون ڤولمارك**، سيِّد ڤولمارك،
- **مايِر، ستونتري، كنينج**،

- أهل بيت اللورد رودريك:
- **ذات الثَّلاث أسنان**، وكيلته، امرأة عجوز،

في بلاكتايد:
- **بيلور بلاكتايد**، سيِّد بلاكتايد، رُبَّان طيَّار اللَّيل،
- **بن بلاكتايد الأعمى**، من رُهبان الإله الغريق،

في ويك القديمة:
- **دنستان دروم**، دروم الكبير، رُبَّان الرَّاعد،
- **نورن جودبراذر**، سيِّد الحجر المهشَّم،
- **ستونهاوس الكبير**،
- **تارل** ولقبه **تارل الغارق ثلاثًا**، من رُهبان الإله الغريق،

في ويك الكُبرى:
- **جورولد جودبراذر**، سيِّد هامرهورن،
- أبناؤه، **جرايدون وجورموند وجران**، توائم،
- ابنتاه، **جايزلا وجوين**،
- **المِايستر مورنميور**، معلِّم ومعالج ومستشار،
- **تريستون فارويند**، سيِّد رأس الفقمات،
- **سپار الكبير**،
- ابنه ووريثه، **ستيفاريون**،
- **ملدريد مرلين**، سيِّد بلدة الحصى،

في أوركمونت:
- **أوركوود سيِّد أوركمونت**،
- **اللورد تاوني**،

في جُرف الملح:
- **اللورد دونور سولتكليف**،
- **اللورد سندرلي**،

في الجُزر والصُّخور الأصغر:
- **جيلبرت فارويند**، سيِّد المنارة الوحيدة،
- **النَّورس الرَّمادي العجوز**، من رُهبان الإله الغريق.

راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «نحن لا نزرع».

ملحق (2)

عائلات أخرى صغيرة وكبيرة

عائلة آرن

تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سُلالات النُّبلاء الأندالِيِّين. لم تُشارِك عائلة آرن في حرب الملوك الخمسة، واحتفظَت بقوَّاتها للدِّفاع عن وادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيَّةٍ ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشَّرف».

روبرت آرن، سيِّد العُش، حامي الوادي، سمَّته أمُّه حاكم الشَّرق الشَّرعي، صبي سقيم في الثَّامنة، يُسَمَّى أحيانًا العُصفور الجميل،

- أمُّه، (**الليدي لايسا** سليلة عائلة تَلي)، أرملة اللورد چون آرن، ماتَت مدفوعةً من باب القمر،
- زوج أمِّه، **پيتر بايلش** ولقبه **الإصبع الصَّغير**، سيِّد هارنهال، سيِّد الثَّالوث الأعلى، اللورد حافِظ الوادي،

- **إليني ستون**، ابنة اللورد پيتر الطَّبيعيَّة، فتاة في الثَّالثة عشرة، هُويَّتها الحقيقيَّة سانزا ستارك،
- **السير لوثور برون**، مرتزِق في خدمة اللورد پيتر، قائد حَرس العُش،
- **أوزويل**، جُندي عجوز في خدمة اللورد پيتر، يُسَمَّى أحيانًا **كِتلبلاك**،
- أهل بيت اللورد روبرت في العُش:
- **ماريليون**، مطرب شاب وسيم أثير عند الليدي لايسا ومتَّهم بقتلها،
- **المِايستر كولمون**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- **مورد**، سجَّان غاشم له أسنان من الذَّهب،
- **جرتشل ومادي وميلا**، خادمات،
- حمَلة راية اللورد روبرت، لوردات الوادي:
- **اللورد نستور رويس**، وكيل الوادي الأعلى وأمين قلعة بوَّابات القمر،
- **السير ألبار**، ابن اللورد نستور ووريثه،
- **ميراندا وتُسَمَّى راندا**، ابنة اللورد نستور، أرملة بَعد زيجة قصيرة،
- أهل بيت اللورد نستور:
- **السير ماروين بلمور**، قائد الحَرس،
- **ميا ستون**، سائقة وراعية بغال، ابنة الملك روبرت باراثيون الأول النَّغلة،
- **أوسي وكاروت**، سائقا بغال،
- **لايونل كوربراي**، سيِّد بيت القلوب،
- **السير لين كوربراي**، أخوه ووريثه، حامل السَّيف الشَّهير سيِّدة البؤس،
- **السير لوكاس كوربراي**، أخوه الأصغر،
- **چون ليندرلي**، سيِّد غابة الثَّعابين،
- **تيرانس**، ابنه ووريثه، مُرافق شاب،
- **إدموند واكسلي**، فارس ويكندن،
- **چيرولد جرافتون**، سيِّد بلدة النَّوارس،
- **جايلز**، ابنه الأصغر، مُرافق،

- **تريستون سندرلاند**، سيِّد الثَّلاث أخوات،
- **جودريك دورل**، سيِّد الأخت العذبة،
- **رولاند لونجثورپ**، سيِّد الأخت الطَّويلة،
- **أليساندور تورنت**، سيِّد الأخت الصَّغيرة،
- لوردات البيان، حمَلة راية عائلة آرن المتضافرون دفاعًا عن اللورد روبرت:
- **يون رويس** ولقبه **يون البرونزي**، سيِّد رونستون، من الفرع الرَّئيس لعائلة رويس،
- **السير أندار**، ابن يون البرونزي الحي الوحيد، وريث رونستون،
- أهل بيت يون البرونزي:
- **المِايستر هليويج**، معلِّم ومعالج ومستشار،
- **السِّپتون لوكوس**،
- **السير ساموپل ستون** ولقبه **سام ستون القوي**، قيِّم السِّلاح،
- حمَلة راية يون البرونزي والمقسمون له:
- **رويس كولدووتر**، سيِّد غدير الماء البارد،
- **السير دامون شِفت**، فارس بُرج النَّوارس،
- **أوثور توليت**، سيِّد الوادي الرَّمادي،
- **آنيا واينوود**، سيِّدة السَّنديانة الحديديَّة،
- **السير مورتون**، ابنها الأكبر ووريثها،
- **السير دونل**، ابنها الثَّاني، فارس البوَّابة،
- **والاس**، ابنها الأصغر،
- **هارولد هاردينج**، ربيبها، مُرافق شاب يُسَمَّى غالبًا **هاري الوريث**،
- **بنيدار بلمور**، سيِّد الأغرودة،
- **السير سايموند تمپلتون**، فارس النُّجوم التِّسع،
- (**إيون هنتر**)، سيِّد بهو القوس الطَّويل، ماتَ قريبًا،
- **السير جيلوود**، ابن اللورد إيون الأكبر ووريثه، الآن يُسَمَّى **اللورد هنتر اليافع**،
- **السير إيوستس**، ابن اللورد إيون الثَّاني،

- **السير هارلان**، ابن اللورد إيون الأصغر،
- أهل بيت اللورد هنتر اليافع:
  - **المِايستر ويلامن**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
  - **هورتون ردفورت**، سيِّد ردفورت، تزوَّج ثلاث مرَّات،
  - **السير چاسپر، السير كرايتون، السير چون**، أبناؤه،
  - **السير مايكل**، ابنه الأصغر، فارس مستجد، زوج يسيلا رويس ابنة رونستون،
- زُعماء قبائل جبال القمر:
  - **شاجا بن دولف** زعيم **الغِربان الحجريَّة**، حاليًّا يقود جماعةً في غابة الملوك،
  - **تيميت بن تيميت**، زعيم **الرِّجال المحروقين**،
  - **تشلا بنت تشيك**، زعيمة **الآذان السَّوداء**،
  - **كراون بن كالور**، زعيم **إخوة القمر**.

عائلة فلورنت

آل فلورنت أولاد قلعة المياه الوضَّاءة من حمَلة راية عائلة تايرل، على الرغم من أسبقيَّة حقِّهم في هايجاردن استنادًا إلى صلة دم بينهم وبين عائلة جارندر التي حكمَ ملوكها المرعى قديمًا. لدى اندلاع حربِ الملوك الخمسة تبعَ اللورد آلستر فلورنت آل تايرل في إعلانهم تأييد الملك رنلي، لكن أخاه السير آكسل اختارَ الملك ستانيس، الذي خدمَه أعوامًا كأمين القلعة في دراجونستون، وقد كانت سيليس ابنة أخيهما وما زالَت ملكة ستانيس. بَعد موت رنلي عند ستورمز إند انضمَّ آل فلورنت لستانيس بقوَّتهم كلِّها، وهُم أول من يفعل هذا من حمَلة راية رنلي. نصَّب ستانيس اللورد آلستر يدًا له، وأعطى أخا زوجته السير إمري فلورنت قيادة أسطوله، وفي معركة النَّهر الأسود ضاعَ كلا الأسطول والسير إمري، وعَدَّ الملك ستانيس جهود اللورد آلستر للتَّفاوُض على السَّلام خيانةً، وأعطى الرَّاهبة الحمراء مليساندرا إياه لتُحرِقه كقُربان لراهلور.

رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزُّهور.

(آلستر فلورنت)، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،

- زوجته، **الليدي ميلارا**، سليلة عائلة كرين،
- أولادهما:
  - **أليكاين**، وريث قلعة المياه الوضَّاءة،
  - **ميليسا**، زوجة اللورد راندل تارلي،

- **ريا**، زوجة اللورد لايتون هايتاور،
- أخواه:
  - **السير آكسل**، أمين قلعة دراجونستون،
  - **(السير ريام)**، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
  - ابنة السير ريام، **الملكة سيليس**، زوجة الملك ستانيس،
  - ابن السير ريام الأكبر ووريثه، **(السير إمري)**،
  - ابن السير ريام الثَّاني، **السير إرِن**،
- **السير كولين**،
  - ابنة السير كولين، **ديلينا**، زوجة السير **هوسمان نوركروس**،
  - ابن ديلينا، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت،
  - ابن ديلينا، **آلستر نوركروس**،
  - ابن ديلينا، **رنلي نوركروس**،
  - ابن كولين، **المِايستر أومر**، في خدمة أوك القديمة،
  - ابن كولين، **ميريل**، مُرافِق في الكرمة،
  - أخته، **رايلين**، زوجة ريتشارد كرين.

عائلة فراي

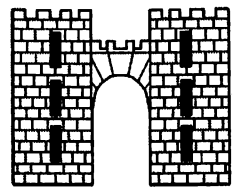

يتمتَّع آل فراي بالقوَّة والثَّراء وعددٍ وفير من الأولاد، وهُم حمَلة راية عائلة تَلي ومقسِمون على الولاء لريڤررَن، وإن كانوا لا يلتزمون دائمًا بأداء واجبهم، فحين قاتلَ روبرت باراثيون ريجار تارجاريَن في معركة الثَّالوث لم يصل رجال فراي إلَّا بَعد انتهاء القتال، ومنذ ذلك الحين لقَّب هوستر تَلي اللورد والدر باللورد فراي الممتلكِّئ. لم يُوافِق اللورد فراي على دعم روب ستارك إلَّا بَعد أن وافقَ روب ستارك على خطبة واحدةٍ من بناته أو حفيداته، ووعدَ بأن يتزوَّجها حين تنتهي الحرب، ثم عندما تزوَّج چاين وسترلينج بدلًا من ذلك تآمرَ آل فراي مع رووس بولتون واغتالوا الذِّئب الصَّغير وأتباعه في الحادثة التي صارَت معروفةً باسم الزِّفاف الأحمر.

والدر فراي، سيِّد المعبر،

- من زوجته الأولى، (**الليدي پيرا**) سليلة عائلة رويس:
  - **السير ستڤرون**، وريث التَّوأمتين،
  - زوجته (**كورينا سوان**)، ماتَت بمرضٍ مزمن،
  - ابن ستڤرون الأكبر، **السير رايمان**،
  - ابن رايمان، **إدوين**، زوج چانيس هنتر،
  - ابنة إدوين، **والدا**، فتاة في الثَّامنة،
  - ابن رايمان، **والدر**، لقبه **والدر الأسود**،
  - ابن رايمان، (**پيتر**)، لقبه **پيتر ذو الدَّمامل**، زوج ميليندا كارون،

- ابنة بيتر، **بيرا**، فتاة في الخامسة،
- زوجته (**چين ليدن**)، ماتَت حين سقطَت من على حصان،
- ابن ستڤرون، (**إجون**)، أبله ملقَّب بذي الجلاجل،
- ابنة ستڤرون، (**مايجل**)، ماتَت أثناء الوضع،
- **السير دافين ڤانس**،
- ابنة مايجل، **ماريان**، عذراء،
- ابن مايجل، **والدر ڤانس**، مُرافِق فارس،
- ابن مايجل، **پاتريك ڤانس**،
- زوجته (**مارسلا واينوود**)، ماتَت أثناء الوضع،
- ابن ستڤرون، **والتون**، زوج ديانا هاردينج،
- ابن والتون، **ستفون**، لقبه **الحُلو**،
- ابنة والتون، **والدا**، لقبها **والدا الحسناء**،
- ابن والتون، **برايان**، مُرافِق فارس،
- **السير إمون**، زوج چِنا سليلة عائلة لانستر،
- ابن إمون، (**السير كليوس**)، زوج چين داري، قتله الخارجون عن القانون قُرب بِركة العذارى،
- ابن كليوس، **تايوين**، مُرافِق فارس في الحادية عشرة،
- ابن كليوس، **ويلم**، وصيف في آشمارك،
- ابن إمون، **السير لايونل**، زوج ميليسا كراكهول،
- ابن إمون، (**تيون**)، قتلَه ريكارد كارستارك وهو أسير في ريڤررَن،
- ابن إمون، **والدر**، لقبه **والدر الأحمر**، وصيف في كاسترلي روك،
- السير إينس، **زوج** (**تيانا وايلد**)، ماتَت أثناء الوضع،
- ابن إينس، **إجون وليد الدَّم**، خارج عن القانون،
- ابن إمون، **ريجار**، زوج چين بيزبوري،
- ابن ريجار، **روبرت**، صبي في الثَّالثة عشرة،
- ابنة ريجار، **والدا**، فتاة في العاشرة، لقبها **والدا البيضاء**،
- ابن ريجار، **چونوس**، صبي في الثَّامنة،
- **پِريان**، زوجة السير ليزلين هاي،

- ابن بِريان، **السير هاريس هاي**،
- ابن هاريس، **والدر هاي**، صبي في الرَّابعة،
- ابن بِريان، **السير دونل هاي**،
- ابن بِريان، **السير آلين هاي**، مُرافِق فارس،
- من زوجته الثَّانية، (**الليدي كايرينا**) سليلة عائلة سوان:
- **السير چارد**، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،
- ابن چارد، (**السير تايتوس**)، زوج زوي بلينتري، قتلَه ساندور كليجاين خلال الزِّفاف الأحمر،
- ابنة تايتوس، **زيا**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
- ابن تايتوس، **زاكري**، صبي في الثَّانية عشرة، يتدرَّب في سِپت البلدة القديمة،
- ابنة چارد، (**كايرا**)، زوجة جارس جودبروك، قُتِلَت خلال الزِّفاف الأحمر،
- ابن كايرا، **والدر جودبروك**، صبي في التَّاسعة،
- ابنة تايتوس، **چين جودبروك**، فتاة في السَّادسة،
- **السِّپتون لوسيون**، يخدم في سِپت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،
- من زوجته الثَّالثة، (**الليدي أماري**) سليلة عائلة كراكهول:
- **السير هوستين**، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،
- ابن هوستين، **السير آرووود**، زوج ريبلا رويس،
- ابنة آرووود، **ريبلا**، فتاة في الخامسة،
- ابنا آرووود التَّوأم، **أندرو وآلين**، في الثَّالثة،
- **الليدي لايثين**، زوجة اللورد لوشياس ڤايپرن،
- ابنة لايثين، **إليانا**، زوجة السير چون وايلد،
- ابن إليانا، **ريكارد وايلد**، في الرَّابعة،
- ابن لايثين، **السير ديمون ڤايپرن**،
- **سايموند**، زوج بيثاريوس البراڤوسيَّة،
- ابن سايموند، **أليساندر**، مغنٍّ،
- ابنة سايموند، **آلكس**، فتاة في السَّابعة عشرة،

- ابن سايموند، **برادامار**، صبي في العاشرة، نشأ في براڤوس ربيبًا للتَّاجر أورو تندايريس،
- **السير دانويل**، زوج واينافري وِنت،
- (وُلِدَ أبناؤهما إمَّا موتى أو ماتوا في المهد)،
- (**ميريت**)، زوج ماريا داري، ماتَ شنقًا في الحجر العتيق،
- ابنة ميريت، **آميري**، تُسَمَّى **آمي**، أرملة في السَّادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق، قتلَه السير جريجور كليجاين)،
- ابنة ميريت، **والدا**، لقبها **والدا السَّمينة**، فتاة في الخامسة عشرة،
- ابنة ميريت، **ماريسا**، فتاة في الثَّالثة عشرة،
- ابن ميريت، **والدر**، لقبه **والدر الصَّغير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
- (**السير چريمي**)، مات غرقًا، كان زوج كارولي واينوود،
- ابن چريمي، **ساندور**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير دونل واينوود،
- ابنة چريمي، **سينثيا**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الليدي آنيا واينوود،
- **السير رايموند**، زوج بيوني بيزبوري،
- ابن رايموند، **روبرت**، في السَّادسة عشرة، يتدرَّب في قلعة البلدة القديمة،
- ابن رايموند، **مالوين**، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في لِيس،
- ابنتا رايموند التَّوأم، **سيرا وسارا**، فتاتان في الرَّابعة عشرة،
- ابنة رايموند، **سرسي**، في السَّادسة، لقبها **النَّحلة الصَّغيرة**،
- من زوجته الرَّابعة، (**الليدي أليسا**) سليلة عائلة بلاكوود:
- **لوثار**، ابنهما الأكبر، لقبه **لوثار الكسيح**، زوج ليونلا ليفورد،
- ابنة لوثار، **تايسين**، فتاة في السَّابعة،
- ابنة لوثار، **والدا**، فتاة في الرَّابعة،
- ابنة لوثار، **إمبريلي**، فتاة في الثَّانية،

- **السير چاموس**، زوج سالي پايچ،
- ابن چاموس، لقبه **والدر الكبير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
- ابنا چاموس التَّوأم، **ديكون وماثوس**، في الخامسة،
- **السير والن**، زوج سيلوا پايچ،
- ابن والن، **هوستر**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير ديمون پايچ،
- ابنة والن، **ماريان**، تُسَمَّى **مِري**، فتاة في الحادية عشرة،
- **الليدي موريا**، زوجة السير فليمنت براكس،
- ابن موريا، **روبرت براكس**، في التَّاسعة، ينشأ كوصيف في كاسترلي روك،
- ابن موريا، **والدر براكس**، صبي في السَّادسة،
- ابن موريا، **چون براكس**، صبي في الثَّالثة،
- **تايتا**، لقبها **تايتا العذراء**، في التَّاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، **(الليدي ساريا)** سليلة عائلة وِنت:
- لا أولاد،
- من زوجته السَّادسة، **(الليدي بثاني)** سليلة عائلة روزبي:
- **السير پروين**، ابنهما الأكبر،
- **السير (بنفري)**، ابن اللورد والدر السَّادس عشر، ماتَ بجرحٍ أصابه خلال الزِّفاف الأحمر، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
- ابنة بنفري، **دِلا**، لقبها **دِلا الصمَّاء**، في الثَّالثة،
- ابن بنفري، **أوزموند**، صبي في الثَّانية،
- **المِايستر ويلامن**، يخدم في قلعة القوس الطَّويل،
- **أوليڤار**، مُرافِق في خدمة روب ستارك،
- **روزلين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
- من زوجته السَّابعة، **(الليدي أنارا)** سليلة عائلة فارنج:
- **أروين**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
- **وندل**، ابنهما الأكبر، صبي في الثَّالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كوصيف،

- **كولمار**، موعود بالخدمة في العقيدة، في السَّابعة،
- **والتير**، يُسَمَّى **تير**، صبي في العاشرة،
- **إلمار**، خطيب آريا ستارك، صبي في التَّاسعة،
- **شيري**، فتاة في السَّادسة،
- من زوجته الثَّامنة، (**الليدي چويئيوس**) سليلة عائلة إرينفورد:
- لا أولاد بعدُ،
- أولاد اللورد والدر غير الشَّرعيِّين من أمَّهاتٍ مختلفات:
- **والدر ريڤرز**، لقبه **والدر النَّغل**،
- ابن والدر النَّغل، **السير إيمون ريڤرز**،
- ابنة والدر النَّغل، **والدا ريڤرز**،
- **المِايستر ملويس**، يخدم في روزبي،
- **چين ريڤرز، مارتن ريڤرز، رايجر ريڤرز، رونل ريڤرز، ميلارا ريڤرز**، آخَرون.

عائلة هايتاور

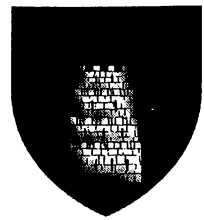

آل هايتاور أولاد البلدة القديمة من أعرق عائلات وستروس الكُبرى وأكثرها إباءً، وتنحدر أصولهم من البَشر الأوائل. قديمًا كانوا ملوكًا يَحكُمون البلدة القديمة والأنحاء المحيطة بها منذ فَجر العصور، ورحَّبوا بالأندالِيِّين بدلًا من مقاوَمتهم، ولاحقًا خضعوا لملوك المرعى متخلِّين عن تيجانهم وإن احتفظوا بجميع امتيازاتهم العتيقة. على الرغم من سطوتهم وثرائهم الفاحش لطالما فضَّل لوردات البُرج العالي التِّجارة على القتال، ونادرًا ما لعبوا دورًا كبيرًا في حروب وستروس. كان آل هايتاور عاملًا أسياسيًّا في إنشاء القلعة وما زالوا يحمونها حتى اليوم، ولحصافتهم ورقيِّهم كانوا دومًا رُعاةً للعلم والعقيدة، ويُقال إن بعضًا معيَّنًا منهم اشتغلَ أيضًا في الخيمياء والپايرومانسي والنِّكرومانسي وغيرها من فنون السِّحر.

رمز عائلة هايتاور بُرج أبيض مدرَّج متوَّج بالنَّار على خلفيَّة بلون الدُّخان، وكلماتهم: «نُنير الطَّريق».

لايتون هايتاور، صوت البلدة القديمة، سيِّد المرفأ، سيِّد البُرج العالي، حامي القلعة، منارة الجنوب، يُسَمَّى **شيخ البلدة القديمة**،

- **الليدي ريا** سليلة عائلة هايتاور، زوجته الرَّابعة،
- أكبر أبناء اللورد لايتون ووريثه، **السير بيلور** ولقبه **بيلور البشوش**، زوج روندا روان،
- ابنة اللورد لايتون، **مالورا** ولقبها **العذراء المجنونة**،

- ابنة اللورد لايتون، **آليري**، زوجة اللورد مايس تايرل،
- ابن اللورد لايتون، **السير جارث** ولقبه **الفولاذ الرَّمادي**،
- ابنة اللورد لايتون، **دينيس**، زوجة السير دزموند ردواين،
- ابنها، **دينس**، مُرافق،
- ابنة اللورد لايتون، **لايلا**، زوجة السير چون كوپس،
- ابنة اللورد لايتون، **أليسين**، زوجة اللورد آرثر أمبروز،
- ابنة اللورد لايتون، **لينيس**، زوجة اللورد چورا مورمونت، والآن كبيرة محظيَّات تريجار أورمولن في لِيس،
- ابن اللورد لايتون، **السير جونثور**، زوج چاين فوسواي من فرع عائلة فوسواي الأخضر،
- ابن اللورد لايتون الأصغر، **السير همفري**،

- حمَلة راية اللورد لايتون:
- **تومن كوستاين**، سيِّد الأبراج الثَّلاثة،
- **أليسين بولوار**، سيِّدة التَّاج الأسود، فتاة في الثَّامنة،
- **مارتن مالندور**، سيِّد النُّجود،
- **وارن بيزبوري**، سيِّد ربوة العسل،
- **برانستون كاي**، سيِّد بهو عبَّاد الشَّمس،

- أهل البلدة القديمة:
- **إما**، ساقية في الرِّيشة والدَّورق، حيث النِّساء شبقات وخمر التُّفَّاح قويَّة للغاية،
- **روزي**، ابنتها، فتاة في الخامسة عشرة ستتكلَّف بِكارتها تنِّينًا ذهبيًّا،

- رؤساء المِايسترات في القلعة:
- **المِايستر الرَّئيس نورن**، قهرمان العام الحالي، خاتمه وصولجانه وقناعه من معدن الإلكتروم،
- **المِايستر الرَّئيس ثيوبولد**، قهرمان العام المقبل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الرَّصاص،
- **المِايستر الرَّئيس إيبروز**، المعالج، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفضَّة،

- **المِايستر الرَّئيس ماروين** ولقبه **ماروين المشعوذ**، خاتمه وصولجانه وقناعه من الفولاذ الڤاليري،
- **المِايستر الرَّئيس پيرستان**، المؤرِّخ، خاتمه وصولجانه وقناعه من النُّحاس،
- **المِايستر الرَّئيس ڤايلين** ولقبه **الخل**، الفلكي، خاتمه وصولجانه وقناعه من البرونز،
- **المِايستر الرَّئيس ريام**، خاتمه وصولجانه وقناعه من الذَّهب الأصفر،
- **المِايستر الرَّئيس** والجريڤ، عجوز تائه العقل، خاتمه وصولجانه وقناعه من الحديد الأسود،
- **جالارد، كاستوس، زارابلو، بنيدكت، جاريزون، نايموس، سيڤريس، ويليفر، مولوس، هارودون، جايني، أجريڤان، أوكلي**، كلُّهم رؤساء مِايسترات،

- مِايسترات ومُعاونو ومبتدئو القلعة:
  - **المِايستر جورمون**، يخدم غالبًا في مكان والجريڤ،
  - **آرمن** ويُسَمَّى **المُعاون**، مُعاون في سلسلته أربع حلقات،
  - **أليراس** ولقبه **أبو الهول**، مُعاون في سلسلته ثلاث حلقات، قوَّاس بارع،
  - **روبرت فراي**، في السَّادسة عشرة، مُعاون في سلسلته حلقتان،
  - **لوركاس**، مُعاون في سلسلته تسع حلقات، في خدمة القهرمان،
  - **ليو تايرل** ولقبه **ليو الكسول**، مبتدئ من النُّبلاء،
  - **مولاندر**، مبتدئ مولود بقدم معوجَّة،
  - **پايت**، يعتني بغِدفان المِايستر الرَّئيس والجريڤ، مبتدئ غير واعد،
  - **روون**، مبتدئ صغير.

عائلة لانستر

يبقى آل لانستر أولاد كاسترلي روك أقوى المؤيِّدين لدعوى الملك تومن للعرش الحديدي، ويأتي نَسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاشَ في عصر الأبطال، وقد جعلَهم ذهب كاسترلي روك والنَّاب الذَّهبي أثرى العائلات الكُبرى.

راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

(تايوين لانستر)، سيِّد كاسترلي روك، حامي لانسپورت، حاكم الغرب، يد الملك، قتلَه ابنه القزم في مرحاضه،

- أولاد اللورد تايوين:
  - **سرسي**، توأمة چايمي، الآن سيِّدة كاسترلي روك،
  - **چايمي**، توأم سرسي ولقبه **قاتِل الملك**،
  - **تيريون** ولقبه **العِفريت**، قزم وقاتِل أقربين،
- إخوة اللورد تايوين وأولادهم:
  - السير **كيڤان لانستر**، زوج دورنا سليلة عائلة سويفت،
  - **الليدي چِنا**، زوجة إمون فراي، الآن سيِّد ريڤررَن،
  - ابن چِنا الأكبر، **(السير كليوس فراي)**، زوج چاين سليلة عائلة داري، قتلَه الخارجون عن القانون،
  - ابن كليوس الكبير، **السير تايوين فراي** ويُسَمَّى **تاي**، الآن وريث

ريڤررَن،
- ابن كليوس الثَّاني، **ويلم فراي**، مُرافق،
- ابن جِنا الثَّاني، **السير لايونل فراي**،
- ابن جِنا الثَّالث، **(تيون فراي)**، قُتِلَ وهو أسير في ريڤررَن،
- ابن جِنا الأصغر، **والدر فراي** ولقبه **والدر الأحمر**، وصيف في كاسترلي روك،
- وات ذو الابتسامة البيضاء، مطرب في خدمة الليدي جِنا،
- **السير تايجت لانستر**، ماتَ بالجُدري،
- **تايرك**، ابن تايجت، مفقود ويُخشى أنه ماتَ،
- **الليدي إرميساند هايفورد**، زوجة تايرك الطِّفلة،
- **(جيريون لانستر)**، مفقود في البحر،
- **چوي هيل**، ابنة جيريون النَّغلة، فتاة في الحادية عشرة،
- أهل اللورد تايوين المقرَّبون الآخَرون:
- **(السير ستافورد لانستر)**، ابن عم اللورد تايوين وأخو زوجته، قُتِلَ في معركة أوكسكروس،
- **سيرينا وماريل**، ابنتا ستافورد،
- **السير داڤن لانستر**، ابن ستافورد،
- **السير داميون لانستر**، ابن عم، زوج شيرا كهراكهول،
- ابنهما، **السير لوشن**،
- ابنتهما، **لانا**، زوجة آنتاريو چاست،
- **الليدي مارجو**، ابنة عمومة، زوجة اللورد تايتوس پيك،
- أهل بيت اللورد تايوين في كاسترلي روك:
- **المِايستر كرايلن**، معالج ومعلِّم ومستشار،
- **ڤايلار**، قائد الحَرس،
- **السير بنيدكت بلوم**، قيِّم السِّلاح،
- **وات ذو الابتسامة البيضاء**، مطرب،
- حمَلة راية ومقسمون على الولاء، لوردات الغرب:
- **دامون ماربراند**، سيِّد آشمارك،

- **السير أدام ماربراند**، ابنه ووريثه، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج،
- **رولاند كراكهول**، سيِّد كراكهول،
- أخو رولاند، (**السير برتون**)، قتلَه الخارجون عن القانون،
- ابن رولاند ووريثه، **السير تايبولت**،
- ابن رولاند، **السير لايل** ولقبه **العُفر القوي**،
- ابن رولاند الأصغر، **السير مرلون**،
- **سيباستون فارمان**، سيِّد الجزيرة القصيَّة،
- **چاين**، أخته، زوجة السير جاريث كليفتون،
- **تايتوس براكس**، سيِّد وادي القرون،
- **السير فليمنت براكس**، أخوه ووريثه،
- **كوينتن بانفورت**، سيِّد بانفورت،
- **السير هاريس سويفت**، حمو السير كيڤان،
- ابن السير هاريس، **السير ستفون سويفت**،
- ابنة السير ستفون، **چوانا**،
- ابنة السير هاريس، **شيرل**، زوجة السير ملوين سارسفيلد،
- **ريچينارد إسترن**، سيِّد ويندهول،
- **جاون وسترلينج**، سيِّد الجُرف،
- زوجته، **الليدي سيبل** سليلة عائلة سپايسر،
- أخوها، **السير رولف سپايسر**، نُصِّبَ حديثًا سيِّدًا على كاستامير،
- ابن عمِّها، **السير ساموپل سپايسر**،
- أولادهما:
- **السير راينالد وسترلينج**،
- **چاين**، أرملة روب ستارك،
- **إلينا**، فتاة في الثَّانية عشرة،
- **رولام**، صبي في التَّاسعة،
- اللورد **سلموند ستاكسپير**،
- ابنه، **السير ستفون ستاكسپير**،

- ابنه الثَّاني، **السير آلن ستاكسپير**،
- **تيرانس كنينج**، سيِّد كايس،
- السير **كينوس الكايسي**، فارس في خدمته،
- **اللورد آنتاريو چاست**،
- **اللورد روبن مورلاند**،
- **الليدي أليسين ليفورد**،
- **لويس ليدن**، سيِّد الوكر العميق،
- **اللورد فيليپ پلوم**،
- أبناؤه، **السير دنيس پلوم**، **السير پيتر پلوم**، **السير هاروين پلوم** ولقبه **الحجر الصُّلب**،
- **اللورد جاريسون پرستر**،
- **السير فورلي پرستر**، ابن عمِّه،
- **السير جريجور كليجاين** ولقبه **الجبل راكب الخيول**،
- **ساندور كليجاين**، أخوه،
- **السير لورنت لورك**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير جارث جرينفيلد**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير لايموند ڤيكاري**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير راينارد روتيجر**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير مانفريد ياو**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- **السير تايبولت هيذرسپون**، فارس من مُلَّاك الأراضي،
- (**ميلارا هيذرسپون**)، ابنته، غرقَت في بئرٍ وهي ربيبة في كاسترلي روك.

عائلة مارتل

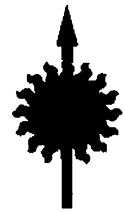

كانت دورن آخِر الممالك السَّبع التي أقسمَت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيِّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعَت حرب الملوك الخمسة لم تُشارِك دورن فيها. بَعد خطبة مارسلا باراثيون للأمير تريستان أعلنَت صنسپير تأييدها الملك چوفري واستدعَت راياتها.

راية عائلة مارتل عبارة عن شمسٍ حمراء تخترقها حربة ذهبيَّة، وكلماتهم «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيِّد صنسپير، أمير دورن،

- زوجته، **ميلاريو**، من مدينة نورڤوس الحُرَّة،
- أولادهما:
  - **الأميرة آريان**، وريثة صنسپير،
  - **جارين**، أخو آريان في الرِّضاعة، من أيتام الدَّم الأخضر،
  - **الأمير كوينتن**، فارس مستجد، ربيب منذ الطُّفولة للورد يرونوود سيِّد يرونوود،
  - **الأمير تريستان**، خطيب مارسلا باراثيون،
- أخوا الأمير دوران:
  - (**الأميرة إليا**)، اغتُصِبَت وقُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
  - (**ريينس تارجاريَن**)، ابنتها الصَّغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز

لاندنج،
- (**إجون تارجاريَن**)، رضيع، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- (**الأمير أوبرين**) ولقبه **الأُفعوان الأحمر**، قتلَه السير جريجور كليجاين في محاكَمةٍ بالنِّزال،
- **إلاريا ساند**، خليلة الأمير أوبرين، ابنة اللورد هارمن أولر الطَّبيعيَّة،
- **أفاعي الرِّمال**، بنات أوبرين النَّغلات:
- **أوبارا**، في الثَّامنة والعشرين، ابنة أوبرين من عاهرة في البلدة القديمة،
- **نايميريا** ولقبها **الليدي نيم**، في الخامسة والعشرين، ابنة أوبرين من امرأةٍ نبيلة من ڤولانتيس،
- **تايين**، في الثَّالثة والعشرين، ابنة أوبرين من سِپتة،
- **ساريلا**، في التَّاسعة عشرة، ابنته من تاجرة، رُبَّان قُبلة الرِّيش،
- **إليا**، في الرَّابعة عشرة، ابنته من إليا ساند،
- **أوبلا**، في الثَّانية عشرة، ابنته من إليا ساند،
- **دوريا**، في الثَّامنة، ابنته من إليا ساند،
- **لوريزا**، في السَّادسة، ابنته من إليا ساند،
- بلاط الأمير دوران في الحدائق المائيَّة:
- **آريو هوتا**، من نورڤوس، قائد الحَرس،
- **المِايستر كاليوت**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- نحو ستِّين من الأطفال من علية القوم والعامَّة، أبناء وبنات لوردات وفُرسان وأيتام وتُجَّار وحرفيِّين وفلَّاحين، أربَّاؤه،
- بلاط الأمير دوران في صنسپير:
- الأميرة مارسلا باراثيون، ربيبته، خطيبة الأمير تريستان،
- **السير آريس أوكهارت**، حارس مارسلا الشَّخصي،
- **روزاموند لانستر**، رفيقة فِراش مارسلا ووصيفتها، ابنة عمومة بعيدة،
- **السِّپتة إجلانتين**،
- **المِايستر مايلز**، مستشار ومعالج ومعلِّم،

- **ريكاسو**، قهرمان صنسپير، عجوز كفيف،
- **السير مانفري مارتل**، أمين القلعة في صنسپير،
- **الليدي آليس ليديبرايت**، اللورد الخازِن،
- **السير جاسكوين** ابن الدَّم الأخضر، حارس الأمير تريستان الشَّخصي،
- **بورس وتيموث**، خادمان في صنسپير،
- **بيلاندرا وسِدرا** والأختان **مورا وميلي**، خادمات في صنسپير،
- حمَلة راية الأمير دوران، لوردات دورن:
- **آندرز يرونوود**، سيِّد يرونوود، حاكم الطَّريق الحجري، صاحِب الدَّم الملكي،
- **السير كليتوس**، ابنه، معروف بعينه الكسول،
- **المِايستر كِدري**، معالج ومستشار ومعلِّم،
- **هارمن أولر**، سيِّد هضبة الجحيم،
- **إلاريا ساند**، ابنته الطَّبيعيَّة،
- **السير أولويك أولر**، أخوه،
- **ديلون أليريون**، سيِّدة عطيَّة الآلهة،
- **السير ريون**، ابنه ووريثه،
- **السير ديمون ساند**، ابن ريون الطَّبيعي، نغل عطيَّة الآلهة،
- **داجوس مانوودي**، سيِّد مقبرة الملك،
- **مورس وديكون**، ابناه،
- **السير مايلز**، أخوه،
- **لارا بلاكمونت**، سيِّدة بلاكمونت،
- **چينيسا**، ابنتها ووريثتها،
- **پيروس**، ابنها، مُرافق،
- **نايملا**، سيِّدة تل الأشباح،
- **كوينتن كورجايل**، ابن حجر الرَّمل،
- **السير چوليان**، ابنه الأكبر ووريثه،
- **السير أرون**، ابنه الثَّاني،

- **السير ديزيل دالت**، فارس غابة اللَّيمون،
- **السير آندراي**، أخوه ووريثه ويُسَمَّى **دراي**،
- **فرانكلين فاولر**، سيِّد قلعة السَّماء، لقبه **الصَّقر العجوز**، حاكم ممر الأمير،
- **چاين وچينيلين**، ابنتاه التَّوأم،
- **السير سايمون سانتاجار**، فارس الغابة الرَّقطاء،
- **سيلڤا**، ابنته ووريثته، تُسَمَّى **سيلڤا الرَّقطاء** بسبب نمشها،
- **إدريك داين**، سيِّد ستارفول، مُرافق،
- **السير چيرولد داين** ولقبه **النَّجم المظلم**، فارس الصَّومعة العالية، ابن عمِّه وحامل رايته،
- **تريبور چورداين**، سيِّد الرَّبوة،
- **ميريا**، ابنته ووريثته،
- **تريموند جارجالن**، سيِّد ساحل الملح،
- **دايرون ڤايث**، سيِّد الكُثبان الحمراء.

عائلة ستارك

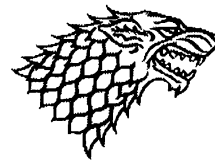

يعود نَسب آل ستارك إلى براندون البنَّاء وملوك الشِّتاء القُدامى، ولآلاف السِّنين حكَموا من مقرِّهم في وينترفل كملوكٍ في الشَّمال، إلى أن اختارَ تورين ستارك -المَلك الذي ركعَ- أن يُقسِم على الولاء لإجون التنِّين بدلًا من مُواجَهته في المعركة. حين أعدمَ الملك چوفري اللورد إدارد ستارك تخلَّى الشَّماليُّون عن ولائهم للعرش الحديدي وأعلنوا روب ابن اللورد إدارد ملكًا في الشَّمال، وخلال حرب الملوك الخمسة انتصرَ روب في كلِّ معاركه، لكن آل فراي وآل بولتون خانوه واغتالوه في التَّوأمتين في زفاف خاله.

راية آل ستارك عبارة عن ذِئب رهيب رمادي على خلفيَّةٍ بيضاء ثلجيَّة، وكلماتهم: «الشِّتاء قادم».

(روب ستارك)، الملك في الشَّمال، ملك الثَّالوث، سيِّد وينترفل، أكبر أبناء اللورد إدارد ستارك والليدي كاتلين سليلة عائلة تَلي، شاب في السَّادسة عشرة يُسَمَّى **الذِّئب الصَّغير**، اغتيلَ في الزِّفاف الأحمر،

- **(جراي ويند)**، ذئبه الرَّهيب، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- إخوته الأشقَّاء:
  - **سانزا**، أخته، زوجة تيريون لانستر،
  - **(ليدي)**، ذئبتها الرَّهيبة، قُتِلَت في قلعة داري،
  - **آريا**، فتاة في الحادية عشرة، مفقودة ويُعتقَد أنها ماتَت،

- **نايميريا**، ذئبتها الرَّهيبة، تجوب أراضي النَّهر،
- **براندون** ويُسَمَّى **بران**، طفل مُعاق في التَّاسعة، وريث وينترفل، يُعتقَد أنه ماتَ،
- **سَمر**، ذئبه الرَّهيب،
- رفاق بران وحُماته:
- **ميرا ريد**، فتاة في السَّادسة عشرة، ابنة اللورد هاولاند ريد سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة،
- **چوچن ريد**، أخوها، في الثَّالثة عشرة،
- **هودور**، عامل اسطبل بسيط العقل، طوله سبعة أقدام،
- **ريكون**، طفل في الرَّابعة، يُعتقَد أنه ماتَ،
- **شاجيدوج**، ذئبه الرَّهيب، أسود وشرس،
- رفيقة ريكون، **أوشا**، همجيَّة أسيرة سابقة في وينترفل،
- أخوه النَّغل غير الشَّقيق، **چون سنو**، أخ في حَرس اللَّيل،
- **جوست**، ذئب چون الرَّهيب، أبيض وصامت،
- المقسمون لروب على الولاء:
- **(دونل لوك، أوين نوري، داسي مورمونت، السير وندل ماندرلي، روبن فلينت)**، قُتِلوا في الزِّفاف الأحمر،
- **هالس مولين**، قائد الحَرس، ينقل رُفات اللورد إدارد ستارك إلى وينترفل،
- **چاكس، كوينت، شاد**، حَرس،
- أعمام وأخوال روب:
- **بنچن ستارك**، أصغر أعمامه، فُقِدَ في جولةٍ وراء الجِدار ويُعتقَد أنه ماتَ،
- **(لايسا آرن)**، خالته، سيِّدة العُش، زوجة اللورد چون آرن، ماتَت سقوطًا من عل،
- ابنهما، **روبرت آرن**، سيِّد العُش وحامي الوادي، صبي سقيم،
- إدميور **تَلي**، سيِّد ريڤررَن، خاله، أُسِرَ في الزِّفاف الأحمر،
- **الليدي روزلين** سليلة عائلة فراي، عروس إدميور،

- **السير برايندن تَلي** ولقبه **السَّمكة السَّوداء**، عمُّ أمِّه، أمين القلعة في ريڤررَن،
- حمَلة راية الذِّئب الصَّغير، لوردات الشَّمال:
- **رووس بولتون**، سيِّد معقل الخوف، المارِق،
- **(دومريك)**، ابنه الشَّرعي ووريثه، ماتَ بمرضٍ في البطن،
- **رامزي بولتون (رامزي سنو** سابقًا)، ابن رووس الطَّبيعي ويُسَمَّى **نغل بولتون**، أمين القلعة في معقل الخوف،
- **والدر فراي ووالدر فراي** ويُسَمَّيان **والدر الصَّغير ووالدر الكبير**، مُرافقا رامزي،
- **(ريك)**، جُندي معروف برائحته الكريهة، قُتِلَ في أثناء انتحاله شخصيَّة رامزي،
- «**آريا ستارك**»، أسيرة اللورد رووس، فتاة زائفة مخطوبة لرامزي،
- **والتون** ولقبه **ذو السَّاقين الفولاذ**، قائد حَرس رووس،
- **بِث كاسل، كايرا، تورنيپ، پالا، باندي، شايرا، پالا، العجوز نان**، نسوة من وينترفل أسيرات في معقل الخوف،
- **چون أومبر** ولقبه **چون الكبير**، سيِّد المستوقَد الأخير، أسير في التَّوأمتين،
- **(چون)** ولقبه **چون الصَّغير**، ابن چون الكبير ووريثه، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- **مورس** ولقبه **آكِل الغُراب**، عم چون الكبير، أمين القلعة في المستوقَد الأخير،
- **هوثر** ولقبه **باقِر العاهرة**، عم چون الكبير، أيضًا أمين القلعة في المستوقَد الأخير،
- **(ريكارد كارستارك)**، سيِّد كارهولد، قُطِعَ رأسه لارتكابه الخيانة وقتل الأسرى،
- **(إدارد)**، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- **(تورين)**، ابنه، قُتِلَ في الغابة الهامسة،
- **هاريون**، ابنه، أسير في بِركة العذارى،

- **آليس**، ابنة اللورد ريكارد، فتاة في الخامسة عشرة،
- عمُّ ريكارد، **أرنولف**، أمين القلعة في كارهولد،
- **جالبارت جلوڤر**، سيِّد ربوة الغابة، أعزب،
- **روبت جلوڤر**، أخوه ووريثه،
- زوجة روبت، **سيبل** سليلة عائلة لوك،
- طفلاهما:
- **جاون**، صبي في الثَّالثة،
- **إرينا**، رضيعة،
- ربيب جالبارت، **لارنس سنو**، ابن (اللورد هالس هورنوود) الطَّبيعي، صبي في الثَّالثة عشرة،
- **هاولاند ريد**، سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، من شعب المستنقعات،
- زوجته، **چيانا**، من شعب المستنقعات،
- طفلاهما:
- **ميرا**، صيَّادة شابَّة،
- **چوچن**، صبي موهوب البصيرة الخضراء،
- **وايمان ماندرلي**، سيِّد الميناء الأبيض، شديد البدانة،
- **السير وايليس ماندرلي**، ابنه الأكبر ووريثه، بدين جدًّا، أسير في هارنهال،
- زوجة وايليس، **ليونا** سليلة عائلة وولفيلد،
- **واينافريد**، ابنتهما، فتاة في التَّاسعة عشرة،
- **وايلا**، ابنتهما، فتاة في الخامسة عشرة،
- (**السير وندل ماندرلي**)، ابنه الثَّاني، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- **السير مارلون ماندرلي**، ابن عمِّه، قائد الحامية في الميناء الأبيض،
- **المِايستر ثيومور**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- **مِج مورمونت**، سيِّدة جزيرة الدِّببة،
- (**داسي**)، ابنتها الكُبرى ووريثتها، قُتِلَت في الزِّفاف الأحمر،
- **أليسين، لايرا، چوريل، ليانا**، بناتها،
- (**چيور مورمونت**)، أخوها، قائد حَرس اللَّيل، اغتالَه رجاله،

- **السير چورا مورمونت**، ابن اللورد چيور، سيِّد جزيرة الدِّببة الشَّرعي سابقًا، فارس مدان ومنفي،
- **(السير هلمان تولهارت)**، سيِّد مربَّع تورين، قُتِلَ في وادي الغسق،
- **(بنفريد)**، ابنه ووريثه، قتلَه الحديديُّون على السَّاحل الحجري،
- **إدارا**، ابنته، أسيرة في مربَّع تورين،
- **(ليوبولد)**، أخوه، قُتِلَ في وينترفل،
- زوجة ليوبود، **بيرينا** سليلة عائلة هورنوود، أسيرة في مربَّع تورين،
- ابناهما **براندون وبيرين**، أيضًا أسير في مربَّع تورين،
- **رودريك ريزويل**، سيِّد الغُدران،
- **باربري داستن**، ابنته، سيِّدة بلدة الرَّوابي، أرملة (اللورد ويلام داستن)،
- **هاروود ستاوت**، من أتباعه، لورد صغير من بلدة الرَّوابي،
- **(بِثاني بولتون)**، ابنته، زوجة اللورد رووس بولتون الثَّانية، ماتَت بالحُمَّى،
- **روچر ريزويل، ريكارد ريزويل، رووس ريزويل**، أبناء عمومته وحمَلة رايته المشاكسون،
- **(كلاي سروين)**، سيِّد سروين، قُتِلَ في وينترفل،
- **چونل**، أخته، عذراء في الثَّانية والثَّلاثين،
- **ليسا فلينت**، سيِّدة قلعة الأرملة،
- **أوندرو لوك**، سيِّد القلعة العتيقة، عجوز،
- **هيوجو وول** ولقبه **الدَّلو الكبير**، زعيم عشيرته،
- **بارندون نوري** ولقبه **النوري**، زعيم عشيرته،
- **تورين ليدل** ولقبه **الليدل**، زعيم عشيرته.

عائلة تَلي

كان اللورد إدمين تَلي سيِّد ريڤررَن من أوائل لوردات النَّهر الذين أقسَموا على الولاء لإجون الفاتِح، وكافأه إجون المظفَّر بتنصيبه حاكمًا على جميع أراضي نهر الثَّالوث.

راية آل تَلي عبارة عن سمكة ترويت فضِّيَّة واثبة على خلفيَّةٍ متموِّجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشَّرف».

إدميور تَلي، سيِّد ريڤررَن، أُخِذَ أسيرًا في أثناء زفافه وسجين لدى آل فراي،

- **الليدي روزلين** سليلة عائلة فراي، عروس إدميور الشَّابَّة،
- **(الليدي كاتلين ستارك)**، أخته، أرملة اللورد إدارد ستارك سيِّد وينترفل، قُتِلَت في الزِّفاف الأحمر،
- **(الليدي لايسا آرن)**، أخته، أرملة اللورد چون آرن سيِّد الوادي، ماتَت مدفوعةً من العُش،
- **السير برايندن تَلي** ولقبه **السَّمكة السَّوداء**، عمُّ إدميور، أمين القلعة في ريڤررَن،
- أهل بيت اللورد إدميور في ريڤررَن:
- **المِايستر ڤايمان**، مستشار ومعالج ومعلِّم،
- **السير دزموند جرِل**، قيِّم السِّلاح،
- **السير روبن رايجر**، قائد الحَرس،
- **ليو الطَّويل، إلوود، دِلپ**، حَرس،

- **أوثيرايدس** واين، وكيل ريڤررَن،
- حمَلة راية إدميور، لوردات الثَّالوث:
- **تايتوس بلاكوود**، سيِّد شجرة الغِدفان،
- **(لوكاس)**، ابنه، قُتِلَ في الزِّفاف الأحمر،
- **چونوس براكن**، سيِّد السِّياج الحجري،
- **جيسون ماليستر**، سيِّد سيجارد، سجين في قلعته،
- **پاتريك**، ابنه، سجين مع أبيه،
- **السير دينس ماليستر**، عمُّ اللورد جيسون، رجل في حَرس اللَّيل،
- **كليمنت پايپر**، سيِّد قلعة العذراء الورديَّة،
- ابنه ووريثه، السير **مارك پايپر**، أُخِذَ أسيرًا في الزِّفاف الأحمر،
- **كاريل ڤانس**، سيِّد استراحة عابِري السَّبيل،
- ابنته الكُبرى ووريثته، **ليان**،
- ابنتاه الصَّغيرتان، **ريالتا وإمفيريا**،
- **نوربرت ڤانس**، سيِّد أترانتا الأعمى،
- ابنه الأكبر ووريثه، **السير رونالد ڤانس** ولقبه **السيِّئ**،
- أبناؤه الأصغر، **السير هيوجو، السير إليري، السير كيرث، المِايستر چون**،
- **ثيومار سمولوود**، سيِّد بهو البلُّوط،
- زوجته، **الليدي راڤيلا** سليلة عائلة سوان،
- ابنتهما، **كاريلين**،
- **ويليام موتون**، سيِّد بِركة العذارى،
- **شيلا وِنت**، سيِّدة هارنهال المنحَّاة،
- **السير ويليس وود**، فارس في خدمتها،
- **السير هالمون پايچ**،

- **اللورد لايموند جودبروك**.

عائلة تايرل

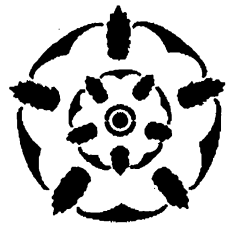

صعدَ آل تايرل إلى السُّلطة كوُكلاء لملوك المرعى، الذين ضمَّت أملاكهم السُّهول الخصبة في الجنوب الغربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود وحتى سواحل بَحر الغروب. يأتي نَسب آل تايرل من جهة الإناث من جارث جرينهاند، مَلك البَشر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعَها حتى ازدهرَت، وعندما ماتَ الملك مِرن التَّاسع -آخِر ملوك عائلة جاردنر- في معركة حقل النِّيران، سلَّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتِح وأقسمَ له على الولاء، فمنحَه إجون القلعة وحُكم المرعى.

أعلن اللورد مايس تايرل تأييده الملك رنلي في بداية حرب الملوك الخمسة وزوَّجه ابنته مارچري، وبَعد موت رنلي تحالفَت هايجاردن مع عائلة لانستر، وخُطِبَت مارچري للملك چوفري.

راية آل تايرل عبارة عن وردةٍ ذهبيَّة على خلفيَّةٍ بلونٍ أخضر كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوَّة».

مايس تايرل، سيِّد هايجاردن، حاكم الجَنوب، حافِظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

- زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،

-أبناؤهما:

- **ويلاس**، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

- **السير جارلان**، لقبه الهُمام، الابن الثَّاني،
- زوجته، **الليدي ليونيت**، سليلة عائلة فوسواي،
- **السير لوراس**، فارس الزُّهور، الابن الأصغر، أخ محلَّف في الحَرس الملكي،
- **مارچري**، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشرة من العُمر،
- رفيقات مارچري:
- بنات عمومتها **مِجا وآلا وإلينور**،
- خطيب إلينور، **آلن أمبروز**، مُرافِق،
- **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،
- **ميريديث كرين**، تُسَمَّى **ميري**،
- **تاينا المايريَّة**، زوجة اللورد أورتون ميريويذر،
- **الليدي آليس جريسفورد**،
- **السِّيتة نستيريكا**، أخت في العقيدة،
- أُمُّه الأرملة، **الليدي أولينا**، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلكة الأشواك،
- أختاه:
- **مينا**، زوجة پاكستر ردواين، سيِّد الكرمة،
- أولادهما:
- **السير هوراس ردواين**، توأم هوبر، يُسَمَّى **هورور** سُخريةً،
- **السير هوبر ردواين**، توأم هوراس، يُسَمَّى **سلوبر** سُخريةً،
- **دسميرا ردواين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
- **چانا**، زوجة السير چون فوسواي،
- أعمامه وأولادهم:
- أخو أبيه، **جارث**، لقبه **السَّمين**، وكيل هايجاردن،
- ابناه غير الشَّرعيَّين، **جارس وجارت فلاورز**،
- **السير مورين**، قائد حَرس البلدة القديمة،
- ابن مورين، (**السير لوثور**)، زوج الليدي إلين نوريدچ،
- ابن لوثور، **السير ثيودور**، زوج الليدي ليا سِري،
- ابنة ثيودور، **إلينور**،

- ابن ثيودور، **لوثور**، مُرافِق،
- ابن لوثور، **المِايستر مدويك**،
- ابنة لوثور، **أولين**، زوجة السير ليو بلاكبار،
- ابن مورين، **ليو**، لقبه **ليو الكسول**،
- أخو أبيه، **المِايستر جورمون**، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- ابن عمِّه، (**السير كوينتن**)، ماتَ في آشفورد،
- ابن كوينتن، **السير أوليمر**، زوج الليدي لايسا ميدوز،
- ابنا أوليمر، **رايموند وريكارد**،
- ابنة أوليمر، **مِجا**،
- ابن عمِّه، **المِايستر نورموند**، في خدمة التَّاج الأسود،
- ابن عمِّه، (**السيرڤيكتور**)، قتلَه الفارس الباسم رجل أخوَّة غابة الملوك،
- ابنة ڤيكتور، **ڤيكتاريا**، تزوَّجت (اللورد چون بولوار)، ماتَت بحُمَّى صيفيَّة،
- ابنتهما، **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،
- ابن ڤيكتور، **السير ليو**، تزوَّج الليدي آليس بيزبوري،
- ابنتا ليو، **آلا وليونا**،
- أبناء ليو، **لايونل ولوكاس ولورنت**،

- أهل بيته في هايجاردن:
  - **المِايستر لوميس**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
  - **إيجون ڤيرويل**، قائد الحَرس،
  - **السير ڤورتيمر كرين**، قيِّم السِّلاح،
  - **برميل الزُّبدة**، نكَّات ومهرِّج مفرط البدانة،
- اللوردات حمَلة رايته:
  - **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،
  - **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
  - **أروين أوكهارت**، سيِّدة السَّنديانة القديمة،
  - **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،

- **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة، متمرِّد يدعم ستانيس باراثيون،
- **لايتون هايتاور**، صوت البلدة القديمة وسيِّد المرفأ،
- **أورتون ميريويذر**، سيِّد الطَّاولة الطَّويلة،
- **اللورد آرثر أمبروز**.

- فُرسانه والمقسِمون له:
- **السير مارك مولندور**، شُلَّ في معركة النَّهر الأسود،
- **السير چون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي،
- **السير تانتون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الحمراء من عائلة فوسواي.

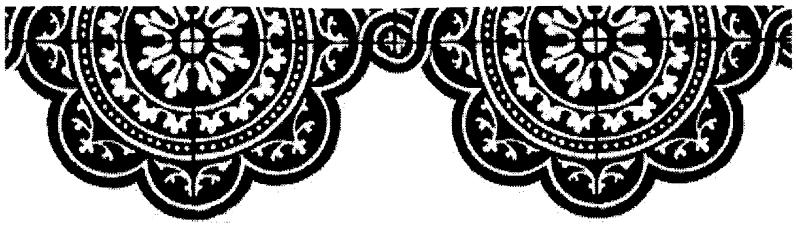

ملحق (3)

متمرِّدون ومجرمون
عوام وإخوة محلَّفون

لوردات صغار ومتجوِّلون وعامَّة

- السير كرايتون لونجبو والسير إيليفر المفلس، فارسان متجوِّلان وبطلان،
- هيبالد، تاجر جبان بخيل،
- السير شادريك ابن الوادي الظَّليل ولقبه الفأر المجنون، فارس متجوِّل في خدمة هيبالد،
- بِريان وتُسَمَّى عذراء تارث وبِريان المليحة، عذراء في مهمَّة،
- اللورد سلوين نجم المساء، سيِّد تارث، أبوها،
- (بن بوشي الكبير)، السير هايل هَنت، السير مارك مالندور، السير إدموند أمبروز، (السير ريتشارد فارو)، (ويل اللَّقلق)، السير هيو بيزبوري، السير رايموند نايلاند، هاري سوير، السير أوين إنشفيلد، روبن پوتر، خاطِبو وُدَّها السَّابقون،
- رينفريد ريكر، سيِّد وادي الغسق،
- السير روفوس ليك، فارس بساقٍ واحدة في خدمته، أمين قلعة التَّبَّة

في وادي الغسق،
- **ويليام موتون**، سيِّد بِركة العذارى،
- **إلينور**، ابنته الكُبرى ووريثته، في الثَّالثة عشرة،
- **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل، يقود قوَّات الملك تومن على ضفاف الثَّالوث،
- **ديكون**، ابنه ووريثه، مُرافق صغير،
- **السير هايل هَنت**، فارس في خدمة عائلة تارلي،
- **السير آلن هَنت**، ابن عم السير هايل، أيضًا في خدمة عائلة تارلي،
- **ديك كراب** ولقبه **ديك الرَّشيق**، من آل كراب أولاد الرَّأس المتصدِّع،
- **إيوستس برون**، سيِّد عرين داير،
- **بينارد برون**، فارس الغور البنِّي، ابن عمِّه،
- **السير روچر هوج**، فارس قرن الخنزيرة،
- **السِّپتون ميريبولد**، سِپتون حافي القدمَين،
- كلبه، **كلب**،
- **الأخ الكبير**، من جزيرة الهدوء،
- **الأخ ناربرت**، **الأخ جيلام**، **الأخ راوني**، إخون تائبون على جزيرة الهدوء،
- **السير كوينسي كوكس**، فارس الملَّاحات،
- في خان مفترَق الطُّرق:
- **چاين هدِل** ولقبها **چاين الفارعة**، فتاة طويلة شابَّة في الثَّامنة عشرة،
- **ويلو**، أختها، تُعاقِب بالضَّرب بالملعقة،
- **تانسي**، **پايت**، **چون پني**، بن، أيتام في الخان،
- **جندري**، صبي حدَّاد وابن غير شرعي للملك روبرت باراثيون الأول، يجهل أصله،
- في هارنهال:
- **رافورد** ولقبه **راف المعسول**، فم الخراء، دانسن، من رجال الحامية،
- **بن ذو الإبهام الأسود**، حدَّاد وصانع سلاح،
- **پيا**، خادمة كانت حسناء،

- **المِايستر چوليان**، معالج ومعلِّم ومستشار،
- في داري:
- **الليدي آميري فراي** ولقبها **آمي البوَّابة**، أرملة شهوانيَّة شابَّة مخطوبة للانسل لانستر،
- أُم الليدي آميري، **الليدي ماريا** سليلة عائلة داري، أرملة ميريت فراي،
- أخت الليدي آميري، **ماريسا**، فتاة في الثَّالثة عشرة،
- **السير هاروين پلوم** ولقبه **الحجر الصُّلب**، قائد الحامية،
- **المِايستر أوتومور**، معالج ومعلِّم ومستشار،
- في خان الرَّجل الرَّاكع:
- **شارنا**، صاحِبة الخان، طاهية وقابلة،
- **زوجها** وتُسَمِّيه زوجي،
- **الصَّبي**، من يتامى الحرب،
- **هوت پاي**، ابن خبَّاز يتيم.

خارجون عن القانون ورجال مكسورون

(بريك دونداريون)، سيِّد المرفأ الأسود السَّابق، قُتِلَ ستَّ مرَّات،
- **إدريك داين**، سيِّد ستارفول، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافق اللورد بريك،
- **القنَّاص المجنون** من السِّپت الحجري، حليفه أحيانًا،
- **ذو اللِّحية الخضراء**، مرتزِق تايروشي، صديقه غير الموثوق به،
- **آنجاي القوَّاس**، رام من تُخوم دورن،
- **ميريت ابن بلدة القمر، واتي الطَّحَّان، مِج فتاة المستنقعات، چون ابن قرية نوتن**، خارجون عن القانون في جماعته،

الليدي قلب الحجر، امرأة تُخفي ملامحها، تُسَمَّى أحيانًا أُم القسوة والأخت الصَّامتة والشَّنَّاقة،
- **ليم** ويُسَمَّى **ليم ذو المعطف اللَّيموني**، جُندي سابق،
- **ثوروس المايري**، راهب أحمر،
- **هاروين**، الشَّمالي ابن هالن، خدمَ اللورد إدارد ستارك سيِّد وينترفل

سابقًا،
- **چاك المحظوظ**، رجل مطلوب، تَنقُصه عين،
- **توم ابن الجداول السَّبعة**، مطرب سيِّئ السُّمعة، لقبه **توم سبعة أوتار وتوم أبو السَّبعات**،
- **لوك الرَّاجح**، **نوتش**، **مودج**، **ديك الحليق**، خارجون عن القانون، **ساندور كليجاين** ولقبه **كلب الصَّيد**، حارس الملك چوفري الشَّخصي سابقًا، ثم أخ محلَّف في الحَرس الملكي، شُوهِدَ آخِر مرَّةٍ محمومًا يُحتضَر على ضفَّة الثَّالوث،
(**ڤارجو هوت**)، من مدينة كوهور الحُرَّة، لقبه **الكبش**، قائد مرتزِقة ألثغ، قتلَه السير جريجور كليجاين في هارنهال،
- رجاله في رِفقة الشُّجعان، جماعة المرتزِقة المعروفة أيضًا باسم الممثِّلين السَّفَّاحين:
- **أورزويك** ولقبه **الوفي**، نائبه،
- (**السِّپتون أوت**)، شنقَه اللورد بريك دونداريون،
- **تيميون الدورني**، **زولو السَّمين**، **رورج**، **العضَّاض**، **پيج**، **شاجويل المهرِّج**، **توج چوث** الإيبنيزي، مشتَّتون وهاربون،
- في ماخور التُّفَّاحة في السِّپت الحجري:
- **تانسي**، مالكة المكان حمراء الشَّعر،
- **آليس**، **كاس**، **لانا**، **چايزين**، **هيلي**، **بلَّا**، بعض خوخاتها،
- في بهو البلُّوط، مقر عائلة سمولوود:
- **الليدي رافيلا**، من عائلة سوان سابقًا، زوجة اللورد ثيومار سمولوود،
- هنا وهناك:
- **اللورد لايموند لايتشستر**، رجل مسنٌّ خَفَّ عقله، هزمَ السير ماينارد عند الجسر ذات مرَّة،
- وكيله الشَّاب، المِايستر روون،
- شبح القلب العالي،
- سيِّدة الأوراق،
- السِّپتون في ساليدانس.

إخوة حَرس اللَّيل المحلَّفون

چون سنو، نغل وينترفل، قائد حَرس اللَّيل الثَّامن والتِّسعون بَعد التِّسعمئة،
- **جوست، ذئبه الرَّهيب الأبيض،**
- **وكيله، إديسون توليت ولقبه إد الكئيب،**

رجال القلعة السَّوداء:
- **بنچن ستارك، الجوَّال الأول، مفقود منذ فترةٍ طويلة ويُعتقَد أنه ماتَ،**
- **السير وينتون ستاوت، جوَّال مسن تائه العقل،**
- **كِدج ذو العين البيضاء، بدويك ولقبه العملاق، ماثار، دايوين، جارث جرايفيذر، أولمر ابن غابة الملوك، إلرون، پايپر ويُسَمَّى پيپ، جرِن ولقبه الثَّور، برنار ويُسَمَّى برنار الأسود، جودي، تيم ستون، چاك بولوار الأسود، جيوف ولقبه السِّنجاب، بن الملتحي،** جوَّالة،
- **باون مارش، قيِّم الوُكلاء،**
- **هوب ذو الثَّلاثة أصابع،** وكيل وكبير الطُّهاة،
- **(دونال نوي)،** حدَّاد وصانع سلاح بذراعٍ واحدة، قتلَه ماج الجبَّار عند البوَّابة،
- **أوين ولقبه الجحش، تيم المُتهته، كوچن، دونل هيل ولقبه دونل المرِح، ليو الأعسر، چيرن، ويك المهزول،** وُكلاء،
- **أوثيل ياروِيك،** البنَّاء الأول،
- **ذو النَّعل الواحد، هالدر، آلبت، كِجز،** بنَّائون،
- **كونواي وجورن،** مجنِّدان متجوِّلان،
- **السِّپتون سلادور،** رجل دين سكِّير،
- **السير أليسر ثورن، قيِّم السِّلاح السَّابق،**
- **اللورد چانوس سلينت،** قائد حَرس المدينة السَّابق في كينجز لاندنج، سيِّد هارنهال لفترةٍ وجيزة،
- **المِايستر إيمون (تارجاريَن)،** معالج ومستشار، عجوز كفيف في

المئة والاثنين من العُمر،
- وكيل إيمون، **كلايداس**،
- وكيل إيمون، **ساموبل تارلي**، بدين ومحب للقراءة،
- **إميت الحديدي**، من رجال القلعة الشَّرقيَّة سابقًا، قيِّم السِّلاح،
- **هارث** ولقبه **الجواد**، التَّوأمان **أرون وإمريك**، **ساتان**، **روبن النَّطَّاط**، مجنَّدون تحت التَّدريب،

رجال بُرج الظِّلال:
- **السير دينس ماليستر**، قائد القلعة،
- وكيله ومُرافقه، **والاس ماسي**،
- **المِايستر مولين**، معالج ومستشار،
- **(كورين ذو النِّصف يد)**، كبير الجوَّالة، قتلَه چون سنو وراء الجِدار،
- إخوان بُرج الظِّلال:
- **(المُرافق دالبريدج، إيجن)**، مُرافقان، قُتِلا في الممر الصَّادح،
- **ثُعبان الحجر**، جوَّال، مفقود في الممر الصَّادح،

رجال القلعة الشَّرقيَّة على البحر،
- **كوتر پايك**، قائد القلعة،
- **المِايستر هارميون**، معالج ومستشار،
- **ذو الأسمال المالحة العجوز**، رُبَّان الطَّائر الأسود،
- **السير جلندون هيويت**، قيِّم السِّلاح،
- إخوان القلعة الشَّرقيَّة:
- **داريون**، وكيل ومطرب،

في قلعة كراستر (الخونة):
- **ديرك**، الذي قتلَ مضيفه كراستر،
- **أولو الأبتر**، الذي قتلَ قائده اللورد مورمونت،
- **جارث جرينواي، ماوني، جروبز، آلان ابن روزبي**، جوَّالة سابقون،
- **كارل ذو القدم المعوجَّة، أوس اليتيم، بيل المُتمتم**، وُكلاء سابقون.

الهَمج
أو شعب الأحرار

مانس رايدر، ملك ما وراء الجِدار، أسير في القلعة السَّوداء،
- **(دالا)**، زوجته، ماتَت في أثناء الوضع،
- ابنهما حديث الولادة، وليد المعركة، بلا اسم بعدُ،
- **ڤال**، أخت دالا الصَّغيرة، «الأميرة الهمجيَّة»، أسيرة في القلعة السَّوداء،
- زُعماء الهَمج وقادتهم:
- **(هارما)** ولقبها **رأس الكلب**، قُتِلَت عند الجِدار،
- **هاليك**، أخوها،
- **سيِّد العظام** ولقبه **ذو القميص المُخشخِش** سُخريةً، قائد فرقةٍ حربيَّة، أسير في القلعة السَّوداء،
- **(إيجريت)**، زوجة حربة شابَّة، حبيبة چون سنو، قُتِلَت خلال الهجوم على القلعة السَّوداء،
- **رايك**، لقبه **ذو الحربة الطَّويلة**، من فرقته،
- **راجوايل**، **لاينل**، من فرقته،
- **(ستير)**، ماجنَر ثِن، قُتِلَ خلال الهجوم على القلعة السَّوداء،
- **سيجورن**، ابن ستير، ماجنَر ثِن الجديد،
- **تورموند**، ملك البِتع في البهو القاني، ألقابه **بليَّة العماليق**، **المِهذار**، **نافخ البوق**، **وكاسر الجليد**، وأيضًا **قبضة الرَّعد**، **زوج الدِّببة**، **كليم الآلهة**، **وأبو الجيوش**،
- أبناؤه، **توريج الطَّويل**، **توروبند المروَّض**، **دورموند**، **درين**، وابنته، **موندا**،

- (**أورل** ولقبه **أورل النَّسر**)، مبدِّل جِلدة قتلَه چون سنو في الممر الصَّادح،
- **ماج مار تون دوه ويج**، لقبه **ماج الجبَّار**، ملك العمالقة،
- **ڤارامير**، لقبه **سِت جلود**، سيِّد لثلاثة ذئاب وقِطِّ ظِلٍّ ودُبِّ ثلوج،
- **البكَّاء**، مُغير وقائد فرقة حربيَّة،
- (**ألفين قاتِل الغِربان**)، قتلَه كورين ذو النِّصف يد رجل حَرس اللَّيل،
- (**چارل**)، مُغير شاب، حبيب ڤال، ماتَ سقوطًا من على الجِدار،
- **جريج التَّيس**، **إروك**، **كورت**، **بودچر**، **دِل**، **بثرة الكبير**، **دان القنَّبي**، **هِنك ذو الدَّفَّة**، **لِن**، **توفينجر**، **ذو الإبهام الحجري**، **هجَّانة**، (**كراستر**)، سيِّد قلعة كراستر الذي لا يركع لأحد،
- **جيلي**، ابنته وزوجته،
- ابنها حديث الولادة، بلا اسمٍ بعدُ،
- **ديا**، **فيرني**، **نِلا**، ثلاث من زوجاته التِّسع عشرة.

ملحق (4)

وراء البحر الضيِّق

الملكة وراء البحر

دنيرس تارجاريَن الأولى، گاليسي الدوثراكي، تُسَمَّى **دنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، أم التَّنانين**، آخِر من تبقَّى من أولاد الملك إيرس تارجاريَن الثَّاني وأرملة الدوثراكي گال دروجو،

- تنانينها النَّامون: **دروجون، ڤسيريون، ريجال،**
- حَرسها الملكي:
- **السير چورا مورمونت**، سيِّد جزيرة الدِّببة السَّابق، منفي لإتجاره بالرَّقيق،
- **چوجو**، گو وخيَّال دم، السَّوط،
- **آجو**، گو وخيَّال دم، القوس،
- **راگارو**، گو وخيَّال دم، الأراخ،

- **بلواس القوي**، عبد خصيٌّ سابق في حلبات القتال بميرين،
- **مُرافِقه المسنّ، آرستان**، لقبه **ذو اللِّحية البيضاء**، رجل من وستروس،
- وصيفتاها:
- **إيري**، فتاة من الدوثراكي، في الرَّابعة عشرة،
- **چيكَوي**، فتاة من الدوثراكي، في الخامسة عشرة،
- **جروليو**، رُبَّان الكوج العظيم بالريون، ملَّاح في خدمة إليريو موپاتيس،
- أهلها الرَّاحلون:
- **(ريجار)**، أخوها، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي، قتلَه روبرت باراثيون في معركة الثَّالوث،
- **(رينس)**، ابنة ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(إجون)**، ابن ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
- **(ڤسيرس)**، سمَّى نفسه الملك ڤسيرس الثَّالث، لقبه **الملك الشحَّاذ**، قُتِل في ڤايس دوثراك على يد گال دروجو،
- **(دروجو)**، زوجها، گال الدوثراكي العظيم، لم يُهزَم قَطُّ في معركة، ماتَ متأثِّرًا بجرح،
- **(ريجو)**، ابن دنيرس وگال دروجو الجهيض، قُتِلَ في الرَّحم على يد ميري ماز دور،
- أعداؤها المعروفون:
- **گال پونو**، گو دروجو السَّابق،
- **گال چهاكَو**، گو دروجو السَّابق،
- **ماجو**، خيَّال دمه،
- **خالدو كَارث**، جماعة من الدَّجَّالين،
- **پيات پري**، دجَّال كَارثيني،
- **الرِّجال الآسفون**، جماعة من المغتالين الكَارثينيِّين،
- تحالُفاتها غير المضمونة في الماضي والحاضر:
- **زارو زون داكسوس**، أمير تاجر من كَارث،
- **كويث**، آسرة ظلال مقنَّعة من آشاي،

- **إليريو موپاتيس**، ماچستر من مدينة پنتوس الحُرَّة، رتَّب زواج دنيرس بكال دروجو،

- في أستاپور:
  - **كرازنس مو نوكلوز**، تاجر رقيق ثري،
  - **أمته، ميسانداي**، فتاة في العاشرة، من شعب ناث المسالم،
  - **جرازدان مو أولهور**، تاجر رقيق عجوز فاحش الثَّراء،
  - عبده، **كليون**، جزَّار وطبَّاخ،
  - **الدُّودة الرَّمادي**، خصيٌّ من المطهَّرين،

- في يونكاي:
  - **جرازدان مو إراز**، مبعوث ونبيل،
  - **ميرو البراڤوسي**، لقبه **نغل المارد**، قائد الأبناء الثَّانين، جماعة حُرَّة،
  - **بن پلوم البنِّي**، رقيب في الأبناء الثَّانين، مرتزِق مختلط النَّسب،
  - **پرندال نا غِزن**، مرتزِق جيسكاري، قائد غِربان العاصفة، جماعة حُرَّة،
  - **سالور الأصلع**، مرتزِق كارثيني، قائد غِربان العاصفة،
  - **داريو نهاريس**، مرتزِق تايروشي مبهرَج، قائد غِربان العاصفة،

- في ميرين:
  - **أوزناك زو پال**، بطل من المدينة.

تسري دماء التنِّين في عروق آل تارجاريَن الذين ينحدرون من كبار لوردات معقل ڤاليريا الحُر القديم، ويتبدَّى ميراثهم في جمالهم الأخَّاذ (الذي يقول بعض الناس إنه غير بَشري)، والأعيُن ذات اللَّون الأرجواني أو النِّيلجي أو البنفسجي، والشَّعر الذَّهبي الفضِّي أو الأبيض كالپلاتين. فَرَّ أسلاف إجون التنيِّن من هلاك ڤاليريا والفوضى والمذابح التي تبعَته واستقرُّوا في دراجونستون، الجزيرة الصَّخريَّة الواقعة في البحَر الضيِّق، ومن هناك أبحرَ إجون مع أخيه لغزو المَمالك السَّبع. للحفاظ على الدَّم المَلكي وصيانة نقائه، غالباً ما اتَّبع آل تارجاريَن التقَّليد الڤاليري القديم وزوَّجوا الأخ أخته، وقد تزوَّج إجون نفسه أخيه وأنجبَ أبناءً من كلتيهما.

راية آل تارجاريَن عبارة عن تنِّين أحمرَ ذي ثلاثة رؤوس -يَرمُز لإجون وأخيه- على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «النَّار والدَّم».

في براڤوس

فيريجو آنتاريون، أمير بحر براڤوس،
- **كارو ڤولنتين**، مُبارز براڤوس الأول، حارسه،
- **بيليجير أوثيريس** ولقبها **اللُّؤلؤة السَّوداء**، محظيَّة من سُلالة الملكة القرصانة ذات الاسم نفسه،
- **الليدي الملثَّمة، ملكة البحار، ظِلُّ القمر، ابنة الغسق، العندليب، الشَّاعرة**، محظيَّات شهيرات،
- **ترنيسيو تيريس**، الرُّبَّان التَّاجر مالك القاليون ابنة المارد،
- **يوركو ودينيو**، ابناه،
- **موريدو پرستاين**، الرُّبَّان التَّاجر مالك الثَّعلبة،
- **لوثو لورنل**، تاجر كُتب ومخطوطات قديمة،
- **إزيلينو**، راهب أحمر سكِّير،
- **السِّپتون إيوستس**، معزول ومطرود،
- **تيرو وأوربيلو**، مُبارزا براڤو،
- **بِكْو الضَّرير**، تاجر أسماك،
- **بروسكو**، تاجر أسماك،
- ابنتاه، **تاليا وبريا**،
- **ميرالين** وتُسَمَّى **مِري**، مالكة الميناء السَّعيد، ماخور قُرب ميناء راجمان،
- **زوجة البحَّار**، عاهرة في الميناء السَّعيد،
- **لانا**، ابنتها، عاهرة صغيرة،
- **بِثاني الخجول، يانا العوراء، آسادورا الإيبنيزيَّة**، من عاهرات الميناء السَّعيد،
- **روجو الأحمر، جايلورو دوثار، جايلينو دوثار**، مؤلِّف يُدعى **كويل**،

كوزومو الحاوي، من مُرتادي الميناء السَّعيد،
- **تاجانارو**، نشَّال ولص في الميناء،
- **كاسو**، ملك الفقمات، كلب بحر مدرَّب،
- **ناربو الصَّغير**، شريكه أحيانًا،
- **ميرملو، چوس المكتئب، كوينس، آلاكْو، سلوي**، ممثِّلون يعملون كلَّ ليلة في السَّفينة،
- **سڤرون**، عاهرة قاتلة،
- **الابنة السِّكِّيرة**، عاهرة متقلِّبة المزاج،
- **چاين القُرحة**، عاهرة غير موثوق بجنسها،
- **الرَّجل الطيِّب، اللَّقيطة**، خادمان للإله عديد الوجوه في دار الأبيض والأسود،
- **أوما**، طاهية المعبد،
- **الرَّجل الوسيم، الرَّجل البدين، اللورد الصَّغير، ذو الوجه الصَّارم، ضيِّق العينين، الرَّجل المهزول**، خدم سرِّيُّون لذي الوجوه العديدة،
- **آريا سليلة عائلة ستارك**، فتاة تحمل عُملةً من الحديد، معروفة أيضًا بأسماء **آري ونان وبنت عرس والكتكوت ومِلحة وكات**،
- **كاهورو مو**، من بلدة الأشجار الطَّويلة في جُزر الصَّيف، رُبَّان ريح القرفة،
- **كوچا مو**، ابنته، رامية حمراء،
- **زوندو دورو**، وكيل رُبَّان على متن ريح القرفة.

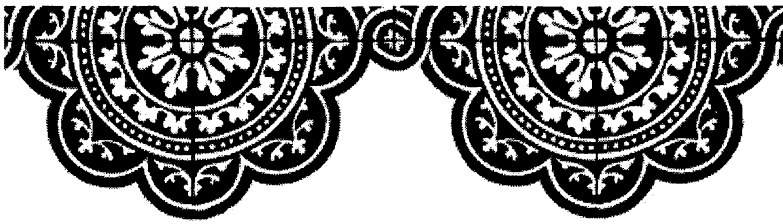

شُكر وتقدير

كان هذا الكتاب مصيبةً.

مرَّةً أخرى أتوجَّهُ بشُكري وتقديري إلى صاحِبات الأنفُس الشُّجاعة، محرِّراتي: نيتا توبليب وچوي تشامبرلين وچين چونسون، وبالذَّات آن لزلي جرويل لنصائحها وروحها المرحة وصبرها البالغ.

الشُّكر أيضًا لقُرَّائي على رسائلهم اللَّطيفة المشجِّعة، وعلى صبرهم كذلك. أحيِّي بشكلٍ خاص كلًّا من لودي ذي القبضات الثَّلاث، وپود الأرنب الشَّيطاني، وتريبلا وداچ الملكين التَّافهين، وكارس العذبة بنت الجِدار، ولانستر قاتِل السَّناجب، وبقيَّة أخوَّة اللا رايات، تلك الرِّفقة السِّكِّيرة شِبه المجنونة من الفُرسان الشُّجعان والليديهات الجميلات، الذين يُقيمون أفضل الحفلات خلال المهرجان العالمي للخيال العلمي عامًا بَعد عام بَعد عام. ودعوني أطلقُ النَّفير أيضًا لإليو ولينديا اللذين يبدو أنهما يعرفانِ الممالك السَّبع أفضل مما أعرفها ويُساعِداننني على اتِّساق التَّفاصيل. إن موقعهما وفهرسهما عن وستروس مسرَّة وأعجوبة.

وشُكرًا إلى والتر چون ويليامز على قيادتي عبر بحارٍ أكثر ملوحةً، وساج ووكر على العَلق والحُمَّى والعظام المكسورة، وپاتي نيجل على الـ«HTML» وتدوير التُّروس ونشر أخباري بسُرعة، وإلى ميلندا سنودجراس ودانييل إبراهام لخدماتهما التي تعدَّت حدود الواجب. إنني لا أتقدَّمُ إلَّا بالقليل من العون من أصدقائي.

ولا كلمات تُوَفِّي حَقَّ پاريس التي كانت موجودةً في الأيام الجيِّدة والسيِّئة ومع كلِّ صفحة. كلُّ ما يُمكن أن يُقال إنني لم أكن لأستطيع غناء هذه الأغنيَّة من دونها.

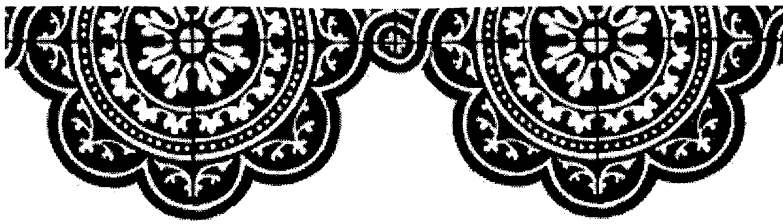

كلمة المُترجِم

قد يبدو غريبًا أن تجد كلمة المُترجم في نهاية الكتاب لا بدايته، لكن هذا الجزء من السِّلسلة غير معتاد في حدِّ ذاته، ولمَّا كانت هناك معلومات عن الرِّواية ربما يرغب القارئ العربي في معرفتها، فقد وجدتُ أن إيرادها في البداية سيحرق عددًا من الأحداث ويُفسد ما ارتأى المؤلِّف أن يَترُكه للنِّهاية، وهكذا فضَّلتُ أن أذكرها هنا لمن يُريد الاطِّلاع عليها بَعد الفروغ من قراءة النَّص.

يقول چورچ ر. ر. مارتن إن الكُتَّاب في رأيه نوعان؛ الأول يُشَبِّهه بالمهندس المعماري حين يُخَطِّط لكلِّ شيءٍ مسبقًا قبل الشُّروع في بناء المنزل، فيعرف كم غُرفةً سيضمُّ وطراز السَّطح وأماكن الأسلاك والمواسير في الجُدران، أي أن هناك تصميمًا كاملًا للبناء كلِّه قبل أن تُصبَّ الأساسات ويُدقَّ أول مسمار. النَّوع الثَّاني هو البُستاني الذي يَحفُر في الأرض حُفرةً ويغرس فيها بذرةً ويسقيها عالمًا نوعها وما إن كانت بذرة فانتازيا أم غموض أم غيرهما، لكن مع بروز النَّبتة من التُّربة واستمراره في سقيها لا يدري البُستاني كم سيكون فيها من غصونٍ وأوراق، ويكتشف هذا شيئًا فشيئًا مع نموِّها.

ينتمي مارتن في كتابته الرِّوائيَّة إلى النَّوع الثَّاني، وأكبر دليلٍ على هذا في ما يخصُّ «أغنيَّة الجَليد والنَّار» أنه حسبَ الفكرة تَصلُح قصَّةً قصيرةً حين جالَت بباله للمرَّة الأولى في صيف عام 1991، ثم بدأ يستكشفها أكثر فأكثر فوجدَها تَصلُح لثُلاثيَّة الرِّوايات الملحميَّة التي كان يرغب في كتابتها منذ سنوات عمله في هوليوود، وبَعدها «كبرَت الحكاية» كما قال مستعيرًا مقولة تولكين عن تجربته المشابهة حين بدأ يكتب «سيِّد الخواتم»، فتحوَّلت الثُّلاثيَّة إلى خُماسيَّة ثم إلى سُداسيَّة، وفي النِّهاية إلى سُباعيَّة.

نُشِرَت «وليمة للغِربان» في أكتوبر/ تشرين الأول 2005، بَعد خمسة أعوام وشهرين من الجزء السَّابق، وقد نجمَ هذا عن تغيُّر خطَّة مارتن في أثناء

الكتابة. في البداية كانت نيَّته أن يُطلِق على الكتاب الرَّابع عنوان «رقصة مع التِّنانين»، وأن تبدأ الأحداث بَعد خمس سنوات من «عاصفة السُّيوف»، وكان من أسبابه أن تكون الشَّخصيَّات الصَّغيرة قد تقدَّمت في العُمر بعض الشَّيء، على أن مارتن اكتشفَ خلال عمليَّة الكتابة نفسها أن هذا سيقوده إلى الاعتماد أكثر من اللَّازم على الاسترجاع (Fkashback) في سبيل حكاية ما جرى في تلك السَّنوات الخمس، وبَعد عام أو نحوه من الكتابة قرَّر أن يتخلَّى عن جزءٍ كبير من المكتوب ويبدأ من جديد، هذه المرَّة مواصلًا الأحداث من حيث انتهَت في «عاصفة السُّيوف»، وقد أعلنَ قراره هذا في المهرجان الدَّولي للخيال العلمي بفيلادلفيا في 2001.

علاوةً على هذا، كان مارتن قد بدأ يُقَدِّم أحداثًا من وجهات نظر شخصيَّات جديدة لا تظهر إلَّا في فصلٍ أو اثنين، ثم إنه كتبَ فصلًا تمهيديًّا وقعَ في مئتين وخمسين صفحة، إلَّا أنه حذفَ معظمه لاحقًا ووزَّع ما تبقَّى على أحداث الرِّواية، التي أدركَ قُرب اكتمالها أنها أطول كثيرًا من «عاصفة السُّيوف»، ولمَّا أخبرَ ناشره بهذا طلبَ منه أن يقسمها جزأين، ثم اقترحَ صديقه المؤلِّف دانيل إبراهام أن يقسمها حسب الشَّخصيَّات والأماكن، بحيث يتلو الكتاب التَّالي أيضًا أحداث الجزء الثَّالث مباشرةً مع شخصيَّات أخرى وفي أماكن مختلفة، وهو ما وجدَه مارتن مقبولًا، وإن أدَّى إلى المزيد من التَّأخير في النَّشر من أجل تنسيق الأحداث بين الكتابيْن.

تعدُّ «وليمة للغِربان» أول جزء من السِّلسلة يصل إلى قائمة النيويورك تايمز للأعلى مبيعًا، وقد رُشِّحَت كأفضل رواية لجائزتَي «هيوجو» و«كويل» وجائزة الفانتازيا البريطانيَّة في عام 2006، وتُرجمَت حتى الآن إلى أكثر من عشرين لُغة. أمَّا في مسلسل «*Game of Thrones*» المقتبَس من «أغنيَّة الجَليد والنَّار» فقد غابَ السَّواد الأعظم من الكتاب عن الأحداث، وما تبقَّى قُدِّمَ على الشَّاشة بشكلٍ مختلف كثيرًا.

كمترجِم، كانت قراءة روايات «أغنيَّة الجَليد والنَّار» والمتعة الشَّديدة الذي وجدتها فيها هي الفيصل في اتِّخاذ قرار ترجمتها إلى العربيَّة، وهذه التَّرجمة التي بين يديك الآن هي نتاج عمل شهور طويلة مرهِقة لتقديم عالم چورچ مارتن المعقَّد وشخصيَّاته المتشابكة للقارئ العربي بأفضل شكلٍ ممكن.

المؤلِّف

چورچ ر. ر. مارتن

عشر سنوات قضاها چورچ ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التليفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «Beauty and the Beast» و«The Twilight Zone»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعًا برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدمها لهم للإنتاج في التليفزيون أو السينما -بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلف مبالغ كبيرة جدًّا لا قِبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من

المترجم

هشام فهمي

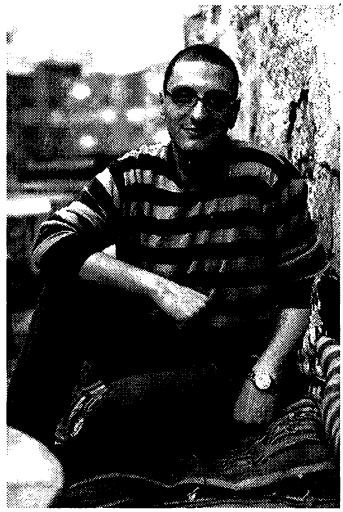

درسَ الأدب الإنجليزي والتَّرجمة في جامعة الإسكندرية، وعملَ مترجمًا وكاتبًا في عددٍ من الصُّحف والمجلَّات والمواقع، وترجمَ عددًا من الأعمال لكُتَّاب عالميِّين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «1408» لستيڤن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، و«المحيط في نهاية الدَّرب» لنيل جايمان، و«حرب الفن» لستيڤن پرسفيلد.

موقع المترجم: www.hishamfahmy.com

شُكر من المترجم

امتنان أعجزُ عن وصفه للشَّجرة العطرة الليدي **ريندا الوكيل**. شُكرًا على الدَّعم المعنوي والعملي قبل وطيلة شهور العمل على هذا الكتاب. مَن يَكتُب أو يُتَرجِم وله قارئة مثلكِ محظوظ.

وشُكر خاص جدًّا للأصدقاء من حول العالم في «**SchwiftySquwad**» على مساعَداتهم في الصُّعوبات اللُّغويَّة وشرح وجهات النَّظر المختلفة في بعض الأحداث ومناقَشتها وتحليلها، وهو ما ساهمَ كثيرًا في إخراج التَّرجمة بأفضل شكلٍ ممكن.

وأخيرًا، قرَّرتُ أن أترك للمنظِّرين والأكاديميِّين مسألة أحقيَّة إهداء المترجِم ترجمته إلى أحد، فهذه أمور لا تشغلنا كثيرًا هنا في وستروس، وعن نفسي أحبُّ أن أهدي هذه التَّرجمة إلى روح الرَّاحل الجميل **الدكتور أحمد** خالد توفيق، الرَّجل الذي تعلَّمتُ منه الكثير والكثير، ودومًا كنتُ به أسعدُ وله قلبي يطرب.

سلسلة چورچ ر. ر. مارتن الملحميَّة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في
لعبة العروش
وتُستكمَل في
صِدام الملوك
عاصِفة السُّيوف
وليمة للغِربان
رقصة مع التِّنانين
رياح الشِّتاء
حُلم بالرَّبيع